



مكتبة  
القديمة

دراما تغيرات  
الحياة في المجتمع  
الصيني الحديث

آناي

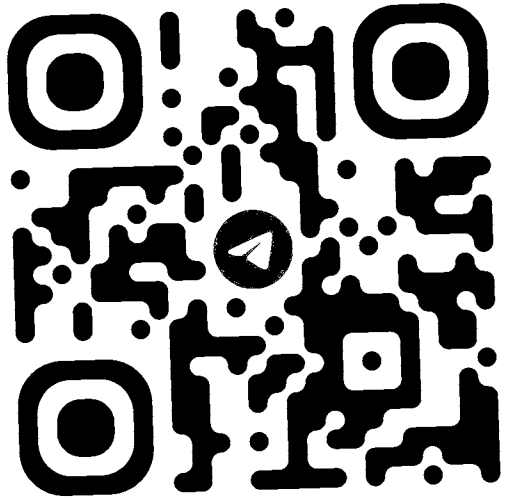
# نهر يتسع لأكثر من

# مصير

رواية

ترجمة:  
جورجينا القس زكريا  
إيمان سعيد

الجزء الثالث



سجل في مكتبة

اضغط! الصفحة

SCAN QR

نهر يتسع لأكثر من مصير

دراما تغيرات الحياة في المجتمع الصيني الحديث

اسم الكتاب: نهر يتسع لأكثر من مصر - الجزء الثالث  
اسم المؤلف: أناي  
المترجم: جورجينا القس زكريا - إيمان سعيد  
الناشر: مجموعة بيت الحكمة للصناعات الثقافية  
الطبعة الأولى: 2026

أناي.

نهر يتسع لأكثر من مصر: رواية طويلة/أناي، ترجمة:  
جورجينا القس زكريا - إيمان سعيد  
- القاهرة: مجموعة بيت الحكمة للثقافة للصناعات  
الثقافية، 2025، ص. 546، 20 سم.

تدمك: ISBN: 9786338316402

رقم الإيداع: 2025/28512

1 - القصص الصينية

أ- زكريا، جورجينا القس (مترجم)

ب- سعيد، إيمان (مترجم مشارك)

ج- العنوان: 895,13

مجموعة بيت الحكمة للثقافة

شارع التحرير- ميدان التحرير- القاهرة

ت: +201030328888 +20223936038

info@baytelhekma.com

www.baytelhekma.com



تم نقل حقوق الترجمة والنشر بموجب العقد الموقع مع الناشر  
الأصلي بالصين 中国教育图书进出口公司

جميع الآراء الواردة بالكتاب تعبر عن رأي المؤلف ولا تعبر  
بالضرورة عن رأي الناشر

جميع إصداراتنا متوفرة على منصات البيع الكبرى  
والمكتبات بالدول العربية والعالم.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الإشراف العام

د. أحمد السعيد

مدير التحرير

عمرو مغيث

هيئة التحرير

علي قطب

محمد كرم

محمد ماهر بسيوني

سكرتير التحرير

ياسمين مجدي

تدقيق لغوي

تقى المرسي

تصميم الغلاف

عبد الرحمن ناصر محمد

الإخراج الفني

حسام عنتر

حقوق الطبع والتوزيع

محفوظة

©baytalhekma



مكتبة  
t.me/soramnqraa

رواية طويلة

# نهر يتسع لأكثر من مصير

دراما تغيرات الحياة في المجتمع الصيني الحديث

الجزء الثالث

تأليف: آ ناي

ترجمة: جورجينا القس زكريا - إيمان سعيد



Arabic Translation Edition Copyright © 2025 Bayt Alhekma Cultural Industry Group



《大江大河》（第三部）（阿文版）  
"نهر يتسع لأكثر من مصير" (الجزء الثالث)

Copyright © 2018 by A Nai

This edition is authorized by **China Educational Publications Import & Export Corporation Ltd.**

For information address **Floor 8-10, Building 1-3, No.1 Xiying Street, Fengtai District, Beijing 100073, P.R. China**

All rights reserved including the right of reproduction in whole or in any part in any form.

تمت الترجمة بشركة بيت الحكمة للترجمة  
ALL RIGHTS RESERVED

عام 1988

# مكتبة

t.me/soramnqraa

1

كانت السماء لا تزال مظلمة في الصباح الباكر من يوم رأس السنة الميلادية الجديدة، ركب لي دونغ باو سيارة سانتانا زرقاء داكنة استعارها من أحدهم وذهب إلى محطة القطار لاستقبال أحدهم، كان يقول في قرارة نفسه إن هذه السيارة جيدة وبحق، فتلك الجرارات الموجودة في القرية ليست سيارات، وعند الحديث عن السيارة الجيب المملوكة لتشن بينغ يوان والتي كثيرًا ما ركبها في بكين؛ لم تكن لتضاهي هذه السيارة في ثباتها، فمقاعد السيارة ناعمة، وحينما تُشغَّل المدفأة في السيارة لم تكن تسرب الهواء على الإطلاق، فلا تستطيع أن ترتدي فيها حتى سترة مبطنه بالقطن. كان الشيء الوحيد السيئ من بين كل تلك المميزات هو أنه لا يستطيع أن يفتح ساقيه، فقد ازداد وزن لي دونغ باو الآن، وهو طويل القامة في الأصل، فعندما ازداد وزنه صار يحدث صخبًا عند المشي، ويصاب بالضيق حينما يركب السيارات.

كان لي دونغ باو يخطط في نفسه لشراء واحدة، لكنه حَسَبَ ذهنيًا الأموال التي كسبتها إدارة الشؤون المالية بالقرية

العام الماضي، ما جعله يتردد في ذلك. لقد حصدوا الكثير من المال العام الماضي، ولا يقتصر الأمر على وفرة مدخرات القرية فحسب، فلقد صار المال وفيرًا في يد قرابة الثلاثين شخصًا في القرية بأكملها، حتى إنهم اشتروا دراجاتٍ نارية، وقد اشترى لي دونغ باو هو الآخر دراجة نارية من ماركة ياماها. لكن الأمور التي ستحتاج المال كثيرة أيضًا، فالاستثمار في مصنع الكابلات الكهربائية يحتاج إلى مهندسين، ولهذا الغرض قام ببناء العديد من المباني الجميلة. كما دخلت القرية في المرحلة الثالثة، وتبدلت جميع المنازل القديمة في القرية إلى منازل أخرى، إذ تبدو جميع المنازل في القرية الآن وكأنها منازل جديدة. ووفقًا لتعليمات تشنغ بينغ يوان، عليهم أن يربطوا طريق القرية بالطريق الإقليمي، وهذا هو أكثر ما سيقضي على المال، إنه مثل بناء متجر بأوراق نقدية بقيمة عشرة يوانات، والإعانة الصغيرة التي تمنحها المحافظة هي مجرد قطرة في بحر. كما يتوجب على القرية سداد الكثير من أموال القرض للبنك، فإنهم لم ينتهوا من سداده حتى الآن. كما لم يفكر لي دونغ باو في سداده جيدًا، إذ ظلت عيناه الثاقبتان تركز على مصنع الأسلاك والكابلات الكهربائية في المدينة، والذي كان يضغط عليه مصنع دنغ فنغ للكابلات الكهربائية الخاص به، إذ لا يستطيع تغطية نفقاته سوى بإنتاج الكابلات التي تزيد عن 10 كيلو فولت، فانتظر حتى يعجز مصنع الأسلاك والكابلات الكهربائية في المدينة عن الصمود، وبعد ذلك يقول أي شيء للحصول على المال اللازم لضم مصنع الأسلاك والكابلات الكهربائية في المدينة. ولكنه كان يشعر حقًا بالاختناق، فحتى لو توقف هذا المصنع المملوك للدولة عن الإنتاج لبضعة أسابيع، فإنه ما زال

قادرًا على الصمود دون إغلاق بابه. ولو تبدل الوضع وصار هذا حالهم في شياوليغيا، فسيغلقون أبوابهم بعد ثلاثة أيام، وسيكون عليه أن يقلق بشأن لقمة عيش أهالي القرية، هذا حقًا ليس عدلاً.

اشترى لي دونغ باو تذكرة رصيف وذهب إلى محطة القطار للانتظار، وكانت السماء قد أشرفت بالفعل في هذه اللحظات. هبت الرياح الشمالية الغربية، فلم يكن ثمة غطاء يحيط برصيف المحطة، ما جعل العمال يرتعدون من البرد القارس. وكان لي دونغ باو قد غطى وجهه للتو في السيارة حتى تورد، وكانت شفتاه في ذلك الحين زرقاء وكأنها مصابة بكدمات بسبب الرياح الشمالية الغربية. وأخيرًا وصل القطار إلى المحطة، فبحث لي دونغ باو عن مقصورة النوم الناعمة وركض للانتظار، وكما هو المتوقع، خرج الشخص الذي كان ينتظره من مقصورة النوم الناعمة. تقدم إلى الأمام واختطف أمتعة الرجل القادم كما لو كان سارقًا في عملية سطو مسلح على طريق سريع.

كان القادم هو شيوي الكبير، الرجل الذي يعشقه لي دونغ باو، كان شيوي الكبير يرتدي سترة متفخة باللون الجملي، وناهيك من ندرة هذه السترة المتفخة، فقد كان هذا اللون من النادر رؤيته أيضًا في الشتاء. فحينما تنظر هنا تجد على مد البصر ألوان قمصان التزلج باللون الأحمر والأخضر والأزرق. كان شيوي الكبير قادمًا بمفرده، وارتسمت على شفثيه ابتسامة كبيرة عندما رأى لي دونغ باو، فلم يكن مهذبًا معه على الإطلاق: «دونغ باو، قال لي سونغ الصغير في رسالته أنك صرت الآن المتحدث الأفضل باسم مزرعتكم للخنازير، حقيقةً لقد ازداد وزنك كثيرًا».

فضحك لي دونغ باو هو الآخر عاليًا، فقد أعجب بشيوي الكبير بمجرد رؤيته، إذ لم يمر شيوي الكبير على المحافظة أولاً، ولكنه بحث عنه مباشرةً، ما جعله يشعر بالفخر الكبير: «ماذا قال عني هوي الصغير؟ هل تجرأ على أن يبيعي من خلف ظهري؟ هذا الوغد. إنك لم تتغير على الإطلاق يا شيوي الكبير، بالمناسبة، أنا لم أخبر تشن بينغ يوان كما أخبرتني. فلتمكث في بيتي، لقد انتقلت إلى بيت جديد للتو، كبيرٌ للغاية، حتى لتسمع فيه صدى صوتك، ولقد جهزت لك حجرتين، فلتنم في أي واحدة منهما شئت».

ضحك شيوي الكبير: «ماذا ستجعلني أكل؟ إنكم تملكون مزرعة للخنازير خاصة بكم، سأكل ما شئت من لحم الخنازير».

«ما أسهل ذلك! لتدخل إلى المزرعة وتشير على الرأس الذي يعجبك، وسأجعل أحدهم يطهوه لك على الفور، إننا الآن نملك سبعة آلاف خنزير فحسب، ولقد تم ذبح أكثر من عشرة آلاف رأس العام الماضي، لقد كلفني تشن بينغ يوان بمهمة ذبح عشرة آلاف رأس سنويًا، فكيف لا أكون إنسانًا مطيعًا؟ تفضل يا شيوي الكبير، من هنا».

ألقي شيوي الكبير نظرة، فرأى على غير المتوقع سيارة جديدة تمامًا، فركب في المقعد الخلفي لها، وجلس معه لي دونغ باو هو الآخر على المقعد الخلفي بالطبع. قال شيوي الكبير مندهشًا: «أخبرني سونغ الصغير أنك اشتريت دراجة نارية، فهل اشتريت سيارة أيضًا؟».

«لا، لقد استعرتها من هيئة الموارد بالمدينة، فكيف يمكنني أن أجعلك تركب الدراجة النارية في مواجهة برد الرياح الشمالية الغربية، لقد ازدادت الأموال في هيئة الموارد بالمدينة الآن، إذ يمكن للشركة التجارية التي تديرها كسب المال فقط من بيع وثائق الموافقات، كما يصبح النحاس الرخيص الذي تقدمه لها الدولة صفقة رابحة بمجرد نقله إليها، ولقد أدى هذا النقل إلى جني الكثير من المال الذي يفوق بكثير ما نجنيه في مصنع الأسلاك والكابلات الكهربائية الخاص بنا، ويكفي هذا لشراء عدة سيارات».

ضحك السائق بينما يستمع إليهما في الأمام: «إن مصنعكم ما زال متوسطاً، فهم يشكون فقط من واردات الصلب، لكن لا يمكنهم الاستغناء عن هيئة الموارد الخاصة بنا، وليس أمامهم من حل آخر».

«هذا لأنهم كسالي، لقد قمتُ باستيراد الصلب مباشرة من مصنع الصلب منذ عدة سنوات. كما أن نصف النحاس الذي لدي ليس من عندكم أيضاً».

«أيها الأمين لي، إذا ما كان صلبكم من إنتاج مصنع صغير، فيمكنكم بالطبع شراؤه أيضاً من مصنع صغير للصلب، ونصف النحاس الذي لديكم مصنوع من خردة النحاس المعاد تدويرها، فنحن نعرف هذا أيضاً، لكن إذا ما كانوا يريدون استخدام ألواح الصلب ولفائف الصلب والألواح النحاسية واللفائف النحاسية، فيجب عليهم التوجه إلى هيئة الموارد الخاصة بنا، فمن يهتم بكم من المصانع الكبرى؟ هل توافقني الرأي أم لا؟ أنا لا أخشى أن أخبرك أننا الحل الوحيد أمامكم».

نظر لي دونغ باو إلى شيوي الكبير: «هل ترى، في الحقيقة ليس لدي حل، سأنتظر إلى حين أن أفتح مصنعًا لصهر النحاس العام المقبل، لنفعل ذلك حينما نملك المال».

كان شيوي الكبير يستمع مبتسمًا فحسب، وهنا قال أخيرًا: «لطالما كنت أتوق لرؤيتكم كيف تعملون فيما بعد، ولم أتصور أن ألتبس هذا بمجرد مجيئي إلى هنا. دونغ باو، تحدث إلي عن عمليات الاستيراد والتصدير في مصنعك للكابلات الكهربائية». وما إن سمع السائق هذا الكلام في الأمام، حتى زاد على الفور من سرعة السيارة في خفة، فاستمرت السيارة في الطيران، ثم استدار وألقى نظرة فاحصة على شيوي الكبير، ما أشعره بأن ذلك المسافر القادم ليس عاديًا، ولم يجرؤ على التحدث كثيرًا بعض الشيء.

أما لي دونغ باو فقد كان صادقًا ورفض رفضًا قاطعًا دون أن يخجل منه على الإطلاق: «لن يكون كلامي واضحًا، شي قن ماهر في ذلك، حينما نعود سأجعله يعطيك تقريرًا، أما أنا فأهتم فقط ببضعة موضوعات كبيرة، مثل شراء حبيبات البلاستيك لمصنع البلاستيك، يساعدني هوي الصغير في التواصل مع مصنع زميله، إنه رخيص، ونحن نستورد نصف النحاس من مصانع النحاس الصغيرة المحيطة، ولكن ما يعطونه لنا لا يكفي استخدامنا، فلا نجد أمامنا سوى اللجوء لهيئة الموارد، إلى جانب شراء الصلب والأسمنت من ساحة المنتجات الجاهزة. أنا أيضًا لا أدير مزرعة الخنازير، فقط أسأل إدارة الحبوب عن كل ما يرد إلينا، فلا يمكن أن تسوء الأمور، أما عن الصغائر فإنني لا أهتم بها؛ إذ أدع من في المصنع يشترون ما يريدون بأنفسهم، وتراقبهم الفرقة. وأضع أنا

يدي على التصدير، إذ أركض خلفهم بالسوط كل يوم، فإذا لم يصلوا إلى الهدف لا يفكرون حتى بالعودة إلى المنزل.

قال شيوي الكبير ضاحكًا: «هذا جيد، أنت تملك شجاعة التركيز على الأمور الكبيرة وإهمال الصغائر، عليّ أن أتعلم منك. ما هو فرق السعر عند الشراء من المصانع الفردية الصغيرة وهيئة الموارد؟».

«فرق السعر؟ ومن يهتم بفرق السعر، يكفي أن نحصل على البضاعة وسنكون ممتنين، فحتى لو وصل القطار في ليلة رأس السنة محملاً بالبضائع، علينا أن نندفع فورًا لنختطف ما نريد، وإذا ما تأخرنا للحظة فلن نجد شيئًا، علينا أن نحصل عليها من شركة تجارية لا تعرف هيئة الموارد من يديرها، وليس هناك سعر محدد». وحينما قال لي دونغ باو هذا الكلام ضحك السائق الموجود بالمقدمة.

ابتسم شيوي الكبير: «هل عليك أن تكون متغطرًا حينما تبيع الأسلاك الكهربائية؟».

تحمس لي دونغ باو فورًا ولمعت عيناه: «إنك تصيب الهدف دائمًا ما إن تتحدث يا شيوي الكبير. إننا نملك المال في أيدينا الآن، وحينما تملك المال يمكنك أن تكون قاسيًا بلا رحمة، فالأشياء التي أصنعها ليست بالضرورة للبيع ما دمت جئت لتشتريها، المسألة معقدة. إن الأشياء التي أصنعها الآن محفوظة، ولا أبيعها إلا بسعر مرتفع، فلا أخشى بأي حال من الأحوال نقص المال لشراء المواد ودفع المرتبات، وأملك مالاً يفوق ما يملكه

من يشترون الأسلاك الكهربائية، فأرى من سيكون مضطراً أكثر من الآخر، فإذا كنتَ مضطراً أكثر مني سيتعين عليك دفع سعر مرتفع». ظل شيوي الكبير يومئ برأسه: «إذا لم تكن هناك امتيازات خاصة، فلنرى من يملك الوسائل ومن يملك الكثير من المال. نعم، إن هذا يشبه القمار، فمن يملك في يده رقائِق أكثر هو من يكون أكثر شجاعة عند وضع الرهانات، وهو الذي يجروُ على استخدام المزيد من الحيل».

شعر لي دونغ باو بأن كلامه منطقي، ولكنه لم يتمالك نفسه وسأل: «وهل يستطيع شخص مثلك يا شيوي الكبير أن يقامر؟». «أضرب مثلاً فحسب». كان شيوي الكبير محرّجاً قليلاً من إفساد الانطباع الجيد عنه في ذهن لي دونغ باو، «تحدث عن مزرعتك للخنازير، فلأعطيك أفكاراً أفضل، كف عن التحدث عن مصنع الأسلاك الكهربائي».

بدا صوت لي دونغ باو غير مهذب بعدما ازداد وزنه أكثر، علاوة على ذلك فقد صار زعيم القرية بمرور الوقت، ما جعل صوته يحمل لهجة استبدادية دون أن يعي، ومع ذلك فقد كان شيوي الكبير يعرف هذا الإنسان بالفعل، فحتى لو لم يره لسنوات عديدة، لم يكن ليصير غير معتاد على مظهر لي دونغ باو الشرس. تحدثا طوال الطريق كثيرًا عن إدارة قرية شياوليجيا، وقال شيوي الكبير إنه ألهم الكثير.

وصلت السيارة إلى طريق قرية شياوليجيا، واندهش شيوي الكبير حينما رأى القرية أمامه مختلفة تمامًا عن التي يعرفها: «هل هذه شياوليجيا قريتكُمْ؟».

«بالطبع، كل من يأتي إلى هنا لا يصدق ما يراه، حتى أنا لم أكن لأتخيل ذلك من قبل».

«لقد وصفها لي سونغ الصغير من قبل، ولكن خيالي كان لا يزال محدودًا، لا يرقى لسرعة تطويركم، حقًا لم أكن أتصور ذلك».

«إنه مشغول، لم يأتِ إلى هنا منذ أكثر من سنة، وإذا ما أراد أن يأتي فلن يعرف الطريق، فهو لم يرَ هذا الطريق من قبل».

اقتيدت السيارة ببساطة ويسر مباشرة إلى منزل لي دونغ باو الجديد، وكان هذا واحدًا من أكبر خمسة منازل في القرية بأكملها، وكانت الأربعة منازل الباقية تعود إلى الأربعة أعضاء الباقين وهم: شي قن، ولي تشنغ مينغ، ولي تشونغ فو، وشي هونغ وي. يقول لي دونغ باو إنه ليس هناك إخراج على الإطلاق في أن يسكن أكثر الأشخاص إسهامًا في منازل كبيرة. وعلى العكس من ذلك فقد غمغم الأربعة الباقون عما إذا كان سيسبهم ويوبخهم أهالي القرية لتقاضيهم هذا الدخل المرتفع وسكنهم في أكبر المنازل أم لا، وكانت النتيجة أنه لم يوبخهم أحد، وكان الجميع قد اعتادوا بالفعل على هذا التوزيع غير العادل.

كان الأعضاء الأربعة الكبار ينتظرون في منزل لي دونغ باو للترحيب بشيوي الكبير، ولم يكن شيوي الكبير متعجبًا من مواجهة مثل تلك المواقف كثيرًا، فصافح الجميع ورحب بهم ترحيبًا حارًا، ولكنه طلب في البداية أن يصعد إلى السطح ليرى القرية بأكملها من أعلى، اصطحب لي دونغ باو شيوي الكبير إلى أعلى، وكان شيوي الكبير يشمُّ من بداية دخوله إلى القرية رائحة كريهة قوية،

وكان الوضع كما هو عليه في بيت عائلة لي، ولذلك ما إن صعد إلى سطح البيت حتى سأل: «إنها رائحة الخنازير الكريهة، فماذا تكون إذا لم تكن هي؟».

«حينما يتم تسخين المواد البلاستيكية في مصنع الأسلاك الكهربائية تكون رائحتها كريهة أيضاً، ما من حل. انظر إلى المداخل الكثيفة على سطح مصنع الأسلاك الكهربائية. ما إن يأتي هوي الصغير إلى هنا حتى يهز رأسه تأففاً، إنه يقلد الغرب».

أما عن شيوي الكبير فلم يعتقد أن الأمر غريب عليه، فقد جاء في زيارة خاصة هذه المرة، وأراد أن يعرف معلومات مباشرة عن التنمية الاقتصادية في الريف عن طريق علاقاته الشخصية. وفيما عن السفر للعمل، فقد رأى من قبل العديد من الأماكن الملوثة على هذا النحو، وعلى الرغم من قيام الناس بالحيل بعد وصوله، ولكنه كان من الذين شقوا طريقهم بأنفسهم من المستوى الأساسي، أفلا يستطيع أن يكتشف هذه الحيل؟ فمعظم الأماكن التي يبدأ فيها الاقتصاد في التعافي تكون هكذا. «هل من الضروري استخدام هذا النوع من البلاستيك المحتوي على الكلور؟».

«لا بأس بعدم استخدامه، ولكن المواد الخام أسعارها باهظة للغاية، لا بد وأن أخسر ما لا عندما أعمل فيها».

أوماً شيوي الكبير برأسه، فهذا الكلام حقيقي، والاحتياجات هي التي تحدد، وبالنسبة للمؤسسات التي تديرها قرية شياوليجيا فلا يمكنها سوى تحقيق هذا الوضع. «يبدو أنهم لا يريدون أن يحيطوا الورشة بسور، ويريدون أن يصرّفوا الهواء بقدر الإمكان،

إن هذا النوع من المواد البلاستيكية سام، حاولوا أن تبدلوا قصارى جهدكم في عدم السماح للنساء الحوامل بالدخول إلى الورشة. مع الأسف لا تتوفر حاليًا سوى المنتجات البدائية منخفضة الجودة، فعلى سبيل المثال المنتجات المتطورة مثل معدات سونغ الصغير الجديدة، معظمها ينبغي أن يعتمد على التصدير في تصريفه. لماذا تنبعث تلك الرائحة الكريهة من مزرعة الخنازير؟ فإذا ما كانت كريهة هكذا في الشتاء، كيف ستكون في الصيف؟».

«دائمًا ما تكون مزرعة الخنازير كريهة الرائحة هكذا، ما من حل، إننا نستخدم جرارًا كبيرًا كل يوم لسحب روث الخنازير، ولكنها مزرعة خنازير على كل حال، فكيف ستكون مزرعة خنازير إذا لم تكن رائحتها كريهة؟ تنبعث من المياه القذرة رائحة كريهة بما يكفي كل يوم. انظر، إننا نعتمد في زراعة أشجار الفاكهة والخيزران التي تملأ الجبال في المناطق المحيطة على روث الخنازير، وفي الربيع تملأ الأزهار الجبل، هاها، جميعها تزهر بسبب روث الخنازير الكريه. انظر إلى أشجار الفاكهة التي تملأ الجبل يا شيوي الكبير، هذا كله من أفكارك التي ساعدتنا بها. بدأت معظم أشجار الفاكهة تؤتي ثمارها للتو، لكن ومع الأسف فإن الفاكهة يصعب بيعها، ما إن نتركها لبضعة أيام حتى تتعفن. في الخريف الماضي، كانت المرة الأولى التي نرى فيها الكثير من الفاكهة، وحشدت القرية بأكملها لأكل البرتقال والكمثرى، يقولون إن البرتقال يشعل النار والكمثرى تطفئها، هذا هو الانسجام».

ما إن سمع شيوي الكبير كلامه حتى ضحك: «اطمن، فتماشيًا مع تحسين مستوى معيشة الناس، سيكثر عدد الناس الذين يأكلون

الفاكهة، ولكن عليك أن تختار شخصًا قادرًا يكون متخصصًا ومسؤولًا عن رفع جودة الفاكهة، فيزرع أحلى وأكبر الفاكهة. فلتبحث في كلية العلوم الزراعية، لنهبط إلى الأسفل». هبط شيوي الكبير أولاً إلى الأسفل، وتبعه لي دونغ به، «دونغ باو، منزلك جميل جدًا من الخارج، لماذا لا تهتم به جيدًا من الداخل؟ على الأقل أحضر عربة أثاث وضعها به».

«لقد أخبرني هوي الصغير حينما كنت أنتقل إلى البيت الجديد أن أنتظره حتى يعود لأصنع الأثاث، وسيرسوم لي مخططًا لكيفية ترتيبه. ولكنه أنني لديه الوقت؟ لقد بلغت ابنته نصف عام وما زالت لا تعرفه، لا أستطيع الاعتماد عليه. أنت مؤهل أكثر منه يا شيوي الكبير، فلتساعدني».

«أوه، صحيح، لقد أخبرني في رسالته أن أعمال إعادة التأهيل عنده أكثر تعقيدًا من إنشاء ورشة جديدة، ولن يكون عنده وقت على الأقل قبل خريف هذا العام ليساعدك. إن هوي الصغير له مستقبل واعد، فدماغه جيد، وهو على استعداد للعمل، كما أنه محظوظ بوجوده في هذا العصر الجيد، إنني لا يسعني سوى الشعور بالحكمة حينما أفكر في الأشياء التي يقوم بها، وأريده أن يكتب لي رسائلًا دائمًا يخبرني فيها بالتفاصيل، يبدو أنني عليّ ألا أفعل ذلك، إنه مشغول للغاية وليس عليّ أن أستغل وقته».

«إنه من أولئك الذين لا يكلون ولا يملون من العمل، ويصير مبتسًا كما لو كان ميتًا حينما لا يكون متعبًا، فلتمكث في هذه الحجرة اليوم يا شيوي الكبير، كلها جديدة».

لم يكن شيوي الكبير يشعر أمام لي دونغ باو بأي قدر من التقيد، فما إن سمعه حتى رفع رأسه وألقى نظرة، فوجد الحجرة كبيرة ولا يوجد بها سوى سرير وكرسيين، ولكن كان بها أيضًا طاولة ذهبية عليها جهاز تليفزيون، وكان التليفزيون مغطى بغطاء وردي لامع، واللحافان الموجودان على السرير أيضًا مصنوعان من الديقاج اللامع، مطرز عليهما تين وعنقاء، كان أحدهما أحمر زاهيًا والآخر أخضر فاتحًا، والوسادة الموجودة على رأس السرير برتقالية مائلة إلى الأحمر، كان المنظر عمومًا مبهجًا للغاية، قال شيوي الكبير في نفسه إنه لا عجب إذاً في أن سونغ يون هوي الذي يسافر إلى الخارج كثيرًا يقول إنه ينوب عن لي دونغ باو في التنظيم، فلو كانت زوجة لي دونغ باو الأنيقة هنا، لكان ذلك المنزل من الممكن أن يصير مختلفًا في شكله تمامًا. ولكن شيوي الكبير كان يعلم أن لي دونغ باو قد قدم له أفضل ما عنده. ضحك وقال: «ليست سيئة، ليست سيئة، سأنام ليلتي هنا. وأنت؟ أين حجرتك؟ دعني أراها».

كان لي دونغ باو أيضًا سعيدًا بأن شيوي الكبير لم يكن يتعامل معه على أنه غريب، فاصطحبه ليرى حجرتة. حينما دخل شيوي الكبير من الباب وجد أيضًا سريرًا وحيدًا، وخزانة قديمة بثلاثة أبواب وأخرى قديمة بخمسة أدراج، يبدو أنه كان يستخدمها حينما كان متزوجًا، ولكن الصندوق المصنوع من خشب الكافور والذي كان موضوعًا عند نهاية السرير كان مختلفًا عنها. تقدم شيوي الكبير إلى الأمام ليلقي عليه نظرة، وقال: «هل هذه خزيتك؟ هذا الصندوق لا بأس به».

فلم يجبه لي دونغ باو، وفتح له ليراه، وما إن رآه شيوي الكبير حتى فهم على الفور، ولم يقل له أي شيء، فلم يتصرف بأريحية كما كان يفعل سونغ يون هوي، وربت على كتف لي دونغ باو، ثم سحبه ليهبطا إلى الأسفل.

حينما سمعت والدة لي دونغ باو منذ وقت طويل أن هذا المسؤول رفيع المستوى قادم من بكين، خططت لأن تهرب، إذ توارت منذ الصباح الباكر عند الجيران، وعندما رأت من نافذة بيت الجيران لي دونغ باو يترجل من السيارة بشكل مهيب للغاية وكأنه قائد عظيم، لم تكن لتجرؤ على العودة إلى المنزل مهما قيل لها. كان الشاي والطعام الموضوع في الأسفل جميعه من صنع زوجتي شي قن وتشنغ مينغ الموجودتين في المنزل المجاور، وكان وقت شيوي الكبير ضيقًا، فما إن حضر حتى بدأ يطرح سلسلة من الأسئلة على أعضاء شياولي جيا الأربعة الكبار الموجودين بالتفصيل، بما في ذلك الهيكل الإداري لشياولي جيا، إذ فهم كل شيء بوضوح. كان شيوي الكبير كثير الاطلاع، وفي بعض الأحيان كان يطرح عليهم طريقة عمل إحدى القرى النموذجية، ويناقد منطقها مع الحاضرين.

كان لي شي قن يشبه المدير العام، إذ كان أكثر من تم سؤاله، وأدرك تدريجيًا أن شيوي الكبير وبخلاف سؤاله عن ظاهرة ما، كان يصر على البحث بعمق والوصول إلى الأسباب الجذرية للأمور، كما ناقش مع الجميع المنطق الحالي والتغيرات المستقبلية المحتملة. كان شيوي الكبير وكأنه يقف ويرى بعيدًا من الأعلى، وبطبيعة الحال فقد كانت هذه الأشياء الخيالية بعيدة

عن يد أفراد شياوليجيا الخمسة ولا يمكنهم اللحاق بها، ما جعل أولئك الأشخاص الخمسة يستفيدون منه كثيرًا. كان لي دونغ باو في الأصل يتبع شيوي الكبير بشكل أعمى، وبطبيعة الحال فقد حفر كلام شيوي الكبير كله في عقله جملةً جملة.

وفي اليوم التالي، ركب شيوي الكبير دراجة لي دونغ باو النارية وذهب ليرى المحافظة بأكملها، فقد كانت منطقة عمله من قبل، ثم عاد ليمشيا في جميع أنحاء القرية، ومرًا من فوق جسر صغير، فلم يسعه سوى أن يسأل ما إذا كان الماء الذي تحت هذا الجسر هو فرع من نهر تشينغ شوي الذين كانوا يصطادون منه السمك من قبل، فأجابه لي دونغ باو بالإيجاب. نظر شيوي الكبير إلى المياه الملوثة المغطاة بالرغوة البيضاء فتأثر بشدة، وظل متأثرًا طوال الطريق. وقبل أن يغادر ويصعد إلى القطار، طلب من لي دونغ باو أن يقوم بشيء ما حينما يعود إلى المنزل، وهو تحويل جميع الخنادق المفتوحة لتصريف المياه الملوثة إلى خنادق مغلقة تحت الأرض، وأن ترتبط جميع منافذ الصرف الصحي تحت مستوى مياه النهر، فعلى الأقل يمكنه القضاء على بعض الرائحة الكريهة. فقال له إنه حينما يعود سيبحث عن تجارب الأماكن الأخرى، وسيرى ما إذا كان سيستطيع أن يحل مشكلة التلوث بسهولة قدر الإمكان، دون أن يؤثر ذلك على مصالح شياوليجيا الاقتصادية أم لا.

حينما غادر شيوي الكبير كان سعيدًا ولكنه تنهد أيضًا، ففي هذا الحقل البهيج والمفعم بالأمل، ثمة الكثير من الأشياء التي يتم تشويهها بسبب المصالح الاقتصادية المفاجئة، كما تأخر الوقت ليدرك من اكتسبوا الثروة المخاطر المرتبطة بالتنمية السريعة.

حدثت لشيوي الكبير صدمة كبيرة حينما زار الأماكن القديمة ورأى التباين الصارخ فيما كانت عليه وما آلت إليه.

حلّ العام الجديد، وكان نادرًا ما يعطي سونغ يون هوي لنفسه يومًا كاملاً من الراحة، فنام حتى الظهيرة إلى أن أيقظته والدته. كان انشغاله جليًا لعائلته كلها، فلم يكن يقدر أيّ منهم على إيقاظه من نومه الهانئ. حينما استيقظ شعر بأن البيت هادئ على غير عادته، فوجد كما هو المتوقع القطة تشنغ كاي يان أخذت القطة الصغيرة سونغ ين للمرح في الخارج، وقالت والدته سونغ يون هوي له إن كاي يان ذهبت إلى بيت يوي الصغير. نظر سونغ يون هوي فإذا به موعد تناول الغداء، وفكر في البداية أن يتصل ببيت يوي شان تشينغ ويطلب من القطة الصغيرة أن تعود إلى المنزل، ولكنه فكر ثانية، وقرر أن يذهب بنفسه إلى هناك أفضل. وطلب من والده ووالدته أن يأكلا بمفردهما ولا ينتظراه.

حينما وُلدت ابنة سونغ يون هوي، وعلى الرغم من انشغاله، لم ينسَ أن يبحث لابنته عن اسم جيد، أعجب والدا سونغ يون هوي وزوجته باسم سونغ ينغ، وكان سونغ يون هوي لا يحب الأسماء التي ما إن يراها يشعر بأنها لأطفال صغار، لكنه لم يستطع التغلب على المعارضة الشديدة من أفراد الأسرة الثلاثة الآخرين، فلم يغير سوى الرموز وأبقى على النطق نفسه. لا يفرق أهل الجنوب حين يتحدثون بين الأصوات الأنفية الأمامية والخلفية، ما جعل الجميع يوافقون بالإجماع. أما يوي شان تشينغ فقد صفق استحسانًا لهذا الاسم بمجرد أن سمعه. دخلت زوجة يوي شان تشينغ غرفة الولادة في نفس الوقت الذي دخلت فيه تشنغ كاي

يان تقريبًا، فبعدما وُلد الأطفال، ارتبطت العائلتان بسببهما ارتباطًا وثيقًا، فعادة ما كان يتحرك الكبار والصغار معًا. وكان سونغ يون هوي يعلم أن القطة الصغيرة لم تُعد إلى المنزل في هذه الساعة لأنها بالتأكيد تتقاسم همومها مع زوجة يوي شان تشيغ.

ارتدى معطفه ودفع دراجته إلى أسفل الدرج وخرج، وكان الفلفل الياباني المزروع في الفناء الخلفي قد كبر كثيرًا، إذ كان جميلًا ورائحته عطرة في هذا الشتاء القارس. وكان يعلم أنه وعلى الرغم من صغر سن سونغ ين، ولكنها تعرف الجمال من القبح، فكان أكثر ما تحبه هو أن تضع على رأسها بضعة زهور صفراء من الفلفل الياباني، وتسير جيئةً وذهابًا أمام المرأة. لم يتوقع أنه وبمجرد خروجه من باب المنزل سيقابل كبير المهندسين ليو وهو يحمل عشر عبوات من المعكرونة سريعة التحضير. مر عام على تقاعد كبير المهندسين ليو، حينما تراه تشعر بأنه صغر في السن قليلاً، كما يمكن ملاحظة أنه صار أقل قلقًا، بادر سونغ يون هوي بإلقاء التحية عليه، وقد كان يسير مطأطئًا رأسه.

رفع ليو كبير المهندسين رأسه بمجرد أن رآه، ثم قال باسمًا: «من النادر أن أراك ظاهرًا في المنطقة السكنية في وضوح النهار. كيف حالك؟ إلى أي مدى وصل التحول التقني في الفرع الأول للمصنع؟» ثم ضحك بعدما سأل: «فلترى، لقد تقاعدت بالفعل، لماذا أسأل هذه الأسئلة».

وسرعان ما ردَّ عليه سونغ يون هوي: «إننا نعمل في التقنيات، نتحدث عن المعدات التي قمنا بخدمتها طوال حياتنا، غالبًا ما

يتعلق الأمر بالمشاعر. أيها الكبير ليو، إنني أريد بشدة أن أطلب منك أن تعمل مستشارًا، لكن ومع الأسف فإن المدير مين لم يسمح بذلك قط».

ضحك كبير المهندسين ليو وقال: «لقد كبرت في السن، ومين الصغير يشفق عليّ، فلتجعلني أقضي سنوات كبري في هدوء. علاوة على ذلك فإنني لا أستطيع أن أساعد في شيء، يكفي أن تكون موجودًا أنت. أنت شخص جيد، لحسن الحظ أنك خرجت بخطة ثانية كهذه، إنه لأمر خطير جدًا، هل تعرف ذلك أم لا؟ آه، حينما رأيت خطتك علمتُ بأنني يجب أن أتقاعد حقًا، وأترك لكم المساحة أنتم أيها الشباب. الماضي قدمًا بأجيال جديدة سنة الحياة، لكن ومع الأسف لم تتح لنا في زماننا فرصٌ جيدة مثل هذه، أضعنا حياتنا. إلى أين أنت ذاهب؟».

«إنه موعد تناول طعام الغداء، أبحث عن ابنتي لنعود ونأكل في المنزل».

«أوه، لقد مررت للتو ورأيت زوجتك في بيت يوي الصغير، سمعتُ أن علاقتك صارت قريبة بيوي الصغير؟».

«نعم، إنها حقًا صدفة، جئنا إلى المصنع معًا، وولد طفلانا في الوقت نفسه تقريبًا، كثيرًا ما تأخذ الأمهات أطفالهن ليمرحن معًا».

نظر ليو كبير المهندسين إلى سونغ يون هوي بنظرات غريبة بعض الشيء، ثم حذره فجأة: «أنت شاب واعد... لا تتواطأ مع الأشخاص المشكوك في أمرهم».

«حسنًا، شكرًا لك على تذكيرك أيها الكبير ليو».

نظر كبير المهندسين ليو إلى سونغ يون هوي مرة أخرى: «لقد ذهب شوي الكبير إلى أمريكا، هل أنت من ربت له ذلك؟».

فرد عليه سونغ يون هوي بحذر شديد: «اصطحب الأمين شوي فريقًا إلى أمريكا لمعاينة المعدات التي سيتم شحنها في الموقع».

تطلع كبير المهندسين ليو إلى السماء: «هو من ذهب؟ ما الفائدة من ذهابه؟ أنصحك مرة ثانية يا سونغ الصغير، أنت شاب واعد، إياك أن تتواطأ مع الأشخاص المشكوك في أمرهم».

لم يجبه سونغ يون هوي. سار كبير المهندسين ليو معه جزءًا من الطريق، ثم نظر فإذا بيته على مرمى البصر، فقال حينها لسونغ يون هوي: «شكرًا لك على اصطحابي أنا العجوز في هذا الطريق، ولكنني ثرثرت كثيرًا، على الرغم من أنهم يقولون إن الإنسان لا يستطيع التحكم بنفسه إذا ما جرفته الأمواج، ولكن علينا دائمًا أن نتحمل قليلاً. أنت مجتهد ومثابر يا سونغ الصغير، فلا حاجة لأن تفقد ثقتك في نفسك».

شعر سونغ يون هوي بحرارة تسري في وجهه بينما يستمع إليه، وحينما رأى كبير المهندسين ليو يصعد الدرج استدار وركب دراجته متجهًا إلى بيت يوي شان تشينغ. لم يسعه سوى أن يتنفس الصعداء، فإذا كان كبير المهندسين ليو يتحدث بهذه النزاهة الآن، ماذا عن الماضي؟ ومن يستطيع التحكم بنفسه إذا ما جرفته الأمواج؟ ومع ذلك فإن كلمات كبير المهندسين ليو كانت لا تزال تمس قلبه.

أظهر يوي شان تشينغ قدرًا كبيرًا من ضبط النفس هذا العام، إذ توقف عن دعوة القريب والغريب لحفلات رأس السنة الميلادية

الباذخة. ومع ذلك، فقد ظلت المنتجات الباهظة التي عنده في المنزل على ما هي عليه. ما إن وصل سونغ يون هوي إلى الباب حتى لفت انتباهه الأجهزة المنزلية المتقدمة، وبخاصة تلك السماعات الخشبية الباهظة والتي تبدو قاتمة.

أغلق يوي شان تشينغ باب المنزل، وقال بصوت منخفض: «لقد احتجزنا طفلتك، لأنني أعلم أنها هي من ستحضرك إلى هنا. أنت نادرًا ما تستريح، ماذا لو نشرب اليوم كأسين معًا؟».

تقدم سونغ يون هوي إلى الأمام بخطوات واسعة، وأخذ في البداية يداعب وجه ابنته السمين ويبتسم لها، ثم قال ليوي شان تشينغ: «يبدو أن لديك أمرًا ما».

«صحيح، لندخل ونتحدث في غرفة المكتب». شدَّ يوي شان تشينغ سونغ يون هوي إلى غرفة المكتب، ثم أغلق الباب، وهنا تحدث بلهجة صارمة، «لقد ساعدت إدارة الكوادر القدامى كبير المهندسين ليو وخمسة كوادر قدامى آخرين في شراء تذاكر القطار إلى بكين غدًا، الغريب في الأمر أنهم لم يطلبوا من قسم الحجز في إدارة الكوادر القدامى أسرّة في أماكن الاستقبال، يبدو أنها ليست جولة سياحية».

لم يستطع سونغ يون هوي سوى التفكير في المعكرونة سريعة التحضير التي كان يحملها كبير المهندسين ليو في يده للتو، وتحذيراته المستمرة له. فبهت للحظات، ثم قال: «قل لي... هل ستكون في مهب الريح؟ لقد كنت قلقًا بهذا الشأن منذ العام الماضي وحتى الآن».

«لا. فبعد أن وصلتني الأخبار تحريتُ عنها لاحقًا، وعرفتُ أن هناك من يتابع قسم التجارة الداخلية الخاص بي وقسم التصدير الخاص بي، علاوة على ذلك فقد قالت زوجتي إنه وعلى مدار العام الماضي جاء رجلان عجوزان ينظران هنا وهناك في محيط منزلي بحجة الاهتمام به، ألا تعتقد أن الآن هو أفضل توقيت بالنسبة لهم للذهاب إلى بكين وتقديم شكوى؟».

ظل سونغ يون هوي يستمع إليه صامتًا لفترة طويلة، ثم قال: «في طليعة العام الماضي، دخل كبير المهندسين ليو إلى منزلي بطريقة مريبة للغاية وأخذ جولة فيه ليتفحصه، ولكن بيتي في الطابق الأول، تستطيع أن تلم بما فيه بنظرة واحدة دون أن تدخل من الباب. هل تقصد أنهم انتهزوا فرصة سفر الأمين شوي إلى الخارج، واستعدوا لإثارة بعض الضجيج في الوزارة؟».

«صحيح، لا بد وأن الأمين شوي سيتصل بك في الأيام القليلة القادمة، لكنه ليس من المؤكد أن يتصل بي. إذا ما اتصل الأمين شوي فأخبره بالأمر. أرى أنهم لديهم دوافع خفية يتسترون عليها. بغض النظر عن أي شيء يا سونغ الصغير، فإن الأمين شوي يتعامل معك على أنك ابنه، عليك أن تخبره في أقرب وقت».

وعلى الرغم من دهشة سونغ يون هوي قليلاً من أن الرجال الطاعنين في السن سيحدثون بلبلة حقًا، ولكنه لم يكن مندهشًا كثيرًا، فمنذ أن كان يوي شان تشينغ قلقًا في العام الماضي، شعر دائمًا أنه سيكون هناك أشخاص لن يستطيعوا تحمل مشاهدتهم وسيبدؤون في توجيه الضربات إليهم. نظر إلى يوي شان تشينغ

لفترة طويلة، ثم قال: «سأتواصل مع الأمين شوي في المساء، أنا أعلم الآن أين هو. كما أنني أنصحك، إياك أن تتباهى كثيرًا في الآونة الأخيرة، ارتدِ بذلتك واذهب إلى العمل، ولا تسبب المتاعب للأمين شوي».

أوما يوي شان تشينغ برأسه: «أعلم أن لديك ضميرًا يقظًا تجاه الأمين شوي، وأن سفره هذه المرة إلى الخارج جاء بجهد كبير منك، أم أنه بدفع من مين؟».

تفاجأ سونغ يون هوي مرة أخرى: «صحيح، باقتراح من مين، لقد اقترح مين أن يذهب الأمين شوي في جولة قبل أن يتقاعد، فانتهزتُ الفرصة لتشجيعه على ذلك، هل يمكن أن يكون...».

«لم يستطع مين أن ينتظر ولو لسنة واحدة، هذا الشخص خبيث جدًا، لقد سمعتُ أيضًا أنه يتحقق من الحسابات سرًا، لولا أن ضغطتُ على صديقي في قسم المبيعات بالأسئلة وأخبرني بشكوكه، لم أكن لأسيء الظن في مين على الإطلاق. أشك كثيرًا في أن مين يريد استخدام هذه الطريقة للقضاء على تأثير الأمين شوي تمامًا في المصنع الرئيسي بعد تقاعده، حتى يتسنى له السيطرة على المصنع الرئيسي فيما بعد. أنت شابٌ واعد يا سونغ الصغير، إذا لم يحمك الأمين شوي ستمكن من التفكير في طريقة أخرى لحماية نفسك، فهل سيتحمل مين شخصًا مثلك يمكن أن يهدده في المستقبل؟».

أوما سونغ يون هوي برأسه، فلقد تطرق إلى توقع هذه النقطة من قبل مع حميه، لكن ثمة أوقاتًا تكون الأمور فيها خارجة عن

إرادة الإنسان، فسأل دون أي قدر من التهذيب: «وهل فكرت في طريقة أخرى لحماية نفسك؟ هل فكرت كيف يمكن ألا تؤثر سلبيًا على الأمين شوي أم لا؟».

فقال له يوي شان تشينغ في هدوء: «أريد أن أتحدث مع الأمين شوي في القرارات القادمة، حينما تتصل بالأمين شوي يا سونغ الصغير أخبره بهذا».

فتح الاثنان الباب وخرجا من الغرفة، ونظر كل منهما إلى طفله، لكن سرعان ما بدّلا تعابير وجهيهما وابتسما، لم تكن تريد سونغ ين أن يحملها أحد سوى والدتها، فلم تكن تريد أن يحملها والدها، مما جعل سونغ يون هوي يشعر بغصة في قلبه.

أوصل سونغ يون هوي زوجته وابنته إلى المنزل، ثم انعطف ذاهبًا إلى حميه، إذ أراد أن يخبره بالكلام الذي أسرّه إليه يوي شان تشينغ. بعدما استمع المدير تشنغ إلى النهاية رد عليه بسؤال استنكاري: «وهل تصدق يوي شان تشينغ؟». فهزّ سونغ يون هوي رأسه نفيًا: «لا أصدقه، إنه لا يريد سوى إثارة المشاكل وسحبي لأقف معه ضد مين. ولكنني ليس لدي ما يقلقني، فقط إذا ما كان الأمين شوي متورطًا، فعليّ أن أفعل شيئًا».

رد عليه المدير تشنغ بثقة استثنائية: «لا يمكن أن يؤدي مين شوي الكبير، إن يوي شان تشنغ يضللك لتفرط في التفكير، لقد ناضل الأمين السابق والمدير الرئيسي بشراسة، وليس في ذلك شيء، إنها الطبيعة البشرية، إن مين يخفي عنك ألعابه الآن، وهذا أيضًا طبيعي، ولكن مين لا يستطيع التمرد على شوي. فكر في الأمر، ما هو أكثر شيء يخيفك حينما تتقلد منصبًا مرتفعًا؟ أكثر ما

يخيفك هو خيانة من هم أقل منك. وإذا ما تجرأ مين على التمرد على شوي الكبير الذي دفعه نحو الأمام، فسوف تسوء سمعته داخل النظام فيما بعد. وسيعرف الجميع أنه شخص خائن، فمن سيجرؤ على مساعدته إذن؟ ما زال مين شابًا، ويريد أن يبحث عن فرصة ليعلو أكثر فأكثر، حتى لو في جيتتسو، فإنه لم يستقر في أعلى منصب بعد، فكيف له أن يكون متبجحًا في العلن مع شوي الكبير؟ لم يبقَ لشوي الكبير في منصبه سوى أقل من عام واحد، فلم يقلق مين؟ من الممكن أن ليو الكبير ومن معه يريدون انتهاز فرصة أنه ما زال لديهم القوة ليذهبوا إلى بكين لتقديم شكوى.

تلقى سونغ يون هوي الكثير من التوعية بعدما استمع إلى هذا الكلام، فالعلاقات بين الناس تتغير باستمرار، كما لو كانت مشكلاً، بتغيير طفيف في زاوية، ترى نمطًا رائعًا آخر. «إذن فهل يمكن أن يكون تحقق مين من حسابات يوي شان تشينغ يعني أنه ما زال يريد إحداث تغييرات في التجارة الداخلية؟ وهل سيؤثر ذلك على تجارتي الخارجية؟».

«يا لك من...! كيف تشتت انتباهك هكذا بسبب يوي شان تشينغ؟ لقد أخبرتك من قبل، لا يستحق يوي الذكر، فإن الأمين شوي لا يتعامل مع يوي على أنه إنسانٌ يعتمد عليه، كما أنه لن يضعه كندٍ له. مين لا ينتبه سوى لك، عليك أن تكون حذرًا فيما تفعل بعد كل شيء، لا ترتكب الكثير من الأخطاء، فإن من يمسك به مين يعذبه حتى الموت. لا أستطيع أن أطلب منك الآن الاستسلام لمين، فأنت من الأشخاص الذين لا يستطيعون القيام بمثل هذه الأمور الوضيعة، كما لن يرضى مين بتربية ثعبان متجمد مثلك.

من الأفضل لك أن تهتم بأمرك، وتقطع علاقتك بيوي شان تشينغ، ولتجد وقتًا في المساء للاتصال بشوي الكبير وإخباره بالأمر حتى يتخذ استعداداته، ولا تتدخل في أي أمر آخر».

لم يتمالك سونغ يون هوي نفسه من الضحك بعدما سمع هذا الكلام: «أبي، لم تكن تستحق أمور يوي شان تشينغ هذه حقًا أن أذكرها أمامك، لقد فهمت. هل سيهدد كبير المهندسين ليو ومن معه الأمين شوي؟». فهزَّ المدير تشنغ رأسه: «لا أعرف، إن شوي الكبير ليس واضحًا، وهناك الكثير من الأشياء التي يخفيها عنا، فمن يعرف ما الذي يفعله دائمًا؟ وليو الكبير ومن معه دائمًا ما يتشبثون بالإشاعات. لا علاقة لك بالأمر، خذ احتياطاتك في تجارتك الخارجية. ومع ذلك فلو حدث أمرٌ لشوي الكبير حقًا، لن تتصور إلى أي مدى سيكون مين سعيدًا، من الممكن أن يُظهر نفسه سريعًا. ولكن أنت من سيتضايق».

فقال سونغ يون هوي بشيء من العجز: «لم أكن لأتصور أن التقدم بسرعة أمر سيئ، وأنه سيجعل مين لا ينام. تأتي النعم وفي جعبتها المصائب».

## 2

عاد سونغ يون هوي إلى المنزل، وكان يفكر في البداية أن ينام بجوار ابنته التي لا تكاد تعرفه، ولكنه لم يتوقع أنه وبمجرد دخوله إلى المنزل، أعطاه والده ورقة مكتوب عليها أكثر من عشرة مكالمات قادمة تحتاج منه إلى الرد عليها. نظر بملل إلى أرقام الهواتف الداخلية في المصنع الرئيسي، وشعر بالكسل للرد عليها

فورًا، فبحث عن الهاتف الذي كان في المدينة التي درس فيها بالجامعة واتصل، وكان هذا الرقم يبدو مألوفًا بعض الشيء، وقال لنفسه ألا يمكن أن يكون زملاؤه في الدراسة هم من يريدونه؟ كان يضرب الرقم بينما يفكر في رقم هاتف منزل ليانغ سي شن، هل من الممكن أن يكون الطرد الذي أرسله العميل بالبريد والذي طلب من زميله الذهاب إلى أمريكا لتفقد المعدات أن يأخذه معه قد وصل إلى يد ليانغ سي شن بهذه السرعة؟ لم يتصور أنه حينما ردَّ الطرف الآخر على الهاتف كان صوت ليانغ سي شن.

صُدم سونغ يون هوي: «متى عُدتِ إلى البلاد؟ لم أسمعك تذكرين ذلك».

«لم أكن أخطط أن أعود، ولكن حدثت في البيت بعض الأمور، عليّ أن أذهب إلى بكين بعد غد لأركب الطائرة العائدة إلى أمريكا. هل لديك وقت يا مستر سونغ؟ إذا كان لديك وقتٌ فإنني سأذهب غدًا إلى بكين، لتقابل هناك».

فكر سونغ يون هوي في جدولته اليومي المزدهم بشدة، فلم يسعه سوى أن يقول متحسرًا: «أنا مشغولٌ للغاية، لا يمكن أن أغادر ولو ليوم واحد، أتمنى أن تعودني في العطلة الصيفية، سأكون قد انتهيت من المشروع الذي أقوم به هنا. معذرة لك. هل هناك أمر عاجل في البيت؟». مكتبة سُر من قرأ

«يا للأسف، كنت أريد بشدة أن أتنافس مع مستر سونغ وجهاً لوجه، ولكنني تحققت من الطريق الذي سأقطعه من مكاني هذا وحتى عندك، لن أتمكن بأي حال من الأحوال من اللحاق بالطائرة

التي ستعود إلى أمريكا، يا للأسف، ليس لديك الوقت. لقد طرأ أمر ما في بيتي، ولكنني حللت الموضوع، صار الآن كل شيء على ما يرام». لم يتمالك سونغ يون هوي نفسه من الضحك: «أنت تدرسين الرياضيات وليس الطب».

«على الرغم من هذا الكلام». ضحكت ليانغ سي شن وقالت بطريقة مشاغبة، «إن جدي، ذلك الثوري القديم، قد تقاعد وما زال يريد أن يثور، طلب أحد الشركاء السابقين منه مساعدته للمشاركة في شركة مساهمة، فأنفق ذلك العجوز راتبه المتأخر حينها ومدخراته الحالية بهمة ونشاط لشراء بضع مئات من الأسهم، ثم أدرك بعدما اشترى أنه كان على خطأ، وحاول إخفاء كل شيء عن جدتي. وحينما أرادت جدتي فيما بعد إنفاق المال على الهدايا، واكتشفت أن جدي أنفق كل مدخراته على شراء بضع مئات من النفايات الورقية، غضبت جدتي ودخلت جناح كبار الموظفين في المستشفى فاقدةً للوعي. طلب مني أبي أن أنتهز فرصة الإجازة وأعود لألقي نظرة على جدتي، وقال لي أنه من المحتمل أن تكون النظرة الأخيرة، فعدت في عجلة من أمري، ووعدتها أمام سريرها في المستشفى أن أشتري بضع عشرات الآلاف من الأسهم، فإنها لن تتجاوز عشرة آلاف دولار أمريكي، وسأعتبر أنني أفعل ذلك لأجل أن ترقد جدتي في سلام. لكنني لم أتوقع أن تفتح جدتي عينها وتعود إلى الحياة بمجرد أن سمعت هذا الكلام. فقلتُ لها لاحقًا في شيء من الفخر، ما رأيك، الحفيدة الأنثى أفضل من الذكر، فحينما سمعت جدتي هذا الكلام عقدت حاجبيها، ما جعل والدي يخرجني من الغرفة. إنهم حقًا ناكرون للجَميل».

يعرف سونغ يون هوي أن ليانغ سي شن تحاول تحسين لغتها الصينية حاليًا، وكان أكثر ما تحبه هو استخدام الأمثال في كلامها، وكان من النادر أن تتحدث بشكل لا بأس به فيما أطالت الحديث فيه اليوم، لكن في بعض الأحيان كان كلامها غير منطقي. عندما وصل بتفكيره إلى أنها ستدفع عشرة آلاف يوان دفعة واحدة شعر بأنها حقًا شديدة الكرم. «لا عجب إذًا، يبدو أن الحفيدة هي الأفضل، ألا ترين أنني أنجبتُ بنتًا. لا تقلقي، لن تهمل الدولة المؤسسات المملوكة لها والعاملة بنظام الأسهم، فليس من المؤكد أن تتحول أسهمك إلى أوراق نفايات. ومع ذلك فلا تبالغي في الإنفاق، فما زال في انتظارك المصاريف الدراسية لـ MBA».

«لا تكن ثرثارًا مثل أمي يا مستر سونغ، أنت تعلم أنني أضارب في العملات الآن، كما أنني أعمل في التجارة معك، فأنا أجتهد حاليًا في جني المال ولا أجتهد في إنفاقه، الداخِل كثير والخارج قليل، ألا أبقى لنفسِي شيئًا منه؟». فصمت سونغ يون هوي قليلًا ثم قال: «قد أغير مهنتي بعد نصف عام، لن أدير قسم التصدير. على الرغم من أن المصنِع الرئيسي سيأمل بالتأكيد في العمل بالتجارة مع رجال الأعمال الأجانب الذين تعاملت معهم، لكن عليك أن تبدئي في إعداد نفسك فكريًا، فماذا لو لم تستطعي الحصول على مثل هذا السعر المميز في المستقبل؟».

فكرت ليانغ سي شن سريعًا ثم قالت: «لقد فهمت يا مستر سونغ، أنت تريدني أن آخذ استعداداتي حتى أكون في أمان. هكذا يقول لي أبي أيضًا. ومع ذلك فأنا على قناعة راسخة بأنني سأضرب عصفورين بحجر واحد بشراء أسهم جدي. فسوف

أنقذ حياة جدتي أولاً، ثانياً ومع أن الأسهم فيها مخاطرة، لكن ولطالما قلت لي بأن الدولة لن تتخلى عنا، فلماذا أفلق إذن من تحول الأسهم إلى أوراق نفايات؟ أما أخيراً فأنا أحتاج إلى تنوع استثماراتي بالمال الذي بين يدي، وليس أن أضع جميع البيض في سلة واحدة، فإذا ما سقط تكسر كله. لقد استثمرت عشرة آلاف دولار في سوق الأسهم الصيني، أما باقي الأسهم فاستثمرتها في أماكن أخرى، أنا دائماً ما أعرف كيف أسعد نفسي، وكيف أعوض خسارتي، أليس كذلك؟ إنني أسمي ذلك توزيع المخاطر».

شعر سونغ يون هوي ببعض الملل حينما سمع ذلك، فهو هنا يقلق كل يوم ألا يكفي راتبه، كما لا يمكنه أن يطلب من والديه اللذين يعيشان معه أن يدفعوا مصاريف الطعام، أما ليانغ سي شن فتمتلك مبلغاً باهظاً من المال وتفكر في كيفية الاستثمار لتوزيع مخاطر الاحتفاظ بالكثير من المال معها، فلم يستطع سوى أن يعترف بصدق: «وفقاً لبيئة القدرة على توفير الطعام والثياب الآن في بلادنا، فإنني لست متأكداً بما فيه الكفاية أنني أستطيع تفهم ما تفعلينه بالمال عندك، ولكنني أرى أنك لديك الكثير من الأفكار، وسوف تستطيعين أن تتصرفي جيداً بكل تأكيد، أنا سعيد حقاً بتميزك».

«بالمناسبة، بالمناسبة، متى ستحدث مع أبي وأمي يا مستر سونغ؟ يعتقد أبي أنه خبيرٌ مالي، ولكنه في الحقيقة لا يعرف شيئاً على الإطلاق، لقد قادني ضجيجهم إلى الجنون. لماذا لا ينظرون سوى تحت أقدامهم، ولا يرون كيف يسير العالم؟ أنت الأفضل يا مستر سونغ، حينما أتحدث إليك فإنك تتفهم ما أقول».

«لا يمكن أن تقولي إنه لا يعرف شيئًا على الإطلاق، فهذا كلام غير مهذب، فهناك ما يفهمه والدك ولا تفهمينه أنت. لقد أرسلتُ إليك شيئًا ما مع شخص ذاهب إلى أمريكا، هل لا بأس إذا ما لم تكوني هناك؟».

«لا بأس، شكرًا لك. أنا أيضًا أحضرت لك شيئًا معي يا مستر سونغ، ولكنني في عجلة من أمري للمغادرة، لم أستعد جيدًا. قال لي أبي أنه سيرتب لشخص يقوم بتسليمها إليك. مستر سونغ، هناك الكثير من الطعام اللذيذ في المنزل، أنا حقًا لا أريد العودة إلى أمريكا، إنني أكل كل يوم البطاطا الحلوة المشوية، ولقد حشوتها بلحم الخنزير المطهو ببطء في صلصة الصويا، ما أعطاها مذاقًا غريبًا وحلوًا، كما توجد بذور دوار الشمس، وجوز عين الجمل، وسكاكر الفاكهة والتي لا أقدر على أكلها كلها. ولكنني ما زلت أشتاق في أحلامي إلى البيتزا والسلطة، وأكثر ما أشتاق إليه هو دورة المياه ناصعة البياض. وأيضًا وأيضًا...».

ضحك سونغ يون هوي بمجرد أن سمعها، فإن هذه الفتاة الصغيرة تعيش في أمريكا يوميًا حياة ثرية مرفهة، فكيف تكيفت مع بيئة العيش في بيت صيني؟ حتى ولو كانت بيئة العيش في بيتها تعتبر مميزة. ففي بعض الأحيان حينما يسافر إلى الخارج ويعود إلى المنزل، يحتاج إلى يوم أو يومين حتى يتكيف مع بيئة المنزل، ومن حسن الحظ أنه صار يتمتع الآن ببعض المزايا، إذ تم تركيب جهاز تدفئة في منزله، وإلا لكان من الممكن ألا يتحمل، وبخاصة حينما يأخذ حمامًا، فالحمامات في الخارج مجهزة بكل شيء. إنه يخمن أن ليانغ سي شن لن تعود لتستقر في الصين، فهي تعيش في أمريكا

كالمسكة في الماء، ولم تعد مختلفة في شيء عن مواطنها، فلماذا ستعود؟ هل ستعود لتعمل موظفة في مكتب للتجارة الخارجية؟ ومع ذلك فإن التفكير في هذه الأمور لا يزال مبكرًا بالنسبة لليانغ سي شن التي ما زالت تدرس في الجامعة.

أغلق سونغ يون هوي الهاتف مبتسمًا، فوجد تشنغ كاي يان تحملق فيه بنظرات غريبة، يملأ وجهها الغضب. فلم يسعه إلا أن قال لها مصدومًا: «ماذا هناك؟ ين الصغيرة».

«مع من كنت تتحدث في الهاتف؟ أراك سعيدًا للغاية، حتى إنك لا تخشى إيقاظ ين الصغيرة». عقدت تشنغ كاي يان ذراعها وعادت إلى غرفتها. فجاءت والدة سونغ يون هوي وقالت لابنها برفق: «يبدو أن كاي يان ليست سعيدة كثيرًا بمكالمتك».

نظر سونغ يون هوي إلى باب الغرفة، وقال في نفسه لقد عادت ثانية، إن تشنغ كاي يان دائمًا ما ترفض اللقاء بليانغ سي شن. نظر إلى الهاتف الذي لم يتصل ثانية منه، ثم وضع السماعة، وذهب إلى الغرفة ليرى زوجته وابنته. حينما رآته تشنغ كاي يان استدارت بجسدها ولم تعره اهتمامًا، فخشي سونغ يون هوي أن يوقظ ابنته، ولم يجرؤ على الكلام، ففتح ذراعيه واحتضن قطه الصغيرة التي كانت جالسة، فعانقها قليلاً دون أن يصدر صوتًا، حتى شعر بأن عظام تشنغ كاي يان التي كنت متصلبة بدأت ترتخي. عانقها ثانية، ثم همس في أذن زوجته: «ما زال هناك بعض المكالمات الهاتفية التي عليّ إجراءها، أظن أن جميعها خاصة بالعمل، هل أذهب لإجرائها؟».

عقدت تشنغ كاي يان شفيتها، واستغرق الأمر وقتًا طويلًا قبل أن تومئ برأسها على مضض. كانت تعلم أيضًا أن زوجها مشغول، لكن هل يعلم زوجها أنها تشتاق كثيرًا للتحدث معه؟ ومع ذلك فهو ينفق الكثير من الوقت في التحدث إلى ليانغ سي شن على الهاتف وبالرسائل. فحينما ترى زوجها يتحدث بهذه السعادة مع ليانغ سي شن، كانت تشك في أن قلبه يرتجف من جمالها الذي رأته في صورة من قبل، ما يجعلها تنزعج من التفكير في الأمر.

أما ما كان يجعل تشنغ كاي يان تشعر بالاختناق، أنها عندما تحكي لوالدتها عما يزعجها، تنتقدها والدتها، وتقول لها إنها لا ينبغي أن تتوقع الأسوأ لمجرد أمور بسيطة، وإنه عليها ألا تزعج الرجل إلى الدرجة التي تجعله يقع في أحضان امرأة أخرى، وتجعلها تولي اهتمامًا إلى بعض التكتيكات. لكن كيف لها أن تخطط إذن؟ إنها لا تستطيع اللحاق بزوجها الذي يكون دائمًا في عجلة من أمره لتقول له بضع كلمات.

نعم، إنها لا تستطيع أن توقيف زوجها، ما إن سار في اتجاه غرفة النوم ووقف عند باب الغرفة عندها رن الهاتف من جديد في غرفة المعيشة. لقد صار هاتف بيتها الآن مشغولاً أكثر من هاتف بيت والدها. سمعت زوجها يتحدث في الهاتف بصوت مرتفع تارة ومنخفض تارة ويعطي تعليمات حول العمل، وظل يتحدث دونما توقف، فذرفت الدموع من عينيها، وعندما رأت ابنتها قد استيقظت، اضطرت إلى استجماع مشاعرها والاهتمام بابنتها. ولم تتخيل أن تلمس ابنتها الصغيرة وجهها بكاء، إذ كانت تمسح

لها دموعها. ما جعلها تزداد شعورًا بالقهر، وانهمرت الدموع أكثر فأكثر، فلم يسعها سوى أن تعطي ابنتها لحمايتها، فعليها أن تُعنى بنفسها أولاً.

لم يكن لدى سونغ يون هوي الوقت لينتبه إلى تشنغ كاي يان المقهورة، إذ جاءته بضع مكالمات أخرى، واضطر بعدها لأن يركب دراجته ويذهب لحلها، وحينما عاد كان الوقت قد تأخر بالفعل، ومع ذلك فإنه لم يستطع النوم، وكان عليه أن يتواصل مع الأمين شوي الموجود بعيدًا في أمريكا. بحث عن حقيبة الأدوات القماشية، والتي غسلتها له والدته بعدما جاءت فصارت نظيفة نظافةً شديدة، وبحث عن دفتر الملاحظات وتابع خط سير رحلة الأمين شوي ليستدل على مكان وجوده، ومن ثمّ اتصل به.

انتظر طويلًا حتى استطاع الوصول إلى الأمين شوي أخيرًا، وجاءه اتصال مرة أخرى. بدا على الأمين شوي أنه في حالة معنوية عالية، صوته أجش ومتعب، سأله مسرورًا بصوت مرتفع: «هل هناك أمر ملح جعلك مستعجلًا هكذا للتحدث معي؟». فقال سونغ يون هوي بنبرة هادئة قدر الإمكان: «أكد يوي شان تشينغ عليّ أن أوصل كلامه إلى الأمين شوي، يستعد كبير المهندسين ليو ومجموعة من الكوادر الكبيرة للذهاب إلى بكين غدًا، وهي زيارة مشكوك في أمرها. كما طلب مني يوي الصغير أن أبلغك بأن تتواصل معه بأقصى سرعة ممكنة».

ظل الأمين شوي صامتًا لفترة من الوقت، ولم يرد سوى بعد وقت طويل: «حسنًا، هل هناك أمر آخر؟».

«لا، ما عدا ذلك كله بخير». ولكن الأمين شوي لم يقل «مع السلامة»، بل سكت هنيهة ثم قال له: «أعطني رقم هاتف نائب المدير مين».

بحث سونغ يون هوي عنه فورًا وقرأه على الأمين شوي. ولم يكن يعرف كيف سيتصرف الأمين شوي مع هذا الأمر. فهل سيتصل الأمين شوي أولاً بيوي شان تشينغ في مكالمته التالية، أم بمين؟ لم تكن ثمة وسيلة لمعرفة ذلك.

حينما ذهب إلى العمل في اليوم التالي، وجد كل شيء في المصنع الرئيسي منتظمًا وفي نصابه كالعادة، ولم يكن يعرف كم عدد الأشخاص الذين يعلمون أن الأمور مضطربة في الخفاء.

لم يكن سونغ يون هوي يعود إلى المنزل لتناول الطعام في وقت الظهر هذه الأيام، فوجود والده ووالدته في المنزل للاهتمام به جعلته غير مضطر لتشتيت انتباهه بأمر المنزل. وعندما عاد إلى مكتبه بالقرب من فترة ما بعد الظهر، وجد يوي شان تشينغ جالسًا على مقعده في انتظاره. لقد تم نقل إدارة النقل والمبيعات إلى خارج بوابة منطقة المصانع، كما احتل فريق التحول التقني الخاص بسونغ يون هوي المكتب الذي أخلته إدارة النقل والمبيعات للتو في المصنع الرئيسي، لذا فإن ظهور يوي شان تشينغ في مبنى المصنع الرئيسي اليوم يعني أنه لا بد وقد جاء خصيصًا لينتظره.

دخل سونغ يون هوي ونظر إلى زميليه الآخرين، وكان يعلم أن هذين الاثنين أمامهما بعض الوقت لينهيا عملهما، فلم يسعه سوى السير في اتجاه مكتبه، وقال ليوي شان تشينغ: «انتظر، سأرتب

أشيائي ونذهب معًا. هل أنت مشغول؟». فنهض يوي شان تشينغ ليفسح له الطريق، وقال ضاحكًا: «بالطبع مشغول، ولكنني لست مشغولاً مثلك. معذرة، سأجعلك تغادر مبكرًا».

فضحك سونغ يون هوي، ووضع أشياءه بداخل حقيبة الأدوات القماشية، وهنا رنَّ جرس موعد انتهاء العمل، فهرع الجميع نحو الباب، وتأخر سونغ يون هوي ويوي شان تشينغ قليلاً عن قصد، منتظرين تدفق الجيش الهائل إلى الخارج ليتبعاهم على مهل. ركبا دراجتيهما وانطلقا في الهواء الطلق، فلم يتمالك يوي شان تشينغ نفسه إلا أن سأل: «لقد اتصل بي الأمين شوي صباح اليوم للتويا سونغ الصغير، وقال بأنه لا يمكن تغيير حجز تذكرة الطيران، وأنه لن يستطيع العودة مبكرًا. هل هناك طريقة يمكنك من خلالها أن تطلب المساعدة من عملائك الأمريكيين؟».

وكان سونغ يون هوي قد فكر بالفعل في هذا الأمر الليلة الماضية، فوفقًا لما يقال تمتلئ رحلات الطيران في أمريكا كثيرًا مؤخرًا بسبب العطلة الحالية هناك، علاوة على ذلك فلا توجد الكثير من رحلات الطيران بين أمريكا والصين أسبوعيًا. «سأسأل، ولكن فعليًا ليس هناك أمل. لن يستطيع الأمين شوي العودة على الأقل قبل أسبوعين».

أصدر يوي شان تشينغ تنهيدة: «هل تعرف ما الذي يعنيه أسبوعان؟ يعني أن الأمين شوي لن يستطيع التوضيح بنفسه أمام الوزارة وجهًا لوجه، كما سيحتاج إلى شخص قوي لينوب عنه. في رأيك من الذي سيختاره الأمين شوي؟ ثم بعد ذلك ما هي

الشروط الذي سيحتاج الأمين شوي أن يعد هذا الشخص بتقديمها حتى يبذل قصارى جهده من أجله؟».

«مين!» لم يحتاج سونغ يون هوي حتى إلى التفكير في الأمر، فمن سيكون مؤهلاً أكثر من مين؟ ولعل مين يستطيع إقناع كبير المهندسين ليو بالتراجع في منتصف الطريق، ويستجيب لمطالبهم التي قدموا الشكوى من أجلها. إذن فكيف يأمل كبير المهندسين ليو ومن معه أن يتم التعامل مع هذه المسألة؟ وما شكل الفوائد التي يأمل مين في الحصول عليها من الأمين شوي؟ أولاً، ربما يصير يوي شان تشينغ هو كبش الفداء، ويضحى بنفسه بدلاً من الأمين شوي. وثانياً، فأَيُّ كبش فداء سيستخدم الأمين شوي مستقبلاً كورقة مساومة مقابل تصرف مين؟ من يدري ما إذا كانوا سيتلاعبون بسونغ يون هوي في صندوقهم المظلم أم لا.

ردّ عليه يوي شان تشينغ بلا أدنى تكلف: «صحيح، إنه الوحيد المؤهل لذلك. أنا الشخص الذي يريد كبير المهندسين ليو ومن معه ممن فقدوا السلطة والقوة وامتثلوا باليأس في التخلص منه بسرعة، أما أنت فتحكم قبضتك على قسم التصدير، وتملك في يدك سلطة ليست بالبسيطة، فعلى الرغم من أنك تبدو نزيهاً، ولكن من يصدق أنك نظيفٌ تماماً؟ أنت أيضاً في القائمة. سيرف المصنع الرئيسي بأكمله فيما بعد أنك البركان الأكثر نشاطاً تحت مؤخرة مين، فحتى لو لم يطرح مين شروطاً، كيف لا يعرف الأمين شوي أيضاً أنك ذو ثقل؟ أنا وأنت الآن نغرق في هاوية البؤس، ولكنك في العمق أكثر مني بمستوى واحد. لا تترك الأمور للحظ، وإذا وجدت طريقة فمن الأفضل لك أن تهرب في أقرب وقت ممكن».

قال سونغ يون هوي في نفسه أن يوي شان تشينغ يفكر مثله، فقد صار الآن حقًا يربطهما المصير نفسه، وعلى الرغم من أن إدارة التصدير الخاصة به لا شيء بها، ولكنه بالتأكيد شوكة في خاصرة مين. فكر لفترة طويلة ثم قال: «ليس لدي حل، إذا كان اتفاقهم يتضمن استخدامي كأداة للمساومة، فلن يستطيع حتى حموي التصدي إليهم. ولكن يا يوي الصغير السكين سوف تضربك أولاً، ولن تكون هناك طريقة لك للخلاص. أما أنا فانتظر لحين انتهاء التحول التقني لأقرر حينها ما إذا كنت سأبقى أم لا».

«لماذا تعتقد أنني سأنتهي بكل تأكيد؟ قل لي أسبابك».

«يوي الصغير، لا تترك نفسك للحظ وتطلب مني إثباتات، أما زلت لا تعرف؟ إذا كنت تملك قدرًا قليلاً من الشرف، غادر بنفسك، وقدم معروفًا للأمين شوي، وإذا كنت عديم الشرف إلى حد ما، فسوف تهلكان معًا. وفقًا لشخصيتك، فليس أمامك سوى هذين الطريقتين».

استمات يوي شان تشينغ في الضغط على الجرس بنفاد صبر، إذ ضغط على ذلك الجرس الدائري بقسوة شديدة فاخترق صوته الأذان، وتوقف عن الكلام لفترة طويلة. وحينما وصلا إلى منطقة مباني رؤساء الأقسام، سأل فجأة: «هل تقصد أن أغادر؟». فردَّ عليه سونغ يون هوي بهدوء: «الكون واسع بلا حدود، لماذا أنت عنيد ونظرتك ضيقة؟».

قفز يوي شان تشينغ من فوق الدراجة، وأوقف سونغ يون هوي وجعله هو الآخر يقفز من عليها، ولم يجرؤ على الصراخ،

فضغط على نفسه ليخفض صوته وقال وهو يصر على أسنانه: «لماذا لا تغادر أنت؟ بإمكانك أن تهدد معتمداً اعتماداً كاملاً على مشروع التحول التقني. إذا قُلْتَ الآن أنك ستغادر فهل ستذهب جميع مجهوداتك في التحول التقني سُدى؟».

يعرف سونغ يون هوي بالطبع أن يوي شان تشينغ كان يتوق للإمساك به والسير معه من أجل تهديده، ذلك لأن أقصى ما يستطيع يوي شان تشينغ فعله هو تهديد الأمين شوي، كما سيصل تهديده إلى المدير مين، وإذا اجتمعاً معاً فإن سونغ يون هوي يعرف بطبيعة الحال أن هذا يمكن أن يمثل تهديداً له. ومع ذلك، فكيف له بوصفه شخصاً شريفاً أن يتواطأ مع يوي شان تشينغ؟ فليده تحفظاته. أخذ يحملق في يوي شان تشينغ، ثم قال له بهدوء: «أنا أعشق العمل الذي في يدي، وعلى العكس من ذلك فمن الممكن أن يبتزوني بعدم السماح لي بعمل التحول التقني، إضافة إلى ذلك سيكون لدي على الأقل فترة مراقبة. من الأفضل لك أن تصل إلى اختيارك في أقرب وقت ممكن يا يوي الصغير».

ظل يوي شان تشينغ مشدوهاً فاغر العينين بعدما سمع هذا الكلام، وأخذ يحدق في سونغ يون هوي طويلاً، ثم قال له بمنتهى الإحباط: «أنت... لم يسبق لي أن رأيت أحمق مثلك، لقد بعثني وأخذت ثمنني». فضحك سونغ يون هوي ضحكة ساخرة: «وكيف لا، لكل منا مصيره. يوي الصغير، اجتمعنا على خير ولنتفرق على خير، لنتظر ماذا سيحدث لاحقاً». فهزَّ يوي شان تشينغ رأسه: «بما أن الأمور وصلت إلى ما نحن عليه اليوم فلتدعني أسألك سؤالاً يا سونغ الصغير، هل أنت غبي أم أنك تتظاهر بالغباء؟ هل تصدق

حقًا أننا اجتمعنا على خير وستفارق على خير؟ إذا ما غادرت جيتشو فما الذي سأمثله لها فيما بعد؟ ما الذي يمكن توضيحه ثانية إذا ما حصلت على معلومات جديدة في يدي؟».

فردّ عليه سونغ يون هوي ببرود: «ولكن هل تظن أن لديك خيارًا آخر؟ ما الجيد في أن يُقضى عليك؟ وهل إذا ما انتهيت أنت لن يحدث ذلك لغيرك؟ هل تريد أن تقضي بضعة أيام في السجن؟ أنا لا يزال ورائي عائلة تشنغ الكبيرة، فهل يمكن أن أتصرف وفق رغباتي؟ عد إلى البيت وفكر بهدوء، فليس لديك خيار آخر».

أزاح سونغ يون هوي يد يوي شان تشينغ الموضوع على دراجته، ثم استدار وركب دراجته مغادرًا، وترك يوي شان تشينغ بوجه شاحب يقف مذهولاً وسط الرياح الباردة. في الحقيقة، لم يكن سونغ يون هوي يهتم بما سيحدث ليوي شان تشينغ، لكن إذا ما قُضي على يوي شان تشينغ حقًا، فستكون تلك الضربة القاضية لكبير المهندسين ليو ومن معه، أما من سيعاني فسيكون الأمين شوي. كان سونغ يون هوي مشوشًا كثيرًا فيما يخص الأمين شوي، فكيف له أن يغض طرفه عما يحدث له بعد كل هذا التأثير الذي أحدثه في حياته؟ وعلى الرغم من أنه لم يكن يقبل احتيال الأمين شوي في نظام السعر المزدوج، لكن إذا ما حدث له شيء، فلن يستطيع أن يتنصل من المسؤولية، وسيفكر في مد يد المساعدة له. ومع ذلك فقد فكر بمتهى العجز في أنه ومن المحتمل جدًا أن يكون الأمين شوي قد ألقاه على طاولة الاتفاق كورقة للمساومة حينما كان يتصل بالمدير مين مساء أمس.

كان على ثقة بأن الأمين شوي سوف يبحث عن يوي شان تشينغ ليتحدث معه ويطلب منه الرحيل مقابل أن يعده ببعض الشروط. وبرحيل يوي، ذلك المسؤول الصغير، سيواصل مين العمل بجد مرة أخرى، وقد تتم تسوية تلك المُذكَرة دون حل. لم يكن سونغ يتبين الدافع وراء تقديم كبير المهندسين ليو ومن معه لتلك المذكرة. ليس الأمر كما لو أن كبير المهندسين ليو ومن معه لا يعلمون كم قضى الأمين شوي في جينتشو من سنوات، وأنه ليس من السهولة هزيمته، إضافة إلى ذلك، فإن نظام السعر المزدوج في الأصل سياسة تسمح بها الدولة، فالاتجاه العام ليس خاطئًا، وبانتظار الأمين شوي لرحيل يوي شان تشينغ، ودفع كل المياه القذرة تجاهه، ما الذي يمكن أن يفعله كبير المهندسين ليو ومن معه؟

ولكن سونغ يون هوي كان يعرف بوضوح أنه وبغض النظر عن أي شيء فإن مستقبله، وكما قال يوي، سوف تحين اللحظة التي يتم فيها الحكم عليه بمجرد انتهاء التحول التقني. فمن يعلم كيف «سيعيد استخدامه» مين. يقول يوي إن جينتشو بأكملها تعرف بأنه أكبر بركان نشط تحت عرش مين، ولن يستطيع أن ينفي ذلك ولو أراد.

حتى حموه لن يستطيع أن يفعل شيئًا حيال ذلك، فإن مكانة حميه يستمدّها من الأمين شوي، وعلاقته برؤسائه فارغة بسبب ضغط الأمين شوي، فإذا ما تخلى الأمين شوي عن سونغ يون هوي، لن يكون أمامه سوى أن يجعل المدير مين يتصرف في الأمر. يقول حموه إن الأمين شوي لا يضع يوي كندٍ له، وفي

الحقيقة فمن الذي يراه شوي أو مين كندٍ لهما؟ الجميع بالنسبة إليهما قطع شطرنج.

شعر سونغ يون هوي أنه مر بالكثير. لا، إنه ليس مغتمًا، ولن يشبط عزيمته، هو فقط متخوف. كما شعر بأنه الآن متعب من فرط العمل، كأنه ثور يدور في ساقية، وصارت الأمور بلا معنى. حتى إنها مثيرة للسخرية قليلاً. ففي الوقت الذي يحقق فيه طموحه، يستغل أصحاب المناصب العليا سذاجته.

إذا ما قلنا إن الإنسان يمر في حياته بحالة من «خيبة الأمل»، فقد دخل فيها تقريبًا الآن. لكن وحينما عاد إلى منزله، شعر بحس المسؤولية بوصفه رب الأسرة، ووضع على وجهه قناعًا كاذبًا وكأن شيئًا لم يحدث. كان والداه متعبين من حمل سونغ ين طوال اليوم، إذ كانت تشنغ كاي يان تحتاج إلى طاقة كافية للتعامل مع سونغ ين في الليل، وكان عليه أن يتولى مسؤولية إطعام ابنته.

كانت عودته إلى البيت لتناول طعام الغداء تجعل جميع العائلة مبتهجة. ما جعل سونغ يون هوي يقول في نفسه، ما أغباه، كيف استطاع أن يهمل عائلته هكذا من قبل؟ كان يظن في البداية أنه في حاجة إلى تكلف الابتسامة، لكن لم يمر الكثير من الوقت حتى تحسن مزاجه مع تناوله وجبة طعام دافئة ووسط الود العائلي الدافئ.

حينما رأى تشنغ كاي يان وهي تضع صحن الطعام الخاص بها، ثم انتبهت إلى ابنتها لتطعمها كعكة الحليب، خطف منها الملعقة الصغيرة: «أنتِ أيضًا تعبِ طوال اليوم، خذي نفسًا، سأطعمها أنا».

ابتسمت تشنغ كاي يان وقالت له: «هل تظن أن الجميع مدمنون على العمل مثلك، فإذا ما عملت لوقت إضافي عليّ أنا الأخرى أن أعمل لوقت إضافي؟ سأطعم أنا ابن الصغيرة». فضحك سونغ جي شان الذي كان يجلس بالجوار: «هوي الصغير مهووس بالعمل».

حينما رأى سونغ يون هوي جميع الجالسين على الطاولة يضحكون عليه، وتذكر أن بإمكانه الاستراحة ليومين في رأس السنة الجديدة، فلم يتمالك نفسه هو الآخر من الضحك، وأعاد الملعقة الصغيرة إلى تشنغ كاي يان: «إذن فهل من الممكن أن أركز في طعامي؟ هل ذهبتم للتنزه والتشمس أثناء النهار أم لا؟».

«ذهبنا، كيف يمكننا ألا نذهب، ذهبت أنا ووالدتك للتسوق طويلاً».

«ماذا اشتريتم؟ لا تقولوا إنكم قد اشتريتم ثياباً لين الصغيرة فحسب».

فقالت والدته ضاحكة: «نعم، نعم، اشترت كاي يان حبيبتنا سروالاً رياضياً، عصرياً للغاية. كما انتقت لنا كاي يان قماشاً كاتيونيّاً لنصنع لنا قمصاناً، أنفقت مالاً ليس بالقليل». فلمعت عيني تشنغ كاي يان وقالت: «لقد حاكت لي أمي سترة رائعة منذ بضعة أيام، ستليق بشكل جيد مع هذا السروال الرياضي، فجميع الخالات في الروضة يرتدون هكذا».

كان سونغ يون هوي يهتم بالموضة حينما كان متفرغاً في السابق، أما الآن فقد صار مشغولاً حتى إنه لا يملك الوقت لتناول الطعام، فلم يعد يعرف ما هو السروال الرياضي ولا القماش الكاتيوني.

«استيقظ ضمير المصنع الرئيسي أخيرًا هذه المرة، وسيصرف لي مكافآت كثيرة، عليكم أن تشتروا المزيد من الملابس». كان أكثر ما جعله في حيرة من أمره هو هذا القماش الكاتيوني بصفته دارسًا للهندسة الكيميائية، «هل يمكن أن يصير الكاتيون قماشًا؟ كيف سيكون شكله؟». فغطت تشنغ كاي يان فمها وضحكت عاليًا: «كنت أعرف أنك ستسأل عن الكاتيون، أمي، خمنت بشكل صحيح. هوي الصغير دودة كتب». ونهضت بينما تتحدث وأعطت الملعقة الصغيرة لسونغ يون هوي، «سأحضر لك واحدة لتراها، حتى أوفر عليك عناء التفكير في الكاتيون طوال تناولك للطعام».

فضحك سونغ يون هوي وقال: «لم أعد أفهم في الأشياء الحالية على الإطلاق، صارت هناك أشياء مثل أشكال الجولي، وقماش الكرشة، والجورجيت، كنت أستطيع أن أفهم في الألوان القديمة كالأزرق الغامق والأزرق الياقوتي بسهولة قليلًا. كيف صرتُ مثل الرجل العجوز هكذا!».

فقال له سونغ جي شان: «أنا أيضًا لا أفهم فيها، لماذا علينا أن نفهم نحن الرجال في مثل تلك الأشياء؟».

حينما رأت سونغ ين الكبار يتحدثون، بدأت تشاغب، فلم يسع سونغ يون هوي سوى أن ينتبه إليها، وعانى كثيرًا حتى استطاع أن يطعمها لقمة واحدة من كعكة الحليب، وعندما رفع رأسه، وجد تشنغ كاي يان قد بدلت ملابسها، فنظر إلى سترة تشنغ كاي يان الواسعة التي تشبه كيس الخيش، وكانت ملونة جزءًا بالأزرق والآخر بالأبيض، كما كانت ترتدي سروالاً مرناً أسود يغلف

فخذيها، فلم يعرف حقًا ما إذا كان عليه أن يضحك أم يبكي. كان وزن تشنغ كاي يان قد ازداد بعدما أنجبت طفلتها، فحينما ارتدت هذا السروال المرن، كان ساقاها يشبهان ساقَي الفيل في قوتها، وبخاصة أن وأن السترة أعلاه كانت فضفاضة أيضًا. فلم يمنع نفسه من أن يقول لها: «من الصواب ألا تقلدي الآخرين في كل ما يرتدونه. ليس جميلًا».

وسرعان ما سألته والدته: «ما الذي لا يعجبك؟ السترة أم السروال الرياضي؟ لقد كلف السروال الرياضي أكثر من اثني عشر يوانًا». فهزّ سونغ يون هوي رأسه رافضًا: «ناهيكِ بالسترة، ولكن السروال حقًا مبتذل جدًّا». لكنه أسرع وقال حينما ألقى نظرة على تشنغ كاي يان فوجد وجهها قد احمر خجلًا: «أنتِ شخصيتك دافئة يا كاي يان، هذا السروال الرياضي يدفن جمالك، إننا لا نرتدي مثل هذه الثياب دنيئة المستوى».

لم تقدر تشنغ كاي يان لطافته كثيرًا، فزمت شفيتها وقالت لوالدته: «أمي، إن هوي الصغير يسافر إلى الخارج كثيرًا، وهذا جعله يتطلع إلى ما يفوق قدراته المادية، لم أره يرتدي بشكل جيد كثيرًا حينما عاد، فإنه لا يرتدي سوى سترة العمل، وفوق ذلك يحتقرنا على ما نرتديه».

هرعت والدته لتهدئة الأمور: «أي مستوى دنيء ومستوى عال، أرى أن ما ترتديه كاي يان جميل للغاية، أنت مفتعل للمشاكل يا هوي الصغير، لماذا لا تأتي أنت وتشتري لكاي يان ملابس جيدة؟».

«نعم، يتطلع إلى ما يفوق قدراته المادية». اختطفت تشنغ كاي يان ملعقة ابتها الصغيرة، ونفخت بعزة نفس في وجه سونغ يون هوي. لكن وعلى الرغم من تظاهرها بعزة النفس، كان قلبها يرتجف، وفكرت في أن تعطي هذا السروال الرياضي لأحد لاحقًا بسعر منخفض، إذ كانت تعلق أهمية كبيرة على ردة فعل سونغ يون هوي.

رنَّ جرس الهاتف دون أدنى تهذيب، وبمجرد أن رفع سونغ يون هوي سماعة الهاتف حتى وجدها مكالمة خاصة بشيء في المكتب، لم يسهب في المكالمة، فقال لهم مباشرة إنه سيعود بعدما ينتهي من تناول الطعام. كان من الصعب عليه القيام بالعمل الفكري هناك، فلم يتردد سونغ يون هوي، وحينما وضع سماعة الهاتف قال: «يعاملونني وكأنني عبد».

قال له سونغ جي شان: «لا تفعل هذا، العمل مهم، فإذا ما طلب منك القائد أن تذهب، كيف لك أن ترفض دون أن تعطيه وجهًا؟».

«إنني خارج المنزل طوال النهار، ألا يتركونني أتناول وجبة طعام واحدة فيه؟ لم أبع نفسي من أجل القائد». حينما رأى سونغ يون هوي ابنته قد خافت من طريقته الصارمة في الحديث، رقق صوته سريعًا، «افتحي فمك يا ين الصغيرة ليرى والدك ما إذا كنت قد ابتلعت طعامك أم لا».

وفي اليوم التالي، كان يوي شان تشينغ قد قضى ليلته كلها تقريبًا في موازنة الأمور بعمق، وعلم أن فرصته في النجاة لم تكن كبيرة، ربما أيضًا توصل إلى بعض التفاهم مع الأمين شوي على الهاتف،

عندما ذهب سونغ يون هوي إلى العمل اتصل به، وقال له أن ينتهز فرصة وجود الجميع في العمل، ويطلب سيارة لينتقل من بيته في هدوء. قال له يوي شان تشينغ على الهاتف أنه ولطالما سيغادر، فقد قررت زوجته هي الأخرى ألا تبقى في جينتشو ليتنمر عليها الآخرون، وأنه سيتصل بسونغ يون هوي بعدما يستقر ليساعدوا بعضهم فيما بعد.

على الرغم من أن سونغ يون هوي لم يكن شغوفًا برؤية يوي شان تشينغ من قبل، ولكنه كان حزينًا في ذلك الوقت، إذن فهو التالي. لكن لكل شيء نهاية، وبغض النظر عما يريد أن يفعله معه مين، وما يريد أن يفعله مع الأمين شوي، عليه أن ينجز العمل الذي في يده على أكمل وجه. كما أنه لا يستطيع أن يشتت انتباهه بشيء آخر، وإلا فإذا حدث خطأ ما في التحول التقني ناتج عن كل هذا الهراء، فسيصيدون له الخطأ أكثر، ما يلزمه أن يكون أكثر نشاطًا.

وكما هو المتوقع، وكّل والد ليانغ سي شن في عشية عيد الربيع شخصًا يوصّل حقيبة بها أشياء خصيصًا لسونغ يون هوي في جينتشو. لم يتصور سونغ يون هوي أن تهديه ليانغ سي شن إلى جانب هديتها المعتادة له كل عام، وهي الكتب الأكثر شيوعًا حينها في أمريكا، ساعة بسيطة وأنيقة، وحقيبة رجالية جلدية راقية، وربطتي عنق، وقلم حبر، وإطار نظارة جميل بحواف ذهبية. أما باقي الهدايا فكانت لسونغ ين، إذ كانت هناك لعبتان صغيرتان من القטיפيعة تتكلمان وتضحكان، وبضعة كتب جميلة، وثوبان رائعان، وما أثار دهشته أنه وجد ما يزيد على عشرة عبوات من مسحوق الحليب والبسكويت والحلوى الملونة.

فتح سونغ يون هوي الحقائق في المنزل، وما إن رأى الساعة وإطار النظارة حتى علم أنهما باهظتا الثمن، ففهم كما كان يتوقع أن ليانغ سي شن ميسورة الحال. كان يشك في أن هذه الفتاة صغيرة ولكنها جريئة، وتجيد فن التعامل مع الناس ببراعة، كانت تريد في الواقع أن تشكره بهذه التصرفات. أما عن هذه الهدايا التي كان عاجزًا عن حساب قيمتها، فلم يكن في داخله يأمل سوى أن يأخذ الكتب ومسحوق الحليب الخاص بسونغ ين فقط، ولكنه لم يكن بإمكانه أن يعيدها بالطبع، فكيف يمكنه أن يرسل مثل هذا الصندوق بالبريد ما لم يأخذه بنفسه إلى بيت عائلة ليانغ.

لم تستلم تشنغ كاي يان هدية خاصة بها، لكنها لم تتفاجأ، وكان أمرًا طبيعيًا أن ترسل ليانغ سي شن إلى سونغ يون هوي كتبًا ليقرأها، بالإضافة إلى المزيد من الأدوات المكتبية هذه المرة. كما شعر سونغ يون هوي أيضًا بأن هذا كان طبيعيًا، ولم يتسلم والداه هدايا لهما أيضًا.

عاد الأمين شوي وكبير المهندسين ليو ومن معه إلى المصنع وبدأ أنهم كانوا في عجلة من أمرهم، فحينما عادوا كانت الأمور وكأن شيئًا لم يحدث، وكانت الأجواء هادئة. استقال يوي شان تشينغ وزوجته فحسب، وكانت السابقة الأكثر إثارة للدهشة في تاريخ الموظفين بمصنع جينتشو الرئيسي؛ فكيف يتخلى أحدهم عن وظيفة ذات أمان ويلقي بنفسه في البحر، هل من السهل هكذا أن يدخل أحد إلى البحر؟ كان الجميع يتوقعون أن تضرب يوي شان تشينغ أمواج البحر ويلقى حتفه. تم تغيير العاملين في قسم التجارة الداخلية بإدارة النقل والمبيعات أيضًا، وتم استبدالهم

بأشخاص موثوقين بالنسبة لمين ممن كانوا يعملون معه في  
المصنع الفرعي من قبل.

### 3

كانت والدة يانغ شيون لا تزال ترفض بالسماح لداي جياو فنج  
بالمكوث في بيتها خلال عيد الربيع، فقالت لها والدة يانغ شيون  
على الهاتف أنه قد مرَّ عامان بالفعل، ولم تعد هناك حاجة إلى  
الاستعجال وقد تبقى بضعة أشهر فحسب. شعرت داي جياو فنج  
بالظلم والقهر، ولكن لم يكن بيدها شيءٌ لتفعله، فمن الذي أجبرها  
على الدخول في علاقة دون امتلاك تلك الوثيقة الحمراء الزاهية؟!  
تحسنت العلاقة العاطفية بين الثنائي الصغير بعدما عاشا معًا  
لمدة عامين، لكن لم تعد بتلك الحرارة التي كانت بينهما في البداية  
حينما كانا ملتصقين كالغراء. أوصل يانغ شيون داي جياو فنج إلى  
بيتها أولاً، وحينما وجدته داي جياو فنج يغادر دون أن يأخذها  
جانبًا ليعانقها سرًا شعرت بالخوف، إذ كانت تخشى أن يكون يانغ  
شيون قد بردت مشاعره تجاهها، وأن يكون رأيه تغير فيها بعدما  
عاد هذه المرة إلى البيت وحرضته والدته. لم يكن أمامها سوى  
أن تطلب من يانغ شيون أن يزورها مرة واحدة كل ثلاثة أيام، ولم  
يعد لسان يانغ شيون معسولاً مع داي جياو فنج التي يعيش معها  
منذ سنتين، فكان صريحًا معها وقال لها إنه سيكون من الصعب  
عليه فعل ذلك، وإن عليه زيارة الكثير من الأشخاص في هذه  
الأيام لشرب النبيذ معهم بعدما يعود إلى البيت، ولن يكون لديه

الكثير من الوقت. وهنا تملك الخوف منها أكثر، وصارت أعصابها متوترة كل يوم.

حينما رآها والداها على هذا الحال تبادلوا إساءة النصائح لها واحدًا تلو الآخر.

طلب يانغ شيون من عائلته شراء دراجة نارية من أجل التيسير عليهم في تحركاتهم، وجعل يانغ سو يتعلم قيادتها في وقت العطلة الصيفية، حتى يوصل يانغ ليان ويانغ لي من وإلى المدرسة، فيتسنى لهما أن يعودا إلى البيت كثيرًا ويطمئنا على والدتهما. كما يتمكن هو حينما أن يعود إلى المنزل من ركوبها والذهاب بها هنا وهناك لزيارة الناس وتهنئتهم بالعام الجديد وتقديم الهدايا لهم. انتهت أموره في الشمال الشرقي هذه المرة في وقت متأخر، وحينما عاد كان بالفعل في اليوم الثامن والعشرين من الشهر القمري الثاني عشر، وكانت معظم المنتجات التي عمل فيها هذا العام هي منتجات دنغ فنج، وكان أول شخص عليه زيارته بعدما عاد بالطبع هو لي دونغ باو.

كانت والدة يانغ شيون امرأة تراعي المصلحة العامة، وكانت تعلم أن الدراجة النارية بالنسبة لابنها الكبير ستكون وسيلة، فعلى الرغم من أنها ستكون ما يزيد عن عشرة آلاف يوان، وأنها كانت تتألم كثيرًا بسبب هذا، ولكنها صرّت على أسنانها وكلفت معارفها بمساعدة ابنها على شرائها، وكانت تمنع عادة يانغ سو وإخوته من استخدامها خوفًا من تخريبها. فقط كانت تبدي بعض التساهل مع يانغ لي المدللة حينما كان الطقس يسوء ويكون من الصعب عليها

الذهاب إلى المدرسة أن تركبها. وكانت موضوعة في المنزل، وعندما تكون متفرغة تنظفها من الزيت، ما جعلها تبدو جديدة تمامًا حتى بعد نصف عام من شرائها. وحينما يركبها يانغ شيون، كانت تعطيه الكثير من النصائح بطبيعة الحال، وتنبهه بأن عليه ألا يشرب النبيذ مطلقًا.

كان من الصعب تجنب رائحة شياوليجيا القذرة، أما الغريب فكان الحماس الذي يتصاعد من كل مكان لحفر الخنادق، إذ اشترك في ذلك الأطفال وكبار السن بمتهى الانسجام، وبذلوا جهودًا لا مثيل لها. ذهب يانغ شيون أولاً إلى مصنع الأسلاك الكهربائية للتسوية، وحينما انتهى ذهب إلى مكتب القرية باحثًا عن لي شي قن للتحدث معه، وبمرور لحظات رأى لي دونغ باو عائداً يتصبب جبينه عرقاً في هذا اليوم شديد البرودة، وعلم أنه كان يشارك هو الآخر في أعمال الحفر. إذ جاء شيوي الكبير في زيارة وطلب من لي دونغ باو تحويل الخنادق المفتوحة إلى خنادق مغلقة، فوضع الأمر في رأسه ونفذه مستجيباً له.

ما إن دخل لي دونغ باو من الباب حتى سأل يانغ شيون: «يقولون إنك صارت لديك زوجة، أذكر أنك في أوائل العشرينات من عمرك، أليس كذلك؟». فضحك يانغ شيون وأسرع قائلاً: «أنا في الثانية والعشرين من عمري، هل تحفر الخندق بنفسك أيها الأمين لي؟».

«ما هذا الهراء الذي تقوله، لستُ قائداً وطنياً على كل حال، هل سينقص من لحمي شيئاً إذا حفرت؟ التملق لا يكون بهذه الطريقة

المبتذلة. أنت في الثانية والعشرين من عمرك... انظر يا أخي شي قن، هذا الشيطان الصغير يتفوق على الآخرين في كل ما يفعله. يانغ شيون، سمعتُ أنك أقمت وليمة أيضًا، كيف لم تدعنا إليها؟». «ألسْتُ لم أبلغ السن القانونية للزواج بعد؟! لقد دعوتُ أصدقائي إلى مائدة صغيرة في الشمال الشرقي، يعتبر لقاءً فحسب، ولكنني لم أقم شيئًا هنا».

«كيف لم تقيم شيئًا هنا؟ ألا تعترف بإخوانك هنا؟ أريد أن أشرب النبيذ اليوم، ادعُ زوجتك وتعال لنشرب معًا».

«تحت أمرك أيها الأمين لي. إلى أي مطعم تريدنا أن نذهب؟ سأذهب لأحضرها الآن فورًا». نظر يانغ شيون في ساعته، «لكن من الممكن أن يستغرق ذلك بعض الوقت، سوف يستغرق أكثر من ساعة». لم يكن يانغ شيون يريد أن يذهب ويعود راكبًا الدراجة النارية وسط الرياح في هذا اليوم البارد، لذا تحجج بأنه سيحتاج إلى بعض الوقت.

اندهش لي دونغ باو: «هل ستحتاج إلى كل هذا الوقت لتذهب إلى بيتك وتعود منه؟ إذا كنت لا تريد أن تدعونا إلى شرب النبيذ فقل مباشرة يا يانغ شيون».

استخرج يانغ شيون محفظته وأعطاهما للي دونغ باو: «يريد الأمين لي أن يشرب النبيذ ولا أستطيع أن أدعوه حتى. ألم أقل لك إن زوجتي تسكن في بيت أهلها؟! وهو بعيد عن هنا». توقع لي دونغ باو أن ثمة أمرًا مريبًا في محفظة يانغ شيون، وكما توقع، حينما فتح المحفظة وجد صورة فتاة واسعة العينين وذات أسنان

بيضاء ناصعة موضوعة في جراب بلاستيكي شفاف بداخلها، دقق النظر فيها، ثم استخرج محفظته وسلمها إلى يانغ شيون: «انظر، هذه زوجتي، ليست في حاجة إلى التزين على الإطلاق، إنها أجمل من زوجتك».

كان يانغ شيون قد سمع مسبقًا بشأن حادثة بيت لي دونغ باو، فما إن سمع كلامه حتى اختطف منه المحفظة على الفور، مخافة أن يغير لي دونغ باو رأيه. ما إن نظر حتى وجدها مجرد امرأة أجمل قليلاً من الناس العاديين، على الأكثر فهي مهذبة للغاية، بمجرد أن رآها حتى عرف أنها متعلمة، بالكاد ترقى إلى داي جياو فنغ زوجته. قال غير مقتنع تمامًا: «زوجتك جميلة بالطبع، ولكنها ليست على قدر جمال زوجتي، فزوجتي أيها الأمين لي... لأصحبك معي وترى بنفسك. إن زوجتي لا فرق بينها وبين فتيات المدن الكبيرة».

غمز شي قن مرارًا ليانغ شيون، ولكن يانغ شيون هذا الذي لطالما ما يكون يقظًا لم يلمحه هذه المرة، وكما هو المتوقع، حينما سمعه لي دونغ باو يقول إن زوجته ليست على قدر جمال زوجة يانغ شيون، قفز فورًا وشدَّ يانغ شيون من ياقة قميصه: «لن نتناول الطعام، لنذهب ونرى زوجتك، أنا على العموم لا أصدقك».

فزع يانغ شيون، وقال في نفسه ماذا حدث، ثم استدار وطلب من شي قن أن ينقذه، فقال له لي شي قن أن ينقذ نفسه بنفسه، امتلأ يانغ شيون بالغضب وخلص نفسه، ثم قال بصوت مرتفع: «لنذهب إذن، يقول الجميع إن زوجتي جميلة حينما تحط قدميها في أي مكان».

ضحك شي قن خلصة في حجرة المكتب، وكان مندهشًا فحسب، فأمسك بالمفاتيح التي كانت موضوعة على المكتب وهرع يتبعه، كان يريد أن يرى إلى أي مدى يمكن أن يصل جمال الزوجة الجميلة التي عثر عليها يانغ شيون ذلك الثعلب الماكر. كان الصف من ثلاثة أشخاص يركبون ثلاثة دراجات نارية حمراء زاهية، يندفعون معًا في انسجام تام، ويتقاتلون على الركض في اتجاه منزل داي جياو فنج. كانوا جميعًا قادمين من خلفية ثقافية فارغة وفقير مدقع، ولكن صارت في أيديهم الآن أموالاً ضخمة، لذا فحينما اشتروا الدراجات النارية كانوا يشترون الأفضل دائمًا دون اتفاق مسبق بينهم.

رأى لي دونغ باو داي جياو فنج التي نهضت من أمام طاولة الطعام وخرجت لاستقبالهم، فلم يصدر صوتًا في الحال. كانت داي جياو فنج جميلة في الحقيقة، بيضاء ناصعة البياض، عيناها واسعتان وتجيد التحدث والضحك، فمها صغير كثرة الكرز، تشبه نساء الغرب الجميلات تمامًا، وكأنها في الحقيقة طائر عنقاء ذهبي طار مهاجرًا من هذه القرية الصغيرة إلى ميدان السلام السماوي في بكين وعاد معه بالخير الكثير. كان شي قن هو الآخر مذهولًا بينما ينظر إليها، وقال في نفسه إن يانغ شيون داهية حقًا، وإنه يصل دائمًا إلى أفضل النتائج حينما يفعل أي شيء.

ما إن نظر يانغ شيون إلى تعبيرات وجه لي دونغ باو حتى عرف أنه أقرَّ بالخسارة. ولكنه كان خاضعًا قبالتة، فلو كان شخصًا آخر لطالب باستعادة حقه أمامه، ولكنه لم يكن يجرؤ على ذلك أمام لي دونغ باو. كانت داي جياو فنج هي الأخرى شريكة ذكية، فعندما

رأت يانغ شيون على هذه الحال، علمت أن لي دونغ باو شخص كلمته مسموعة، فخشيت ألا تتمكن حتى من تخطي عتبة باب بيت عائلة يانغ، فلمّا وجدت ذلك اغتنمت الفرصة وأسرعت بالقول: «كنا نتحدث كثيرًا عن الأمين لي في الشمال الشرقي، ومن الرائع حقًا مقابلتك اليوم. تفضل بالجلوس أيها الأمين لي، سأدخل لأعد المزيد من الأطباق. ينبغي علينا أن نشرب نخب الأمين لي ونشكره على رعايته ليانغ شيون».

فقال لها لي دونغ باو: «لم تشربوا نخبي عند زواجكم، فلماذا تشربونه الآن بحق الجحيم؟ لن أشرب. لنأكل في الخارج، أنا لا يعينني نبيذكم». كان لي دونغ باو مختنقًا بشدة، ولا يتقبل رؤية هذه المرأة الأجمل من سونغ يون بينغ.

لم تفهم داي جياو فنع ماذا يحدث، ولكنها انتهزت الفرصة وأسرعت قائلة: «كم كنت أرغب في ذلك، ولكن والدته لم توافق، تقول إن هذا لا يعد زواجًا ما دمنا لم نصل إلى السن القانونية بعد، حتى إنها لم تسمح لي بقضاء عيد الربيع معهم، ناهيك من تقديم النبيذ هنا احترامًا للأمين لي. حينما أدخل إلى بيتهم يومًا ما، فسأدعو الأمين لي لشرب كأسين من النبيذ بمجرد أن يرغب في ذلك».

تفاجأ لي دونغ باو، ولم يتصور أن ثمة أحدًا خفية في هذا الموضوع، فسأل يانغ شيون مشيرًا إلى داي جياو فنع: «ألا يقول الجميع إنك على علاقة بها منذ عامين؟».

احمر وجه يانغ شيون وقال له: «بالطبع، نحن... نحن معًا منذ عامين». فتعجب لي دونغ باو قائلاً: «هل أعددت مائدة صغيرة في

الشمال الشرقي لتقول إنها زوجتك، وحينما عدت إلى المنزل ألم تعد كذلك؟ ما هذا المنطق، هل تلعب بينات الناس؟ أحضري لي دلوًا من الماء البارد يا داي الصغيرة، هذا الفتى أصابه الخرس ولا يستطيع الكلام، لنفيقه به».

شعر يانغ شيون بالعجز، ونظر إلى عائلة داي التي كانت تشاهد ما يحدث، فلم يسعه سوى أن أمسك بلي دونغ باو: «أيها الأمين لي، أنت بمثابة أخي الأكبر، اخرج لأتحدث معك».

غمغم لي دونغ باو: «لن تستطيع تبرير موقفك بأي كلام». على أنه خرج معه وأخذ يستمع إلى تبريراته. ظن يانغ شيون في البداية أن لي دونغ باو سيتفهم موقفه، ولكنه لم يتصور أن ينظر إليه بازدراء بعدما سمع كلامه وقال له: «وتظن نفسك رجلاً؟ يا خسارة تربيتك كل هذا العمر، تريد أن تأكل دون أن تدفع الثمن، ما هذا الهراء». وما إن انتهى من كلامه حتى صرخ عاليًا: «أخي شي قن، لنعد، لن نتناول الطعام مع يانغ شيون».

حتى داي جياو فنع هرعت خلفه، وحينما وجدته مندفعًا شعرت أن الأمور قد وصلت إلى طريقٍ مسدود، فملأت وجهها علامات التوتر، وخشيت أن تتورط في المشاكل. سرعان ما ضحك شي قن قائلاً: «ما هذا الذي تفعله يا دونغ باو، نحن في ليلة رأس السنة الجديدة، ونادرًا ما يعود يانغ شيون إلى هنا. هيا، خذينا يا داي الصغيرة إلى مطعم قريب من هنا لتناول الطعام، فالجميع مشغولون عشية رأس السنة، ونحن لا نريد أن نزعج والديك. اصطحب زوجتك يا يانغ شيون».

كان يانغ شيون مستاءً، ولكنه لم يستطع ألا يستمع إليه، فلي دونغ باو بمثابة واحد من الأسلاف بالنسبة إليه، وهو الآن يستخدم اسم العلامة التجارية لدنغ فنغ في الخارج، وتعني الإساءة إلى لي دونغ باو نهاية سمعته على الفور. لكنه لم يستطع أن يلقي اللوم على داي جياو فنغ أيضًا، فوالدته هي السبب في الأساس، لكن ما العمل؟ هو عالقٌ بينهما. جلست داي جياو فنغ خلف يانغ شيون شاعرةً بالارتباك، لم تُرد أن تسبب ليانغ شيون المتاعب، لكنها كانت تتوق في داخلها لأن يضغط لي دونغ باو على يانغ شيون ويجعله يتصدى لوالدته. كانت في أشد الحاجة إلى هوية، وإلا فكيف يمكنها أن تشرح لأخواتها أنها اختفت مع رجل لمدة عامين، وعادت إلى البيت في عيد الربيع لتقضيه بمفردها. كانت تشعر بالخجل من مواجهة الناس، وكان من الأفضل لها قضاء عيد الربيع بسعادة وحدها في الشمال الشرقي.

أخذت داي جياو فنغ الجميع إلى مطعم ليس بالبعيد، مُلصق على واجهته لافتة حمراء زاهية مكتوبٌ عليها «زبائننا يتوافدون كالسُحُب»، وعلى زجاج الباب والنافذة بالأسفل الكثير من اللافتات على غرار «يوجد دجاج وبط طازج»، «مأكولات بحرية وبرية شهية»، وغيرها. حينما دلفوا إلى الداخل، وجدوا فعلاً زبائن و«سُحُبًا»، إذ كان الجميع تقريبًا يمسكون في أيديهم بلفافات تبغ، تعلق رؤوسهم دوائر من «السُحُب البيضاء». ومع ذلك بدا لهم أن الزبائن قليلون و«السُحُب» كثيرة.

جلس لي دونغ باو وأخرج ورقتين نقديتين من فئة خمسين يوانًا ووضعهما على الطاولة: «فلتطلب الطعام يا أخي شي قن، وأنا سأدفع الحساب».

ابتسم يانغ شيون في خنوع وأسرع قائلاً: «أيها الأمين لي، فلتقبل أن أدفع أنا الحساب، ألا تجعلني أصلح خطي؟»، وكانت داي جياو فنغ تجلس بجانبه فاعرة العينين تتوسل للي دونغ باو هي الأخرى، ولكنها لم تجرؤ على التحدث، فقد كان لي دونغ باو بطبيعته في الأيام العادية يبدو شرسًا، فما بالك باليوم وقد صار أكثر شراسة!

حدّق لي دونغ باو في يانغ شيون بملء عينيه حتى فزع منه يانغ شيون، وظل منتظرًا حتى يطلب شي قن الطعام، ثم دفع الحساب، وحينها قال لي دونغ باو: «يانغ شيون، أنت أيها الـ...، لم أحبك منذ البداية، كنت أعتقد مسبقًا أنني أبغضك لأنك محتال، أما اليوم فقد فهمت أخيرًا، أنت شخص مراوغ».

فسارع يانغ شيون بالتبرير: «أيها الأمين لي، أنا أفعل ذلك في الحقيقة من أجل فنغ الصغيرة أيضًا، فكر معي، تلعب أمي دورًا حازمًا، وإذا ما دخلت فنغ الصغيرة إلى عائلتنا الآن فسوف تعاني كثيرًا..».

«كلامك يفتقر إلى الصحة، ماذا لو كانت داي الصغيرة هي الحازمة، هل كنت ستطرد أمك من البيت وتجعل داي الصغيرة هي المتحكمة فيه؟ أليس من العجلى أنك تستأسد على هذه الضعيفة وتهاب من هي أقوى منها؟! كن عادلاً بين والدتك وزوجتك، وإلا فما الفائدة من كونك رجلاً؟! أرى أنك لا ينبغي أن تلوم أحدًا، فالأمر كله يخصك وحدك. أنت شخص مراوغ، تتقرب ممن هم أقوى منك، وتدهس من لا فائدة لهم بالنسبة إليك، محتال».

كانت داي جياو فنغ تجلس بالجوار وتستمتع إليه، فابتعدت لا إرادياً من تلقاء نفسها عن يانغ شيون، وكيف لا وقد رأت كم هي مقهورة، فيانغ شيون يميل نحو أمه، ولم يبذل ولو القليل من الجهد من أجلها بعدما ظلت معه لعامين، ما جعلها تفقد ماء وجهها أمام الناس، واتضح لها أن الكلام المعسول الذي كان يقوله لها في الأيام العادية كله زيف.

صدم يانغ شيون الذي كان ثرثاراً ويجيد الكلام من كلام لي دونغ باو الذي كان في الصميم، ولكنه عجز عن الرد عليه، واحمرَّ وجهه مرة أخرى. وحينما رأى عيني داي جياو فنغ قد احمرت، أسرع بالاقتراب منها وهمس في أذنها: «يجب أن تصدقي أنني أحبك».

«أنت لا تجيد سوى التحدث بكلام معسول». ولم تعطه داي جياو فنغ أي اهتمام.

تناول يانغ شيون وجبته بشق الأنف، وانتكس لسانه الطليق أمام لي دونغ باو. أوصل داي جياو فنغ إلى بيتها بعدما انتهوا من تناول الطعام، بمجرد أن ترجلت من الدراجة النارية لوحت بيدها ودخلت المنزل، ولم تتفوه ببنت شفة، وتركته في الخارج في مهيب الريح الباردة. حاول يانغ شيون أن يُعوضها ويصلح خطأه كثيراً ولكن بلا فائدة، فقد أغلقت الباب ولم تعره اهتماماً.

ركب يانغ شيون الدراجة النارية شاعراً بالاختناق ليعود إلى المنزل، فرأى في طريقه مصنع لا و وانغ التابع للمدرسة، فانعطف ذاهباً إليه ليطلب منه النصيحة. لم يكن يعرف كيف يتعامل مع الخلاف الذي يدور بين داي جياو فنغ ووالدته، فهو لا يمكنه أن يتشاجر مع والدته على كل حال.

لم يتوسع مصنع لاو وانغ الذي تديره المدرسة هذا العام، فقد كان يشعر بأنه كبير بما يكفي. حينما دخل يانغ شيون، وجد لاو وانغ يدوس على مكبس الختم بنفسه ليصنع قطعاً صغيرة، وكان لاو وانغ من النوع الذي يستفيد من كل لحظة لكسب المال، لا يكل ولا يمل، ومثابر. كان من النادر أن يدخل يانغ شيون دون أن يضحك ويلقي النكات، إذ أمسك بمقعد ووضعه جوار لاو وانغ دون أن يتفوه بكلمة، ما جعل لاو وانغ يندهش حينما رآه على هذه الحال: «ماذا أصابك اليوم؟ من أين لك بهذا الحظ العاثر؟».

أصدر يانغ شيون تنهيدة ثقيلة: «آه، أُمي وفتح الصغيرة... آه...». «أما زالت لا تسمح لها بدخول المنزل؟»، وكان لاو وانغ يقول في نفسه إن العالم كله على علم بصعوبة التعامل مع والدته الأرملة. أوماً يانغ شيون برأسه، فسأله لاو وانغ بمزيد من الاهتمام: «وهل تشاجرت فنع الصغيرة معك؟».

أوماً يانغ شيون برأسه ثانية وبصره مثبتٌ عليه. فقال له لاو وانغ: «دعني أقول لك، الأم هي الأم، والزوجة هي الزوجة، فمهما غضبت والدتك ستظل والدتك إلى أن تموت، أما لو شعرت الزوجة بالضغط عليها فسوف تطير».

«ليس الأمر أنني لا أفهم ذلك، لكن هل يمكنني اصطحاب فنع الصغيرة إلى المنزل؟ ألن يتسبب ذلك في مشكلة كبيرة؟ لدي عصبية من الإخوة وسوف يشاهدون ما يحدث». فقال لاو وانغ متعجباً: «لماذا ترفض والدتك فنع الصغيرة؟ ألا يمكنها أن تتنازل قليلاً؟».

عجز يانغ شيون عن الكلام لبعض الوقت، تقول والدته إن فنغ الصغيرة فتاة منحلة أخلاقياً، وتزداد انحلالاً أخلاقياً كلما رأتها، تزداد انحلالاً أخلاقياً عامًا بعد عام. قال بعدما حاول تجميل كلام والدته: «تقول والدتي أن فنغ الصغيرة سلوكها سيئ، وأنا لن أستطيع مجاراتها لأنني ساذج».

لم يتمالك لاو وانغ نفسه من الضحك بمجرد أن سمع كلامه، فجميع الأمهات تقريبًا يرين أبناءهن سذج، ولكن يانغ شيون، هذا الرجل، من حسن حظك ألا تقع في فخاخه. ومع ذلك فحينما رأى لاو وانغ داي جياو فنغ شعر بأن هذه المرأة يمكن أن تخون زوجها، وأنها ليس لديها أي وازع يمنعها من اختلاق المشاكل مع الجميع، فهي ليست كالزوجات المعتادات، ولو كان في وضعه لما أحب أن تكون زوجة ابنه من هذا النوع. ولكن يانغ شيون قال شيئاً آخر، إن لديه القدرة على التحكم بداي جياو فنغ. ضحك لاو وانغ مقترحاً على يانغ شيون: «أنت لا ينقصك المال، أسرع بالذهاب إلى المحافظة أو المدينة واشترِ منزلاً تابعاً للإسكان التجاري، وبما أن والدتك لا تريد أن تعيش داي الصغيرة معكم، فلتجعلها تعيش في المساكن التجارية، وهكذا تعزلهما عن بعضهما، فلتهربها معاً، ولن تتسبب في ضرر لكلا الجانبين، وسترضي كلا الطرفين. وفي عيد الربيع تعود بداي الصغيرة لزيارة والدتك وتهنئتها، وهكذا لن تصل الأمور إلى الحد الذي تطرد فيه والدتك داي الصغيرة، حتى لو لم تكونا تملكان وثيقتي الزواج، سيكون الأمر سواء، فهل ستظل داي الصغيرة تلقي باللوم عليك؟».

استنار يانغ شيون فجأة: «أيها العم وانغ، شكرًا جزيلًا، شكرًا جزيلًا، شكرًا جزيلًا، سأذهب غدًا لتخليص الإجراءات. يا إلهي، ليتني سألتك منذ وقت طويل». ما إن تحسن مزاج يانغ شيون حتى بدأ يثرثر كثيرًا: «أيها العم وانغ، أنت تملك مالاً أكثر مني، لماذا تتكبد عناء الضغط على مكبس الختم بنفسك؟ استأجر شخصًا ولن يكلفك في اليوم الكثير».

أصدر لاو وانغ تنهيدة: «عادت زوجتي إلى المنزل مع ابنتي منذ أيام قليلة، وأمسك بنا مكتب تنظيم الأسرة، وكان يجب تغريمي بالطبع، فدفعتُ الغرامة وقلبي يقطر دمًا. لن أستريح في عيد الربيع هذا».

كان يانغ شيون يعرف أن لاو وانغ بخيل منذ وقت باكر، ولطالما كان يحسب لكل شيء حسابه في تجارته، ويحقق مكاسب أينما كان، وكان تغريم مكتب تنظيم الأسرة له هذه المرة بمثابة تقطيع جزء من لحمه. «ألم تكن تريد ابنة يا عم وانغ؟ هي ابنتك الغالية، تستحق أن تنفق من أجلها بعض المال. أيها العم وانغ، إن معظم عملك الآن في منتجات مناجم الفحم!».

«كلها بضعة مناجم فحم صغيرة، أسعى جاهدًا لإيجاد طريقة للدخول إلى مناجم الفحم الكبيرة المملوكة للدولة بعد عام من الآن. ماذا عنك؟ هل استطعت العمل معها هذا العام أم لا؟».

«أنا مشغول بالكامل في أعمال البيع بالجملة، أيها العم وانغ، إذا ما وجدت طريقة للعمل مع مناجم الفحم الكبيرة المملوكة للدولة، سأكون ممتنًا لك إذا ما سألتهم بالمناسبة هل يريدون كابلات

كهربائية أم لا، سأقدم لك عرضًا خاصًا. لدي كميات كبيرة، لن تستطيع أن تحصل على سعر المصنع المنخفض هذا مني أبدًا».

فقال لاو وانغ: «أرغب في ذلك، ولكنني لا أملك المال. لقد دفعت مبلغًا ضخماً كغرامة لأنني أنجبتُ بنتًا، واشتريتُ للتو منزلًا لابني في المدينة استعدادًا لجعله ييحث عن عروسٍ له ويرضيها به، أنا في ضائقة مالية الآن. علاوة على ذلك فإن مناجم الفحم الآن فقيرة، ولا يوافقون على إعطاء دفعة مقدمة، فكيف لمصنعي الصغير أن يوفر المال اللازم لشراء الكابلات».

قال يانغ شيون في نفسه إن أموال الغرامة مُضافة إلى ثمن المنزل لن تتجاوز بضع عشرات الآلاف من اليوانات، فأنى للاو وانغ أن يكون فقيرًا إلى هذا الحد، فلا يعدو كونه يريد أن يخدعه. استخدم معه الأسلوب المُخادع نفسه: «أيها العم وانغ، ما دامت التجارة ستكون مع مناجم الفحم المملوكة للدولة، فخذ الكابلات أولاً، ومتى تدفع لك مناجم الفحم ثمنها فأعطه لي، إنها مناجم مملوكة للدولة، فهل سنخشى ألا نحصل على المال؟».

تهللت أسارير وجه لاو وانغ فجأة، وأخذ يثني عليه مرارًا: «أيها الشاب، العمل في التجارة يحتاج إلى الجرأة والإقدام، لا عجب إذن في أنك تفوقت على من سبقوك سالفًا».

فكَّر يانغ شيون شاعرًا بالرضا على النفس، بالطبع، لقد ركَّز اهتمامه على توسيع نطاق عمله، أما لاو وانغ ومن على شاكلته فيركزون جهودهم على الفتات، وبمرور بضع سنوات بالطبع سيكون الأمر مختلفًا.

خرج يانغ شيون من عند لاو وانغ ومزاجه قد تحسن كثيرًا، وانطلق متجهًا إلى داي جياو فنغ، ما يعني أنه يستعد لشراء سكن تجاري لتسكن فيه داي جياو فنغ في المدينة، هو يحبها، وكان من البديهي أن يتنازل تحت تأثير هجوم دموع النساء الجميلات مضطرًا ويوافق على أن يكتب المنزل باسمها. ومنذ أن بدأ في اتخاذ إجراءات فعلية حتى ثبت لها أنه لا يبيعها الكلام، صدقته داي جياو فنغ بطبيعة الحال. كانت علاقتهما جيدة في الأساس، وكان الشيء الوحيد الذي يقلق داي جياو فنغ هو هل يحبها يانغ شيون أم لا، فمنذ ذلك الحين عادت الحميمة بينهما من جديد.

بيد أن شراء المنزل لم يكن بالأمر الذي يتم بمجرد أن تقول ذلك فقط، فأولاً، لا تعمل إدارة الإسكان في فترة عيد الربيع، وثانيًا، فأنت لن تشتري المنزل بمجرد أن تريد ذلك، إذا لم تكن من سكان هذه المنطقة في المدينة لن يبيعه لك، وثالثًا، فلم يكن يعرف أحدٌ في أي مكان تُباع المنازل، وأولئك الذين لا يعيشون في المنطقة لا يعرفون أسعار السوق. كان يانغ شيون أيضًا في عجلة من أمره للعودة إلى الشمال الشرقي بعدما تم الانتهاء من تخزين البضائع في عيد الربيع، إذ جاءه اتصال من على بعد آلاف الأميال يستعجله، ما كان منه إلا أن كلف أخا داي جياو فنغ الكبير بهذه المهمة، وبمجرد أن يجد أخوها منزلًا، سيعود جنوبًا بالمال فورًا. شعر الجميع أن هذا الحل جيد جدًّا، وعلى الرغم من أن داي جياو فنغ أقامت في بيت والديها في عيد الربيع، ولكنها كانت في حالة جيدة، فالإقامة في بيت والديها مريحة.

تكونت علاقة ودية مع أولئك الرفقاء الموجودين في المحافظة، وكانوا من قبل يهتمون بإرسال السلع الخاصة بعيد الربيع لهم، فكان يتعين عليهم في القرية أن يعدوا لهم إذا ما زاروهم في الريف مآدبة طعام لاستقبالهم وتسليتهم، ما جعل هذه المآدبة الآن هي المفضلة بالنسبة إليهم بخلاف سلع عيد الربيع، وكان لي دونغ باو يسير مع التيار. لم يكن لي دونغ باو مفوهاً مثل يانغ شيون، كان هجومياً ويجبر الآخرين على الشراب، لكن وحينما يُصر على الآخرين أن يشربوا كأساً، يرغبون هم أيضاً في أن يشربوا نخبه بكأس آخر، وهكذا ما إن تُفتح طاولة الطعام، وينتهي الجميع من الطعام والشراب، لا يستطيع لي دونغ باو هو الآخر أن يصلب طوله.

كان المكان الذي يتناولون فيه الطعام هو مطعم منفرد في إحدى المحطات، وكانت مالكة المطعم هي وي تشون هونغ، تتسم بالسلاسة والمراعاة عند تعاملها مع الناس، يلقبها الناس بزوجة الأخ آ تشينغ الصغيرة<sup>(1)</sup>. كان كثيراً ما يتردد على هناك لي دونغ باو، ما جعل وي تشون هونغ ولي دونغ باو على دراية بتفاصيل حياة بعضهما الدقيقة. أخذت تتفقد ما يحدث حولها، وحينما رأت لي دونغ باو يوصل الضيوف، وينعطف مستعداً لركوب الدراجة النارية والعودة إلى المنزل، سارت نحوه وقالت له

(1) زوجة الأخ آ تشينغ: شخصية من شخصيات أوبرا بكين، وهي أوبرا صينية ثورية وواحدة من «المسرحيات النموذجية» المسموح بها خلال الثورة الثقافية، تتسم بالهدوء والذكاء، وهي تجسيد لآلاف النساء المناهضات للحرب.

بهذوء: «أيها الأمين لي، شربت اليوم كثيرًا بكل هذا الحد، وطريق عودتك مظلم، من الأفضل لك أن تمكث في المطعم وتشرب كوبًا من الشاي حتى تستفيق، وحينما يزول تأثير الخمر عد إلى المنزل، وإلا فسيكون ذلك خطيرًا للغاية».

انبعثت من لي دونغ باو رائحة خمر كثيفة، وقال في أنفة: «لا بأس، لا بأس، لست ثملًا على الإطلاق».

شدت وي تشون هونغ مفتاح الدراجة النارية، واستدارت بجسدها متوجهة إلى المطعم: «أنا أدري منك بما إذا كان لا بأس أم لا، لا يعطيني الأمين لي أي وجه، ألا توافق على أخذ رشفة شاي؟».

حينما اختطف المفتاح من لي دونغ باو، لم يستطع أن يفعل أي شيء، كما لم يكن من الجيد انتزاع المفتاح من يد المرأة بكل قوته، فما كان منه إلا أن تبعها إلى مطعم المحطة. كان المطعم مغلقًا تقريبًا، ولم يتبق فيه سوى بضعة نُدل ينظفون. أعطته وي تشون هونغ زجاجة مملوءة بالمياه المالحة الساخنة لتدفئة يده، رفض لي دونغ باو بالطبع هذا الشيء الأنثوي، فلم تضغط عليه، وأخذتها ثانية ولم تبال. جلس لي دونغ باو وشرب بعض الماء، ولكن صعد تأثير الخمر إلى رأسه فجأة، وأخذت جفونه تتعارك، ثم غاب عن الوعي دون أن يشعر حينما كان يجلس ويتفرج على من ينظفون.

أيقظه أحدهم بعد قليل، وكان خاملاً لا يقوى على فتح عينيه، سمع صوتًا رقيقًا يتحدث بجانب أذنيه: «أيها الأمين لي، أنت متعب للغاية، فلتنم في أي مكان شئت».

قبل لي دونغ باو اقتراحها دونما تردد: «آ... حسنًا». وشعر بأن هذا المقعد مريح، فأراد أن يستلقي عليه.

ضحك أحدهم بجانبه وأنهضه قائلاً: «أتريد أن تنام ولو على الأرض؟ هيا، يوجد سرير على بعد خطوات صغيرة من هنا».

شعر لي دونغ باو بأن هذا الصوت الذي يسمعه لطيف على أذنه، فسار مطيعًا يستند على الشخص الذي بجانبه. لكن وحينما بذل جهدًا كبيرًا ولم ينته الدرج بعد، لم يتمالك نفسه وقال بنفاد صبر: «لماذا هو بعيد هكذا، هل انتهى أم لا؟». فقال له صوت رقيق بجانبه: «أوشكنا، أو شكنا على الوصول». فاستمر لي دونغ باو في السير مطيعًا، يلقي بنصف ثقله على من بجانبه. ولكن سرعان ما وصل هذه المرة، تحسس الفراش، فأغلق عينيه وخلع معطفه وسترته وسرواله، ودخل إلى الفراش. كان الفراش عطرًا وناعمًا، كما كان دافئًا جدًا. استمتع به كثيرًا، وسرعان ما غط في النوم.

كانت وي تشون هونغ هي من أسندت لي دونغ باو وساعدته على الصعود حتى الطابق الثالث لينم، اقتربت منه، رفعت اللحاف قليلاً، وأخذت زجاجتي الماء المالح الساخن، ثم التقطت ثياب لي دونغ باو التي ألقاها عشوائيًا على الأرض. حملت ثيابه الفوضوية، وجلست عند مقدمة السرير تنظر إليه وقد كان في حالة إغماء. منذ سنوات عديدة فتحت هذا المطعم، وكم من الرجال كانوا يغازلونها ويتقربون إليها، بيد أن لي دونغ باو، وعلى الرغم من وجهه الذي يشبه وجوه قطاع الطرق، فإنه كان يتصرف معها بطريقة لائقة، ما جعله مثيرًا للاهتمام بالنسبة إليها، كم تمنى أن تحظى

برجل مثل هذا يكون داعماً وسنداً لها. ولكنها كانت تعرف أنها لم تكن جميلة، ولا تبدو في منتصف العمر ولو قيد أنملة، كما أنها لم تكن صغيرة في السن، ولا تملك أدنى فكرة ما إذا كانت أكبر منه أم لا، وهي أرملة أيضاً، كيف يمكن للأمين لي الشهير أن يعجب بها، ستظل تحبه من طرف واحد على الأكثر.

ظلت تحدد فيه لفترة من الوقت، ثم أخذت منشفة نظيفة، وسكبت فوقها من الماء المالح الدافئ الذي كان في الزجاج، ومسحت وجهه ويدي لي دونغ باو بها. ولم تتمالك نفسها إلا أن أخذت تتبع خطوط وجهه بإصبعها الغليظ برفق، مرة بعد مرة. جلست عند مقدمة السرير مرة أخرى وأخذت تقيس ملبسه، ثم أزالته الترقيع الفوضوي الذي كان عليها وعالجتها مرة أخرى، ما جعلها تشعر بالنعاس الشديد، فتركتها من يدها، نظرت إلى السرير الوحيد الموجود في الغرفة، وترددت لوقت طويل، فأطفأت المصباح وكان قلبها يخفق بشدة، ثم وقفت قليلاً في الظلام، خلعت ثيابها بأيدي مرتجفة، وانزلت على هذا الفراش الوحيد على مهل.

كان وجود رجل بجانبها على الفراش لا يمكن مقارنته بزجاجة المياه المالحة بطبيعة الحال.

نام لي دونغ باو حتى ارتاح كامل جسده، وشعر بمتعة دافئة تسري في جسده على غير العادة، لكن وبمجرد أن فتح عينيه حتى اكتشف أنه لم يكن في بيته، فاستفاق تمامًا، قفز وأخذ يحملق حوله في هذا المكان الغريب عليه. تذكر شيئاً فشيئاً، وعرف ما

هذا المكان، وما الذي فعله ليلة أمس، وهذه المرأة التي كانت في أحضانه...

أدرك لي دونغ باو أنه وقع في علاقة مع هذه المرأة، نهض مستاءً وارتدى ملابسه، وما كان ليلحظ بالطبع التغيير الذي طرأ على ملابسه بعد ترقيعها، طار راکضاً نحو الأسفل، فرأى وي تشون هونغ مالكة المطعم تجلس في الطابق الأول تقطع الخضراوات. سمعت وقع خطوات، فخفضت رأسها في خجل، وقالت حتى دون أن ترفع جفניה: «هل استيقظ الأمين لي؟ لتجلس قليلاً، سأقوم بطهي كرات الأرز اللزج».

«هل كنتِ أنتِ ليلة أمس؟ أعترف بخطئي. قولي لي، ماذا تريد مني». وقف لي دونغ باو على الدرج ناظرًا إلى وي تشون هونغ، يقول في نفسه كيف ظن ليلة أمس أن هذه المرأة هي بينغ بينغ. شعرت وي تشون هونغ بالمرارة بينما تسمع هذا الكلام الذي بلا عاطفة، على أنها نهضت وكأن شيئاً لم يحدث، وقالت في تودة: «ما الذي سأريده منك، أنت أرمل وأنا أرملة، ولم تؤذ أحداً. لن أطلب منك شيئاً. كرات الأرز على وشك أن تنضج، انتظر قليلاً».

نظر لي دونغ باو في حيرة من أمره إليها وهي تدخل إلى المطبخ، وقال في نفسه أنه لطالما اعتقد أن هذه المرأة مستقيمة للغاية، فكيف تتعامل مع علاقة الرجل بالمرأة بهذا التساهل. فكر وفكر، لم يكن يريد أن يأكل أي كرات، فمشى بخطى واسعة إلى خارج المطعم. ظل يتحسس جيبه كثيرًا ولم يجد مفتاح الدراجة النارية، فجاءته همهمة ناعمة قادمة من الباب: «على الأقل تناول

إفطارك ثم غادر، المفتاح معي». انتهت من كلامها واستدارت متجهة إلى الداخل. لم يملك لي دونغ باو خيارًا آخر، نظر حوله شاعرًا بالذنب فلم يجد أحدًا، فتبعها مسرعًا إلى الداخل. ولكنه لم يقبل أن يذعن بسهولة، فتبعها إلى المطبخ وقال لها: «أعطني المفتاح. فكري جيدًا، ماذا تريد مني، ولكنني أقول لك، أنا لن أتزوج ثانية».

«ومن لا يعرف حكايتك، لديك ماضي، ولدي أيضًا. كما أنني لا أريد أن أتزوجك، لا تحلم بذلك، هل تظن أن الجميع يتهافت عليك؟».

«إذن فماذا تريد مني؟ لست محتاجة إلى الاحتفاظ بالمفتاح، قل لي مباشرة، أنا لن أتهرب منك».

«ومن قال إن المسؤولية تقع على عاتقك، بل أنا من أطلب منك أن تسامحني، أنت من كنت ثملًا مساء أمس وليس أنا. عليّ أن أعتذر لك، من فضلك تناول إفطارك ثم غادر».

قال لها لي دونغ باو دون أدنى تهذيب: «ماذا تقصدين بالضبط؟».

كانت وي تشون هونغ غاضبة ومتوترة، احمرَّ وجهها بالكامل: «لا ترتب، أنا لا أريد أن أتهمك بالباطل، كما أنني لست امرأة منحلة. ولكن... ولكن أولم يكن الحديث يدور بيننا كل يوم على ما يرام، أنا فقط... فقط... إنسانة وحيدة... يجب أن تفهمني، حسنًا، لم يكن عليّ أن ألتصق بك، اضربني أو عاقبني كما شئت، لدي الشجاعة لقبول عواقب فعلتي». حملت صحنًا أبيض مزرکشًا

بالأزرق ومليئًا بكرات الأرز اللزج مع البيض، ولم تنظر إليه، ثم خرجت به إلى صالة المطعم. عادت ومرت بجانبه، وأخرجت صحنًا جديدًا، ثم أخذته إلى الخارج أيضًا.

أخذ لي دونغ باو يحدق فيها وهي تدخل وتخرج، فأحس وكأنه في حلم، وأخذ قلبه يدق بجنون. قال في إصرار: «أعطني المفتاح، لن أكل». رفعت رأسها فجأة، وبدت عليها الرغبة في البكاء، حدقت فيه بعينين حمراوين، أخرجت المفتاح وألقته على الطاولة فجأة، وصرخت فيه: «ابتعد من هنا، لست رخيصة إلى هذا الحد».

أخذ لي دونغ باو المفتاح وغادر. لكنه توقف بعدما خرج من الباب وأخذ يفكر قليلاً، وكأنه شعر بالأسف قليلاً تجاهها. لكنه لم يعد أدراجه، وامتطى الدراجة النارية مغادرًا وكأنه يهرب.

في الطريق، لم يجرؤ لي دونغ باو على تشغيل عقله، خشي أن يتراءى أمامه لا إرادياً مشهد تلك الليلة، أحس أنه وغد وبحق، كيف له أن يصعد إلى فراش امرأة لا تربطه بها علاقة؟ كان عليه أن يقاوم التذكر، أن يغلق مخه. لكن يبدو أن الرب لم يكن يريد أن يعتقه، إذ اتجه بنفاد صبر إلى طريق قرية شياوليغيا، وكان يجب أن ينحني إليه ويحييه شخص من بين كل عشرة أشخاص يقابلهم، وكان محتوى ما يقولون يدور حول «لم يقض الأمين دونغ باو ليلة أمس في المنزل». لم يعرف كيف يرد عليهم، لذا فكان يسمعهم دون أن يلقي لهم بالأبلا استثناء، ويمر دون أن يحيد بنظره إليهم.

لكن وكلما أراد الهروب عجز عنه. وصل إلى القرية، ناوله شي قن ورقة وأخبره أن جاءه اتصال من بضعة أشخاص يريدونه، وقع

نظر لي دونغ باو أولاً من بينهم على سونغ يون هوي، وكانت رؤية عائلة سونغ بالنسبة إليه بمثابة رؤية سونغ يون بينغ، حينما رأى اسم سونغ يون هوي تحفز وتغيرت تعابير وجهه بشكل لافت. رآه شي قن بالجوار فقال مندهشاً: «ماذا هناك؟ ليست لدينا ديون لأحد هذا العام».

هزَّ لي دونغ باو رأسه يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وأثار إلحاح شي قن في السؤال شعوره بالجُرم الذي اقترفه. لقد فعلها وانتهى الأمر، فهل ما زال خائفاً من مواجهة الناس؟ أخذ مقعداً وضربه على الأرض على غير عادته بقوة شديدة، ونقل الهاتف ليهاتف سونغ يون هوي. سمع الصوت المألوف له قادمًا من الطرف الآخر للهاتف، وعلى العكس صاح فيه بعنف وكأنه يستجوب سجيناً: «ماذا تريد مني؟». فقال له سونغ يون هوي متعجباً: «ماذا بك، ألا يمكن أن أطلبك؟ إذا كنت مشغولاً فلا ترد، ولا تعاود الاتصال وأنت منفعل هكذا، فما من أحد يريد استفزازك».

نَفَسَ لي دونغ باو عن غضبه المشحون قليلاً أمام سونغ يون هوي الذي لم يكن يهابه: «لقد صرت متعجرفاً جدًّا الآن، أتصل بك وأجد امرأة تقف خصيصاً حائلاً وتمنع الاتصال، اللصوص هم المتعجرفون، المسؤولون ليسوا كذلك».

كان سونغ يون هوي مندهشاً من لي دونغ باو الذي جن جنونه ويريد أن يثير غضبه، ولكنه تعمد ألا يتصدى له، كما توقف عن انتقاده بسخرية، وانتقل مباشرة إلى الكلام الجاد: «تناقشت مع أبي وأمي مساء أمس، وقررنا ألا نعود إلى بيتنا القديم في عيد الربيع

هذا العام. هاتفتك ثلاث مرات ليلة أمس، وكانت والدتك تقول دائماً إنك لم تعد بعد، أين كنت؟».

ربط لي دونغ باو بين عدم مجيء عائلة سونغ لقضاء عيد الربيع وتسكعه ليلة أمس وكأنه لص يعرف أنه ارتكب جُرمًا، فسأله في قلق: «لماذا لن تأتوا؟ لماذا لن تأتوا؟ ألم نتفق قبل رأس السنة؟ ألا تعتبروني أحد أقربائكم؟». وفي ظل الاستجواب العنيف من لي دونغ باو، ما كان من سونغ يون هوي إلا أن يمتنع عن اتخاذ أي موقف عدائي، وأجابه بصدق: «كنا نريد في الأصل أن نعود، فليس أبي وأمي فقط من يفقدون البيت، أنا أيضًا أفقدته، كما أريد أن أراك، ولكنك تعلم أن الالتهاب الكبدي الوبائي منتشر كثيرًا مؤخرًا، لا بأس بالنسبة لنا نحن الكبار، ولكننا نقلق من أن تصاب ين الصغيرة وهي طفلة بالعدوى. أخي، إذا استطعت الخروج فتعالِ إلى هنا لبضعة أيام، أحضر والدتك معك، بيتنا دافئ».

كان سونغ يون هوي صوته وديع لطيف، يتحدث مثل سون يون بينغ تمامًا، فكان له تأثير مهدئ غريب على لي دونغ باو، يجعله يضع عنه غطرسته ولا يستطيع أن يثير المشاكل بأي طريقة. نفّس لي دونغ باو عن غضبه حتى لم يعد فيه طاقة: «حسنًا، أنا لا أستطيع الخروج هذه الأيام، فكيف سأتي إليك في عيد الربيع وهو مستمر لبضعة أيام. ثبتّ سريرك قليلاً من أجلي حتى لا يهتز بمجرد أن أتقلب عليه».

كان سونغ يون هوي يشعر بأن لي دونغ باو يكتّم شيئًا في قلبه، ولذلك كان يسلك هذا السلوك غير المعتاد، فاستمر في الحديث

معه بشكل لطيف: «أخي، يجب أن تأتي، لستُ أنا فقط من ينتظرك، بل أبي وأمي أيضًا، أقاربنا محدودون، وأكثر من نتطلع إلى مجيئه في عيد الربيع هو أنت».

أصبح لي دونغ باو فجأة عاجزًا عن الكلام، وظل مختنقًا طويلاً، لم يبالي بشي قن الذي كان يمتنع عن المغادرة منذ قليل وقد أسرع بالخروج من الباب، وكان جريئًا بما يكفي لكي يقول له: «لا وجه لدي ألقاكم به».

حينما قال هذا الكلام، لم يصدف فقط سونغ يون هوي الذي كان على الطرف الآخر من المكالمة، بل صدم شي قن الذي كان يقف عند الباب أيضًا، وارتبط تفكير كلاهما بعدم عودته إلى بيته مساء أمس، واستطاعا تخمين نوع الأمر الذي فعله ليلة البارحة. شعر سونغ يون هوي بوخزة في صدره، وعجز عن الكلام للحظات، ظل يحملق مذهولاً في الرسومات التي كانت تملأ الطاولة. كان لي دونغ باو ينتظر بنفاد صبر انتقاد عائلة سونغ له متمثلة في سونغ يون هوي، ولكنه لم ينتظر رده لفترة طويلة، وكان قلقًا ما جعله يشرب مرة أخرى: «ألا زلت تريدني أن آتي إلى بيتك؟».

تنهد سونغ يون هوي طويلاً: «أخي، لا بد وسيأتي الوقت الذي تنسى فيه، بيتنا مفتوح لك دائماً». فازداد لي دونغ باو قلقًا: «ليس الأمر كما تظن، لم أنس، ولكنني... لقد شربتُ ليلة البارحة حتى ثملت، ثملت هل تفهم؟». فرد عليه سونغ يون هوي بنبرة لطيفة مصطنعة: «أخي، لقد مر ما يقرب من خمس سنوات، يجب أن تكون لك حياتك الخاصة، جميعنا رجال، إنني أتفهمك. أخي،

ليس عليك تبرير هذا الأمر، فأنا دائماً ما أنصحك بأن تبحث عن واحدة أخرى».

«هراء! هل ترمي بقسمي عرض الحائط؟ هراء! هراء!». كان تفهم سونغ يون هوي له يزيد من قلقه حتى كاد أن يقفز ويطيح في الغرفة جنوناً.

قال له سونغ يون هوي في هدوء: «بل أنا الذي لطالما اعتبرت قسمك هراء. ليس لأنني لا أثق في إخلاصك، ولكنني أتفرس مشاعر الناس ورغباتهم. أنت رجل طبيعي، مفعم بالطاقة أكثر من الرجال العاديين، لم تجرؤ عائلتنا أن تصدق أن بإمكانك البقاء أعزب لمدة خمس سنوات. ستكون روح أختي التي في السماء ممتنة إذا بحثت عن سعادة جديدة. لنهي حديثنا، أنا مشغول، يمكنك أن ترى رد فعلنا في البيت إذا أتيت لزيارتنا في عيد الربيع».

وضع سونغ يون هوي سماعة الهاتف في برود، ولم يملك إلا أن التقط كوباً من الشاي وطرحه أرضاً بكل قوته، فأفزع زملاءه في العمل ممن كانوا يمرون بجانبه وأصابهم بالرعب، كانت المرة الأولى التي يرون فيها سونغ يون هوي غاضباً بهذا الشكل. صحيح، لطالما نصح لي دونغ باو بعقلانية أن يبحث له عن زوجة جديدة، لكن وحينما ظهر هذا الأمر أمامه كان صادمًا له، وعجز فجأة عن تقبله، عجز عجزاً شديداً عن تقبله. هل يمكن أن يكون هذا الشخص قد نسى أختي؟ بهذه السهولة؟

كان لي دونغ باو في أوج غضبه بمكتب القرية، ماذا، هل كانت عائلة سونغ دائماً ما تعتبر قسمه هراء؟ لم يسبق لهم وأن صدقوه؟

ألا تصدقه روح سونغ يون بينغ التي في السماء أيضًا؟ لكن أكثر ما أثار غضبه هو أنه خيب آمالهم وتجاوز حدوده ولم يستطع الصمود. أما عن قسمه فقد أداه أمام روح بينغ بينغ، فإذا لم يوفَّ قسمه وكان كلامه الذي قاله فعلاً هراء، هل يستحق أن يكون إنساناً؟

سمع شي قن الذي كان في الغرفة بالجوار صوت ثورة لي دونغ باو، فأيقن تقريباً ما الذي حدث ليلة أمس، كان يفهم لي دونغ باو منذ سنوات طويلة، ويعلم أنه إنسان نقي، نقي حقاً في بعض النقاط، كان لا يخطف ولو نظرة لكل تلك النساء اللاتي يقابلهن من أجل قسم واحد، وعلى العكس من رجال الكثير من القرى الذين يحبون أن يسخروا من نسائهم بكلمات بذيئة، لم يسبق وأن فعل لي دونغ باو ذلك. لم يكن يتقبل شي قن أن يرى لي دونغ باو وقد جن جنونه، بل لم يكن يتقبل أن يراه الآخرون وقد جن جنونه ويتهامسون فيما بينهم بذلك ويدمرون صورته. بذل قصارى جهده ليجبر نفسه على التفكير في هدوء لفترة، قفزت إلى رأسه فكرة، سار متجهاً ناحية مكتب لي دونغ باو، وقال متظاهراً بأنه لا يقصد: «دونغ باو، إنهم يذبحون الخنازير في المزرعة، اذهب بسرعة».

ما إن سمعه لي دونغ باو حتى إندفع خارجاً بعينين حمراوين كما توقع.

هاتف شي قن تشونغ فو في مزرعة الخنازير فوراً، وطلب منه أن يسلم لي دونغ باو سكين الذبح بمجرد أن يراه، وأن يتحاشاه الجميع.

مر الكثير من الوقت، سأل تشونغ فو شي قن بنبرة فضولية، لقد ذبح الأمين بالفعل ما يزيد على عشرين رأساً لتجهيزها من أجل

عيد الربيع، فهل أجعله يذبح أكثر مما خططنا له؟ سأل شي قن عن لي دونغ باو الذي أنهكه التعب، وجلس عند بوابة المسلخ واجمًا، فمضى مسرعًا إلى مزرعة الخنازير، وجر جر لي دونغ باو الذي كان يشبه الكرة المطاطية في يده إلى مكان خالٍ إلا من القليل من الناس، جلسا في هدوء يتحدثان.

«دونغ باو، هل تعرف أن زوجتي غيورة بطبيعتها؟» نظر شي قن إلى لي دونغ باو، فرآه وكأنه لم يصدر ردة فعل، لكزه بمرفقه، «أنا أتكلم، هل تسمعي؟».

«أسمعك، من لا يعرف أن زوجتك غيورة؟» وكان لي دونغ باو خائز القوى بالكامل، تغطي جسده الدماء، وكأنه ضرب بوحشية، إلا أنه كان ما زال يتحدث بلهجة قوية.

«نعم، زوجتي تصغرنى في العمر بكثير، وأكثر ما تحب هو أن تتدلل عليّ، تريدني دائمًا أن أقسم لها بأنها وحدها ستكون في قلبي إلى الأبد. أقسمتُ طبعًا، أليس هذا واضح؟ ولكنها لم ترضَ، وأصرت ثانية على أن أقسم لها بأنها ستظل زوجتي الوحيدة إلى الأبد، إذا ماتت الآن فليس أمامي سوى الإبقاء عليها وحدها، أي أنني سأقتدي بك».

فقال لي دونغ باو بصوت مختنق: «بئس القدوة».

انتهز شي قن الفرصة وقال: «نعم، سيقول جميع الرجال مثلما تقول. أنا لم أخف عن زوجتي شيئًا، ولا أخشى غضبها، شرحتُ لها بواقعية، يستحيل أن تطلب من رجل في عمر الشباب أن يتحمل طوال حياته، ولكنني سأجعلها إلى الأبد في المقام الأول بقلبي،

ولن يستطيع أن يحتل أحدًا آخر مكانها. ذهلت زوجتي في البداية وتشاجرت معي، وأرادتني أن أوقع وأبصم على أنني لن أحظى سوى بها طوال حياتي، لكنها سببت ضجيجًا ليومين ثم فطنت أنه يستحيل هذا. وعلى العكس من ذلك أَلقت باللوم عليّ لأنني واقعي، فلماذا لم أخدعها؟ دونغ باو، أنا أكبرك بوضع سنوات، وقرأت كتبًا أكثر منك، كما أنني لم أقابل في حياتي أقل مما قابلت، اسمع مني هذا، كنتُ أعلم منذ وقت طويل أن هذا اليوم سيأتي عاجلاً أم آجلاً، من الأفضل لك أن تقر بالواقع وتعايش معه. يعرف الجميع أن زوجة أخي تحتل المقام الأول في قلبك، ولا يمكن أن يستبدل بها أحدًا، لست مضطرًا إلى أن تعاني من أجل إثبات شيء، حتى زوجتي التي تغار بكل هذا الحد لا يمكنها ألا تعترف بمثل هذا الأمر، لطالما كانت زوجة أخي الأكثر عقلانية، فهل يمكن ألا تتفهمك؟ بل لربما أنها تدعمك».

«هراء، لا يمكن». حملق شي قن في تعبيرات وجه لي دونغ باو، وتكهن بما دار بينه وبين سونغ يون هوي في المكالمة، ثم أعاد التفكير فيما يقال من أن سونغ يون هوي سبق له وأن نصح لي دونغ باو بالزواج مرة أخرى، فجازف وقال: «ليس الأمر أنه لا يمكن. إن عائلة سونغ لهي أدري برأي زوجة أخي، من المحتمل أن يكونوا موضوعيين أكثر منك. إن عائلة سونغ من ناحيتهم لا يمانعون».

«لا يمكن، لا يمكن، لا يمكن...».

«أهم من ذلك كله أن زوجة أخي في قلبك. إذا ما كنت تعيشًا في حياتك فسوف تعاني من أجلك. دونغ باو، لا تكن ضيق التفكير، اسمع كلامي».

ربت شي قن على كتف لي دونغ باو، ونهض مغادرًا، أراد أن يترك له مساحة ليفكر جيدًا في الأمر. لكنه لم يلبث أن مضى بضع خطوات، حتى سمع صوت حركة من خلفه، فاستدار ليجد لي دونغ باو يتبعه بوجه مستاء. سارع بالقول: «دونغ باو، ما من أمر كبير اليوم، سأحل أنا أمر توزيع اللحم».

«أنا الأمين». قالها لي دونغ باو واستمر في السير بصوت مختنق. تبين شي قن أن هذه هي شخصية لي دونغ باو، حتى ولو سقطت السماء فما زال يتعين عليه أن يقوم بواجباته، إذا ما أردنا أن نقولها بشيء من اللطف، فإنه ماثب لا يكل، وإذا أردنا أن نقولها بفضافة، فهو في بعض الأحيان عنيد متصلب الرأس. لهذا السبب فحينما توفيت سونغ يون بينغ في الماضي لتوها عانى في الواقع حتى نرفت معدته.

ولكن شي قن لم يجرؤ أن يتوانى ولو قليلاً، كان يتابع مزاج لي دونغ باو طوال اليوم، ولحسن الحظ كان وجه لي دونغ باو متجهماً اليوم بأكمله، وعلى العكس فإنه لم يغضب. لكن وبعدها تم توزيع بضائع العام الجديد، وبينما يتفرق الناس من حوله، سأل شي قن: «لماذا استطاعت أمي أن تتحمل؟». فذهل لي شي قن: «المرأة تختلف عن الرجل».

فخرج لي دونغ باو باستنتاج غير متوقع: «المرأة التي لا تستطيع أن تتحمل رخيصة جدًا، والرجل الذي لا يستطيع أن يتحمل رخيص جدًا أيضًا».

«ألا تقول إنك كنت ثملاً؟ لا يمكن إصاق التهمة بك ما دمت في حالة سُكر». فقال لي دونغ باو بنبرة مختنقة: «أنت لا تعرف شيئاً. آه، أنت لا تعرف شيئاً، سأغادر».

خجل لي دونغ باو من أن يقول إنه لا يجرؤ على إعادة التفكير في ليلة البارحة، وكان من بين أسباب ذلك أنه، وناهيك من شعوره بأنه رخيص، فقد كان سعيداً، أحسنَّ بأن هذا هو أكثر ما يجعله يشعر بالأسف تجاه سونغ يون بينغ.

في ذلك العام الذي رحلت فيه سونغ يون بينغ لتوها، وكان يحمل حزناً حارقاً في داخله، ظل موفياً بوعدته إلى اليوم، واستطاع أن يلجم نفسه. لكن وبعدهما ذاق حلاوة هذه الليلة، ونام ليلته وحيداً، صار من الصعب على جسده الفتّي الملتهب أن يكبح جماح رغباته. كانت رغبته في ذلك تزداد إلحاحاً، ويزداد معها الصراع الذي يدور في داخله حدة، بدا وكأنه لا يستطيع التحمل بمرور يومين أو ثلاثة، حينما خرج في وضح النهار ورأى النساء الشابات، شعر بأنهن جميعاً فائنات للغاية. ولحسن الحظ فسرعان ما حلَّ اليوم الأول من السنة الصينية الجديدة، استجمع بعدها شجاعته وحمل أمتعته واندفع ذاهباً إلى بيت سونغ يون هوي.

سبق وجاء لي دونغ باو إلى جيتتسو، فإما لا يستطيع سونغ يون هوي أن يغادر، وإما يكون مجيء لي دونغ باو وذهابه غير مؤكد الموعد، فلم يستقبله من قبل. لكن مجيء لي دونغ باو هذه المرة، ولأنه كان يتزامن مع إجازة عيد الربيع، كما كان سونغ يون هوي يعرف بأنه مهموم، ذهب مبكراً قليلاً إلى الطريق الوحيد للدخول والخروج في منطقة المهجع.

على الرغم من أنه كان مستاءً منه حينما اتصل به في ذلك اليوم، ولكنه فكر لاحقاً في الأمر ثانيةً، على المرء أن يكون عادلاً قليلاً، لقد عانى لي دونغ باو بالفعل إلى اليوم ليظل على ما هو عليه، وكان يرعى عائلة سونغ تمام الرعاية، فعلى مدى تلك السنوات القليلة الماضية، لم يكن بينهم صلة دم، ولكنه كان أفضل من أقارب الدم، فعلى أي أساس يريد أن يحاسبه؟ من الناحية العقلانية ينبغي عليه أن يبارك للي دونغ باو. حينما استقبله عند مفترق الطرق، ما كان منه إلا أن عبّر له عن موقفه، حتى يزيل عنه الشعور بالإحراج عندما يذهب إلى بيته.

كان عدد من يركبون الدراجات النارية في هذا العام قليلاً بعد كل شيء، بل وأقل منه عدد من يركبون الدراجات النارية عالية الطاقة التي تبلغ قيمتها بضع عشرات الآلاف من اليوانات. ترجل لي دونغ باو من عليها بشكل مهيب كما لو كان يترجل من على حصان ضخّم، تنهد سونغ يون هوي من قلبه بينما ينظر إليه، فكيف لرجل مميز مثل لي دونغ باو أن يتحمل إلى هذا اليوم، صعب جداً. كان هو الآخر رجلاً ممتازاً، يبرز بين أقرانه من العمر نفسه في جيتشيو، كان يدرك جيداً السحر الذي يجلبه له وضعه الوظيفي، ومختلف أشكال الإغراءات التي يمكنها إغواءه، في كثير من الأحيان يصعب عليه الوقاية منها، ولم يكن يجرؤ حتى على إخبار القطة الصغيرة، يخشى أن تمتلئ بالشكوك تجاهه باستمرار. كان على ثقة بأن النساء اللاتي يُبدن سحرهن حول لي دونغ باو لسن بالقليل، تتحين الكثير منهن الفرصة التي يمكن أن يستفدن فيها من ضعف إرادته، كانت فرصة حقيقية بعد الإفراط في الشرب، أراد سونغ يون هوي معرفة تلك المرأة التي قدّرت على فعل هذا.

رأى لي دونغ باو سونغ يون هوي الذي يحييه ملوحًا بيده على جانب الطريق، فشدَّ المكابح فجأة، وكان مرتبكًا تقريبًا. خلع القناع الكبير وصاح بصوت مرتفع: «لماذا انتظرتني؟ كم انتظرت؟».

«ألسْتُ متفرغًا اليوم؟! هل أحضرت أيضًا كل تلك الأشياء؟».

حدق لي دونغ باو في سونغ يون هوي ودخل مباشرة في صُلب الموضوع: «هل عندك كلام تريد أن تقوله لي؟ قل مباشرة».

ضحك سونغ يون هوي، وتطلع إليه قائلاً: «جميعنا بشر، فعلاَمَ تعامل نفسك على أنك إله؟ حتى الكائنات الخارقة تفكر في المملذات الدنيوية. لماذا أنت متوتر إلى هذا الحد؟ لنذهب، كنت قلقًا من أن تأتي إلى جيتتسو ولا تجرؤ على دخول بيتي، فتحملت عناء الانتظار هنا لأكثر من ساعة».

ارتبك لي دونغ باو عند سماع هذا: «من الذي لا يجرؤ؟ أنا، لي دونغ باو، لا أقوم أبدًا بمثل تلك الأفعال المضجرة». استمر سونغ يون هوي في الضحك: «يوجد شيء آخر، اجعلني أنبهك أولاً، لا تخبر أبي وأمي بهذه الأمور التي فعلتها..».

فقال لي دونغ باو فورًا في حالة من التأهب: «هل سيغضب أبوك وأمك؟ هل سيتبرؤون مني؟».

«كُفَّ عن ذلك! إن أبي وأمي صارا يعتبرانك ابنًا لهما، فمن الذي سيغضب منك؟! ولكن هناك بعض الأمور التي تكون فعلتها وانتهى الأمر، لا ينبغي عليك أن تتحدث فيها. هل ترى أنه من المناسب أن تتحدث في هذا بمنزلي الذي يعج بكبار وصغار السن؟ علاوة على ذلك فعليك أن تقدم لي مساعدة، تعلق كاي

يان دائماً من اختطاف النساء الثعلبات في الخارج زوجها، وإذا قلت لها شيئاً كهذا ستجعلها تعرف أن تلك الثعلبات التي بالخارج في مقدورهن فعل هذا، ألن تضايقني بهذا كل يوم؟ إياك أن تتفوه بكلمة من شأنها أن تهدم استقرار ووحدة بيتي».

رضخ لي دونغ باو لسونغ يون هوي لا طواعيةً: «أليست تشنغ الصغيرة عقلانية؟».

«النساء يفقدن المنطق بمجرد أن يصبحن أمهات، ألم تتغير أختي عليك حينما صارت حاملاً في الماضي حتى كدت لا تطيق؟ هيا، تأخر الوقت، يجب أن نتناول طعام الغداء».

لقى لي دونغ باو نظرة على سونغ يون هوي الذي كان يرتدي ثياباً عادية، ولكنه كان أنيقاً مفعماً بالحياة، فلم يتمالك نفسه وغمغم قائلاً: «أنت جذاب حقاً، يتوجب على تشنغ الصغيرة فعلاً أن تبقي عينيها عليك».

«لا تجلب لي المزيد من المتاعب، أنا متضايق بما فيه الكفاية».

وحينما وجد سونغ يون هوي أنه نجح بالفعل في صرف انتباه لي دونغ باو بعيداً، توقف عن تشويه صورته، «هل شياولي جيا على ما يرام هذا العام؟».

«أنا موجود، فكيف لن تكون على ما يرام؟ يمكن لمزرعة الخنازير هذا العام أن تستخدم أموالها الخاصة في التوسع، يملك مصنع الكابلات الكهربائية سيولة كبيرة لدرجة أنها تفيض عن احتياجاته ويودعها في البنك، يعاملني البنك معاملة المقربين، ولم أعد أحتاج للجوء إلى الأمين ورئيس المحافظة إذا ما أردت أن أقترض بعض المال كما كان في الماضي».

«نعم، فالبنوك تغير الآن من أساليبها من أجل جذب الناس لإيداع المال، لكنهم مهما فكروا في حلول فلن يستطيعوا جذبي، أنا لا أملك المال. نحن العاملين في المصانع الآن صرنا أفقر من في المجتمع. هل سيكون من الأسهل قليلاً عليك الحصول على قرض في المستقبل؟».

«نعمتد على القروض كثيرًا، فليس هناك من يرمى مؤسساتنا في البلدة. ولكنني أجد حلاً دائمًا، اطمئن. أنتم حقًا لستم على ما يرام الآن، كلما مرَّ الوقت صرتم لا تضاهون بائعي البيض المسلوق في ورق الشاي. تعال وساعدنا في بدء مشروع كبير بالقرية».

قال سونغ يون هوي مبتسمًا في قلة حيلة: «أراك مرنا، لست مثلنا، هل تعلم في ماذا يتناقش العاملون بالمصنع هذه الأيام؟ كل أولئك الأشخاص الأذكى، حسب أحدهم أنه وبمعدل الفائدة الحالي، إذا أودع مائة يوان لمدة ثمان سنوات، فسوف يتضاعف المبلغ بالضبط عند سحبه. ويقول آخرون لا يضاهي ذلك الادخار في العقارات والاستفادة من ودائع التوفير المميزة، مائة ألف عائلة بمثابة وحدة واحدة، سيضمنون فوز شخصين فقط بسكن تجاري في اليانصيب، ومن لم يفز فسيحصل أيضًا على بعض الفوائد. قل لي هل يمكن أن يعمل جيدًا من يصب تفكيره في هذا الاتجاه؟».

ضحك لي دونغ باو عندما سمعه: «تملكون الكثير من المهرة في مصنعكم، ولكنهم جميعًا لا يتقنون أعمالهم، خسارة».

«أنا أتقن عملي دائمًا، ولكنني لا أتحصل على ما يتحصلون عليه وهم يذهبون إلى العمل لقراءة الصحف وشرب الشاي، بمرور الوقت صرت الآن في النهاية أفقد التوازن».

«أنا أيضًا غير متوازن، يقول هؤلاء العجائز كلهم في المحافظة  
إننا صرنا أثرياء فجأة، ولكننا جميعًا حصلنا عليها بالكد والتعب،  
مقارنة بهؤلاء العصابة من المسؤولين، قل لي أنت، كيف لهم  
أن يثرثروا ويبيعوا الوهم بموافقات غير رسمية على الوثائق،  
ويعتمدون على علاقاتهم في التفاوض على ترقية، وفي المقابل  
يحصلون على أكثر من مائة ألف يوان كعائد لهم؟ لقد اختلس  
الأمين السابق في الماضي بضع عشرات الآلاف من الحيوانات  
من أموال القرية وكان يخجل حتى من مواجهة الناس، أما الآن  
وأموال الدولة هي التي تُختلس، فمن الذي سيعتبر بضع عشرات  
الآلاف من الحيوانات رقمًا مهمًا؟ عاد بعض الطلاب الجامعيين في  
قريتنا هذا العام للاحتفال بالعام الجديد، حدثتهم عن الكدح من  
أجل الثراء، فعارضوني، وذكروا لي شيئًا يدعى إصلاحات أوروبا  
الشرقية، يريدون تجربتها في شياوليجيا، اللعنة، كيف لي أن أفعل  
في شياوليجيا هذا الأمر الذي لا ملامح له؟».

ضحك سونغ يون هوي، ولكنه لم يستطرد معه في الحديث؛  
لأنهما وصلا إلى منطقة مجمع منازل المديرين. كان لي دونغ باو  
قد تخلص من عبئه النفسي منذ وقت طويل، فحينما رأى الفناء  
الأمامي لبيت عائلة سونغ يحوي أزهارًا وخضراوات مزهرة  
ومورقة، لم يتمالك نفسه فضحك عاليًا وقال: «هاها، نسيت أن  
أحضر معي كيسًا من روث الخنازير، الموت لي».

بدا صوت لي دونغ باو مثل الرعد، فسمعه من في البيت من  
على مسافة بعيدة، فخرجوا جميعًا لاستقباله على الباب، وكان  
استقبالهم له حارًا بما لا يوصف. فقط لم تتحمل ين الصغيرة  
رؤية هذا العم ذي المظهر الشرس، ولكن لي دونغ باو لم يأخذ

الأمر على محمل الجد، فقد تعود منذ زمن طويل، ولا يوجد طفل صغير لا يبكي حينما يراه. وأمام الدفء الذي عامله به أفراد عائلة سونغ كبيرهم وصغيرهم وكأنه ابنهم الثالث، تخلص لي دونغ باو بشخصيته هذه من شعور الذنب الذي كان بقلبه سريع التأثر بالكامل، وكان يعلم بوضوح شيئًا واحدًا، وهو أن قلبه لا يوجد به سوى سونغ يون بينغ. كان سونغ يون هوي يعرف أن لي دونغ باو كان صادقًا عندما ذكر له هذه النقطة، وفي الحقيقة، فلعل أخته لاحقًا قد لا تكون وحدها في قلبه، ولكنها ستكون الأهم بالتأكيد، لا يمكن أن يحدث غير هذا.

شعر لي دونغ باو وكأنه تحرر بعدما عاد من بيت عائلة سونغ.

## 5 مكتبة

t.me/soramnqraa

لم يتصور سونغ يون هوي أن يتلقى اتصالاً من يوي شان تشينغ في عيد الربيع، سمع صوت يوي شان تشينغ على الهاتف، فلم يتمالك نفسه ونظر إلى تشنغ كاي يان نظرة استغراب، حينما رآته يتصرف بغرابة، قفزت إلى الأمام وانحنت على كتفه تريد السمع، لم تخيل أنها ستسمع صوت رجل. عندما رآها سونغ يون هوي متيقظة له من جديد دونما سبب، تحدث مباشرة على الهاتف، ليجعلها تبين من هو الطرف الآخر: «هل استقررت يا يوي الصغير؟».

«استقررت للتو مع زوجتي وابني، والتمستُ المساعدة من هنا وهناك حتى أتمكن من تركيب الهاتف. بالمناسبة، هل تعرف بمن اتصلت للتو من على هذا الهاتف لأهنته بالعام الجديد؟».

ضحك سونغ يون هوي: «الأمين شوي».

ضحك يوي شان تشينغ هو الآخر: «خمن ماذا قال لي؟».

«ترو علي قليلاً، ما زلتُ في جيتشو».

ضحك يوي شان تشينغ ثانيةً: «شخص فاهمٌ مثلك لماذا لا يزال باقيًا يعاني في جيتشو؟ أنت لا تعرف كم كنتُ فخورًا وراضيًا عن نفسي في تلك المكالمة التي قمت بها للتو. إذا نُقلت الأشجار تموت، أما الإنسان فإذا انتقل تدب الحياة فيه». لم يرغب سونغ يون هوي في سماع هذا الكلام، فبعض الأمور إذا تعمقت في معرفتها ستجلب لك المزيد من المتاعب: «وأين تتخذ شجرتك الحية موطنها الآن؟ ماذا فعلت في تسجيل الأسرة؟ وما رقم هاتفك؟».

فهم يوي شان تشينغ تلميحه بسهولة: «هل تفكر في الانتقال أنت الآخر؟ أنا مستقر الآن في منطقة وسط المدينة، وقد ساعدني مين وشوي معًا في حلّ أمر تسجيل الأسرة وعمل زوجتي، هل تتصور؟ كل هذا بفضلك لأنك نصحتني بأن نفرق على خير كما اجتمعنا على خير. سيكون الأمر أسهل بالنسبة إليك إذا ما فكرت في المغادرة، سيقم مين بالتأكيد بالاحتفالات ويوفر لك أفضل وضع، فبمجرد أن تومئ برأسك موافقًا على مغادرة جيتشو، ستجد الكثير من أمثال وودا لانغ<sup>(1)</sup> في هذا العالم».

«هذا صحيح. كيف الحال، إلى ماذا تخطط في الخطوة

القادمة؟».

---

(1) شخصية في الرواية الصينية الكلاسيكية «حافة الماء»، قصير القامة، قبيح، غالبًا ما يتعرض للضرب والإهانة من زوجته التي خانته وسمته.

«تجارة بسيطة، تجارة بسيطة. عليّ أن أطلب منك لاحقًا بصفتك كادرًا في النظام أن تشملني برعايتك. أنت شخصٌ له مستقبل، وينبغي عليّ أن أستند على أساس صلب من البداية». ضحك سونغ يون هوي بسماعه له وقال: «تريد أن تستغلي، أنا مهدد بالخطر إذن».

«آه يا سونغ الصغير، سأقول لك شيئًا بصدق ومن قلبي، اعتبرها طريقة لرد جميلك بعدما نصحتني بصدق قبل عام أن أستقيل طوعًا وأغادر. يليق بشخصيتك القيام بأشياء حقيقية، وتأسيس أعمالٍ كبيرة. كان العالم أوسع بالنسبة إليّ عندما غادرت، ولكنك لن تجد بسهولة مسرحًا تنطلق فيه دون قيود إذا ما غادرت. من الأفضل لك أن تجد فرصة للتحدث مع مين، تأكد من الإيجابيات والسلبيات، وإذا ما اضطررت لتقبل وضع أدنى فاقبله، ولا تلبس ثوب المثقف التّن. خذ بكلامي إذا أردت. هيا، أحضر قلمًا لتسجل رقم هاتفني».

لم يتصور سونغ يون هوي حقًا أن يصير يوي شان تشينغ يتحدث بهذه الصراحة المفرطة بعدما غادر، وبدا ما ذكره لاحقًا عن خطة تجارته البسيطة مدروسًا بعناية، كان هذا عالمًا مختلفًا تمامًا عن لي دونغ باو، كما يعتقد أن الأمر يختلف عن تجارة يانغ شيون الصغيرة وما على شاكلتها. على ما يبدو أن يوي شان تشينغ كان يشعر بالقهر من قبل في جينتشو، فقد كان من النوع الذي يطأطئ للقوي ويدهس الضعيف في ظل النظام البيروقراطي لجينتشو، ولكنه صار مرناً خفيًا في نظام السوق الشاسع، الشخصية ذاتها إذا ما وُضعت في بيئات مختلفة لا تكون النتيجة واحدة، والفواكه ذاتها تحمل صفاتٍ مختلفة عند زراعتها في منطقة أخرى. إذن فما

شكل التغيير الذي سيطرأ عليه مستقبلاً في ظل مثل هذا النظام البيروقراطي؟ شعر سونغ يون هوي أنه بالفعل تغير كثيرًا.

ومع ذلك فقد كان يستعد سونغ يون هوي أن يتحدث مع المدير مين بعد عام، تمامًا مثلما اقترح يوي شان تشينغ، فلا يمكنه أن يبقى مستسلمًا. لا من أجل شيء آخر ولكنه في الحقيقة لم يكن يتحمل رؤية حميه في ذلك العمر يتودد إلى الآخرين من أجل أموره وهم يعاملونه بجفاء، لم يعد يتناقش مع حميه كثيرًا الآن في أمور المستقبل، فهو يشعر أن سنوات مجده قد ولت مع «تغيير نظام الحكم» في جينتشو، فلم يعد يكلف حماه بعمل أمور لم تعد في نطاق سلطته، صار يحل أموره بنفسه.

عندما رأت تشنغ كاي يان كلاً من سونغ يون هوي ويوي شان تشينغ يتحدثان في هذا الانسجام، قالت مندهشة: «كيف تحسنت علاقتك بيوي شان تشينغ مع الوقت؟».

«ليس ثمة من يتسم بالشر والخيانة المطلقة». تنهد سونغ يون هوي هو الآخر شاعرًا بشيء في داخله.

«لكن، أولم يكن كل منكما يدبر المكائد للآخر فيما سبق؟ لقد ظلمك كثيرًا في الماضي». لم يتمالك سونغ يون هوي نفسه من الضحك، فالأسود أسود والأبيض أبيض في عالم تشنغ كاي يان: «اطمئني، فأنا لن أورط نفسي مع يوي شان تشينغ. بالمناسبة، لقد وعدتيني أن تذهبي إلى المدرسة المسائية لدراسة اللغة اليابانية بعدما تنتهي من الاحتفال بعيد الربيع، فأين الكتب؟ الكتب والأشرطة التي اشتريتها لك أول أمس؟».

فقالت تشنغ كاي يان فورًا بشكل مثير للشفقة: «سأدرس الإنجليزية، حسنًا؟ ويمكن أن تعلمني ما لا أفهمه».

«أنا أدرس الإنجليزية، وأنت ادرسي بعضًا من اليابانية، نستطيع أن نتبادل التعلم لاحقًا. سأذاكر معك فيما بعد إذا ما كان لدي وقت، لا تخافي».

قالت تشنغ كاي يان بصوتٍ منخفض: «ألا يمكن ألا أدرس؟ كما أنني لا أحتاج إلى اليابانية في الروضة عندي».

لم يكن أمام سونغ يون هوي سوى أن يكون صارمًا قليلًا: «غير مسموح لك بالتكاسل، كلما اكتسبت المزيد من المعرفة ازدادت حكمة، أنت من ستستفيدين بما تعلمت في النهاية».

«ولكن تمويل الجامعة المفتوحة لا طائل منه على الإطلاق».

لم تجرؤ تشنغ كاي يان سوى على الاعتراض بصوتٍ منخفض، وهي تعلم أن كلامها لا مبرر له، ولكنها تأمل لو استطاعت أن تنجح في اعتراضها.

كان سونغ يون هوي يعلم بالطبع فيما تفكر تشنغ كاي يان: «لا تتكاسلي، لقد كبرت بين الصغيرة بالفعل، كما أن أبي وأمي هنا، عليك أن تشحني طاقتك كلما امتلكت الوقت، اقرئي الكثير من الكتب، لا تقرئي لتشيونغ ياو وتسن كاي لون<sup>(1)</sup> طوال اليوم! لن نناقش في الأمر، ستلتحقين بالمدرسة المسائية مع بدء العام الدراسي. والشروط صارت الآن أفضل بما فيه الكفاية، حتى إن المدرسة المسائية فتحت في المصنع الرئيسي».

(1) يُنظر إليهما باعتبارهما الروائيتين الرومانسيتين الأكثر شعبية في الصين.

أصببت تشنغ كاي يان بالصداع، وغضبت حتى إنها لكمت  
سونغ يون هوي الذي لا يضع أي اعتبار لمشاعرها، ثم بحثت عن  
ابنتها لتلعب معها. كان سونغ يون هوي كثيرًا ما يتجاهل مشاعرها،  
ولا يتحدث معها جيدًا مثل أبيها، فلا يمكن أن يكون كل من في  
العالم مثله يطبقون ما يتعلمون.

حينما تم الانتهاء من الاحتفال بعيد الربيع، راقب سونغ يون  
هوي كما هو المتوقع تشنغ كاي يان وهي تتعلم اليابانية، فمهما  
كان مشغولاً، كان يخطف بعض الوقت ليستمع إلى جهاز التسجيل  
ويتابع تقدمها. وإذا كان هناك وقت حينما يعود في المساء، كان  
لزامًا عليه أن يعلمها بعض النطق، وبخاصة أنها لم تكن تستطيع أن  
تذكر جيدًا حروف الكاتاكانا. وفي بعض الأحيان التي يكون فيها  
سونغ يون هوي متعبًا من العمل، ويجدها لا تستطيع التعلم برغم  
تكراره، لا يتمالك نفسه من الغضب قليلاً، ولكنه ما إن يغضب  
حتى تبدأ تشنغ كاي يان تذرف الدموع، فتقلدها سونغ ين وتجهش  
في البكاء بصوت مرتفع، ومن ثم يلقي جميع من في البيت باللوم  
على سونغ يون هوي. صارت تشنغ كاي يان لاحقًا تعاني من  
استجابة شرطية، فما إن ترى اليابانية حتى تصاب بالصداع، وكلما  
نفرت منها داخليًا ازدادت عجزًا عن الدراسة. استغرق الأمر أقل  
من شهر، وأطلق سونغ يون هوي سراحها في شيء من الإحباط،  
وبدلاً من ذلك بدأ في متابعة الأشرطة بنفسه. كان دائماً يتميز بأنه  
يحب أن ينهي ما بدأه، أما عن تشنغ كاي يان التي لم تكن تطمح  
إلى التقدم، فلا حيلة له في ذلك.

حدث ذلك تزامناً مع الوقت الذي أخبرته فيه ليانغ سي شن على الهاتف بأنها صارت تمارس اللغة الفرنسية التي بدأت تتعلمها منذ المرحلة الإعدادية، وأنها تطوعت في مستشفى، ويمكنها الآن مساعدة الأجانب الذين يتحدثون الصينية والفرنسية، وغالبًا ما تفوتها أوقات الراحة، وهي تشعر بالإنجاز كثيرًا. فما كان منه سوى أن يهز رأسه حسرة حينما يفكر في زوجته التي تميل إلى الراحة.

بدأت الشائعات تتردد بين الناس بعد عيد الربيع، بأن يوي شان تشينغ الكفاء عزم على الاستقالة والإلقاء بنفسه في البحر، ولطالما أن العلاقة بين سونغ يون هوي الأكثر كفاءة منه والمدير مين ليست على ما يرام، فإنهم يعتقدون أنه من المرجح أن يلقي بنفسه في البحر هو الآخر. ظنَّ سونغ يون هوي في البداية أنه مجرد كلام فارغ، فمن تقاليد المصنع الرئيسي في جينتشو إنهم حينما يكونون متفرغين ولا يجدون ما يفعلونه يحبون نقل الكلام. ولكنه لم يتصور أنه وفي أقل من شهر تحولت الكذبة إلى حقيقة، وأثرت في النهاية على عمله.

كان ذلك في أحد اجتماعات مناقشة مجموعة أجهزة القياس في فريق التحول التقني. لم يكن سونغ يون هوي على دراية كافية بالأجهزة والمعدات، فلم يستطع أن تكون له السلطة على مجموعة أجهزة القياس، ولكنه اختار التصميم النهائي على أساس فعالية التكلفة، وهذه هي الفكرة عادة في أن تكون القائد العام. لكن وعند اختيار أحد أجهزة الاستشعار، سعى أحد مهندسي مجموعة أجهزة القياس جاهدًا لاقتراح اختيار نوع متقدم من أجهزة الاستشعار، أما سونغ يون هوي فقد كان يعتقد أن إمكانياته عالية جدًا، وأنه لا حاجة

إلى تلك الإمكانيات العالية في استخدامهم المحدود. وفي حالة من اليأس، ألقى ذلك المهندس في مجموعة أجهزة القياس باللوم على سونغ يون هوي ووصفه بأنه لا يملك نظرة بعيدة، وأنه لا يمكن أن يهتم فقط بما يراه مناسبًا أمامه لأنه أوشك على أن يحمل مؤخرته ويغادر. وبخه سونغ يون هوي حينها على هذا الكلام الذي لا أساس له من الصحة، واختار قسرًا وفقًا للتقييم الشامل جهاز الاستشعار الذي حدده. لكنه لم يتوقع أن تنتشر أنباء هذا الاجتماع بأنه كان عاجزًا عن الكلام عند مواجهة الاستجوابات. وقد أثرت هذه الشائعات بشدة على إيجابية الشباب المخلصين المحيطين بسونغ يون هوي والقادمين من الورشة الجديدة.

شعر سونغ يون هوي بضيق كبير، واحتاج إلى أن يفضي بما في نفسه، احتاج إلى أذن تسمع له ولا تنقل ما يقول، ولكنه لم يجد شخصًا كهذا، وسرعان ما جعله ذلك ينفجر، فهو لا يجد إلى جواره صديقًا قديمًا يستطيع أن يجلس ويحكي له كلامًا من القلب إلى القلب. تملك تشنغ كاي يان آذانًا مخلصه، ولكن تساؤلاتها التي تطرحها فقط ستزيد من ضيق سونغ يون هوي حتى لتجعله يتقيًا دمًا. شعر في ذلك الحين ببعض الاشتياق إلى يوي شان تشينغ، كان يوي شان تشينغ، الذي أدرك لاحقًا أنه لا طائل من منافسته، قريبًا منه دائمًا، ولكنه كان أشد اشتياقًا إلى شيون جيان شيانغ، ذلك الصديق ذي الدم الحار الذي أحبه من قلبه.

في ذلك الوقت تحديدًا كانت تشنغ كاي يان لا تزال تتجادل معه في موضوع دراسة اللغة اليابانية، وتحت تأثير مزاج سونغ يون هوي السيئ بشدة، وعلى الرغم من أنه كان ما زال يستطيع التحكم

بنفسه ومنعها من التفوه بكلمات جارحة، لكنه لم يستطع كبح نظرة الازدراء في عينيه، ما جعل تشنغ كاي يان التي لطالما شعرت بالنقص الشديد بسبب الفجوة الهائلة بينها وبينه حساسة للغاية، ونتيجة ذلك أنها أخذت تبكي كثيرًا وتذرف الدموع أمام كتب اللغة اليابانية التي تخلصت منها بالفعل. تسببت الضجة في اعتقاد سونغ جي شان وزوجته، هذين العجوزين اللذين كتب عليهما حل الخلافات إلى بقية عمرهما، أن ابنهما هو من اضطهدهما، وأمرًا سونغ يون هوي بعدم الضغط عليها ثانية لدراسة اليابانية، فتضرع سونغ يون هوي حقًا إلى السماء عاجزًا عن الكلام.

عادت تشنغ كاي يان إلى البيت لتفضي بهومها إلى أمها، وكانت والدتها غاضبة من زوج ابنتها في البداية لأنه غير عقلاني، لكنها حينما تبينت الأمر لاحقًا، وجدت أن زوج ابنتها لم يقل جملة واحدة جارحة، فكان أصهارها جميعهم يتحاملون عليه ويوبخونه، ولكنها لم تكن تعرف أين أخطأ. لكنها لم تقدر على انتقاد ابنتها، وما كان منها إلا أن تحدثت مع سونغ يون هوي من ورائها بلطف، وتمنت منه أن يحتوي تشنغ كاي يان ولا يطلب منها فوق ما تطيق.

وتحت وطأة الضجر الذي يشعر به سونغ يون هوي، قرر أن يتحرر من الحصار. ففي إحدى الليالي، وبعدها انتهى من تناول طعام العشاء، ذهب يطرق باب الأمين شوي، على الرغم من أن هذا الأمر كان بينه وبين مين، ولكن وفقًا للترتيب فمن الأفضل أن يذهب إلى الأمين شوي أولاً.

لم يكن الأمين شوي مندهشًا كثيرًا من ذهاب سونغ يون هوي إليه، فتحت زوجة شوي الباب ورحبت به ودعته إلى الدخول،

ضحكت قائلة: «انظر، هو شاب برغم كل شيء، لم يأت الربيع بعد ولا يرتدي سوى سترة صوفية واحدة».

«إنه الشباب! لقد شاب شعر جميع الكوادر من رتبة رؤساء الأقسام فيما فوق في المصنع الرئيسي بأكمله وغطت التجاعيد وجوههم، سونغ يون هوي هو الوحيد الذي ما زال حيويًا ونشطًا. ماذا حدث؟ هل لا يزال لديك الوقت لعمل زيارات برغم هذا الانشغال في التحول التقني مؤخرًا؟ اجلس هنا». تغيرت الأريكة الموجودة في منزل الأمين شوي، وصارت مكانها أريكة سوداء لا يعرف ما إذا كانت من الجلد الطبيعي أم الصناعي.

جلس سونغ يون هوي وابتسم قائلاً: «نعم، كل ما يشغل عقلي في الآونة الأخيرة هو التحول التقني، أستخدم عيدان الطعام عادة كأقلام رصاص. أقوم بأمر صغير كهذا ويبدو أنني سببتُ ضجيجًا وصل إلى المصنع بأكمله، من الواضح أنني لستُ قادرًا بما فيه الكفاية».

«ما تفعله جيدًا بما فيه الكفاية، أنت لا تعرف إلى أي مدى حموك العجوز راضٍ. ادخل في صلب الموضوع مباشرة يا سونغ الصغير».

كان الأمين شوي يختلف كثيرًا حينما رآه سونغ يون هوي هذه المرة عما كان عليه حينما دخل المصنع لتوه، كان يجلس الآن ويتحدث بثقة وعقل منظم جيدًا: «أيها الأمين شوي، هذا الأمر يتعلق حقًا بوالد زوجتي، هناك بعض الأمور التي لا أستطيع أن أفكر فيها بشكل منفصل بسبب تورطي في التحول التقني، بل

قليلاً ما أفكر فيها، وهذا يجعل حمائي قلقاً دائماً من أجلي، أشعر بالأسف الشديد، لذا بحثت عنك أيها الأمين شوي لتساعدني متفضلاً على حل هذه العقدة».

«نعم، لقد تحدثت معي حموك قبل عام بشأنك».

«هو الموضوع ذاته تقريباً. ظننتُ في البداية أنها مشكلتي الشخصية، ولكنني لم أتصور أن تؤثر بالفعل على عملي. أعاني كثيراً في عملي في الآونة الأخيرة، تنشأ بيننا خلافات في بعض الأحيان عند اختيار نماذج الأجهزة، وقف أحدهم واتهمني مباشرة بأنني لم أعد أحب جيتتسو لأنني سأغادرها، وأنني أبحث عن النتائج على المدى القصير عند القيام بالأمر، ولا أنظر سوى تحت قدمي. لم ينفع اعتراضي بشيء، ما جعلني خاملاً للغاية في عملي. فكرت فيك أيها الأمين شوي، حينما جئتُ إلى جيتتسو لأول مرة نصحتني بأن أبدأ من المستوى الأساسي، ما جعلني أجنبي الكثير، أمل أن تقدم لي المشورة اليوم ثانيةً وتضعني على الطريق الصحيح، هل عليّ أن أستجيب لتعليقات الجميع وأرحل، أم أبقى وأنا في موقف حرج».

دُهل الأمين شوي بعض الشيء وسأل: «هل اتهمك أحدهم وجهاً لوجه بأنك لم تعد تحب جيتتسو؟».

أوما سونغ يون هوي برأسه: «نعم، علاوة على ذلك فسرعان ما انتشرت الأخبار في اليوم التالي بأنني عجزت عن الكلام في مواجهته، واختتمت المسألة على عجل، حدث ذلك خلال الأيام القليلة الماضية».

خيم الصمت على الأمين شوي للحظة. يمكن لأي شخص ذي بصيرة أن يلحظ بأن ثمة شخصًا يتلاعب بهذا الأمر في الخفاء، ناهيك من الأمين شوي المسؤول عن كل شيء. اقترب سونغ يون هوي منه خطوة إلى الأمام، وقال: «أردت في الأصل أن أنهى ما بدأت، ولكن... يبدو الآن قليلاً أنني أتمنى ذلك من جانبي فقط».

صمت الأمين شوي طويلاً، ثم قال: «لقد حققت نجاحًا متواصلًا تقريبًا في جيتشو يا سونغ الصغير، وما تواجهه اليوم ربما حدث مع الآخرين عشر أو ثمان مرات قبل تولي منصب رئيس قسم، ولكن رحلتك على الأرجح كانت سلسلة، ولم يكن هناك ما يعوقها. لربما يهذب هذا من غطرستك قليلاً. لن أقدم لك المشورة، ولكنني سأقول لك شيئًا واحدًا، أينما يوجد الناس توجد سياسات، وسواء غادرت أم بقيت، فسيأتي حشود من الناس ويذهبون، وما تتجنبه هنا سيحدث لك في مكان آخر، لا يمكن أن تقضي حياتك كلها بلا عوائق. هل هذا صحيح أم لا؟ فكر جيدًا».

اعتقد سونغ يون هوي في البداية أنه سيستطيع على الأقل اختبار موقف الأمين شوي تجاهه، ولكنه لم يتصور أن يتفوه بمثل هذا الكلام الذي ينم عن تفاهم بينهما. لم يمنع نفسه من أن يقول دونما أي عُمق: «يقول حموي دائمًا إنني مغرور، هل ذلك واضح إلى هذا الحد؟».

ضحك الأمين شوي تلقائيًا قائلاً: «لا يضيع المرء شبابه عبثًا دون القليل من الطيش، أنت بالفعل لا بأس بك، لا تفكر كثيرًا. ومع ذلك فإن عيبك يكمن في قلة خبرتك، في بعض الأحيان يكون الإخفاق بمثابة كتاب مدرسي لا بأس به».

خلص سونغ يون هوي بالفعل إلى أن الأمين شوي يريد منه البقاء، ولكن موقفه لم يكن واضحًا كالعادة، لقد فكر الأمين شوي في بقاء سونغ يون هوي من عدمه من منظور فائدته فقط. ولكنه كان ما زال متأثرًا بتحليل الأمين شوي في حكمه النهائي، قال ضاحكًا: «أيها الأمين شوي، سأبقى في جيتشو لأصقل ذاتي».

ضحك الأمين شوي: «جيتشو مؤسسة كبيرة، ومجتمع صغير، هذه منصة تدريب إلى حد كبير، أنا نفسي أكن الكثير من الحب لها. حسنًا، انتهينا من هذا الأمر. كنت أتجهز للبحث عنك في الأيام القليلة المقبلة إذا لم تأتِ اليوم». تبدلت ملامح الأمين شوي وصارت أكثر جدية حينما وصل بحديثه إلى هنا، «سونغ يا صغير، إن متطلبات الدولة الآن للكوادر الشباب والمثقفين والمتخصصين تزداد إلحاحًا، وأمثالك من الأشخاص المهرة لهم القوى الجديدة لبلادنا في بناء التحديثات الأربعة، وأتم الركيزة المطلقة للمستقبل. ولكننا نحن العجائز نفتقر إلى المعرفة التقنية الاحترافية، أو أننا لم نعد نستطع اللحاق بركب العصر، وصار يُطلب منّا أن نتنحى خطوة إلى الوراء، ونفسح الطريق لكم أيها الشباب. آه...».

نظر سونغ يون هوي إلى الأمين شوي مذهولاً، لا يعرف ماذا يجهر ليقول له ثانيةً.

أخذ الأمين شوي رشفة من الماء الساخن، واستأنف كلامه: «لا ينبغي عليك أن تلعب دورًا رائدًا في عملك الآن فحسب يا سونغ الصغير، بل ينبغي أن تقع المسؤوليات المهمة على عاتقك».

سأوضح لك الأمر قليلاً، يستعد الرؤساء في الآونة الأخيرة إلى ضبط جميع شؤون الموظفين المنتمين للمؤسسات، بقي القليل على تقاعدي، سيتم الاحتفاظ بالمنصب ولكن ستتقلص صلاحياته، حموك سوف يتنحى خطوة إلى الوراء، وسيشغل منصباً في لجنة الحزب. كما سيتم تعديل الوضع الوظيفي لبقية الرفاق القدامى الآخرين. لدي صداقة طويلة مع حميك، أستطيع أن أخمن أنه سيتفاجأ أكثر منك حينما يعلم بأوامر النقل. أمل أن تجد طريقة خلال الأسبوعين القادمين للتخفيف عنه مقدماً، وجعله يتفهم هذا المسار الاجتماعي، وذلك حتى لا يفعل لاحقاً إثر المفاجأة، ويحدث له ارتفاع في ضغط الدم. سأفكر أنا الآخر في حل، نحن أصدقاء منذ سنوات طويلة، ولكن تعاقب الأجيال هو أمر لا مفر من مواجهته بالنسبة لجميع كبار السن. عد إلى المنزل وأكثر من العمل، والآن، علينا أن نعتد عليكم نحن كبار السن».

اندهش سونغ يون هوي ولم يعد لديه ما يقوله. ما معنى أن يتحول حموه إلى العمل في الحزب؟ ستكون ضربة قوية بالنسبة لحميه، أما بالنسبة إليه فهي مما لا شك فيه بمثابة سحب البساط كلياً من تحت قدميه. وبينما يوصل سونغ يون هوي، تمتم الأمين شوي إلى زوجته العجوز بأنه لم يتصور أن تكون إجراءات مين بهذه السرعة والقسوة، لقد استهان به من قبل. كيف سيتعامل معه شخص كهذا إذن حينما يتقاعد؟ هل سيكفي شخص مثل مين أن يعتمد على تشنغ الذي صار على بعد خطوة من القبر وسونغ قليل الخبرة كقوة حصار؟ لم يسع الأمين شوي سوى أن يفكر في هذا بعناية.

فكر سونغ يون هوي بشدة في أن يعطف ذاهبًا إلى بيت حميه، ولكنه لم يجرؤ، خشي ألا يكون مستعدًا، وأن تكون الصدمة قوية عليه، وهو صعب المراس، بعدما يظل يستجوبه حتى النهاية. لم يكن أمامه سوى العودة إلى البيت، وألا يتخذ أي إجراء قبل التفكير في خطواته جيدًا. يبدو أنه من المرجح جدًا أن يكون حموه هو الشخصية المحورية التي قدمها الأمين شوي كهديه إلى مين ليحفزه على تخليص أمره. ولكن حماه صار متورطًا بسببه. شعر بالخجل من سذاجته حينما فكر في أنه كاد يتأثر بكلام الأمين شوي في بيته قبل قليل، الوضع الحالي كما يلي: لقد وُضع هو وحموه الذي لا يملك أي أدوات سلطة في يده على لوح التقطيع للتضحية بهما، إذا غادر فهو يهرب، وسيترك حماه في جيتشو يتصدى لهم بمفرده. هل يبقى إذن؟ ماذا عليه أن يفعل؟ كيف له أن يتحول من ردة فعل إلى فعل يفرض نفسه؟ والآن، فعلى ما يبدو أن عليه حقًا أن يتخذ المسؤوليات المهمة على عاتقه، في العمل وفي المنزل. لم يخطئ الأمين شوي في هذه النقطة.

حينما رأت تشنغ كاي يان زوجها عائدًا إلى المنزل قاطبًا جبينه، سألته في حذر شديد: «ماذا بك؟ هل وجه إليك الأمين شوي انتقادات؟ إنه يهين الناس إهانة شديدة، لا تأخذ الأمر على محمل الجد».

نظر سونغ يون هوي إلى والديه الذين كانا في غرفة المعيشة ويبديان قلقهما عليه أيضًا، وسرعان ما ضغط على نفسه واصطنع الابتسامة قائلاً: «لا شيء، الأمر لا يخصني. حتى إن الأمين شوي يدعمني. هناك فقط بعض الأمور الخاصة بالعمل... سأذهب إلى حجرة المكتب لأفكر فيها، لا تشغلوا بي».

كانت تشنغ كاي يان تعلم دائماً أن زوجها يحب أن يختلي بنفسه في الغرفة حينما يريد أن يفكر في مسألة مهمة، يشبه في عاداته هذه أباه. كان مشغولاً في الآونة الأخيرة، يعمل عقله أربعاً وعشرين ساعة تقريباً، يتكلم أثناء نومه عن التحول التقني، وبخلاف الوقت الذي يقضيه في تناول الطعام والقليل من الدردشة، كان يغلق على نفسه في حجرة المكتب بصفة أساسية ليعمل، وقد اعتادت تشنغ كاي يان بالفعل على هذا. ولكنها شعرت بحساسية أن سونغ يون هوي اليوم لم يعد كما كان، كما شعر والداه أيضاً بذلك. كانت ين الصغيرة قد تجهزت إلى النوم بالفعل، فذهبت والدة سونغ التي كان لديها وقت مع تشنغ كاي يان إلى المطبخ معاً دون اتفاق مسبق لإعداد كوب من الشاي لسونغ يون هوي.

خففت والدة سونغ صوتها وسألت تشنغ كاي يان: «ماذا حدث في رأيك؟ لم أرَ وجه هوي الصغير بهذا الشكل من قبل». هزت تشنغ كاي يان رأسها: «لا أعلم أنا الأخرى، أشعر أيضاً بأن تعابير وجهه ليست على ما يرام. أمي، ماذا لو تذهبين إليه وتسألينه، أنتِ أكثر من يستمع إليه».

قالت والدة سونغ: «كانت أخته هي أكثر من يستمع إليها من قبل، والآن لا أعرف إلى من يستمع أكثر. تعملين معه في مصنع واحد، ألم تسمعي بأي شيء يشاع؟». احمرَّ وجه تشنغ كاي يان خجلاً: «سأسأل أبي غداً. إن روضتنا تتبع نظاماً مختلفاً عنهم».

لطالما كانت والدة سونغ يون هوي شخصية مسالمة، لا تجيد استخدام القوة، لكنها كانت تشعر من قلبها بخيبة أمل في كتبها

هذه. إن شيئًا جعل ابنها متأثرًا بهذا الشكل لا بد وأن تظهر بعض الأقاويل عنه في جينتشو، ومن المثير للدهشة أن كتبها هذه لا تعرف، ولكنها سلمت كوب الشاي إلى تشنغ كاي يان، وجعلتها تذهب إلى حجرة المكتب.

رأى سونغ يون هوي تشنغ كاي يان تدخل عليه، فحملق فيها طويلاً حتى بدا عليها عدم الارتياح فوضعت كوب الشاي وزجاجة الماء الساخن وهمت بالخروج، هنا سألتها: «أيتها القطة الصغيرة، يبدو وأنتِ كنتِ الأعلى عند والدك في الماضي، فما إن يراكِ حتى تتهلل أساريره، هل صارت ين الصغيرة هي الأعلى عنده الآن؟».

لم تعرف تشنغ كاي يان لماذا سألتها هذا السؤال، فأومأت برأسها سريعاً: «نعم نعم، اعتاد أبي في الماضي حينما يكون في أوج ضيقه أن يصحبني إلى الخارج لنسير قليلاً ويكون على ما يرام عندما نعود. الآن هي ين الصغيرة، لولا أن الجو بارد كثيراً لما استطاع أبي الانتظار، ولطلب مني أن أحملها وأذهب إليهم لتمرح معهم كل يوم».

أخذ سونغ يون هوي يدير قلمه الرصاص في حالة ذهول، ثم فكر ثانية لفترة من الوقت، بعدها نهض ولف ذراعه حول عنق تشنغ كاي يان مصطحباً إياها إلى غرفة المعيشة، أجلسها، ثم قال لوالديه: «أبي، أمي، اجلسا، أريد أن أتحدث معكم في أمر ما». سألت تشنغ كاي يان في ارتباك حينما فكرت في سؤاله قبل قليل عن والدها: «هل الأمر يتعلق بأبي؟ هل هناك شيء طارئ؟». حينما قلقت بدا على صوتها نبرة بكاء تلقائياً.

اختار سونغ يون هوي كلماته بعناية وقال: «ثمة أمر ما، من حسن الحظ أن الأمين شوي مهد لي الأمر اليوم، حتى يمنح والدك فترة تكيف. هناك حركة تنقلات ستحدث لوالدك في الأيام القليلة القادمة، ومن المحتمل أن تمثل له حركة التنقلات هذه صدمة كبيرة. قطتي الصغيرة، قررت أن أجعلك تصطحبين ين الصغيرة وتذهبين إلى بيت والدتك، سيكون من السهل التخفيف عنه إلى حد ما في وجودكما. ولكنك لن تستطيعي الذهاب إلى بيت والدتك إلا في حالتين، إما أن تكوني قد تشاجرت معي وتريدين الفرار، وإما أن والدي ووالدتي قد اشتاقا إلى البيت ويريدان العودة لبعض الوقت. دعينا لا نمثل عليهم بالحيلة الأولى، أرى أن نختار الثانية. أبي، أمي، فلتعودا إلى البيت لمدة شهر مؤقتًا، هل هذا ممكن؟ سأطلب إجازة وأذهب لتوصيلكما».

على الرغم من عدم رغبة والديه في ترك ابنتهما، كما لا يرغبان في ترك حفيدتهما التي كبرت على أيديهما، ولكن أمرًا طرأ في بيت أصهارهما، سيتم نقل مسؤول رفيع المستوى كهذا، بل ويبدو أنه سيكون هناك فقدان للصلاحيات، لا بد وأن يقدموا تضحية بأي طريقة. سرعان ما قالت والدته «حسنًا، علينا أيضًا أن نعود لنلقي نظرة على البيت، ولكننا لم نشخ بعد، سنعود بمفردنا، فلتنشغل بعملك يا هوي الصغير».

قالت تشنغ كاي يان والدموع في عينيها: «ماذا سيحل بأبي بالضبط يا هوي الصغير؟ تعرف أن السلطة هي أكثر ما يحبه أبي، إلى أين سينقله الأمين شوي؟ هل الأمر خطير جدًا يا هوي الصغير؟ قل لي!». .

قال سونغ يون هوي في جدّية: «أيتها القطة الصغيرة، عليك أن تذكري من اليوم فصاعدًا أنك إنسانة بالغة، ينبغي أن تتحملي مسؤولية بيت، حتى ولو كان بإمكانك البكاء في بيتنا هنا، يجب أن تمزحي مع والدك وتجعليه سعيدًا حينما تذهبين إلى هناك، إياك أن تبكي أمام والدك وتجعليه بدلاً من ذلك يقلق. هل تفهمين؟ لن يتغير مستوى والدك، ولن تتغير المعاملة التي يحظى بها، ولكن صلاحياته ستتقلص كثيرًا، يمكن أن يمثل ذلك لوالدك صدمة كبيرة. إن هدفي من ذهابك إلى بيت والدتك هو أن تساعدني والدك في التخفيف عنه. إذا كنت لا تستطيعين سأعدل في استراتيجيتي وأفكر في حلٍ آخر».

سارعت تشنغ كاي يان بالقول: «سأفعل، سأفعل. ولكن يجب أن تخبرني يا هوي الصغير كيف أقوم بذلك، ماذا عليّ أن أفعل؟». «الأمر بسيط جدًّا، لن تكفي كلماتك لإقناع والدك بشيء، كل ما عليك هو أن تشغلي والدك أنتِ وبين الصغيرة حينما تذهبين إلى هناك، وتشتتين تفكيره، يكفي ألا ينصب كامل تركيزه على التفكير في أمور العمل. عائلتنا كلها لا تستطيع تقديم النصيح إلى والدك بما فيه الكفاية، فهو رجل مخضرم، يبدو أنك الوحيدة التي تستطيعين جذب انتباهه مع ين الصغيرة، الأمر موكل إليك أيتها القطة الصغيرة».

أومأت تشنغ كاي يان برأسها يائسة، فعلیها بالطبع أن تبذل قصارى جهدها في مساعدة أبيها، ولكنها كانت تائهة لا تعرف بماذا تشعر، حزينه وقلقة، فقط تبكي. لم يتكلم سونغ جي شان

طوال هذا الوقت، ينظر بحذر إلى أفراد عائلته الذين يملؤون الغرفة، يفكر بكامل تركيزه.

ظلت تشنغ كاي يان تبكي كثيرًا بينما حان موعد النوم، وخشيت أن توظف ابنتها، فضغطت على نفسها كثيرًا. أخذت تسأل زوجها بالحاح هل سيحدث شيء كبير أم لا، هل على أبي أن يقلق أم لا، وكان سونغ يون هوي يجيبها دائمًا بالنفي، ولكن يقتضي الأمر أن تقوم بدورها في استمالته جيدًا. كانت تثق في قدرات زوجها بشكل منقطع النظير، فكل سؤال تسأله إياه كان يزيد من ثقتها قليلًا، حتى هدأت في النهاية تدريجيًا، وغفت بين أحضان زوجها وهي تذرف الدموع.

لم يستطع سونغ يون هوي النوم لفترة، أخذ يفكر مليًا بعينين متسعيتين، وجد أنهم صاروا بالفعل في منتصف الليل، فنهض على أطراف أصابعه وحمل ابنته التي كانت نائمة كالقطة لتتبول، ومن ثم عاد ليستلقي ثانية. فكر طويلًا حتى بدأ يفكر في أكثر الطرق لباقة التي يمكن أن يخبر بها حماه، يفكر في أنه كيف ينبغي عليه مواجهة التغير الذي سيطرأ على البيئة المحيطة بحميه بعدما يتم نقله، بل ويفكر في ما إذا كان عليه أن يكون أكثر مبادرة.

نتيجة لذلك استيقظ متأخرًا بنصف ساعة، فلم يجد وقتًا لمطالعة اللغة اليابانية، خرج إلى الفناء في الخارج ليتريض، ولم يكن هناك سوى تشنغ كاي يان وسونغ ين اللتين لم تستيقظا بعد. تبعه سونغ جي شان على مهل، واقترب وهمس في أذن ابنه: «هل سيؤثر أمر حميك على مستقبلك؟ على الأرجح يبدو كذلك؟».

لم ينكر سونغ يون هوي: «نعم، ولكنه لن يؤثر كثيرًا، فأنا صرت أقف على أرض صلبة، علاوة على ذلك فإنني أعتمد على قدراتي في تثبيت أقدامي. أبي، هل ستتعب معدتك من البرد إذا ما عدت إلى البيت الآن؟».

اطمأن سونغ جي شان هنا قليلاً: «حسنًا إذن، كن حذرًا في الأيام القادمة. قضيت كل هذا الوقت أنا ووالدتك في بيتك، لقد تحسنت والدتك كثيرًا من التهاب المفاصل، لم تعد تتألم حينما تنهض صباحًا، وأنا لم أتناول دواء المعدة طوال السنة الماضية. أضف إلى ذلك فإننا في مطلع الربيع، والجو يزداد دفئًا يومًا بعد يوم».

أومأ سونغ يون هوي برأسه، كانت مرض معدة والده هو أكثر ما يؤرقه، كان هذا هو المرض الرئيسي المتسبب في سقوطه أرضًا حينما كان بصدد الالتحاق بامتحانات القبول بالجامعة. «مشكلتي ليست كبيرة، وأنتم أيضًا لا مشكلة لديكم على الإطلاق، ولكن والد القطة الصغيرة فظنٌ وحذر، وإذا لم يكن هناك سبب لعودتها إلى بيت والدتها، من الممكن أن يشك في أنني تخليت عنها لأنه فقد صلاحياته، وسنوقع أنفسنا في المتاعب بينما نحاول أن نتصرف بذكاء. يجب أن تكون المسرحية محكمة. هناك أمر آخر... من الأفضل أن أوصلكما إلى البيت، ثمة شيء أريد أن أتحدث فيه مع أخي الكبير».

«حسنًا أيضًا، أنت فظن، ومن الأفضل أن تقرر أنت». وطالما أن سونغ جي شان علم بأنه ما من مشكلة كبيرة ستصيب ابنه، فقد اطمأن قلبه أضعاف ما كان عليه، لأنه كان يثق بشدة في قدرات ابنه.

بدأ سونغ يون هوي في تنسيق أوضاعه حينما ذهب إلى العمل في ذلك اليوم، فطلب من الفرع الأول للمصنع وإدارة النقل والمبيعات كل على حدة إذنًا بالإجازة ليوم السبت، وتمت الموافقة عليه. بعد ذلك أوصل تشنغ كاي يان وابنته مساء ذلك اليوم إلى بيت والدتها، كان الوقت متأخرًا حينما وصلوا، ولزم على تشنغ كاي يان أن تُعنى بنوم ابنتها بمجرد دخولهم من باب البيت، متجنبًا الظهور أمام المدير تشنغ بحالتها الحقيقية. شرح سونغ يون هوي الأمر لحميه، فقال له إن والديه اشتاقا إلى البيت ويريدان العودة لبعض الوقت، فخشي ألا تستطيع كاي يان اللحاق على أمور البيت بمفردها لأنه مشغول للغاية، فجاءوا دون أدنى حياء ليخيموا في بيت حميه، ووصلوا باكراً ببضعة أيام حتى تعاد ين الصغيرة. رحب بهم المدير تشنغ ترحيبًا شديدًا، وأخذ يتطلع منتظرًا أن تغفو حفيدته، ثم دخل عليها في حالٍ جيدة يستمتع بالنظر إليها مهللةً أساريه. ظل سونغ يون هوي يراقب تشنغ كاي يان من قريب، وأخذ يشجع زوجته، فلم يظهر عليها في النهاية أي شيء. وبرر انتفاخ جفني تشنغ كاي يان قليلًا بأنها عاطفية بشدة ولا تقدر على فراق حميها وحماتها.

لم يشك المدير تشنغ في أمرهم قيد أنملة. جهز سونغ يون هوي نفسه لينتظر تاركًا حماه سعيدًا ليومين، ثم يخبره بالحقيقة في يوم الخميس، ويراقبه في يوم الجمعة، ومن ثمَّ يغادر مع أبويه مطمئنًا يوم السبت. كان لديه خطته الخاصة.

لكن حينما استأذن حموه، ظل سونغ يون هوي يتمشى في منطقة المهجع لما يقرب من ساعتين. كان لديه الكثير ليقوله، لديه الكثير

من الكبت الذي يريد أن ينفس عنه، كما لديه الكثير من الخطط التي يريد أن يتشاور فيها مع أحد، ولكنه الآن مضطرًا لأن يتحمل كل شيء بمفرده وعلى نحو مستقل. اتضح له كم كان يعتمد على حميه كثيرًا من الناحية النفسية، أما الآن وقد بدأ يتحمل كل شيء وحده، فقد كان هذا أمرًا شاقًا للغاية. لم يكن لديه تصور مؤكد للمستقبل، لكن وإلى يومنا هذا فعليه أن يفعل، لأنه بالفعل لم يعد وحده، وراءه عائلة كبيرة بمن فيها من كبير وصغير، حتى بما في ذلك زوجة أخي تشنغ كاي يان. في النهاية سيكون الرابع مَلِكًا ويكون الخاسر صعلوكًا، إما سيحصل على الكل وإما اللا شيء.

شعر بأن منطقة المهجع مظلمة اليوم على غير عاداتها.

حينما ذهب إلى العمل في اليوم التالي، سأله أحد المقربين بلطف ما إن كان يستعد فعلاً لمغادرة جينتشو، حتى إنه سيسلم مشروع التحول التقني لأنه لا يستطيع تحمل الضغوط؟! كان شعوره بالضغط يزداد ساعة بعد ساعة بينما يرى المزيد والمزيد من الناس ينظرون إليه بعيون تملؤها التكهّنات. كان مشغولاً للغاية ويعمل عقله بكامل سرعته، أما اليوم وقد صار مضطرًا لأن يتحمل كل هذه الأمور التافهة، فقد صارت أعصابه المتعبة على حافة الانهيار. لم يعد إلى البيت ظهرًا لتناول الطعام، اتصل بالمُعلم الذي كان يعمل في وريدته الآن بالورشة الأولى، وشرح له الأمر، قال إنه لا يعرف من أين تأتي هذه الشائعات، وما هو الهدف الخفي وراءها؟! كما أكد للمُعلم أنه إلى أين يمكن أن يذهب ما لم يأت أمرٌ من القادة بذلك؟ هو ليس يوي شان تشينغ، فيوي شان تشينغ كان يعمل مسبقًا في التجارة الداخلية، بالطبع يمكنه التنقل في

جميع أنحاء البلاد كعادته بعد رحيله، أما هو فلا، إذ كان يعمل مسبقًا في التجارة الخارجية، فهل سيكون عليه أن يرحل خارج البلاد إذا ما غادر؟ إنه لا يملك حتى ثمن تذكرة طيران واحدة. كان المُعلم ما زال يثق فيه كما هو الحال دائمًا، ويساعده، وقال له إنه لا يصدق ما يقال أيضًا، ولكنه أصبح في حيرة من أمره حينما سمع كل تلك الشائعات تتردد، وظنَّ أن تلميذًا مثله حقق نجاحًا في شبابه لم يتحمل الضغط، ولم يعد قادرًا على تحمل الكبت الذي في قلبه، يمكن أن يفعل أي شيء تحت وطأة الاندفاع. وقال له المُعلم إنه سيشرح الأمر لزملائه.

هاتف سونغ يون هوي رفاقه القدامى الموثوقين في الورشة الجديدة أيضًا، وأشار لهم بوضوح أنه ليس جبانًا ليهرب من المعركة، وأنه يكمل دائمًا ما بدأه، وكلما ازدادت الضغوط ازدادت معها عزيمته. قرر أن يبدأ من حصنه القديم، أن يبدأ من تلك القاعدة الجماهيرية الكبرى الموجودة في المستوى الأساسي، ويدحض هذه الشائعات التي تضره.

هاتفه حموه المدير تشنغ أيضًا بعدما سمعه من الشائعات التي تتردد أكثر فأكثر، وطلب منه أن يقابله في المساء للتحدث، فلم يكن أمام سونغ يون هوي سوى الموافقة. فكر في أن هذه القطة الصغيرة شخصٌ في الحقيقة لا يمكن الاعتماد عليه، وقلق حقًا من أن يكون بدا على تشنغ كاي يان شيءٌ أمام والدها ووالدتها.

في فترة ما بعد الظهر، التقى كل من مكتب كبار المهندسين وإدارة التكنولوجيا الحيوية في المصنع الرئيسي لعقد اجتماع

مؤقت في الفرع الأول للمصنع لمناقشة أعمال التحول التقني، وجعل سونغ يون هوي يقدم تقريرًا خلال الاجتماع عن عملية تقدم أعمال التحول التقني. تساءل سونغ يون هوي في نفسه عن سبب عقد هذا الاجتماع التصادمي في وقت حرج كهذا، بمجرد دخوله حجرة الاجتماعات، ورؤية جميع الأشخاص الفاضلين مجتمعين، وكأنها محاكمة مشتركة من ثلاث إدارات، حتى إنها كانت تضم كبير المهندسين ليو الذي تقاعد بالفعل، ومهندسًا كبيرًا آخر متقاعدًا كان بارزًا في التقنيات، فجأة فكر سونغ يون هوي... ما الذي سيفكر فيه بين حينما يتم الضغط عليه في موقف كهذا يستنفد قواه؟ وكان أكثر ما يقلق مين هو كيف ستكون ردة فعل المدير تشنغ حينما يتم الإعلان عن حركة نقله بعد أسبوعين. كان مين قلقًا من استسلامه بعد مواجهة التشكيل الموجود في هذا الاجتماع. كان عليه بناء قوة احتياطية صلبة في حال فقدان أعصابه فجأة وتخليه عن كل شيء. فإنه لن يستطع تحمل مخاطر الخسائر الفادحة الناتجة عن تأخير أعمال التحول التقني.

لكن، لماذا تؤكد الشائعات التي تتردد أنه لم يكن يُكنُّ مشاعر تجاه جيتشو وسيحمل مؤخرته ويغادر في أي وقت؟ حينما واجه أقوى تشكيلة من التقنيين الموجودين في جيتشو بحجرة الاجتماعات، لم يتمالك نفسه فجأة من الضحك، لقد فهم أخيرًا مكيده مين.

لا بأس، ألم يضطر بسبب تلك الشائعات إلى إظهار عزمته ودحضها في كل مكان؟ لقد لجأ مين إلى استراتيجية غير مباشرة، استخدم تلك الشائعات من أجل الضغط على سونغ يون هوي

ليتصرف وفق رغبته حتى لو واجه ضغطًا أكبر ووضع في أضيق محنة، فعليه أيضًا أن يصر على أسنانه ويتحمل من أجل سمعته، من أجل أن يلتقط أنفاسه، وحتى من أجل رفعة رأسه وكبريائه في جينتشو لاحقًا. لقد وضعه مين في حلقة مفرغة، وحفر له الفخ بالفعل منذ أن دعاه لتولي مسؤولية أعمال التحول التقني. لا يمكن لمين الاستغناء عنه، ولكنه أيضًا لا يستطيع ألا يقمعه، فرؤيته لسونغ يون هوي تسبب له صدادًا في رأسه لا يطاق. تحسن مزاج سونغ يون هوي كثيرًا حينما فكر في أن مين يركز معه بكل ذلك القدر، ويبدل الكثير من الجهد في التخطيط وعمل المكائد لمدير متواضع مثله لم يتجاوز الثلاثين عامًا. من الجيد دائمًا أن يولي أحدهم اهتمامًا كبيرًا للمرء، أليس كذلك؟

كان مين قلقًا أيضًا من عدم تحمل سونغ يون هوي للضغط وهروبه، من سيتولى مسألة أعمال التحول التقني؟ وظيفة يقودها شاب على درجة نائب قسم تحتاج في الواقع إلى كل أولئك المديرين لتولي مسؤوليتها، الأمر الذي أثلج صدر سونغ يون هوي، وتبخر شعوره بالاستياء على مدار نصف عام كله تقريبًا.

فكر سونغ يون هوي بينما يضحك ببرود، لطالما أشاد به مين هكذا، فقد أقسم أن يجاربه حتى النهاية.

استغرق سونغ يون هوي في التفكير، ولم ينتبه إلى أن منظم الاجتماع قد انتهى بالفعل من كلامه، وجاء الدور عليه. ارتسمت ابتسامة على شفاه الجميع بينما ينظرون إليه وهو يحدق في القلم الرصاص الذي في يده مستغرقًا في التفكير، لا يعرفون جميعًا ما

نوع الخدعة التي يلعبها. ظل هكذا حتى لم يعد أحدهم قادرًا على التحمل فوكزه، واستطاع أخيرًا أن يستدعيه من تأملاته، وهنا بدأ يقدم التقرير محاولاً الاختصار بقدر ما يمكن. كان يوجد من يسجل ومن يدون ما يقول في الاجتماع، علاوة على ذلك فقد كان خبراء التقنيات أولئك يدونون بأنفسهم أيضًا النقاط المهمة. انتظروا حتى إنتهى من مقدمته الموجزة، ثم بدأوا في طرح الأسئلة عليه مع باقي من في الاجتماع. فحينما يُطرح عليه سؤال يعتقد بأنه غير مهم، كان يجيب في عجلة، وحينما يعتقد أن السؤال جاد، كان بالطبع يُبقي فمه مغلقًا، فأتى له أن يجعل خطط مِين تنجح؟ كان ينظر إلى الطرف الآخر نظرة صادقة ويرفض الإجابة على سؤاله في لطف قائلاً بأنه لم يفكر بعد في هذه المسألة، وسيدرسها جيدًا حينما يعود. كان الأمر مقبولاً لمرة أو مرتين، لكن حينما تكرر لأكثر من مرة ارتاب أحدهم، وسأل سونغ يون هوي بنبرة توبخ كيف تسير الأمور في فريق التحول التقني الذي يقوده إذن إذا ما كان لم يفكر في هذا ولا ذاك، وكيف لم يفكر بعد في مثل تلك المسائل الروتينية وقد صار في المرحلة الوسطى من التحول التقني؟

أخبر سونغ يون هوي الجميع بلا تواضع أو تكبر أنه لا يطبق طريقة التفكير الروتينية في التحول التقني، فتمامًا مثلما يتطلب التحول التقني في الورشة الأولى كسر الإطار الروتيني واستيراد التقنيات والمعدات الخارجية المتقدمة بجرأة، فإنه بالتبعية يُدخل مفاهيم الإدارة التقنية الخارجية المتقدمة أيضًا ضمن أفكاره في التحول التقني، ويحطم أطر التخطيط البدائية للتحول التقني، يمكن القول بأنه يخالف إيقاع التخطيط التقليدي، لذا فثمة بعض

المسائل الروتينية التي ليست هناك حاجة للتفكير فيها، ومع ذلك، فإنه سيفكر جيدًا حينما يعود في الأسئلة التي طرحها عليه القادة، من أجل تنسيق أفضل لأعمال التحول التقني.

أبدى كبير المهندسين ليو اعتراضه على الفور، اعتقادًا منه بأن المبادئ الأساسية واحدة مهما تغيرت أطر التحول التقني، وأن الأسئلة التي طرحوها كلها هي تفاصيل ينبغي الانتباه إليها خلال العملية، وطلب من سونغ يون هوي أن يفسر الإطار العام الحالي لتنفيذ خطة التحول التقني.

كان سونغ يون هوي يعرف أن كبير المهندسين ليو شخصٌ متمكن، واللجوء إلى الحيل أمامه فهو بلا شك كاللعب بالسيف أمام قوان قونغ<sup>(1)</sup>، لكن كيف له أن يكشف عن تخطيطاته العامة أمام أولئك الأشخاص ذوي الدوافع الخفية؟ وهكذا أغلق دفتر الملاحظات ببساطة، ولم يعد النظر في سجلات العمل مرة أخرى، وتحدث بثقة وهدوء عن مفهومه الإداري التقني بشكل موسع. لم يوجز هذه المرة، ولم يحتل أيضًا، ولكنه عبّر عن الكلمات المفتاحية كلها باللغة الإنجليزية، ما جعل جميع مدوني الملاحظات يتوقفون عن الكتابة وينظرون إليه مشدوهين. طلب المقدم منه أن يعبر باللغة الصينية، فقال مباشرة وبصراحة إن جميع الكتب التي يقرأها تكون باللغة الإنجليزية. كان نادرًا ما فهمه الجميع، يعرف معظمهم أنه يتحدث في الصميم، ولكنهم لا يفهمون كل ما قال، تحدث وكأنه تحدث عبثًا، ولكنه ظل يتحدث

---

(1) جنرال عسكري خلال أواخر عهد أسرة هان الشرقية في الصين القديمة.

بمتمهى التهذيب حتى موعد انتهاء العمل دون أن يعبر عن كل ما لديه. انتهى الاجتماع دونما نتيجة، ومع ذلك فقد طلب سونغ يون هوي من القادة الحاضرين بإخلاص شديد أن يطمئنوا، فأعمال التحول التقني كانت دائماً تسير بسلاسة لما يقرب من نصف عام، كما أنه يرحب بمواصلة إشراف وتوجيه جميع القادة.

حينما غادر قاعة الاجتماعات، كاد سونغ يون هوي يركض عائداً إلى فريق التحول التقني، أراد أن يتهز الوقت قدر المستطاع لتفقد أحوال تنفيذ العمل، ما إن انتهى من التفتيش والتنظيم والتنسيق، حتى رفع رأسه فإذا بكبير المهندسين ليو وكبير المهندسين الحالي في المصنع الرئيسي يقفان معاً عند الباب ويصغيان السمع، ما جعله أكثر اقتناعاً بوجود مخططات لمين. تقدم ببساطة وقال بصوت مرتفع لأكبرهم سناً ما هي توجيهاته، حمله كبير المهندسين ليو فيه بنظرات بها تعقيد بعض الشيء، ولكنه لم يزد على أن قال: جيد جداً، جيد جداً، اعملوا بجد، وقرر المغادرة. كان سونغ يون هوي جافاً هنا هو الآخر، فقال له في برود إن توجيه المصنع الرئيسي بأكمله في موضوع التحول التقني لهو أمر يعجز عنه مدير لورشة صغيرة مثله، وهذا دائماً ما يجعل القادة غير مطمئنين، وإنه يأمل فقط في أن يتم تعيين موظف ذي كفاءة في أقرب وقت ممكن ليتولى المسؤولية بدلاً منه، وسوف يتنحى جانباً على الفور بمجرد أن يقرر المصنع الرئيسي ذلك. جعل كلامه كبير المهندسين ليو وكبير المهندسين الجديد يشعران بالحرج الشديد، وغادرا متلعثمين. أخبر سونغ يون هوي أعضاء الفريق بابتسامة باردة أنه لم يكن من السهل عليه إجبارهما على المغادرة. كان يثق

بأن كلامه سيصل إلى أذني مين، ألا ينتظر مين أن يسمع منه هذا الكلام تحديداً؟

ولكن سونغ يون هوي شعر بأنه منفعل بالكامل، حتى الجلوس فسيقمع بعضاً من القوة التي تسري بداخله، إضافة إلى أنه لن يقدر على الجلوس ساكناً. كان يعلم أن عودته إلى المنزل في هذه الحالة من المؤكد أنها ستمت أبويه من فرط الخوف، فلم يكن أمامه سوى أن ينعطف ويذهب إلى إدارة النقل والمبيعات، أنهى الأعمال المتراكمة، ومن ثم أرسل إلى ليانغ سي شن رسالة بالتليكس يطلب منها على الفور أن تتخذ قراراً بشأن توقيع العقد، وأن ترد عليه غداً. بعدما انتهى من كل هذه الأمور، هدأت حالته المزاجية قليلاً، وعاد إلى المنزل لتناول الطعام، وحينما ذهب إلى منزل حميه بعدما انتهى من تناول الطعام، كانت سونغ ين قد استسلمت للنوم بالفعل ولم تستطع الانتظار.

تنفست تشنغ كاي يان الصعداء أخيراً حينما رأت زوجها وقد جاء، فهي لم تعد في حاجة إلى التمثيل بمفردها. كان خداع أبويها حقاً صعباً، وما كان منها حين يسألها أبواها لماذا هي شاردة دائماً إلا أن تبرر الأمر بأنها قلقة على سونغ يون هوي. ولكن المدير تشنغ صدق هو الآخر، فقد كان قلقاً أيضاً، وإلا لما كان ليتطفل على وقت سونغ يون هوي قبل عودة أصهاره إلى بلدتهم.

بناءً عليه فما إن رأى المدير تشنغ سونغ يون هوي حتى جرّه ليجلس، ولكنه تفحصه طويلاً ولم يتبين عليه أي علامات توتر أو ارتباك. لم تكن ثمة حاجة إلى التكلف بين أفراد العائلة الواحدة،

لذا سأل المدير تشنغ مباشرة: «ماذا كان محتوى اجتماع اليوم بعد الظهر؟».

تذكر سونغ يون هوي الاجتماع، فلم يملك إلا أن ارتسمت على شفتيه ابتسامة: «لقد تلاعبوا بي جميعًا. غالبًا فإنهم يفكرون في خطط بديلة، أحاط بي كل هؤلاء المهندسين الكبار يستجوبونني، يريدون أن يستخرجوا من فمي إطار وطريقة فكر التحول التقني الخاصة بي».

«هل مين متلهف لإجبارك على المغادرة بكل هذا القدر؟ أي خطط بديلة، إنهم بوضوح يريدون استبدالك». ضحك سونغ يون هوي ببرود: «وهل يمكنهم خداعي؟ لقد أعطيتهم درسًا في اللغة الإنجليزية. كنت لأقلق حقًا من أن يفهمونني لو أن من يستمعون إليّ هم مجموعة من المهندسين خريجي جامعات «ما بعد الثورة الثقافية»، أما هؤلاء العجائز، فهل بإمكانهم فهمي؟ أنا فقط من أُلْم بإطار التحول التقني، ولا يمكن لأحد التفكير في التدخل وقد صرنا في منتصف الطريق، وإلا فلماذا أعمل بنفسني كل يوم بكل هذا الجهد؟!».

«لا تكن لا مباليًا، فجيتشو لديها الكثير من الأيدي العاملة».

«أنا لا أخاف، التحول التقني يختلف عن الورشة الجديدة، فليس هناك منهجية تذكر في مختلف عناصر التحول التقني الصغيرة، وهي في الحقيقة عبارة عن آلاف الأشياء التي ينبغي الاهتمام بها، حتى ولو نجح كل منهم في الاستيلاء على قطعة منه، فمن المستحيل أن يكون هناك تواصل فاعل فيما بينهم. الأكثر من

ذلك هو أنه ما زال السؤال قائمًا: هل سيستطيعون تسلّمه؟ أبي، يعرف مِين خصوصًا هذا السؤال الصعب أيضًا، ولن يتوانى كبير المهندسين ليو في إخباره، يمكن لكبير المهندسين ليو أن يتولى مسؤوليته، ولكنه كبر في السن، لا يملك طاقتي، ولا سرعتي، إذا تسلّم ليو المسؤولية فلا أعلم ما إذا كان بإمكانه الانتهاء من الإصلاحات بعد عام من الآن أم لا. يعلم مِين أنه لا يمكن سوى الاعتماد عليّ، بإمكانني أن ألحظ من اجتماع اليوم أن مِين يرتعد من داخله. إنه مضطر لاستكمال مشروع التحول التقني هذا، أحد الأسباب هو أن هذا سيكون مشروعه الأول بعد تقلده لمنصب قائد المصنع الرئيسي، والثاني هو أن المقالات التي نشرتها في مجلة النِّظام جعلت تحولنا التقني معروفًا للجميع، وهو لا يستطيع أن يعطل الأمر من تلقاء نفسه، ليس بإمكانه أن يجعل المشروع يتحطم بين يديه. لكن ما هو أكثر ما يخيف مِين؟ هو أن أنفض يدي من الأمر برمته. إنه لا يجرؤ على إجباري على الرحيل من الأساس، أبي، إنه أشد ما يعي تلك النقطة، وكل تصرفاته التي يقوم بها هي من أجل إجباري على البقاء. لكن إشكاليتي تكمن في أنني لا أستطيع التخلي علانية، لأن مشروع التحول التقني هذا ينطوي على الورشة الأولى، ولا أستطيع أن أخذل التوقعات التي وضعها عليّ جميع من في الورشة الأولى كبيرهم وصغيرهم منصبًا، إضافة إلى ذلك، فقد ألصقت بي الشائعات بالفعل صفة الهارب إذا ما تخليت عن العمل، حينها سأكون لا أحب جينتشو، فإذا نفضت يدي حقًا ولم أهتم، لن يكون الرحيل ولا البقاء في الحقيقة حلًا أمامي. قل لي يا أبي، أليس كذلك؟».

كان المدير تشنغ يومئ برأسه بينما يستمع، ولكن كان عليه أن يمد يده ويربت على كتف صهره: «لا تنفعل يا هوي الصغير، لا تنفعل بكل هذا القدر، أرى مقلتيك وقد كادت أن يخرجنا من محجريهما. لا تقلق، نحن نتشاور على مهل، نتشاور على مهل». كان من النادر أن ترى تشنغ كاي يان سونغ يون هوي منفعلًا هكذا، كان يتحدث بجميع حواسه، هرعت لإحضار الماء من فوق الطاولة لتجعله يرطب فمه، كانت تقلق وبحق على زوجها، أما وقد صار والدها هكذا، فما الذي سيحدث لو لم يقدر زوجها -الذي هو العمود الفقري الذي يستندون عليه- على الصمود أكثر من ذلك؟ لكن ومع هذا القلق، فقد كانت تؤمن بصدق بأن زوجها قادر على فعل ذلك، فلطالما كان سونغ يون هوي في ذهنها هو الرجل الخارق المَهيب المقدم. لفظ سونغ يون هوي اليوم بشكل نادر كل ما جعله مغتمًا خلال الأيام القليلة الماضية، تحدث وتحدث إلى أن انفعل تلقائيًا، ما جعله يشعر بالخجل الشديد حينما لامه حموه، فأخذ بعض الماء ليهدئ نفسه.

فكر المدير تشنغ قليلاً، سأل: «ما مدى تأكدك من صحة ما تقول؟».

قال سونغ يون هوي: «متأكد مائة بالمائة. ولكنني أشك أن هناك ثلاثة أشخاص فقط هم من أدركوا مخططات مين في جيتشو بأكملها، الأول هو نفسه، والثاني أنا، بالإضافة إلى كبير المهندسين ليو. ربما تم خداع الأمين شوي أيضًا من قبل مين. هذا ما فهمته بوضوح اليوم فحسب».

فكر المدير تشنغ لبعض الوقت، ثم قال: «يبدو أن عليك السماح لمين بسلب ما يريد».

«لا، أبي، لم أتصور البارحة أن مين وبينما يجبرني على البقاء كان قد فكّر جيدًا في إجراء مضاد، أما اليوم وقد لاحظت انعدام ثقته بنفسه، فلا يمكنني تفويت مثل هذه الفرصة العظيمة في الضغط عليه بالمقابل. لا يمكنني الرحيل، ولكن إذا أصبت بالالتهاب الكبدي الوبائي، ألن يكون من المقبول دخولي المستشفى وانعزالي في الحجر الصحي بسبب هذا الوباء الحاد؟ سأجعل زوج أختي يساعدني في ترتيب الأمر حينما أعود إلى البيت، فهو يملك الكثير من السبل في المحافظة. سيعجز الآخرون عن اتهامي لهذا السبب، ولكن مين سيفهم ضمنيًا، ولقد ألقيت اليوم ببعض التلميحات لكبير المهندسين ليو بالفعل. كلما صارت تصرفات مين ضدي أكثر إلحاحًا، فهذا يعني أنه صار أكثر انعدامًا للثقة بالنفس، وهذا يزيد من قدرتي على استغلاله. سيرتب حتى لأمر عمل يوي شان تشينغ، فأنا من يمسكه من ذراعه الذي يؤلمه الآن لأحصل منه على كل ما أريد. لقد فكرت بالفعل في شرطين، وسأفكر في المزيد من الشروط بعدما أعود. لم أكن متأكدًا تمام التأكد مساء الأمس، فقط أفكر في محاولات يائسة، ولكنني لم أعد قلقًا اليوم، يبدو أن مين أقل ثقةً بنفسه مني، بل هو من عليه أن يسمح لي بسلب ما أريد».

انفعل سونغ يون هوي ثانيةً بينما يتحدث، فقد استسلم لعاطفته دومًا اليوم، ولم يكن يابهُ لمقاطعة حميه له، فقط استمر في الحديث بلا انقطاع. ما جعل المدير تشنغ يقلل من مقاطعته

شيئًا فشيئًا، وفي الأخير صار يحدق فيه بثبات وهو يتحدث. التقط سونغ يون هوي أنفاسه بعدما انتهى من الحديث، فلم يتمالك المدير تشنغ من أخذ نفس عميق هو الآخر، واستند على الأريكة يفكر بعمق. بعدما ارتشف سونغ يون هوي بعضًا من الشاي، أكمل كلامه بجملته أخرى: «أبي، سأتخذ إجراءاتي بمجرد أن أصطحب أبي وأمي إلى البيت يوم السبت، فلتساعدني في إعادة النظر بالأمر لإتمامه».

أوما المدير تشنغ برأسه: «لم أتصور وجود مثل هذا التعقيد، أه، لقد كبرت، لم أعد أتبين الأمور بوضوح. طالما أن الفرضية موجودة، فمن الممكن أن يحدث ما تحدث عنه من انقلاب عليك، سأفكر لاحقًا في الموضوع الأفضل بالنسبة إليك لتثبت أقدامك فيه». كان المدير تشنغ يفكر بصوت عالٍ، ثم أخذ يغمغم بعدها، ما لم يمكن المحيطين به من سماع ما يقول. لاحقًا قال: «ثمة أمر ينبغي عليك التفكير فيه جيدًا أيضًا يا هوي الصغير، والبحث عن أسبابه. لقد قبلت كما هو الحال استلام مشروع التحول التقني، وعملت فيه، وإذا ما تسلط عليك في وقت قصير وضغط عليك قليلًا، فباستطاعتك أن تستسلم، لماذا يريد خوض تلك الحرب؟ ثمة أسباب وراء ذلك، عليك أن تفهم بوضوح قبل أن تتخذ إجراءاتك، لا يمكنك أن تكون متطرفًا في تصرفاتك».

لم يسع سونغ يون هوي سوى أن يتنهد من قلبه، إنه في النهاية رجل مخضرم، استطاع أن يتبين صلب المشكلة بلمحة واحدة. لن ينتظر هو الآخر غدًا الخميس، وبما أن حماه قد تحدث في الأمر، فلينتهز الفرصة ويجيبه. «السبب... لقد ذهبت مساء قبل البارحة

إلى بيت الأمين شوي، وأخبرني بقرار. لا أعرف أيضًا ما إذا كان لشوي ومين دورٌ في هذا القرار أم لا، لكن حينما يصدر هذا القرار، فمن المؤكد أنه سيضرب حماسنا في العمل في مقتل». نظر سونغ يون هوي إلى حميه الذي كان في حالة تأهب، ثم استأنف كلامه في حرص: «لقد طلب مني الأمين شوي أن أخبرك يا أبي بأن هناك حركة نقل وشيكة ستحدث في الوزارة، قد يتم نقلك بعد أسبوعين لتتولى منصب نائب أمين لجنة الحزب في المصنع الرئيسي».

وبينما يتحدث سونغ يون هوي، استخرج من جيب ملابسه نتر وجليسرين لاستخدامه لاحقًا. بُهتت والدة تشنغ كاي يان التي كانت تستمع إليهم بالجوار، وثبتت عينيها صوب سونغ يون هوي دون أن تلتفت. أما المدير تشنغ فقد احمرَّ وجهه فجأة، وحدث له ضيق في التنفس، وارتجفت شفتاه. سرعان ما ركل سونغ يون هوي تشنغ كاي يان محثًا إياها على التصرف.

استعاد المدير تشنغ وعيه تحت «ضغط» من تشنغ كاي يان، فتح فمه وأمسك بالتروجليسرين، وما مرت لحظات حتى بهت وجهه تدريجيًا وصار شاحبًا فحسب. لاحقًا وبغض النظر عن محاولات تشنغ كاي يان في نصحه وتوجيهه، ظل لا ينطق، ولم يكن من الأم غير أن تجر سونغ يون هوي وتسأله ما الأمر بالضبط. تحدث سونغ يون هوي مباشرة، قال إنه لا يعرف بالضبط ما إذا كان هذا يعود إلى أسباب سياسات ستسري على الجميع، أم أن مين يسعى بكل الطرق لتقويض سلطته بعدما صار متورطًا بسببه.

بعد صمت طويل من المدير تشنغ، نطق أخيرًا: «اللعة على أمه»، وعضَّ على شفتيه «اللعة على أمه»، لم يتوقف عن السباب.

هنا ارتاح سونغ يون هوي أخيرًا، وغمز لتشنغ كاي يان ملمحًا لها بأن تأخذ أباها لتحدث معه مرة أخرى. هزّت ذراع أبيها، وقالت بغضب: «أبي، وما زال الأمين شوي يقول بأنك صديقه القديم، هكذا قال هوي الصغير، أكثر ما يبيع الصديق صديقه في الأوقات الفارقة. يا خسارة كل هذا الطعام الذي تناوله في بيتنا، بالوقاحته حقًا!».

قال المدير تشنغ ثانياً في غل: «اللعة على أمه». كانت والدة تشنغ كاي يان هي أكثر من تفهم زوجها، فخرجت من المطبخ حاملةً زجاجة وكأس نبيذ، ووجهتها لفته، كما قربت من فمه أيضًا لفافة تبغ مشتعلة. دخن لفافة التبغ وشرب الخمر وأكل حبوب فول بنكهة اليانسون، يتخللها فترات من التوقف يواصل فيها سبابه.

فكر سونغ يون هوي لبعض الوقت، وقرر أن يلجأ إلى النقد الذاتي لتغيير كلام حميه: «أبي، الخطأ كله يقع على عاتقي، لو لم أشتبك مع مين من أجل الورشة الجديدة في الماضي، لم يكن ليحدث ضغطه عليّ اليوم لألا أتخلى عن العمل، لو أنني علمت باكراً أنه سيتولى منصب رئيس المصنع وتصالحت منه، لم يكن لينظر إليّ اليوم على أنني عدو له. أبي، أعتذر لك، لقد سببت لك الكثير من المتاعب».

لم يعد المدير تشنغ قادرًا على الاستماع أكثر، ففتح فمه أخيرًا: «يحدق الذئب في الخروف، فهل يعني هذا أنه خطأ الخروف لأن لحمه طيب؟».

«ولكن يا أبي...».

«اخرس، ستكون خططك اللاحقة كلها من أجل الحفاظ على مكانة عائلتي في جينتشو، إلا إذا كان لديك طرق أخرى للتصدي لمين».

لم يتصور سونغ يون هوي أن يكون حموه لا يزال يتبين الدافع وراء أفعاله بوضوح حتى هذه اللحظة، كما أنه لا يوجه له اللوم، تأثر بشدة، حتى إنه هرع إلى تشتيت انتباه حميه بكلامه: «أبي، حينما أوصل أبي وأمي إلى البيت، سأتصل بالمصنع الرئيسي وأطلب إجازة، ولا يزورني أحدٌ منكم، يجب أن أري مين أنني أحتال عليه. أريد أن أمنحه وقتًا ليقيم ما إذا كان تهديد مستقبلي أهم، أم مستقبله الذي نصب عينيه أهم. أرغب في أن يذهب مين إلى باب بيتي للتوقيع على شروط الاستسلام، أن يتنازل عن كل شيء ويعوضني». توقف هنا للحظة، ونظر إلى تعبيرات وجه حميه، ثم استأنف: «خلال هذه الفترة ستعم فوضى كبيرة في أعمال التحول التقني، وعندما يبحثون عنك طلبًا للمساعدة، يجب أن تنزل إلى أرض الميدان وتتخذ معهم الإجراءات اللازمة. ولكن على ما أظن فإن قرار نقلك يا أبي قد تم تشكيله في الوزارة بالفعل، وقد سبق وفكرت في أن خطتي من الصعب بعض الشيء أن تغير منه».

عصر المدير تشنغ عقب السجارة بقسوة: «اللعة على أهمهم، اقسُ عليهم، انتقم لي». ومن ثم فكر، وأخذ كأس النبيذ مشيرًا إلى سونغ يون هوي وهو يقول: «أضف شرطًا آخر، عندما تعود أريد أن يتولى كبير المهندسين ليو منصبًا ويترك التقاعد، يجب أن تتم ترقيته وإعادة الاستفادة منه، يحب أن يتجول كبير المهندسين ليو في مبنى مكاتب المصنع الرئيسي كل يوم ويغيب في شوي حد الموت».

أسرع سونغ يون هوي قائلاً: «سأفعل. إذا كان هناك شروطٌ أخرى يا أبي فأخبرني بها حينما تفكر فيها جيداً. أبي، لم أتصور حقاً أن تكون بكل تلك العزيمة، لو علمت ذلك باكراً لما اضطررت إلى القلق بشأن إخبارك، لم أجرؤ على إخبارك إلا اليوم. كانت كاي يان هي الأكثر قلقاً عليك، لشد ما قلقت عليك بعد معرفة هذا الأمر، خشيت أن تحزن، وصممت على الانتقال إلى هنا لتكون بصحبتك، فأكثر ما يرضني قلبها هو حبها لك».

«بالطبع، فلطالما كان أبي هو أفضل من يعاملني». ظلت تشنع كاي يان ملتصقة بوالدها، ثم أحضرت حبة فول بنكهة الينسون مقشرة جيداً وقربتها من فمه. ربت المدير تشنع على رأس ابنته بعدما سمع هذا الكلام، وقال مباشرة لسونغ يون هوي: «هذا كان من تخطيطك، أما عن كاي يان... فقد كانت مذعورة وفي حالة من الذهول».

أصاب والدها كبد الحقيقة، ولكنها لم تكن منطقية مع والدها كما كانت تفعل مع سونغ يون هوي، فلم تأبه للحظة بهدفهم المنصب على استرضاء والدها، ودقت على كتف والدها غير موافقة، قائلة بأنها هي من طلبت من سونغ يون هوي تحضير النتروجليسرين. سيطرت ابنته عليه، وعلى الرغم من الهم الثقيل الذي في قلبه الآن، ولكنه في الحقيقة لم يعد يملك طاقة للغضب على الإطلاق، فأظهر كتفيه وظهره وطلب من ابنته أن تدلكهما له كي يفيق. توقف سونغ يون هوي عن نصحه، فلعل هذه هي الطريقة الأفضل لعلاجها.

لم يكن المدير تشنغ «المسكين» قادرًا حتى على الغضب بداخل منزله. ولكنه فضّل في اليوم التالي أن يطلب إجازة راحة لمدة يوم، وظل عابسًا طوال اليوم رفقة زوجته، كما أكمل ما كان ينقصه من سباب. ولكنه طلب من زوجته في المساء أن تعد مأدبة، ودعا والدي سونغ يون هوي للطعام، معتبرًا إياه عشاء وداع. كان سونغ جي شان معجبًا حقًا بأصهاره، فبرغم حدوث مثل هذا الأمر الجلل، ولكنهم يتصرفون كما لو أن شيئًا لم يحدث، فمن الواضح للعيان أن هذه هي متطلبات أن تكون مسؤولاً رفيع المستوى. ولكن المدير تشنغ ذهب إلى العمل في يوم الجمعة، وبادر بالبحث عن الأمين شوي، وقال له بهدوء واطمئنان أنه يقبل ترتيبات المنظمة، ثم مازحه بعدها بما قد فهمه ضمنيًا.

ألقي سونغ يون هوي يوم الجمعة بالأعمال التي كانت في يده، وذهب في يوم السبت لتوصيل أبويه إلى البيت، وفي يوم الاثنين، طارت برقية إلى مكتب قائده ورئيسه المباشر، مدير إدارة النقل والمبيعات. وورد فيها: سونغ يون هوي في إجازة مرضية لمدة شهر بسبب عزله في الحجر الصحي وإصابته بمرض الالتهاب الكبدي الوبائي. باغتت هذه الخطوة مين فأعجزته عن فعل أي شيء حيال ذلك، وكان شوي يضحك ببرود في الجوار مشاهدًا المسرحية. التهاب كبدي، هذا الالتهاب الكبدي العنيف في هذه الفترة، لم يكن أمرًا مفاجئًا على الإطلاق إذا ما وقع لسونغ يون هوي بمحض الصدفة.

بعدها عاد لي دونغ باو من بيت سونغ يون هوي في عيد الربيع، انحلت عقدة قلبه، وبالطبع فإنه لم يكن وقحًا بما فيه الكفاية ليسارع بالبحث عن امرأة لحل المشكلة، فقد كانت لا تزال تعاليم وحدة الجيش الذي التحق به تؤثر فيه، فبخلاف خصره المستقيم دائمًا، كانت له قواعد تحكمه في تصرفاته. إن عدم التفكير في الزواج مع البحث عن امرأة لهو أمر ينم عن مشكلة في التفكير. ولكنه لم يعد يتجنب مطعم وي تشون هونغ لا إراديًا كما كان، وكان لديه ضيوف بعد العيد، فذهب إليها ثانية.

تعجبت وي تشون هونغ من مجيء لي دونغ باو للمرة الثانية، ولكنه أيقظ مشاعرها من جديد. حينما رأت نظراته إليها رفقة أصدقائه بعدما أخذ يبتلع الخمر مرة بعد مرة، تسارعت دقات قلبها وشعرت بحرارة في وجهها، صعدت الدرج خصيصًا لثمّشط شعرها، ثم أمسكت بإصبع أحمر شفاه متغير اللون ووضعت منه القليل.

بعدها انتهى من تناول الطعام، شعر كل منهما بعاطفة تجاه الآخر، كان من المنطقي أن يبقى لي دونغ باو، ولم يحتج حتى إلى التلميح إليها، فقد سألتها مباشرة بعدما أوصل الضيوف: «هل أبقى هنا الليلة؟» فأومات برأسها موافقةً على الفور.

أخذ لي دونغ باو زمام المبادرة في توصيلها هذه المرة، حينما استيقظ في الصباح شعر بقليل من الخجل، ولكنه لم يُبدِ ردة فعل كبيرة. نهض فقط وأدرك أن ثيابه لم تكن بجانب الفراش، فصاح

ممسكًا باللحاف الذي يدثره: «أيها المُديرة، أين ملابسِي؟»، فهو لم يتوقع بأي حال من الأحوال أن يأخذ أحدهم ملابسه ليحيك له سحرًا.

سرعان ما استجابت وي تشون هونغ إلى ندائه وجاءت تحمل كومة من الملابس، وضعتها بجانبه تعلق وجهها ابتسامة كبيرة، وحينما رأته ينهض استدارت مغادرة تتوارى منه. ارتدى ثيابه، كانت الثياب لا تزال دافئة، على الرغم من أنه جلف، ولكنه استطاع تمييز رائحة الصابون المنعشة المنبعثة منها. لم يكتفِ بالتفكير والتخمين وسألها مباشرة: «هل غسلتِ ثيابي؟».

«نعم». لم تمالك نفسها من الضحك، «كانت متسخة للغاية، وضعت السترة القطنية في الصابون مرتين ولم تكوّن رغوة». «آ...؟ ألم تصرِ نظيفة حتى بعدما غسلتها في الغسالة؟».

«أنتى للغسالة بتنظيف الملابس جيدًا، إنها تحرك وعاء من الماء القذر، فهل ستكون بقوة الفك باليدين؟ أحضر إليّ ثيابك المتسخة فيما بعد، سأغسلها لك جيدًا، وأجففها سريعًا أمام الموقد».

«لا يمكن، سأعطلك عن عمك. أئن تغسلي الخضراوات هذا الصباح؟».

«لا يسير العمل على ما يرام بعد عيد الربيع، فمن يجرؤ على الخروج لتناول الطعام الآن وليس في حاجة إلى ذلك؟ ماذا تحب أن تأكل صباحًا؟ حساء الدجاج بالمعكرونة والخضراوات، أم العصيدة والباوتزي؟».

«يكفي أن أشبع، علامَ كل هذه التفاصيل؟»، بدا لي دونغ باو  
أنيقًا بعدما ارتدى ثيابه، قفز بضع مرات، فشعر بالراحة تجتاح كامل  
جسده، هنا قال: «هل أنتِ من خطتِ لي زر السروال؟».

«رأيتهُ للتو». عندها فقط استدارت، ونظرت إليه وهو مهندم  
بعينين ضاحكتين وحاجبين مرفوعين من الدهشة، «دائمًا ما أراك  
ترتدي أكثر الثياب الرثة، يا إلهي، لا تبدو أمينًا للقريبة على الإطلاق.  
إذا لم تكن متعجلاً اليوم، دعني آخذ مقاساتك بعد قليل، أسكن في  
مركز المدينة، وسيكون من السهل عليّ شراء قطعة قماش».  
«خذيها الآن، خذيها الآن».

حينما رآته يحوم حول السرير بجلال ووقار، لم يسعها سوى  
أن تخفض بصرها، واحمرَّ وجهها قليلاً، قالت في خجل: «الآن  
معدتك فارغة، لن يكون مقاس الخصر مضبوطاً، سينفجر الزر  
بالتأكيد إذا ما تم تفصيل السروال فيما بعد».

نظر إليها نظرات غريبة، كان وجهه مقابلاً لوجهها، فلم يجد  
ما يقوله، شعر بأنها كانت جميلة بينما ينظر إليها تحت ضوء  
المصباح مساء البارحة، أما اليوم، ولربما لأنه يراها تحت ضوء  
الشمس، فلم تبدُ له مهما نظر إليها إلا جِلْفَةً. ولكنه كان مستمتعاً  
بلطفها معه، عجز عن الكلام للحظات، فاستدار وخرج أولاً هابطاً  
الدرج. تبعته، وتجرات حينها أخيراً على النظر إلى ظهره العريض،  
وصدره الغليظ، ومنكبيه الشبيهين بالجبلين، فتذكرت مشهد الليلة  
الماضية، وعلت وجهها الابتسامة. هذا الرجل، صار لها.

ذهبت إلى المطبخ لطهي حساء الدجاج بالمعكرونة  
والخضراوات، استخرج لي دونغ باو من محفظة نقوده خمسمائة

يوان وأعطاها إليها، قال إنها مصاريف الملابس التي ستفصلها، كما طلب منها أن تفصل لنفسها أيضًا بضع قطع جميلة من الملابس. رفضت قبول أي شيء، ولكنه أمسك بيديها ودرس النقود في جيبها، عشر ورقات سميكة من فئة الخمسين يوانًا. تناول صحنين من حساء الدجاج بالمعكرونة والخضراوات بطمأنينة بالغة، ف شعر بالرضا ثم غادر. أوصلته إلى الباب، ونبهت عليه بلطف أن يأتي كلما كان لديه الوقت.

اختلطت عليه مشاعرٌ غريبة بعدما تركها، لا يعرف ماهية تلك العلاقة بينه وبينها والتي تشبه ولا تشبه علاقة الرجل بزوجته، لكنه لا يعتقد بأي حال من الأحوال أن هذه مساكنة، المساكنة كلمة ثقيلة للغاية، فبقاؤهما معًا لا يضر أحدًا، كانت العلاقة بينهما برغبة الطرفين، وكأن الأمر لا علاقة له بالآخرين. ولكنها ليست كعلاقة الرجل بزوجته على الإطلاق، فلو كانت كذلك... كان يشعر بما كان يشعر به حينما كان يحب أن يحتضن زوجته الفاتنة آنذاك، ولكن هذا الشعور لم يكن يراوده معها.

ولكنه لم يكن مثل سونغ يون هوي الذي يحب أن يفكر في عواقب الأمور، فماذا يضيره إن اختلطت عليه المشاعر، فلتختلط، فإنه على كلِّ لن يموت. فكر لاحقًا في الذهاب مرة أخرى، أدار دراجته النارية فوصل في لمح البصر. أحبته وي تشون هونغ، وكانت تعامله كما لو كان طفلها المدلل، أضف إلى ذلك فإن عملها لم يكن يسير على ما يرام بسبب الضجّة التي أحدثها التهاب الكبد الوبائي، حاولت بشتى الطرق عمل أطعمة مكملة لذيدة ليستمتع بها. أما هو فلم يكن يشعر بأنه يحظى بمعاملة خاصة، فكثيرون هم من يتوددون

إليه، وكثيرون هم من يحاولون تملقه بكل طريقة ممكنة، ما جعله لا يتبين معاملتها اللطيفة له. وليست سوى عدّة مرات جاء فيها حتى تلاشى ذلك الشعور الغريب الذي بداخله تدريجيًا، وصار مجيئه أمرًا مسلمًا به شيئًا فشيئًا. كما لو كان مطعمها مستراحًا آخر له. وبرغم تعرضها للكثير من الناس ورؤية الكثير في الدنيا من خلال مطعمها، كانت تستجيب كالبيغاء لكل ما يقوله، وتقدم له شتى سبل الراحة في كل شيء، حتى ولو ثارت ثائرتة، كانت تستطيع تهدئته قبل أن يغادر. ودون أن يشعر، صار كلما أحس برغبة في الحديث بدأ يتناقش معها. فلم يعد كما كان في الماضي يتناول العشاء ثم يذهب إلى الفراش، أو يتناول الإفطار ثم يغادر، بل صار بينهما حديث كثير. ومع ذلك فقد سمعت منه أكثر ما لم تكن تحب أن تسمع، إذ أخبرها بوضوح أنه لن يتزوج مرة ثانية.

حينما جاء سونغ يون هوي، عامله لي دونغ باو كما هو الحال دائمًا، كما بذل قصارى جهده فيما يخص طلبه للمساعدة، إذ ذهب لمدير مكتب الصحة بالمحافظة ليساعده على الاحتيال. حينما نزل من القطار، طلب لي دونغ باو لعائلة سونغ سيارة لتوصيلهم، كما سلم له بابتسامة عريضة شهادة الإجازة المرضية وبطاقة السجل الطبي. تسلمها منه سونغ يون هوي هو الآخر بابتسامة عريضة، فقط تمتت والدته بأنها لا تخشى من سوء الحظ، يمكن الخداع في كل شيء، وعليها السير مع التيار حتى ولو لم يكن هناك ذلك الشيء الذي يُدعى التهابًا كبديًا.

بجرد أن وصلوا إلى بيت عائلة سونغ، استخرج لي دونغ باو علبتي لفافة تبغ وأذن للسائق بالانصراف، ثم دخل لمساعدتهم في

حمل الماء وسكبه على الأرض، وهنا سأل سونغ يون هوي الذي كان يمسح الأرضية: «ماذا قلت لي على الهاتف؟ لديك صراع مع نائب مديركم العام؟ ألا يمكنك التحدث معه وجهاً لوجه بوضوح فيما يخص هذا الصراع؟ علامَ كل هذه الألاعيب؟ ألا ترى أنك مُتعب؟».

برر له سونغ يون هوي الأمر قائلاً: «لستُ مثلك، إذا كنتُ بمفردي ألم أكن لأضرب ولا أبالي إذا ما تعرضت للاضطهاد؟ تمامًا كما قال صديقي القديم في المهجع، إذا لم تسر الأمور على ما يرام فما عليك سوى الذهاب لطرق أبواب بيوت القادة كل يوم. ولكن هذه الطريقة لا تفيد الآن، فأصهاري جميعهم موظفون في جينتشو، إذا ما استطعت الصمود، فهل يستطيعون هم؟ فقط عليّ أن أسلك بعض الطرق الملتوية لتعم الفائدة على الجميع».

قال لي دونغ باو بازدراء: «كم هذا مزعج! أليس من الأفضل أن تستثمر وقتك هذا في سرور وتجني المال؟ هل تلك الأجور الزهيدة تستحق؟».

تنهد سونغ يون هوي: «ستكون جديرة ذات يوم، لا أصدق أن هذا الاقتصاد المملوك للدولة على نطاق واسع سيظل دائمًا عديم الفاعلية، لا أصدق أن تلك الفجوة غير الطبيعية بين أجور العمال ذوي الياقات البيضاء وأجور العمال ذوي الياقات الزرقاء ستظل مستمرة. هل سمعتَ عن الإصلاحات التي شهدتها أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي؟».

«لا أهتم، فلنهتم جيدًا بما يجري في وطننا. جئتُ في الوقت المناسب، هل تذكر مصنع الكابلات الكهربائية ذلك الذي في

المدينة؟ إنه متوقف عن العمل من بعد عيد الربيع، ولم يفتح أبوابه قط، لقد أخضعتة تمامًا، قل لي، ما رأيك في أن أشتري ذلك المصنع؟».

وجده سونغ يون هوي لا يناقش معه تفوق المؤسسات المملوكة للدولة، فأحس بغصة في قلبه، إذا لم يتحدث فلن يرتاح، ومن ثمَّ ردَّ عليه ردًّا لا يتعلق بما قاله: «في الحقيقة، ليس عليك أن تقول إن أجورنا متدنية، فالزيادة في أجورنا منذ العام الماضي لم تكن بالضئيلة، يمكن القول باختصار إنها أعلى من المستويات المتوسطة في القرى، بالطبع لا يمكن مقارنتها بك، فأنت قيادي.»

«إذن فلماذا لا يكفيك المال؟».

«أعيش حياة مرفهة. آه! إنني أنفق الكثير من أموالى على بناء حضارة روحية، وأحب البهجة التي لا جوهر لها. هات ما عندك.»

«ما معنى هذا؟ هل قلت ما أردت وارتحت والآن جاء الدور عليّ؟».

«لديك حنجرة جهورة ومزاج جزع! دائمًا ما أفسح لك المجال للتحدث، ألا يمكنك أن تفسح لي المجال من وقتٍ إلى آخر؟».

«ألسْتُ أنا من أفسح لك المجال دائمًا؟ حتى أختك لطالما طلبت مني أن أفسح لك المجال.».

«متى أفسحته لي؟ أنا من أبذل الجُهد دائمًا في مجادلتك.»

أما والدة سونغ، والتي كانت بالجوار، فتفوهت بقول مُنصف: «لي دونغ باو يُصر على رأيه دائمًا، ولا يفتح مجالاً للنقاش سوى مع هوي الصغير.».

فقال لي دونغ باو فوراً: «هل سمعت؟ هل سمعت؟ أنت الوحيد غير المنطقي. فلتناقش معي سريعاً في أمر مصنع الكابلات الكهربائية».

«إياك أن تورط نفسك في ذلك المصنع، حسناً؟ فما هو إلا بضعة عمال كبار في السن ومعدات قديمة، لا ترقى كفاءته إلى كفاءة مصنعك دنغ فنغ، جميعهم مهرة في التلكؤ في العمل واستغلال الصالح العام، إن كفاءة إنتاج معدات ذلك المصنع لا تضاهي مصنعكم، لا يمكن أن تجهل مدى تأثير المعدات الجيدة من السيئة على التكاليف بعد كل هذه السنوات التي أدت فيها مصنع القرية. هل يمكن استخدام هذه المعدات التي لم تتغير منذ عشرات السنين؟ ستكون الإصلاحات كفيلاً بالإتيان بأجلك».

«لست مخطئاً فيما تقول، لكن ألا يمكنك أن تحسن من أسلوبك قليلاً؟».

«غضبت حينما سمعتك تذكر ذلك المصنع، لا تجادل في أمور لا طائل منها، ولا تكن متهوراً مندفعاً بعواطفك، حسناً؟ هل ستتعاقد مع ذلك المصنع أم ستشتريه؟ لنقل إنك ستشتريه، سيكون الأمر ك شراء كومة من خردة الحديد والنحاس، ولنقل إنك ستتعاقد معه، فلن ينشأ بينك وبين هؤلاء العصابة من العمال سوى العداوات في المستقبل، امضِ وسرى».

«كيف لها أن تكون خردة حديد؟ ألا ترى أننا ما زلنا نستخدم مُعدّة الأسلاك الكهربائية التي أعطوها لنا من قبل كتعويض؟».

«ثمة فرق كبير بين المعدات سهلة وصعبة الاستخدام. كنت أحدثك للتو عن إصلاحات أوروبا الشرقية التي لا تريد أن

تسمعتها، هناك كتاب في المجر يتحدث عن الاقتصاد المنقوص، ما هو الاقتصاد المنقوص؟ إنه مثل دولتنا الآن تمامًا، يتسلم الجميع رواتبهم، يصبح لديهم المال، يريدون أن يأكلوا ويتمتعوا، لكن السوق ينقصه الكثير من الأشياء، لذا فما من شيء يتم صناعته إلا وسيكون هناك مشترٍ، سُبَّاع جميع الأشياء سواء كانت جيدة أم سيئة، لطالما لا تعتمد على قسائم الشراء، فمن الممكن خطف جميع البضائع، وتستمر الأسعار في الصعود. ولكن هذه الظاهرة لن تستمر طويلًا، إذ تخطط الحكومة المركزية لتوسيع الصناعات الاستهلاكية، ولقد تضاعف استثمارات نظامنا هذا العام بضعة مرات عن العامين الماضيين. وحينما يتم إطلاق هذه المعدات الجديدة، ستزيد كمية البضائع في الأسواق. قرأت في كتاب أمريكي أن الناس في ذلك الحين سيقارنون نسبيًا بين البضائع الجيدة والبضائع الرخيصة عند الشراء، ولن يشتروا سوى البضائع الرخيصة ذات الجودة الجيدة. تعتمد المنتجات الرخيصة على خفض التكلفة، وهي المواد الأولية في المقام الأول، على سبيل المثال فإن أسعار الأسلاك النحاسية التي تستوردها أرخص من غيرها، وبالتالي يمكن أن تكون الأسلاك الكهربائية التي ستبيعها فيما بعد أرخص قليلًا. هناك أيضًا تكاليف التشغيل مثل الماء والكهرباء والعمالة المستخدمة في الإنتاج، إذ يمكنك تحقيق مكاسب أكثر من المصانع الأخرى بفضل تكاليف التشغيل المنخفضة وميزات فرق السعر. أضف إلى ذلك إذا عدنا إلى مصنع الكابلات الكهربائية الموجود بالمدينة هذا، نجد أن معدات قديمة كهذه ستجعل استهلاك الطاقة في وحدات الأجزاء

الديناميكية ليس ضئيلاً، وفوق ذلك ستطلب المعدات القديمة توفير الكثير من العمالة اليدوية، وستزداد الأجور في الشهر الواحد عن المعتاد، ستتج الأسلاك نفسها ولكن بتكلفة تشغيل عالية للغاية، وفي النهاية قل لي أننى لك بكسب المال؟ تُدمج الآن تلك المُعدّة القديمة ضمن المعدات الحديثة، لو لم تُحسب التكلفة بعناية، فمن يدري ما إذا كانت تتسبب في مكسب أم خسارة؟ إن أمر هذا المصنع واضح للعيان، فكل ما فيه معدات قديمة تكلفتها عالية، وهو لا يستطع التغلب عليكم، لذا أغلق أبوابه، فلا فائدة حتى ولو كانت مؤسسة مملوكة للدولة، لا تملك الدولة الآن كل تلك الأموال لتمنحهم إياها. لماذا إذن تريد أن تأتي لمثل هذا المصنع الخاسر؟ هل ستخسر إذا ما انتظرت إلى بعد حين حتى ينتهي النقص الاقتصادي؟».

وعلى الرغم من ترك لي دونغ باو لما كان في يده من عمل، واستماعه بإنصات إلى شرح سونغ يون هوي، فإن كلامه ظلّ ضبابياً بالنسبة إليه، وكان به الكثير من الأسماء الجديدة. قال دونما تردد: «لتشرح لي الأمر جيداً حينما تقيم في بيتي لاحقاً، لا تتباهى أمامي بعلمك. بالمناسبة، ماذا ستأكلون على العشاء؟».

نظر سونغ يون هوي إلى ساعته، وقال ضاحكاً: «علام الاستعجال، ما زال الوقت باكراً على موعد إغلاق منفذ توزيع الحبوب».

«والخضراوات؟ هل لديكم خضراوات أم لا؟».

«لدينا، أحضرت بعض الخضروات من جيتشوو، وضعتها على الطاولة. كنت أعلم أن الخضروات تنتهي في السوق بعد الظهر».

ذهب لي دونغ باو لإلقاء نظرة، وصاح عاليًا: «كيف ستكفي هذه، أعطني دراجتك، سأعود إلى البيت لأحضرها». وبينما تمسح والدته سونغ يون هوي الدرج، سمعتهما فسارعت قائلة: «لا تتعجل يا دونغ باو، رأيت بعض الخضروات تنمو وسط كومة من الأعشاب في الفناء الخلفي، انتظر وسأقطفها لأطهو بها حساء، ستكون كافية».

هنا استسلم لي دونغ باو، وحرر تلقائيًا الدراجة المربوطة في الجدار، سمع صوت تسريب هواء بعدما نفخ الإطارات، فخلع الصمام القلبي واستبدل آخر جديدًا به، ومن ثمَّ بدأ في النفخ من جديد، فاخفتى الصوت. بعدما تناول طعام العشاء، ركب الدراجة عائدًا إلى المنزل. لقد اعتاد على ركوب الدراجة النارية، فبدأ له ركوب الدراجة الهوائية بطيئًا وبحق. علاوة على ذلك فقد تُركت الدراجة لفترة طويلة، ومن الممكن أن يكون الإطار الداخلي قد اهترأ، ما جعله مرهقًا بشدة بعدما عاد إلى المنزل، فقد أنهكه ركوبها في الحال وهو سمين.

ساعد سونغ يون هوي والديه يومي الأحد والاثنين في تنظيف الفناء الخلفي للمنزل، كما علّم والديه اللذين لطالما كانا مُخلصين له كيف يتصرفا إذا ما جاء شخصٌ من جيتشو ليعود المريض، وفي مساء الاثنين ركب أخيرًا دراجة لي دونغ باو النارية ذاهبًا إلى شياوليغيا.

كانت المرة الأولى التي يأتي فيها سونغ يون هوي لزيارة لي دونغ باو في منزله الجديد، رأى جدرانًا بيضاء بلون الثلج بمجرد

دخوله، ومساحة فارغة خالية، فلم يتمالك نفسه من الضحك، هذا ما يُطلق عليه المساحات المُهدرة. رحبت به والدة لي ترحيباً شديداً حينما رآته قادمًا، وأعطته حلوى الحليب ليأكلها. المال كثير في بيت عائلة لي الآن، فقد اكتظت من أكل الحلوى، ولم تعد في حاجة إلى اكتنازها وتخبيتها بشح. ما زال سونغ يون هوي يذكر حينما ذهب مع أخته لشراء جهاز تليفزيون في الماضي وحدث لها إغماء بسبب نقص السكر في الدم، فاختلطت عليه المشاعر لَمَّا رأى الحلوى التي أخرجتها والدة لي.

هناك، فتح لي دونغ باو النافذة، وصاح بصوت مرتفع: «أخي شي قن، هونغ وي، تشونغ فو، تشنغ مينغ». ولم يكن ثمة شيء آخر، فقد أخذ صدى صوته يتردد في الليل الهادئ. لم يتمالك سونغ يون هوي نفسه من الضحك: «لَم أنت متعجل، تتعامل معي وكأنني مندوبٌ أجير، كم أنك تشبه تشو بابي!»<sup>(1)</sup>.

لم ينكر لي دونغ باو على الإطلاق «نواياه كمالك مستبد»، فضحك قائلاً: «من يدري كم ستمكث، فكيف أطلق سراحك قبل أن أستغلك وأمص دمك؟».

تأثر سونغ يون هوي بشدة: «ما إن آتني إلى هنا حتى أشعر بالطاقة تسري في كامل جسدي، الأمر يختلف تمامًا عنه حينما أكون في جيتشو، فأنا أعتمد بالكامل على ضميري عند العمل هناك».

---

(1) أحد شخصيات الفيلم الصيني «ديك يصبح في منتصف الليل»، وهو من ملاك الأراضي، يختبئ ويقلد صياح الديكة ليوقظ المزارعين إلى العمل مبكرًا. أصبح فيما بعد رمزًا لملاك الأراضي الذين يستغلون المزارعين، وفي وقت لاحق صار مثالاً مشهورًا على طبقة الملاك.

استخفَّ به لي دونغ باو: «لا أريد أن أسمع منك هذا الكلام، المكان هنا جيد، ولكن هل انقلبت على جيتشو؟».

ضحك سونغ يون هوي قائلاً: «سنعود ثانية! لجيتشو ما يميزها، لكن من المؤسف أنني لا أستخدم طاقتي بالكامل فيها، فأنا أتحكم في أمور قليلة، وليس لي نصيبٌ كبير في قول ما أريد، إذا ما رغبت في استعراض ما لدي، ينبغي أن أنتظر إلى حين أن يتكرم عليَّ الآخرون. أليس هذا هو السبب في غضبي من قائدي ومجيئي إلى هنا للاختباء عندك؟».

تعجبت والدة لي قائلة: «تتحكم في أمور قليلة؟ يقول دونغ باو إنك في أهمية المحافظ».

فشرح سونغ يون هوي لها في تهذيب: «مصنعنا الرئيسي ذو مستوى عالٍ، حتى عمدة المدينة لا يمكنه التحكم فيها. فماذا يعد مسؤول مثلي في المصنع الرئيسي؟ تمامًا كما يفقد المحافظ سلطته إذا ما ذهب إلى المقاطعة».

بدا على والدة لي أنها لم تفهم تمامًا، فقالت «أوه، ولكنك أيضًا أهم من دونغ باو».

كانت حنجرة لي دونغ باو الجهورية في الحقيقة ذات فائدة، إذ قدِم في ذلك الحين الأربعة الكبار في شياوليجيا واحدًا تلو الآخر، وسرعان ما تواجد الجميع. صافحهم سونغ يون هوي وتبادلوا التحية، وكانت والدة لي تراقبهم بالجوار وتقول في نفسها يبدو أنه كادر وبحق. وعلى الرغم من أنها صارت الآن الامبراطورة الأم في شياوليجيا، ولكنها كانت لا تزال تذهب إلى المطبخ لغلي الماء. فهي لا تجرؤ على التواني وقد حضر الكوادر.

بادئ ذي بدء أخبر لي دونغ باو الأربعة الكبار للتو بمجيء صهره، وطلب منهم أن يلتقوا به ويتحدثوا معه ويستمعوا إلى محاضرتة. فجاء الشباب حاملين دفاتر الملاحظات بشكل لائق، بيد أنهم وجدوا لا شيء في يد سونغ يون هوي، جلسوا معاً على طاولة مربعة تتسع لثمانية أشخاص، وأحسوا ببعض الحيرة إثر عدم تلقيهم لأي مواد تعليمية. لاحظ سونغ يون هوي الجدّية على جميع الموجودين، فقال ضاحكاً: «لا بد وأن أخي الكبير أراد أن يدفع بي على خشبة المسرح، فما الذي أفهمه أنا في الحقيقة، إن الأخ شي قن أكثر إماماً منّي بمسألة حساب التكاليف. من الأفضل أن أتحدث في الأمور الجانبية، دعوني أتحدث عن إدارة التكاليف. من فضلك يا أخي شي قن، إذا سمعت شيئاً خاطئاً فصححه لي متى أردت». كان يتحدث بينما يكتب، ويُقسّم الموضوع الرئيس إلى عدّة فروع، ومن ثمّ يُقسّم الفروع إلى فروع أصغر منها، فتتجزأ إلى تكاليف أكثر دقة. «لن أقوم الآن بتفصيل تكاليف منتج معين، دعونا نتحدث عن المفهوم العام أولاً».

كان شي قن الأكثر قدرة على الفهم من بين السامعين، فقال بحذر بعض الشيء: «نحن... عادةً لا نُفصّل بتلك الدقة».

قال سونغ يون هوي: «هدفنا الآن من تفصيل التكلفة بكل تلك الدقة هو سهولة دراسة منشأ تكاليف منتجاتنا بالضبط، ومن ثمّ، يتسنى لنا بالتبعية تعديل أي موضع عن طريق الوسائل التقنية أو الإدارية، فنحصل على المزيد من الربح، ونجني المزيد من المال. وإلا فلن نتمكن من بلوغ سوى مفهوم عام في الإنتاج، أوه، قد أكون وظفتُ شخصاً إضافياً مقارنةً بالمصانع الأخرى،

لذا أخفض العمالة بمقدار شخصٍ واحد أو شيء من هذا القبيل، لا يمكن استهداف هذا النوع من التحكم بالتكاليف. في الوقت نفسه، فبمقدورنا استنباط مكن المشاكل التي ظهرت في التحكم بالتكاليف مؤخرًا من خلال حساب التكاليف في فترة زمنية محددة، ولماذا ارتفعت أو انخفضت الأرباح، وستكون لدينا فكرة واضحة فيما بعد عن ذلك خلال الإدارة».

استجاب تشنغ مينغ الشاب استجابة سريعة، فقال على الفور: «هذا منطقي».

استأنف سونغ يون هوي كلامه: «لنفضّل التكاليف الآن بوضوح كي يتسنى لنا حل تنفيذ التحكم بالتكاليف واحدة تلو الأخرى. على سبيل المثال: تكاليف المواد الأولية هنا، فأبسط طريقة هي الاقتصاد فيها قدر ما يمكن، أما الطريقة الأكثر منطقية فهي استخدام الفرق السلبي المشترك. بلوغ الوفرة من التراكمات القليلة، هكذا يأتي الربح. ثمة طريقة تعتمد على التقنيات أيضًا، بمقدورنا التفكير في كيفية التحكم بسمك الطبقة البلاستيكية خارج السلك الكهربائي مع ضمان الجودة. على الرغم من عجزنا عن فعل ذلك في الوقت الراهن، بيد أنه يمكن أن يصير توجيهنا المستقبلي في معالجة المشكلات العلمية والتقنية، قل لي يا تشنغ مينغ، هل هذا صحيح؟».

أوما تشنغ مينغ برأسه موافقًا، وقال هونغ وي إلى جواره ضاحكًا: «نفذنا بعضًا من هذه الأمور بالفعل، ولكننا لا نضع النظريات، حينما تحدثت في الأمر بدأت تتضح طرق التفكير فيها.

كيف فكرت في هذا؟ تختلف مؤسساتكم المملوكة للدولة بعد كل شيء».

«لا، هذا بالرجوع إلى كتب الإدارة الأمريكية. جيتشوو...». ولم يسعَ سونغ يون هوي سوى أن تنهد. ظلَّ لي دونغ باو يستمع طويلاً، ولم ينطق إلا الآن: «هكذا إذن، إذا كنت على أي حال ستمكث هنا لبضعة أيام، فلتحلل ببساطة تكاليف جميع منتجاتنا مرةً واحدة».

رفض سونغ يون هوي قولاً واحداً: «لا أفهم في تقنياتكم ومعداتكم، مستحيل».

حينما يئس منه لي دونغ باو، حملق في شي قن بعينه فحسب. فقال شي قن في تردد: «من الناحية النظرية فإن هذا غالباً ممكن، في الواقع لقد قمنا بتفصيل دقيق كهذا عند تفقُّد مصنع الطوب الخاص بنا في الماضي. ولكن... ألن يتطلب ذلك المزيد من الأيدي العاملة؟ ما رأيك أيها الأمين؟».

تلهَّف تشونغ فو على الرد: «أرى أن نحسب رقماً قياسياً أولاً لنعلم ما إذا كان علينا زيادة الأيدي العاملة أم لا، ونعمل بعدها وفقاً للأرقام. تماماً مثلما وظفت شخصين في مزرعة الخنازير خصيصاً لحساب تكلفة الأعلاف، وإلا فسندهر الكثير إذا ما أطعمنا الخنازير أكثر من اللازم أو سنتتج القليل من اللحوم إذا ما أطعمناها أقل من اللازم، وسنكون مخطئين في الحالتين. طريقة هوي الصغير هذه دقيقة، بل أكثر دقة بكثير من الطريقة التقريبية التي فكرت بها في بادئ الأمر، سأتابع هذه الطريقة لاحقاً عند التحقق من المخطط

التفصيلي للتكاليف، بعد ذلك... أولاً تساعدني في إلقاء نظرة يا هوي الصغير؟».

وكان هونغ وي هو الأكثر دهاءً، فقال باسمًا: «تشونغ فو، عليك أن تناديه المدير سونغ». فسَعِل: «أناديه بعفوية، أناديه بعفوية، هاها».

طرق لي دونغ باو على الطاولة فورًا: «فلتعملوا أنتم بسرعة، وإذا ما خرجتم بشيء أحضروه سريعًا إلى هوي الصغير ليلقي نظرة، أمامكم ثلاثة أيام».

ضحك سونغ يون هوي وقال: «ألم أخبرك أنني سأقيم هنا لبعض الوقت؟».

«أنت مشغولٌ بإجراء المكالمات الهاتفية كل يوم لدرجة أنك تستخدم سماعتي هاتفين في الوقت نفسه، لا أصدق أن قائدكم على استعداد لإطلاق سراحك أسبوعًا».

قال سونغ يون هوي في فتور: «هل تظن أن جيتشو هي شياولي جيا قرينك؟ تشبه جيتشو حوتًا كبيرًا، إذا ما عضت ذيله سمكةٌ أخرى، فلن يعرف طعم الألم إلا بعد عشرة أو خمسة عشر يومًا على الأقل، ولن يُبدِ ردّة فعل إلا بعد عشرة أو خمسة عشر يومًا أخرى».

ضحك لي دونغ باو قائلاً: «هذه سمكة جيدة، سمكة جيدة! ستزداد سعادتي بمكوئك هنا لأطول فترة ممكنة، اعتبر نفسك تستجم عندنا ها هنا. تشونغ فو، أحضر الكوارع التي تم ذبحها للتو في الغد، فسكان المدينة مثل هوي الصغير وغيره لا يأكلون سوى اللحوم الباردة كل يوم».

لم يعرف سونغ يون هوي هل يضحك أم يبكي، فقد شعر في قرارة نفسه أنه لا يُريد ردة فعل سريعة من مين، فإذا كانت سريعة لن يكون قد ذاق وبال أمره بعد، ولن يوافق على شروطه الصارمة. بيد أنه كان يأمل أيضًا من كل قلبه ألا يستغرق مين وقتًا طويلًا في ردة فعله، فإذا طال الأمر... لا يعرف ما هي التغييرات التي ستحدث خلال هذه المدة. حبس هذه المخاوف في قلبه فحسب، واستمر في نقاشه الحماسي مع جنرالات شياولييجيا.

## 7

بمقتضى النقاش الذي دار بين المدير مين وكبير المهندسين ليو، فقد خَلَصَ كبير المهندسين ليو إلى أنه ما من أحد ما زال بمقدوره تسلّم عمل سونغ يون هوي، بما في ذلك هو نفسه. بيد أنه لم يكِل، فهو لم يصدّق أن دورًا يقوم به شخصٌ واحد يمكن أن يتخطى فريقيًا، وأصدر أوامره لكبير المهندسين الجديد الذي كان خلفًا له بأن يتسلم أعماله مؤقتًا. وفي الحال انتشرت الشائعات انتشار النار في الهشيم، فقليل إن كبير مهندسين بدرجة نائب المدير الرئيسي يتسلم عمل موظف بدرجة مدير لورشة تابعة لفرع المصنع الأول، ويعني ذلك بوضوح إما أنهم يعملون من الحبة قُبّة ويفرطون في استخدام القوة، وإما أنهم كانوا يضطهدون سونغ الصغير المخلص من قبل، مُجمل القول إن ترتيبات المصنع الرئيسي بها قصور كبير. كانت للمدير مين شخصية صعبة، إذ أصمّ أذنيه عن سماع هذا، أما كبير المهندسين فكانه كان جالسًا فوق فوهة بركان. إذا ما نجح

فيما يقوم به يكون هذا هو المطلوب، وإذا لم ينجح فسيفقد الكثير من ماء وجهه.

كانت توقعات كبير المهندسين ليو هي سبب ارتباك كبير المهندسين الحالي، فحالما جلس على مكتب سونغ يون هوي، اشتهم رائحة غريبة تنبعث من المنضدة والمقعد بعد تطهيرهما، وما مرت خمس دقائق تقريبًا حتى رد على مكالمة تليفونية جاءته، أو قدم إليه من يطلب التعليمات والتقارير، وفي غضون يوم واحد اختنق بسبب المياه المظهرة وشعر بالدوار وبأن رأسه منتفخًا، وشحب وجهه، يمتلئ رأسه على أوجه بمحتوى التحول التقني الذي أحال حياته جحيماً، تغلي دماغه كعصيدة ساخنة، يصدر منها صوت قرقرة.

يدرك كبير المهندسين قصور قدراته، لكنه عادة ما يكون عنيدًا، لا يقبل تصعيد عمله لألا يزدريه أحد. كان يعتمد بعض الشيء على تجربة حظه، لعله بسبب تسلمه اليوم الأول لأعمال التحول التقني وعدم إمامه بكل شيء، ما جعله عاجزًا عن الإمساك بطرف خيط الآلاف من المواضيع. فكر في نفسه، إن المعدات هي الأصل في الفرع الأول للمصنع، كان بمقدوره السير في الورشة ولو مغمض العينين في أيام شبابه، أما اليوم ومع التحول التقني، فبدلاً من التخلص منها نهائيًا، هل سيمكن لتلك الأجهزة الخروج من الإطار المحدد؟

حينما فكر بهذه الطريقة شعر أنه وجد مفتاح الحل. أنهى العمل وعاد إلى المنزل، قسّم جميع كتل أعمال التحول التقني إلى أقسام صغيرة وفقاً لاتجاه المعدات، ثم صنّف وعبأ تلك المشكلات التي لمسها في الصباح والتي جعلت رأسه في حالة من الفوضى.

جلس الليل بطوله، ما جعله يحظى ببعض الثقة بالنفس. في صباح اليوم التالي جاء المدير مين يركض خصيصًا معتنيًا بمسألة التحول التقني، فتمكن من إجابته بثقة: هي بصدد الاندماج في الوضع. كان المدير مين سعيدًا بطبيعة الحال، وقال في نفسه تبدو أن تقديرات كبير المهندسين ليو كانت متحفظة للغاية. وهذا حتمي، فكبار السن، وبخاصة الفنيون من كبار السن، من السهل أن يرتكبوا الخطأ الأكثر شيوعًا وهو الإفراط في التحفظ.

كان المدير تشنغ هو الوحيد التي تسلل إلى قلبه القلق بعدما ألمّ بالأوضاع، لكن ومهما ازداد قلقه فهو لا يملك سوى الانتظار في هدوء وتروٍ ومشاهدة ما يحدث. فإذا انقلب السحر على الساحر وصار زوج ابنته ضحيةً لذكائه، ما باليد حيلة إذن، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يطلب منه فورًا التخلص من أمر الالتهاب الكبدي، والعودة في الحال لاختطاف العمل من كبير المهندسين. فسوف يجعل هذا منه أضحوكة إلى الأبد بداخل النظام. ازداد شعور المدير تشنغ شيئًا فشيئًا بخطر تعرض زوج ابنته للسير على حافة الهاوية. يتتابع على المصنع الرئيسي رجال أكفاء جيلًا بعد جيل، فأنتى له بالتوقف عن الدوران إذا ما نقص منه شخصٌ واحد مثل سونغ يون هوي؟! لكم هو ساذج، لكم هو مجنون! وصل به الأمر أن يعتقد أنه أفضل من في العالم. ألمّ بالمدير تشنغ شعورٌ بالندم لأنه كان غاضبًا أيضًا آنذاك، ولم يُثنِ زوج ابنته عن اتخاذ هذه الخطوة المحفوفة بالمخاطر.

عاد إلى البيت عند الظهيرة، وأجرى مكالمة هاتفية ببيت لي دونغ باو ليخبر سونغ يون هوي بهذا الأمر. ارتاب سونغ يون هوي

هو الآخر بسماعه ذلك، ولكنّه أزر حماه: «أبي، لشد ما أود أن تطول مُدة تسلّم كبير المهندسين للعمل قليلاً، لا بد وأن تُفصَح المشكلة من جذورها، ويصير من الصعب بعض الشيء إدراك الفوضى التي ستحل بهيكل النظام. إذا قال كبير المهندسين بمجرد توليه المنصب مباشرةً إنه ليس بمقدوره القيام به، بدلاً من التصرف الحالي بهذا الحُمو، فلا يمكن أن تنشأ فوضى عارمة في أعمال التحول التقني، ولن يتساهل معي مين كثيرًا».

لكن وبمجرد أن وضع سماعة الهاتف، ظلّ سونغ يون هوي يفكر طويلاً، يخمن ما الذي سيفعله كبير المهندسين بالضبط. فأكثر شيء واضح بالنسبة إليه هو أنه حتى ولو نجح في السير على حافة الهاوية وعاد إلى جيتشو، فسيكون إدراك هذه الفوضى العارمة كافيًا ليصيبه بالصداع، وقد يعجز عن تصليحها، ناهيك من تخريب سمعته في الوسط التقني، علاوة على ذلك فمن الممكن أن يطيح مين بشروط الاستسلام. لقد دفع بمين إلى حافة الهاوية، لكن أليس هذا دفعًا بنفسه إلى حافة الهاوية أيضًا؟ وإن لم يكن كذلك، فهل سيكون بمقدوره تحمل الصفعات التي سيتلقاها من كل مكان بتواجده في هذا الموقف السلبي؟ لا، لم يكن ليُقبل هذا حتى حينما كان جروًا<sup>(1)</sup>. كان يعلم تمام العلم أن أمامه طريقًا واحدًا يسلكه، بيد أنه كان لا يزال يتعين عليه الانتظار بملئه قلق.

في ذلك الحين، كان جميع من في بيت لي دونغ باو مشغولين؛ إذ ذهب لي دونغ باو إلى المدينة ليتحدث في أمرٍ ما مع أحدهم،

---

(1) كانت كلمة «جرو» إهانة شائعة الاستخدام خلال الثورة الثقافية للإشارة إلى أبناء «أعداء الشعب»؛ وكانوا يعانون من التمييز والاضطهاد.

وانشغل الأربعة الكبار كل على حدة بما لديه من عمل، كان الأكثر فراغًا من بينهم، فتناول الكتاب الذي أرسلته له ليانغ سي شن وأخذ يدرسه. منذ أن التحقت ليانغ سي شن بالجامعة، وبخاصة أن عملت في التجارة الدولية والمضاربة في العملات والأسهم، فقد صارت الكتب التي ترسلها أكثر روعة، قرأت هي الأخرى بعضًا منها، إذ كان الكتاب يحتوي في كثير من الأحيان على العديد من الإشارات المرجعية التي وضعتها بنفسها لتوضح فيها انطباعاتها. كان سونغ يون هوي يعلم مسبقًا أن هذه الكتب جيدة، لكن وقته كان ضيقًا مع الأسف. أما الآن فقد تمكن أخيرًا من الحصول على قدر كبير من الوقت دون تشتيت ذهن.

وضع الكتاب جانبًا وخرج. لم يكن بوسع سوي أن يعترف، كانت شياوليجيا لتصير جميلة بما لا يمكن استيعابه مع أشجار الخوخ الحمراء وأشجار الصفصاف الخضراء لو كانت تخلو من تلك الرائحة النتنة التي تفوح في القرية. نمت الأشجار على حاجز النهر في طريق القرية كثيرًا، ينبعث منها اللون الأخضر في نظام وتنسيق. تكسوها طبقات من أزهار الخوخ والبرقوق، وفي الحقول عند سفح الجبل، ثمة سجادة من زهور الرينج الأرجوانية الصغيرة، إضافة إلى بقع صغيرة من زهور الشلجم التي شرعت تميل إلى اللون الأصفر. لم تكن مثل جينتشو، كانت بها أيضًا روائح كريهة، الروائح الكريهة المُمَيِّزة للصناعات الكيميائية، ولكنك لم تكن لتستطيع مشاهدة مثل تلك الأجواء الربيعية البريئة فيها. لكم هو بديع الربيع في الريف، تمامًا مثل اقتصاده.

كل ما في الأمر أن مياه هذا النهر تعكّرت على نحو غامض.

تمشّى قليلاً ثم عاد، ما جعله يستعيد هدوءه ويستأنف قراءة الكتاب. كانت والدة لي تراقبه بالجوار وهي تحدّث نفسها، لماذا يحب جميع من في عائلة سونغ قراءة الكتب، والأمر أفضح بالنسبة للأخ الصغير، فكل ما يقرأه هو كتب أجنبية. لم تجرؤ على الاقتراب من سونغ يون هوي، تمامًا مثلما لم تكن تجرؤ على الاقتراب من شيوي الكبير، كانت تشعر بأن ثمة نسمة باردة صعبة المنال يحملها كلٌّ منهما. لم يتصور سونغ يون هوي بأي حال من الأحوال أنه قد يتسبب في إرباك والدة لي دونغ باو، فاستمر في قراءة كتابه بتركيز بلا كلل ولا ملل. بيد أن ثمة موضعًا في قلبه دائمًا ما يختلج في وهن، يُذكره بأن سيفًا مجهولاً معلقًا فوق رأسه.

مرت الأيام كأنها أعوام. لم يسبق وأن دخّن سونغ يون هوي هذا في الماضي، وخلال ثلاثة أيام، من الثلاثاء وحتى الخميس، قضى على علبة السجائر التي كان يحتفظ بها لي دونغ باو من أجل الضيوف بأكملها. دخّن حتى شعر بالحكة في حلقه، وصار صوته أجشًا. ظل لي دونغ باو لا يفهم، لماذا عقّد سونغ يون هوي الأمور بكل ذلك الشكل، وفوق ذلك فقد أذى نفسه بحيلته هذه كما يُقال، لا، بل دمّر نفسه. يقول لي دونغ باو، فليتنصرف بوضوح قليلاً، يطرق على الطاولة ويسبب ضجيجًا للمدير، إذا كان لديه ما يقوله فليقله مباشرة، ألن يجد رجلاً كبيرًا مثله مكانًا يذهب إليه؟ علامَ التمسك بجيتتسو تلك من أجل بضع مئات من الحيوانات؟

في مساء الخميس، وبينما كان معتادًا كل يوم على قدوم اتصال من حميه، لم يأتِ أي اتصال. انتهى سونغ يون هوي من تناول الطعام وجلس مع شي قن وتشنغ مينغ يدرسون تقييم مصنع دنج

فنع، ولكنه ما يلبث يلقي نظرة دائماً على الهاتف وساعة يده. اندهش الشاب لي تشنع مينع، فكلما نظر إلى ساعة يد سونغ يون هوي ازداد إعجاباً بها، ضحك قائلاً: «أيها المدير سونغ، أعرني ساعتك لأراها، إنها حقاً عصرية».

فخلع ساعته وأعطاهها له: «مستوردة من الخارج». وفي الأخير لم يطق الانتظار ونهض ليهاتف حماه. فشؤونه كقتيل مشتعل، كلما مرت ساعة اقترب من الانفجار.

على الجهة الأخرى، كان حموه هو من ردّ على الهاتف كما توقع، لكن وما إن ردّ وسمعه يقول «أبي»، حتى قال محافظاً على هدوئه «رقم خاطئ ثانية»، ومن ثمّ أغلق الهاتف. حمّن سونغ يون هوي أنه ثمة من بالمنزل بلا شك. كما أنه لا يظن أنه شوي، بل مين. وأخيراً صارت هناك تعليقات في جيتشو، وكانت أي تعليقات أفضل كثيراً من عدم وجود ردة فعل. اضطرب مزاج سونغ يون هوي وأصبح جزعاً. رأى لي دونغ باو حالته الواضحة للعيان، فقال مُستغرباً: «ماذا بك؟ هل طفحت الدامل على مؤخرتك؟ اجلس ثابتاً قليلاً».

كان سونغ يون هوي حقاً جالساً على أحر من الجمر، وبشق الأنفس، حينما اقتربت الساعة من التاسعة والنصف، رنّ جرس هاتف بيت لي دونغ باو، فردّ عليه، إلا أن سونغ يون هوي رآه وقد تغيرت تعبيرات وجهه كثيراً، إذ استحال عصبياً، وقال «ليس لديّ وقت»، وهكذا أغلق الهاتف. عاد قلب سونغ يون هوي الذي تحفّز إلى حالته الأولى في عجز. حمّن شي قن من المتصل متردداً، ونظر بحذر إلى سونغ يون هوي، ثم أخذ يتحدث جاذباً انتباه الجميع.

لم يساور سونغ يون هوي أدنى شك بشأنه، ذلك لأن المكالمات التالية جاءت بعدها مباشرة. اعتقد لي دونغ باو أنها وي تشون هونغ ثانية، فرد على الهاتف بوجه متحجر: «ماذا هناك؟». كان الطرف الآخر على الهاتف هو المدير تشنغ: «هل معي لي الصغير؟ أنا حمو هوي الصغير».

قال له فوراً: «هل اتصلت أخيراً؟ إذا لم تتصل كانت مؤخرة هوي الصغير لتتلف من فرط حنّها».

سرعان ما قفز سونغ يون هوي وخطف منه الهاتف، سأل متلهفًا: «أبي، من جاء قبل قليل؟».

«لن تتصور مهما يكن، كانا اثنين، أحدهما كبير المهندسين السابق، والآخر كبير المهندسين الحالي، يقولان إنهما يريدان زيارتك، قلتُ لهما إنك ما زلت في الحجر الصحي، وأنهما إذا ذهبا فلن يقابلا سوى بوابة المستشفى الكبيرة. لا بد وأنهما لم يعودا قادرين على الصمود أكثر، حتى قائدك المباشر لم يطلب زيارةً بعد، فعلاّم يتعجلان. أكثر ما لا أفهمه هو هذا الوحل الذي يطأه ليو الكبير، هذا الرجل طعن في السن، لم يعد يطيق استجداء مدح الآخرين، لقد مرّغ وجهه وشيبتته بالتراب هذه المرة».

لم يتمالك سونغ يون هوي في النهاية وانفجر في الضحك بصوت عالٍ: «لا يمكنهم الصمود بعد الآن».

قال المدير تشنغ بلهجة جادة: «لا تأخذك الفرحة مبكرًا. ليس مين هو من لا يستطيع الصمود الآن، لقد عقدت مجموعة التحول التقني اجتماعًا اليوم، وكان مين هو المضيف، وعين ليو الكبير

مشرقاً عامًا على مشروع التحول التقني. الوجه الإيجابي بالنسبة لك هو أن مستواك اعترف به، الجميع يرى الآن أضحوكة كبيرى المهندسين، يقولون إن كبيرى مهندسين لا يضاهايان مدير ورشة، وانتشرت الأضحوكة على نطاق واسع. ولكن تعيين ليو وموافقته على تولي المنصب جعل الأمور بالنسبة إليّ لا تُبشر بالخير كثيرًا. قل لي، هل سيحين الوقت الذي يُلقى فيه مين بالمسؤولية على عاتق ليو وينجو بنفسه بهذه الاستراتيجية؟ فليو تقاعد بالفعل على كل حال، نجاحه في التحول التقني من عدمه سيؤثر في الأغلب على سمعته، ولا علاقة لهذا بمستقبله، بما أنه قبل المنصب، فإذا امتدت فترة التحول التقني في النهاية، ومهما تكبد المصنع الرئيسي من خسائر فادحة، لن يكون لهذا علاقة كبيرة بمين أيضًا. ولكن أنت، لا بد وستشفى من التهابك الكبدي، أليس كذلك؟».

وجم سونغ يون هوي بسماعه هذا الكلام، فهو لم يتخيل ذلك، لا يفل الحديد إلى الحديد، ومين سيلجأ إلى مثل تلك الخدعة. بُناءً عليه، فإن تهديد فشل التحول التقني على مكانة مين ضئيل للغاية، فهل سيقبل الموافقة على شروطه التي تحت التهديد؟

توقع المدير تشنغ زهول سونغ يون هوي: «اشرع الآن في التفكير جيدًا، كيف يمكن تلطيخ شوي بالوحد؟».

«صعب». أجابه سونغ يون هوي من دون تردد، «ثمة كبش فداء، فما الفائدة مهما تلطيخ شوي بالوحد؟».

«لا بد وأن هناك حلًا، فكر جيدًا».

أطرق سونغ يون هوي بعض الوقت، وقال: «إذا أرادوا القدوم الأسبوع القادم فلتدعهم يأتون. فقد سمعتُ أنه يمكن الخروج من

الحجر الصحي خلال عشرة أيام من الإصابة بالالتهاب الكبدي، وستعين عليهم أن يُعيدوني إلى المنزل الأسبوع القادم لأتعافى. أما العجوز ليو كبير المهندسين، فلتركه يتلوى في مكانه ما دام قادرًا على ذلك. لم يسبق لي وأن رأيت شخصًا يعشق الأضواء مثله».

«حسنًا، هكذا فلنقرر أولاً، لنشاهدهم بينما نسدد إليهم الضربات». وضع سونغ يون هوي سماعة الهاتف، وقال للي دونغ باو: «انظر يا أخي الكبير، عليّ أن أخبرك أنني سأمكث في بيتك لمدة ليست بالقصيرة».

«ابقَ كما تحب. ما زلت لا أريدك أن تغادر».

أوما سونغ يون هوي برأسه: «يبدو أن الأوضاع ساءت بشدّة، سأبقى في بيتك طويلاً بنسبة سبعين بالمائة».

«بكل ترحيب، وكيف سيتصرفون في بيت حميك؟».

«هذه أكبر مشاكلني. سأفكر». وكان يحدث نفسه بأنه لو عاد الآن فسوف تسوء الأمور أكثر.

كان شي قن وتشنغ مينغ يستمعان إلى الحوار الذي يدور بينهما، وهنا فهما أن ثمة مشكلة ما طرأت على عمل سونغ يون هوي. ففكر شي قن على وجه الخصوص في قدرته على حفظ رباطة جأشه في هذا السن الصغير، فهو لم يلحظ عليه أي شيء في الأيام القليلة الماضية. تناقش شي قن وتشنغ مينغ قليلاً بلباقة، ثم استأذنا في الانصراف. سحب سونغ يون هوي لفافة تبغ في ضيق، وذهب ليدخن في الخارج. كان لي دونغ باو يتحضر للنوم أساسًا، وحينما رأى صهره على هذه الحال لم يطاوعه قلبه. ومع ذلك فهو لم يكن

معجبًا بطريقته في التعامل مع الأمور، ويعجز عن إقناعه، يخشى أن يغضب ويتشاجر معه. لكنه لم يستطع تمالك نفسه في النهاية، وحالما أطفأ سونغ يون هوي عقب السجارة ودخل مغلقًا الباب خلفه، قال له بنفاد صبر: «اتصل مباشرةً بمدير مصنعكم، لا تعلق نفسك بين الحياة والموت. فمنظرك هذا يوحي بالاستسلام على كل حال، ولن يكون أفضل من التصرف والتخلص من همومك».

«سوف نرى، كنت متعبًا كثيرًا في الحقيقة هذه السنوات، وعليّ أن آخذ قسطًا طويلًا من الراحة. لمْ ذهبت إلى المدينة ثانيةً نهارًا؟ تركض محمومًا هذه الأيام، أشك في أنك متهورٌ ولم تصرف نظرًا عن مصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة».

«اهتم لشأنك». سار لي دونغ باو وصعد الدرج، ولكن أثار انتباهه السؤال الذي طرحه عليه سونغ يون هوي، «ذهبتُ إلى هيئة الصناعات الخفيفة، هل تعلم ماذا قالوا؟».

«من ممتلكات الدولة، لا يُباع!».

«وهل يمكن أن أستسلم بكل هذه السهولة؟ منذ متى كنتُ جبانًا؟».

«أنتي لي أن أعرف منذ متى كنتُ جبانًا. أم أنك عُدت واقترحت أمر التعاقد؟». قال لي دونغ باو شاعرًا بالرضا: «عمومًا لستُ غيبًا، وأنا أيضًا لستُ بالغبي. طرحت عليهم أن أشتري المعدات».

ما إن سمعه سونغ يون هوي حتى سار في اتجاهه صاعدًا الدرج: «حسبْتُها بالفعل مع تشنغ مينغ، معدات الأسلاك الكهربائية القديمة الخاصة بنا ليست مُربحة في الأساس، واستهلاكها للطاقة

مرتفع جداً». خنفر لي دونغ باو، وقال برضا عن نفسه: «انظر إليّ، أنا أذكى منك، بل وأوضح منك».

«ليس بالضرورة». حمل سونغ يون هوي كتابًا وسار متجهًا إلى الغرفة التي أقام فيها شيوي الكبير حينما جاء من قبل، وبينما يهم بإغلاق الباب، قال لي دونغ باو دون أن يستطع لجم نفسه: «ماتتان وخمسون ألفًا، أترى الأمر جديرًا أم لا؟».

صُنع سونغ يون هوي، فهو سبق وأن استشار تشنغ مينغ حول معدات مصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة حتى يتحدث بالأدلة حينما يُباشر العمل الأيديولوجي للي دونغ باو، أما وقد سمع مثل هذا السعر، فلم يكن أمامه سوى الدهول، وقف عند مدخل الباب دونما حراك، ينظر إلى لي دونغ باو الذي بدت عليه علامات الشماتة والفخر: «هل اعتبرتها هيئة الصناعات الخفيفة خردة؟». ضحك لي دونغ باو معتدًا بنفسه، وتعمد ألا يُجيبه، انعطف ودلف من باب غرفته دون أن يغلقه، فهو ينام جيدًا ولا يخشى الضوضاء. قلب سونغ يون هوي الموضوع في رأسه طويلًا، وحينما وصل بتفكيره إلى اللُغز الغامض لتعلق لي دونغ باو بهذا المصنع، وسعر بيع مثل تلك الخردة، سار إلى أن وقف عند مدخل غرفته وسأله: «لم تدفع رشوة، أليس كذلك؟».

قال لي دونغ باو غير مبالي: «وإلا فمن أين سيأتي سعر الخردة؟» قال سونغ يون هوي في شيء من القلق: «من الجلي أن سعرك هذا غير منطقي، واضح جدًا، سيطرأ أمرٌ ما».

ابتسم لي دونغ باو قائلاً: «ليكن سرًّا بيننا».

أراد سونغ يون هوي أن يتحدث ولكنه في النهاية لم يتفوه بشيء. حالما فُكّر في المعاملة غير المنطقية التي تلقاها، وفي خروج يوي شان تشينغ من جينتشو كالمسكة التي عادت إلى الماء، رغب في بادئ الأمر أن يُسدي النصيحة إلى لي دونغ باو بشأن مبادئ كيف يصير رجلاً، ولكنها وصلت إلى طرف لسانه ولم يستطع أن يبصقها. مَنْ الأكثر ملاءمة للبقاء على قيد الحياة؟ قانون الطبيعة هو البقاء للأصلح. أليس غريباً بما يكفي عن هذا العالم؟ انتهى إلى أذنيه لا إرادياً صدى قصيدة شعرية لبي داو هزّته بمجرد أن قرأها وعجز عن نسيانها بعدما وقعت عليها عيناه للمرة الأولى: «لا أصدق زُرقة السماء، لا أصدق صدى الرعد، لا أصدق زيف الأحلام، لا أصدق موتاً بلا جزاء». حينما قرأها آنذاك صاح إعجاباً بها، أما الآن فقد أخذ يفكر مبهوئاً، لا بد وأن الشكوك كانت تملأ بي داو حينما كتب تلك الجمل الأربع!

أراد لي دونغ باو الدخول في جدال واضح مع سونغ يون هوي، وتعليم أخ زوجته هذا الذي لا يجيد سوى التفكير دونما تنفيذ، لكنه رآه وقد أطرق طويلاً ولم يُجب، فلم يتمالك نفسه وقال له متعجباً: «هل تجمد الدم في عروقك؟».

أيقظته حنجرة لي دونغ باو الجهورية، فقال مستاءً: «لا، ربما تكون تصرفت بشكل صحيح. الفرص كثيرة جداً أمامنا الآن، ولكن الطريق ضيقة، لعل الشُّجعان هم من ينتصرون حينما تضيق بهم الطرق».

لم يفهم لي دونغ باو كلامه كلياً، لكن وبصفته زوج أخته، فقد أدى دور زوج الأخت بمنتهى المسؤولية: «أنت، آه! قلل من

التفكير وأكثر من التنفيذ. وإلا فسيختطف الآخرون سريعاً جميع الأشياء الجيدة بينما تفكر، ماذا سيفيد تفكيرك إذن؟». تنفس سونغ يون الصعداء بشيء من الانفعال: «صحيح، لماذا أخطط قبل أن أتصرف؟! تُصبح على خير، سأفكر ماذا عليّ أن أفعل».

تمدد لي دونغ باو على السرير مُحبطاً من كلامه، فلا فائدة مهما تحدث، ما زال هذا الرجل يريد أن يفكر، لكم يرغب في أن يُبرحه ضرباً ليو قظه. بينما استلقى سونغ يون هوي على فراشه، ولم يفكر كيف يمكنه التصرف في أمر جيتشو، بل عاد بتفكيره إلى طريقه الذي سلكه منذ أن كان صغيراً. تناوبت جملتنا «لا أصدق» و«أشك» على رأسه. أتى له الحصول على موطنٍ قدم أفضل؟ أو عليه أن يغير من نفسه أكثر؟

على الرغم من أن كبير المهندسين ليو كان ضليعاً في التقنيات، لكن ونظراً لانفصاله عن المستوى الأساسي بالفعل منذ فترة طويلة، كان بمقدوره تولي عمل الإشراف الكلي على نطاق واسع، بيد أنه لم يرتكب مُطلقاً حماقة عمل رسم مسحي لكل مُكون غير قياسي كما كان يفعل سونغ يون هوي حينما التحق بالمستوى الأساسي، وحتى ولو فعل، فستظل المفاهيم ضبابية أيضاً. وأمر مستعصٍ كالتحول التقني هذا، لهو عبارة عن مشروع عملاق يضم تفاصيل لا حصر لها دون مرجع أولي للعودة إليه، ولا منهج منظم يذكر، ومواجهة تلك التفاصيل تحتاج إلى المُضي قدماً وفقاً للروتين، تحتاج إلى الاتصال والترابط، تحتاج إلى أن تكون لك الكلمة العليا في اتخاذ القرار، شعر كبير المهندسين ليو بماهية المجهود المضني، إن عبء هذا العمل لهو هائل.

تسلّم العمل، وحظي في الواقع بولاء طاعة أعضاء فريق التحول التقني إثر تعامله مع بضعة أمور أوكلت إليه في البداية، أولاً، لأن الجميع كانوا في الأصل يوقرونه، ثانيًا، وفي الحقيقة فبسبب مؤهلاته. ومع ذلك فقد كان ثمة اختلاف هائل في السرعة بينه وبين سونغ يون هوي في إنجاز الأعمال. إذ كان في حاجة للتحقق من المعلومات والخروج باستنتاجات بعد دراسات متأنية، فهو لم يكن على دراية بالأمور، ومن ثمّ فإذا كان بمقدور سونغ يون هوي أن يُنجز خمسة عشر شيئًا في اليوم الواحد، كان هو لا يتمكن سوى من إنجاز خمسة أشياء فقط، حتى إن سونغ يون هوي كان معتادًا على العمل لساعاتٍ إضافية، أما هو فقد تعامل مع العمل لساعاتٍ إضافية على أنه روتين يومي، من جهة ثانية، كانت طريقة عمل كل منهما مختلفة كليًا عن الآخر، سونغ يون هوي شاب وصارم، وهذا حقيقةً بسبب كفاءته، ما جعله يميل إلى الاستبداد بكلمته، أما كبير المهندسين ليو فقد شهد حركات لسنوات طويلة، واعتاد على اكتساب الغطاء الأمني من خلال الأصوات الجماعية. ومن ثمّ كان يُعطلّ التقدم بدرجة كبيرة.

كان كبير المهندسين ليو ممتنًا في المقام الأول لذلك الاهتمام والتقدير والترقية التي منحه إياها المدير مين، ذلك الذي يصغره سنًا، وفي المقام الثاني فقد كرّس نفسه بإخلاص من أجل هواياته ووجهاته. ولكنّه كبر في السن بعد كل شيء، ولم تعد طاقته كما السابق بأي حال من الأحوال. في الأيام القليلة الماضية من توليه المنصب، وبمساعدة كبير المهندسين الحالي، كان لا يزال يُكابِد ليتحمل، ولكنه كان يعلم في قرارة نفسه أن العملية قد تأخرت،

ولم يقوَ جسده على التحمل بعض الشيء. لكن وسرعان ما شرعت بعض الأمور التي ليس على دراية بها في ملاحظته للخروج باستنتاجات، تلك المعدات المستوردة، كان يفهم الروسية وبعضاً من الإنجليزية، ولكنه في تلك اللحظات وبينما بدأ يبذل جهداً محمومًا لقراءتها في اللحظات الأخيرة تبين له، أنني يكون الأوان لم يفت بعد؟! أضف إلى ذلك فقد كانت ذاكرة سونغ يون هوي جيدة، فما إن تولى إدارة التحول التقني حتى بات يتفوه بالعديد من الأمور دون أدنى تفكير، إذ لم يكن في حاجة إلى ترك أي معلومات للرجوع إليها مستقبلاً، ما جعل كبير المهندسين ليو مشوشاً تمامًا بشأن الكثير من الأشياء، يضطر إلى جلب موظفين يُعيدون توضيحها له من البداية من أجل الوصول للمفاهيم. لم يكن تولي مسؤولية عمل من منتصفه بالشيء اليسير في الأصل، ناهيك من تسلّم عمل من شخص مُتمرس وسريع. صارت لأعمال التحول التقني التي تم إنجاز نصفها حياتها الخاصة، في بعض الأحيان يكون العمل هو الذي يوجه تحركات الموظفين المعنيين به، بما في ذلك تخطيط وإدارة المشرفين.

بمجرد أن أقحم كبير المهندسين ليو بكُلِّيته في التحول التقني، صار شغله الشاغل أثناء طعامه ونومه. فأما عن طعامه، كانت تُرسله إليه زوجته العجوز إلى المكتب دائمًا، وأما عن نومه، فيتعين على ابنته أن تأتي إلى المكتب في الوقت المناسب لتجرّه إلى البيت، وإلا فسوف يضيع الرجل العجوز بين عمله ويفقد الإحساس بالوقت. لكن وبهذه الكثافة العالية، كان بمقدورهم دعمه لبضعة أيام، بيد أنه وبمرور ثلاثة أيام لم تعد تسمح له زوجته، هل يريد

أن يضحى بحياته؟ عانى الرجل العجوز من الأرق، والإمساك، كما أصابته خشونة في فقرات الرقبة، فقلقت عليه زوجته وابنته أشد القلق. أما بالنسبة له فقد كان أكثر ما سيقتله الأرق، إذ يُعْمَل عقله نهارًا بمتتهى العصبية، وحينما يهَم بالنوم يظل مثل القوس المشدود، لا يستطيع الاسترخاء بغض النظر عن أي شيء. تضعف ذاكرة الأشخاص الذين يعانون من الأرق، فما مرت ثلاثة أيام حتى بدأ يتباطأ تقدمه في العمل، يتوانى في الرد على التقارير التي تقدم حامله لهجة تحذيرية.

ثمة حفنة من التقنيين الشباب يحترمون كبير المهندسين ليو، ومع ذلك فلم يكن هناك بُد من سماع صيحات التذمر في كل مكان. علاوة على ذلك فإن هؤلاء الشباب لم يتعرضوا للترهيب مُسبقًا منه، ولكنهم بدؤوا يعصون أوامره، بل حتى ويعارضونه. رجحت كفة الاستياء في فريق التحول التقني، ومع ذلك فقد انقسم إلى فئتين، فئة لا تزال مستعدة لتفهم كبير المهندسين ليو، وفئة أخرى بدأت تختلق المتاعب له.

ومن ثم، أحمد الخلل التقني الناتج عن أسباب تاريخية خاصّة طاقة حفنة من التقنيين الشباب في منتصف العمر، خصوصًا وبمواجهة الشباب الصاعدين بأعداد متزايدة ممّن يملكون شهادات جامعية رسمية ومعرفة نظرية قوية ومستوى لغة إنجليزية يلبي تحديدًا متطلبات التحول التقني، ما جعل العديد منهم يؤثر النكوص. فرغم استعدادهم لتفهم كبير المهندسين ليو، فإنهم بلا صوت، وكانت هذه الفئة تفتقر بخطرورة إلى الزخم، وعلى العكس من ذلك، فقد كان أولئك الشباب يتمتعون بروح معنوية عالية.

بمرور بضعة سنوات، ونظرًا لتمكُّن الشباب من التقنيات، وعلى وجه الخصوص فإن التقنيين الشباب الذين جاءوا من الورشة الجديدة وسبق لهم أن لعبوا بالمعدات الألمانية كانوا يحتقرون أولئك التقنيين الذين كانوا في منتصف العمر ولا يسعون إلى التقدم أو يستندون إلى أسس ضعيفة، كما كان من الطبيعي أن يزدري الشباب السُلطة، كانوا لا يطبقون ما يُدعى بأسلوب العمل الحكيم لكبير المهندسين ليو، ويعتقدون أنه أسلوب متخلف، أما اليوم وقد صار عاجزًا عن تلبية نداءاتهم، أصبح بعضهم يلقون عليه باللوم وهو على رأس عمله ويتساءلون ما إذا كان يعي ما يفعل بالضبط أم لا. جرح ذلك كبرياء كبير المهندسين ليو، ذلك المثقف الكبير، وكانت الصدمة الأكبر تتمثل في تقييمات هؤلاء الشباب التي يتناقلونها دون وازع، إذ يقولون جميعًا إنه لا فائدة حتى ولو كان هناك اثنان ككبير المهندسين هذا، وإنه من الأفضل تعليق التحول التقني مؤقتًا، واستئنافه بعد تعافي المدير سونغ من مرضه وعودته، وإلا فلن يتعرض سوى للعبث بيد هؤلاء العصاة من العجائز، وسيصعب على المدير سونغ لملمة ما أحدثوه بعد عودته. ازداد كبير المهندسين ليو معاناةً من الأرق، وصار وجهه شاحبًا بشكل مُخيف بمرور بضعة أيام.

حتى المدير تشنغ لم يكن ليتصور أن الوضع سيصير مأساويًا إلى هذا الحد بهذه السرعة، ولم يسعه سوى أن يُعيد النظر في أعماق نفسه على قدرة زوج ابنته العملية، ألا يمكن أن يكون العالم قد صار ملكًا لهؤلاء الشباب؟ فكَّر في قدرة سونغ يون هوي على العمل حينما تم إنشاء ورشة العمل الجديدة، وحلل الأمور

بدقة، فترأى له كم هو كُفء وبمقام ثلاثة أشخاص، ولا تُقارن قُدراته بقدرات كبار السن. يبدو أنه لم يلحظ مؤخرًا قفزة الشباب للمضي قُدماً بإرادة لا تُقهر في تلك الفترة الخاصة، كما أخطأ تقدير قوة انتفاضة حيوية الشباب، ما جعله أيضاً يُخطئ في الحكم على الوضع، وصبَّ بدلو من الماء البارد فوق رأس صهره. اليوم وعلى ما يبدو، فحتى لو كانت صحة كبير المهندسين ليو قادرة على الصمود، فإن الشباب الصغار من مرؤوسيه لن يعملوا. كيف يمكن لمين التصرف مع وضع كهذا؟ شعر بأن هذا صعب إلى حد ما. كان يتوقع أن مين ومهما حسب حسبته، فسيغفل القوة الحالية للشباب.

لم تعد مشكلة الوضع الحالي تكمن في تأخير التقدم في العمل لبضعة أيام، والموافقة ضمناً على بعض الخسائر مع القدرة على استكمالها، فسرعان ما تُظهر حقيقة الوضع الحالي أن كبير المهندسين ليو عاجز عن تولى مسؤولية الإشراف.

مَرِض كبير المهندسين ليو في حينه، فقليل بالأحرى إنه مَرِض ولم يسقط، ولكن جيشه الجبَّار من النسوة في المنزل توقفن عن تركه. كانوا جميعاً من العاملين في المصنع الرئيسي، قد يكون الرجل العجوز غير راغب في البقاء وحيداً مُهملاً، ما جعله يخاطر بحياته، كن يعين جيداً ما الذي يجري. أضف إلى ذلك زيادة انتشار أضحوكة أن كبير مهندسين لا يضاهايان مدير ورشة، والتي صدقها الجميع. غضبت الفتيات من والدهن لأنه يفتقد إلى حس اللياقة، وقررن بالإجماع وضعه، وقد فقد بصيرته، تحت الإقامة الجبرية. هو رجل تقاعد على كل حال، فلماذا يكافح بكل هذا

القدر. علاوة على ذلك، فلمَ على رجل متقاعد على المعاش أن يستجيب لأي فريق كان؟  
أخذ مِين على حين غرة.

حالما أخبر المدير تشنغ سونغ يون هوي بأوضاع الحرب، وكان سونغ يون هوي قد تخلص بالفعل من الحماس الذي جعله يصر على أسنانه غضبًا ويواجههم عاري الصدر في بداية تخطيطه، وحتى لو أنه خطط لكل شيء بعناية، ولم يخطئ الهدف لمائة مرة، فماذا في ذلك؟ الفوز؟ ولكنه سيظل في جوهره صراغًا. ومن ثمَّ يكون الفوز مؤقتًا فحسب. وفوق ذلك فما المرضي في هذا النوع من الصراع الداخلي؟ لقد عايش فرحةً عظيمةً وحُزنًا عظيمًا خلال بضعة أيام، ما جعله يثب بغير اكتراث خارج حدود هويته، وينظر إلى سجاله مع مِين نظرة باردة لعابر، فرأى جوهر السجالات بوضوح، وعرف ما الذي ينبغي عليه فعله.

ومن ثمَّ، ففي اليوم الثاني من حصوله على خبر مرض كبير المهندسين ليو، الثلاثاء، أخذ زمام المبادرة وهاتف فريق التحول التقني، وأخبر السكرتيرة التي ردت على الهاتف حينها بصوته الأجلش من فرط التدخين بأنه خرج بالفعل من الحجر الصحي، وعاد للإقامة في بيته، وإذا ما ظهرت مشكلة في العمل فيما بعد فليصلوا به مباشرةً. لم يعد ينتظر بشكل سلبي، لكن هل هذا يُسمَّى أخذًا بزمام المبادرة؟ لم يكن سونغ يون هوي يعتقد بأنه بادر، بل شعر من أعماق قلبه بعجزه الشخصي عن مواجهة هذا النظام، وأنه لا يملك سوى التكيف معه، واستيعابه، وهذا ما سيجعله قادرًا على البقاء فيه حيًّا. بدا وكأنه يتعد أكثر فأكثر عن قلبه.

سُرعان ما تم واقعيًا تهميش نائب المشرف العام الذي تم تعيينه حديثًا في فريق التحول التقني، وتحول هاتف بيت لي دونغ باو إلى خط ساخن محموم.

انتهت صلاحية اعتراض المدير تشنغ، ولم يجد أمامه سوى السماح لصهره بأن يستأنف عمله جُزئيًا في ظل فرضية عدم حصوله على موقف من مين، وكان أبعد ما قد يصل إلى مخيلته هو الأمين شوي. لطالما كان الأمين شوي متأكدًا من أن موضوع الالتهاب الكبدي الخاص بسونغ يون هوي كان مفتعلًا، هذا لأن ذلك الأمر جاء محض صدفة، كما أنه على دراية بطبيعته الصدامي. كان ينتظر رفعه راية التمرد، ومن بعد ذلك التفاوض، وترقيته إلى منصب مناسب باسم تعرض مين لقيود ركود أعمال التحول التقني، وتحت شعار تخليصه من الضائقة، موقف يصعب على مين قمعه، إذ يبدأ جبلا النظام الداخلي في جينتشو بمواجهة بعضهما بعد تخليه عن منصبه. كان على ثقة بأن سونغ يون هوي لا يضاهاه مين من حيث ما يملكه من مخزون، أما من حيث التقنيات والتجارة فلا يستطيع مين اللحاق به. إذا كانت مجموعة لا يهيمن عليها شخصٌ واحد، عندها فقط يمكن للأمين شوي الاستفادة بكامل طاقته المتبقية بعد التقاعد. ومع ذلك، فقد ألغى سونغ يون هوي المواجهة فجأة، وتخلّى عن المميزات التي اكتسبها بالفعل، التبس الأمر على الأمين شوي لبعض الوقت، هل سونغ يون هوي غبي، أم أنه هو الذي اعتبره في الأصل فائق الذكاء؟ هل أصيب حقًا بالالتهاب الكبدي، وهل لم يتخلَّ حقًا عن العمل؟

كيف يمكنه، الأمين شوي، بهذه الطريقة أن يتعامل مع الأمر؟

نظر المدير مِين لتصرف سونغ يون هوي باندهاش لا مثيل له، هو أيضًا كان يعتقد أن الالتهاب الكبدي الخاص به جاء «محض صدفة وعلى هواه»، والسبب بديهي لا يحتاج إلى توضيح. كان بالفعل بدأ يخطط لكيفية التفاوض مع المدير تشنغ الذي بقي في المصنع، كان بمقدوره تقديم عدد لا بأس به من التنازلات، ولكنه لم يتصور أن يتصل سونغ يون هوي، ويستعيد عمله. ارتبك هو الآخر، لا يتبين في النهاية حقيقة مرض سونغ يون هوي. لم يتفوه بكلمة في ذلك اليوم، فقط ظلَّ ساكنًا في حالة تأهب، يتابع عودة فريق التحول التقني إلى العمل بشكل طبيعي في ظل الإشراف بواسطة الخط الساخن. لكنه شعر بمزيد من الضغط بسبب هذا الوضع الذي حدث بشكل مبهم وكان عاجزًا عن أخذ زمام المبادرة والسيطرة عليه.

هدمت عودة سونغ يون هوي المفاجئة تكهينات الرأي العام حول مرضه، وكان الرأي العام في المصنع الرئيسي، ذلك المجتمع الصغير، يُستثار بسرعة، إذ رسم صورة جميلة تصل إلى حد الكمال لسونغ يون هوي في لحظة؛ شاب يعمل بلا أنانية، وكادر شاب متفوق تقنيًا، وقائد ممتاز يتمتع بروح المسؤولية. جعلت مثل هذه الصورة العالية النبيلة مِين، وعلى النقيض من سونغ يون هوي الذي يعرفه الجميع جيدًا، شاحبًا للغاية. وتلاشت فورًا جميع الشائعات التي كانت تدور حول هروبه وعدم شعوره بالمسؤولية.

انفعل المدير مِين بشكل لا يوصف، وما جعله أكثر انفعالاً هو تلقيه لمكالمة هاتفية من سونغ يون هوي بعدما انتهى من تناول العشاء. وبمجرد أن سمع صوت سونغ يون هوي الأجلش الذي

لا يكاد يستطيع تمييزه تقريبًا حتى صُدم صدمةً شديدة، واستطاع بالكاد أن يقول جُملة عفوية جدًّا: «آه، سونغ الصغير، كيف الحال؟ ثمة خطب ما في صوتك. أين تقيم الآن؟ ساتي لأزورك».

كان سونغ يون هوي مهياً، فقد أمضى أسبوعًا في التفكير، أسبوعًا من الحسابات الدقيقة، أسبوعًا من عقد العزم، ونصف علبه كاملة من السجائر، قال بثقة وعقل منظم: «أيها المدير مين، كان من المفترض أن أتواصل معك فورًا، ولكن هاتفك كان مشغولًا حينما اتصلت بك للمرة الأولى في الصباح، ومن ثمَّ اتصلت بفريق التحول التقني، ولم أترك الهاتف من بعدها. أقيم الآن في بيت زوج أختي، ومعدرةً، أرجو منك أن تعاود الاتصال بي، فهذا هاتف شخصي، وليس من الملائم أن أغرّم زوج أختي دائمًا دفع ثمن مكالماتي الخارجية».

أراح طلبه البخيل نوعًا ما قلب مين، وأعاد الاتصال به عن طيب خاطر على الرقم الذي أعطاه إياه: «هل خرجت من الحجر الصحي يا سونغ الصغير؟ هل حالتك المعنوية جيدة؟ صوتك لا يبدو لي على ما يرام».

«نعم، عدت مساء الأمس إلى البيت، لم أعد أطيق المكوث في غرفة المستشفى. لم أتصور أن تحدث تلك الظروف العارضة، آسف أيها المدير، أضرت كثيرًا بتنسيق العمل في المصنع الرئيسي. ولكنني ما زلت ليس بمقدوري مؤقتًا العودة إلى العمل بشكل طبيعي، فعلى سبيل المثال لم آخذ قيلولة اليوم لأنني كنتُ أكثر انشغالًا ببعض الشيء، فانخفضت حالتي المعنوية عمًّا كنتُ عليه في المستشفى».

«آه، نعم، لا يمكن الاستعجال، لا يمكن الاستعجال، المرض يهبط كالجبل، ويتلاشى شيئًا فشيئًا كخروج خيوط الحرير من الشرنقة، ينبغي لك أن تتعافى جيدًا، وإذا ما استعدت صحتك باكرًا ستعود إلى العمل باكرًا».

«هكذا كنت قد قررتُ أنا أيضًا، أريد أن أبذل قصارى جهدي لأخذ قسط جيد من الراحة، لأتمكن من الحصول قريبًا على موافقة الطبيب بالعودة إلى جينتشو، حتى ولو كنت لا أستطيع مباشرة عملي الآن طبيعيًا بشكل مؤقت، فيمكنني على الأقل التركيز على فعل أمر وشيك. ولكنني اتصلت مساء البارحة حينما عدت إلى المنزل بعائلي لأطمئنهم، فعلمت أخبارًا من حميي مفادها أن سريان أعمال التحول التقني لا يبشر بالخير، لكن ما أثار قلقي أكثر هو تردد بعض الشائعات التي تقول إنني اتخذت من الالتهاب الكبدي ذريرة لابتزازك. لقد حللتها وتوصلت إلى أنه لتلك الشائعات أسبابها حقًا، لذا فإنني لا أجرؤ على التواني، وبغض النظر عن أي شيء عليّ أن أعود إلى العمل فورًا، لنعتبر أنني بهذا أعبر عن توجهي، أنا، سونغ يون هوي، لست من هذا النوع».

كان جليًا للمدير مين أن سونغ يون هوي يتجهز ليضع أوراقه على الطاولة، لكنه لم يكن يتبين ما هي الأوراق التي سيطرحها، أخذ يشعر خلافًا للعادة بالانفعال. ففكر، هل لاحظ سونغ يون هوي أزمته الشديدة، فأراد أن يعطيه ريقًا حلّوا بعض الشيء حتى يزداد فهمًا لسلطته، ومن بعد ذلك يناقش معه شروطًا يعجز عن قبولها؟ لكنه حينها لم يكن بمقدوره سوى الضحك: «بالطبع، أنت تقني»

جيد جدًا، والتقني الجيد لا يطاوعه قلبه لإلحاق الضرر بالمشروع الذي يديره بيديه، ومن يشكُّون بك بداخلهم دوافع خفية».

«ممتن كثيرًا لتفهمك. ولكنني فكرت طوال ليلة البارحة، وشعرتُ أن لتلك الشائعات أسبابًا مؤكدة. فحتى لو كانت تعكس وضعي الحالي على نحو خاطئ، لكن ما من ثمة ضمان، قد يحل ذلك اليوم الذي أحيد فيه عن الطريق تحت تأثير الهوس في المستقبل. لقد فكرت أنه وفي ظل الظروف الحالية، تصفني الشائعات بأنني أنافسك على منصبك، وهذا كلام سابق لأوانه. الحقيقة هي أنك في أوج عطائك، وأنا ما زلت شابًا أحتاج إلى مساحة للتطور. يمكنني أن أؤكد إلى حد ما أنني وتحت تأثير الرأي العام الحالي الذي يؤجج النيران ويحاول زرع الفتنة، حتى ولو لم يكن لدي طموح في المستقبل، فقد دفعني إلى السخط وفعل أشياء تضر بوحدتنا..».

حدّث المدير مين نفسه قائلاً، ها قد بدأ، كما توقع جاء على ذكر هذا الأمر، بل وبشكل عدواني. بوجه بارد، وضحكة باردة مكتومة: أيها الصبي! وبطريقة بعيدة كل البعد عن المُرَاوغة، وبتنحية لقبه «مين» جانبًا: «يا سونغ الصغير، ليس بمقدوري سوى أن أصف طريقتك في التفكير بأنها متسرعة ولا منطقية للغاية، لست شخصًا خبيثًا، ولستُ أنا وودا لانغ الأحق، بإمكاننا الآن الجلوس والتحدث بصراحة، ما الخطوة التي يمكن أن نتطور ونصل إليها في المستقبل؟».

«أشكرك للمرة الثانية على تفهمك. قد تكون لدي مخاوف لا أساس لها، لكن مع الأخذ في الاعتبار بحقيقة وجود علاقات

تنافسية محتملة في المستقبل، وكما تعرف، فأنا أكون متصلبًا وعنيديًا بعض الشيء، لا أقبل بالانخراط في صراع مستقبلي مع قائدي السابق، إن صراع الحياة والموت يستنفد القوة عبثًا، بل ويؤثر على المشاعر والعلاقات. لا أقبل بهذا. لقد نبهتني الشائعات، جعلتني أفكر، ينبغي لي أن أتخذ تدابير من شأنها أن تمنع حدوث مثل هذا الأمر البعيد عن المنطق. أرغب في طلب المساعدة منك، انقلني بعيدًا عن جيتتسو بعد الانتهاء من التحول التقني، انقلني إلى جهة عمل أخرى خالية من القادة الشباب الواعدين».

«ماذا؟». بادره مين بالقول بمجرد أن سمعه، كانت عودة سونغ يون هوي للعمل فجأة تفوق توقعاته، لكنَّ ما فاق توقعاته بكثير هو مبادرته بطلب الرحيل. صحيح، كان يُجزم بأن سونغ يون هوي سيكون منافسًا قويًا في المستقبل، لكن ماذا يعني طلب هذا المنافس للرحيل فجأة والهبوط من على خشبة المسرح؟ ألا يعني هذا صدقه؟

توقف سونغ يون هوي عن الكلام مؤقتًا، ومنحه وقتًا يفكر. كان قراره النهائي هو الاستسلام بعد أسبوع كامل من التفكير، وصراعه الداخلي على أوجه، كانت تلك المواجهة القوية بمثابة صفة على وجه مين، إذ اختار أن يسلك طريقًا ملتوية. ومن ثمَّ، كان أول من أظهر الإخلاص لمين، ليحطم الصورة المتأصلة في ذهنه تمامًا، ويعكس اتجاه العلاقة فيما بينهما.

عجز مين عن الشك في إخلاصه كما هو المتوقع، فشخصٌ يُبادر بالرغبة في التراجع، وبخاصة يتخذ إجراءات عملية في ظل

حصوله على مزايا شاملة، فماذا قد يكون في ذلك من مؤامرة يحاول أن يحيكها؟ لم يسعه سوى تصديق سلسلة الأسباب التي ذكرها له مسبقًا، حتى ولو كان يساوره الشك، الشك في أن سونغ يون هوي لم يتحمل الضغط وبادر بإظهار اللطف، لكن ومع فرضية انسحابه طوعًا، فما السبب الذي يدفعه لألا يتخذ موقفًا؟

ناقش الاثنان فيما بعد على الهاتف بمنتهى الصدق وجهة سونغ يون هوي القادمة، وكان المدير مين قد قضى مدة طويلة في المنظومة، ولديه شبكة معارف واسعة، ما جعله يُبادر بإعطائه بعض الاقتراحات الممتازة، ويترك له الاختيار. ولطالما انفكت العقدة من قلبه، فقد تجاهل حتى ذكر الخصام الذي كان بينهما في الماضي، وأراد أن يضع تلك الروح الموقرة ببالغ الإخلاص على الطريق، ودارت بينهما مناقشة رائعة.

وضع سونغ يون هوي سماعة الهاتف، ثم سلم الباقي من علبة السجائر إلى لي دونغ باو بنفسه، وطلب منه أن يقفلها ولا يسمح له بلمسها.

أهمل سونغ يون هوي المشاركة في تقييمات شياولي جيا لانشغاله الشديد بالفعل في أمور جيتتسو. ومع ذلك فبما أن لي دونغ باو يستوعب مجمل التكلفة الفعلية للمعدات، فإنه لم يتعمق كثيرًا في تقييم التكلفة إلى الحد الذي ينتبه فيه لأدق التفاصيل، وما إن ازدحمت الأعمال فيما بعد حتى توقف عن ذكر هذا الأمر على وجه التحديد.

بمرور أسبوع آخر، تصدر المدير مين باسم جيتتسو باذلاً قصارى جهده في مطالبته بالعودة للتعافي في جيتتسو، وسيرسل إليه سيارة

صغيرة لتعود به. كان واضحًا للعيان أن المدير مين يهتم بنفسه بحياة سونغ يون هوي، وسونغ يون هوي يقابل معروفه بلطف، ويعمل من المنزل رُغم مرضه. فأين النذية التي تقول عنها الشائعات؟

لم يكن بمقدور الأمين شوي تخمين ما يخفيه كل منهما في جعبته، لذا عجز عن التصرف مؤقتًا.

سرعان ما تولى نائب مدير المصنع تشنغ منصب نائب أمين، وكان المصنع الرئيسي هادئًا بشكل يخالف جميع التوقعات. بعد وقت قصير من إعلان الخبر، ذهب مين في رحلة عمل، كان يسعى جاهدًا لإخراج سونغ يون هوي كما اتفقا. على أنه كان ينفذ هذه المهمة في سرور، كان على استعداد لمساعدته في هذا الأمر.

كان نائب الأمين تشنغ الذي تولى منصبه للتو وحده تملؤه التناقضات. لقد ضمن تصرف صهره مكانته ومكانة عائلته مستقبلاً في جينتشو إلى أقصى حد، كانت هذه هي النتيجة التي أسعدته، ما يُبين أنه لم يعد يستطيع أن يكون كغيره من القادة رفيعي المستوى، وأن يبرد الشاي حتى قبل أن يغادر الضيوف!<sup>(1)</sup> أما ما لم يسعده فكان فقدان صهره لمجال نفوذه في المستقبل. كان قلقًا بعمق على ابنته، قلقًا من تعرضها للاضطهاد بعيدًا عن عينيه. وبخاصة أن سونغ يون هوي تفرد برأيه واتخذ القرار بحرية دون استشارة أحد، ما جعله يدرك التقلبات التي كانت بينه وبين صهره. لكنه لم يكن في مقدوره تغيير الوضع، فقد اكتشف أنه وثب بسرعة فائقة، وصار خارجًا عن سيطرته.

(1) مثل صيني يقصد به "أن يفقد صلاحياته قبل أن يفقد منصبه".

أوصل لي دونغ باو سونغ يون هوي، وعاد منشغلاً في أموره الكبرى كما كان. ركض في الأيام القليلة الماضية بضع مرات ليزور الهيئات ذات الصلة في المدينة، وأبرز الأداء الممتاز لمصنع دنغ فنغ للكابلات الكهربائية، ومختلف شهادات التقدير التي أرغمه المحافظ تشن بينغ يوان على الحصول عليها. وما عدا هذه الشروط الواقعية الصارمة، وأسلوبه الصريح المباشر، وعلى الرغم من وجهه العبوس، فحتّى لو ضحك، لم تكن ضحكته لطيفة، بيد أنه كان يركض مهتمًا بالكبيرة والصغيرة. دراجة نارية حمراء تحمل رجلاً ريفيًا عفيًا، يتحرك مزهواً في شوارع المدينة.

لم يقتصر مشترو مصنع الكابلات الكهربائية في المدينة على واحدٍ فقط، بيد أن مصنع دنغ فنغ للكابلات الكهربائية في شياوليجيا حصل على المرتبة الأولى في التقييم الشامل. في بادئ الأمر، بيعت المعدات لشياوليجيا، ومع كونها انتقلت من ملكية الدولة إلى مؤسسة جماعية ريفية، فقد كانت لا تزال متداولة في المدينة، وما زال خيرها للشعب. ثانيًا، فإن شياوليجيا هي الأخرى كانت تصنع الأسلاك الكهربائية، ولديها خبرة مُسبقة في استلام المعدات القديمة من مصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة، وهي الأكثر قدرة على التعامل مع معداته بشكل معقول. ثالثًا، فهو إخلاص شياوليجيا الذي لا يتزعزع. على الرغم من اضطرار مالكي مصنع الكابلات الكهربائية في المدينة إلى بيع ممتلكاته بثمان زهيد ليتكسبوا قوتهم، ولكنهم على أي حال يعترفون بها،

ويأملون دومًا في أن تصل المعدات التي استخدموها لسنوات طويلة إلى مستقرٍ جيد، علاوة على ذلك سبق وذكر لي دونغ باو سهوًا في مكتب هيئة الصناعات الخفيفة أن شياولي جيا ستكون في حاجة إلى زيادة الفنيين بنقل كل تلك المعدات إليها، وأنى بكل هؤلاء الفنيين في الأرياف، وأنه من المحتمل حينها أن يحتاج إلى مساعدة هيئة الصناعات الخفيفة في تنفيذ أعمال موظفي مصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة، وأن يتكروا بالذهاب إلى العمل في القرية، ويعودوا إلى المدينة مرة أسبوعيًا.

كان وقع هذا الكلام الذي اقترحه لي دونغ باو فاعلاً أكثر من أي شيء، وفجأة كأن أدفأ أشعة شمس يوم صيفي أشرقت في قلوب موظفي مصنع الكابلات الكهربائية في المدينة والذين لم يتمكنوا من تلقي أجورهم أو سداد النفقات الطبية لما يقرب من عام، فأني أخ أكبر من العمال في هذه الأيام يفضل التمسك بمبادئه وأكل فتات المؤسسات المملوكة للدولة في المدينة على ولائم المؤسسات الجماعية في القرى الريفية؟ فقد رأوا بطبيعة الحال أن الاقتراح الذي ذكره لي دونغ باو بمثابة حل جيد لمشكلة لقمة عيشتهم، سيكون في مقدورهم بالطبع التفاخر والتباهي بما لديهم من مهارات اكتسبوها في تلك المؤسسة الكبيرة المملوكة للدولة أمام مؤسسة أقل حجمًا، ورُغم بُعد شياولي جيا إلى حد ما، وصعوبة وسائل النقل، وعدم إمكانية العودة إلى بيوتهم سوى مرة واحدة في الأسبوع، فإنهم ومع ذلك يأملون في الحصول على رواتبهم ثانية، أليس كذلك؟

ورُغم تدني المبلغ الذي وعد لي دونغ باو أن يدفعه في شراء المعدات؛ إذ كان متدنيًا إلى درجة توحى بأنها سُبَّاع كخردة، إلى

درجة أبي قبولها جميع العاملين في المصنع كبيرهم وصغيرهم، لكن وبسبب تلك الجملة التي ذكرها لي دونغ باو في مكتب هيئة الصناعات الخفيفة دون قصد، تسلل الأمل إلى هؤلاء الموظفين الشباب أصحاب الهمة والذين ما زالوا قادرين على العمل، بل ودعموا عملية شراء لي دونغ باو بإيجابية.

كان تشنغ مينغ وشي قن وحدهما يتفقان على رفض شراء تلك المعدات القديمة، فاجتمع كلاهما يتحيانان الوقت الذي سيكون فيه لي دونغ باو سعيداً، وطرحا شكوكهما في حذر شديد، يتساءلان ما الفائدة من الحصول على تلك المعدات التي لن يجنوا من ورائها مالاً؟ وأخذ شي قن ينصحه بوصفه شخصاً محنكاً ودون اندفاع. فأجاب لي دونغ باو جواباً قاطعاً: «ستباع كخردة».

تبادل شي قن وتشنغ مينغ النظرات، وظل تشنغ يتحدث في حذر: «أوليس هذا مؤسفاً للغاية؟ على العموم مهما بلغت تلك المعدات من السوء، فعلى الأقل ما زال بالإمكان استخدامها ما بها من حديد ضئيل. ما رأيك، بعد التأكد من شراء تلك المعدات، سأصطحب أحدهم وأذهب لأعرف كمية الأشياء التي يمكن تفكيكها وتخزينها كقطع غيار».

قال لي دونغ باو دون أن يكلف نفسه عناء النظر إليه: «لا ينقصنا هذا الحديد الضئيل، علينا أن نتجاوز التوقعات».

وبمعرفة شي قن لطبعه العنيد الذي لا يتقهقر، لم يكن أمامه سوى التراجع خطوة إلى الوراء قائلاً: «حسناً إذن، يبدو أن هيئة الصناعات الخفيفة على وشك اتخاذ قرارها، لترتب كيف سنفكك

المعدات فيما بعد، كل ما هنالك أن الأيدي العاملة في القرية حاليًا لا تكفي، فقد انضم جميع العمال الأقوياء إلى المصنع. من الأفضل إنفاق المال لجلب العمال من الخارج».

ضحك لي دونغ باو بمكر: «ما من حاجة إلى ذلك، دع الأمر لمحاجر قرية شاوجيا، فما أكثرهم وما أكثر من فيهم من أقوياء. سأعطيهم عشرة بالمائة من ثمن بيع الخردة التي ستباع. هكذا لن نخسر».

شعر شي قن أن ثمة خطبًا ما فيما يسمع، وبدت له خطة لي دونغ باو مفصلة ومكتملة: «دونغ باو، هل هناك ما تنوي فعله؟».

صاح لي دونغ باو: «سبق وقلت إنني لن أتخلى عن مصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة، أرغب في رؤيتهم يموتون من فرط البكاء». قال شي قن: «دونغ باو، لا تبالغ كثيرًا، إنه في النهاية مصنع مملوك للدولة، يحمل اسم الدولة، أخشى أن يصفي القادة حساباتهم معنا لاحقًا إذا لم نفسح لهم مجالًا».

«ما الحساب الذي سيصفقونه معي؟ يجب أن أتصرف كما أريد بمجرد وصول الأشياء إلى يدي. حتى ولو أحرقت أو حطمت ما اشتريته، الأمر راجع إليّ». ضرب بقبضته على الطاولة والشرر يتطاير من عينيه، «سأذهب بعد قليل إلى محاجر قرية شاوجيا للتدرب على المطرقة الثقيلة، ستذهبون أم لا؟». رفض شي قن دون أدنى تردد، أما تشنغ مينغ فقال متحمسًا ومحملاً بانفعال الشباب: «سأذهب، أعرف المناطق التي ستكون في متناول يدنا».

لم يكن لي دونغ باو مستاءً من عدم مجيء شي قن، بيد أنه شعر بأن شي قن، هذا الرجل، مُحِبٌّ لبعض الشيء، ذهب بصحبة

تشغ مينغ إلى محاجر قرية شاوجيا يعثون بالمطارق قليلاً، ومن ثمّ ذهباً معاً إلى مصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة للفحص على أرض الواقع. كان تشغ مينغ يفهم العمل المطلوب أكثر بكثير من لي دونغ باو، إذ التصق بأذن لي دونغ باو في الموقع مقترحاً عليه العديد من الأفكار التي أطربته. جعلته تلك الأفكار يتوق إلى ذلك اليوم الذي تومئ فيه هيئة الصناعات الخفيفة رأسها رسمياً بالموافقة، إذ نقع نفسه يومياً بمنتهى الحماس في مختلف الهيئات ذات الصلة في المدينة، يطارد القادة ليسرعوا من البحث والموافقة. وكان بعض موظفي مصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة أيضاً يستحثون من في المدينة على سرعة اتخاذ القرار.

كان لي دونغ باو متحمساً بخطته لدرجة أنسته مُطلقاً وجود وي تشون هونغ في المحافظة. لم تتحمل وي تشون هونغ الاشتياق إليه، فاستجمعت شجاعته وبحثت عن الهاتف لتتصل على بيته، فردّ عليها بلا أدنى مشاعر متعذراً بأنه لا يملك وقتاً، جزّت على أسنانها من فرط الغضب، ولكنها لم تأخذ الأمر بجديّة كافية لتذهب وتدق باب بيته.

وأخيراً، جاءت الموافقة من المدينة في ظل النداءات المتكررة، استدعى لي دونغ باو رجالاً في مساء ذلك اليوم لإشعار العمال، وفي اليوم التالي وقبل أن تشرق الشمس، قُسم بضع عشرات من عمال المحاجر في قرية شاوجيا على ثلاثة جرارات متوسطة الحجم، وركضوا مفعمين بالنشاط والحيوية يلتحفون رياح الربيع المنعشة في طريقهم إلى مصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة.

كانت دراجة لي دونغ باو النارية تركض أسرع من الجرارات،  
ترجل وأخذ المطرقة الثقيلة المربوطة بها، تراقص بها يؤرجحها  
في يديه عدة مرات، ثم اندفع ناحية تشنغ مينغ الذي جاء معه قائلاً:  
«الطَّرَقَة الأولى، دعها لي».

تحمس تشنغ مينغ، ذلك الشاب مُدير المصنع، إلى البدء:  
«طبعًا، وهل ثَمَّة حاجة لقول ذلك، ها، يجب أن تحطم اليوم حتى  
ينتشي قلبك. لقد ردد هؤلاء البغضاء عنَّا الشائعات في الماضي،  
قائلين إن جميع أعمال مؤسسات بلدتنا عبارة عن قمامة، فمن  
هم القمامة اليوم بحق الجحيم؟ ها، إنهم لا يملكون حتى فُرصة  
تخليص أنفسهم».

كان لي دونغ باو أكثر حماسًا منه، فقد انتظر هذه الفرصة  
لخمس سنوات كاملة. أخذ ينظر إلى ساعة يده بين الفينة والفينة،  
ويحدث نفسه بصوت عالٍ من آن إلى آخر: «اللعنة، لم يأتوا بعد،  
أتمنى ألا يكونوا قد ضلوا الطريق».

في النهاية، ومع بزوغ الفجر، برزت الجرارات متوسطة  
الحجم قادمة الواحد تلو الآخر على الطريق حتى وصلت أمام  
بوابة المصنع. لم ينطق لي دونغ باو، التقط المطرقة الثقيلة واتجه  
نحو البوابة مُحدثًا صوت ارتطام، رفعها عاليًا بنظراتٍ قاتلة، وهوى  
بها على القفل الكبير للبوابة الحديدية «بوم»! لقد تدرّب على هذه  
الطَّرَقَة لثلاثة أيام، بيد أنه تدرّب عليها في ذهنه لخمس سنوات.  
مَرَّقت هذه الطَّرَقَة المُرْزَلَة هدوء الفجر، وحطَّمت الحواجز  
التي كانت تحول دون دخول أهالي شياوليجيا في الماضي إلى

الداخل. وفي غمضة عين، تراءى لهذه الحشود الشعبية المتلهفة عملاقًا خائر القوى فاتحًا ذراعيه ومستعدًا للذبح.

تدفقت أسراب فلاحى قرية شاوجيا إلى الورشة المملوطة بالشحوم في كل مكان، ورفعوا أيديهم هاوين بالمطارق على المعدات التي كانت في حالة جيدة، فحطموها بوحشية إربًا إربًا في الحال، وثبتوا الرافعة، وأخذوا يملؤون الجرارات لتنقلها إلى محطة الخردة. ظنَّ رجل الأمن في البداية أنها عصابة من اللصوص بالداخل، فتوارى كالقط في غرفة الحراسة لا يجرؤ على إصدار صوت، ولمَّا رآهم وقد دخلوا بالفعل إلى الورشة، تسلل في عجلة متجهًا إلى أقرب مركز شرطة للإبلاغ. حينما جاءت الشرطة للتحقق، سلمهم لي دونغ باو الموافقة الرسمية يعلوها الختم الأحمر الكبير، ووضَّح لهم المسألة على الفور.

كان موظفو مصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة، والذين توقفوا عن العمل بالفعل لمدة عام، نائمين في العسل، استيقظوا كسالى لتناول الطعام، وسمعوا حينها بأنباء تحطيم المصنع. هرع بعض العاملين الذين يكون للمصنع شيئًا من الحب، فوجدوا البوابة مفتوحة على مصراعيتها، وقد عمَّت الفوضى في الورشة منذ وقت باكر. ثمة مطارق ثقيلة تتأرجح في كل مكان، تحطم ما فيه بصوت يصم الأذان، وقد حطَّم بعضهم بالفعل الأساس الأسمتي للمعدات، واستخرجوا القضبان الفولاذية الصدئة بالداخل. وبينما ينظر العمال إلى الوضع الأشبه بنهب المصنع الذي أفنوا فيه حياتهم، شعروا بالرغبة في البكاء ولكنهم فشلوا في ذرف الدموع، يا إلهي، هذا المحرك ما زال شبه جديد، وتمت صيانة

بكرة التوصيل للتو... نظر لي دونغ باو نظرة رضا إلى البؤس يعلو وجوه هذه العصابة، فهوى بالمطرقة بكل قوته، وزأر بحنجرة عالية مشتعلًا بالحماس: «حطموا، هشموا كل ما هو من حديد!».

عندما تمت دعوة قادة هيئة الصناعات الخفيفة للتحقيق في أدلة الجريمة، رأوا عصابة من الرجال تفكك بوحشية عربية رافعة كانت تستخدم للتو على خير ما يكون. وتناهى إلى سمعهم صوت صفير قادم من الأعلى للإشراف، وكان الجميع سمعوا صفير «إطلاق رصاص» معتاد، هرعوا للخروج من الباب واحدًا تلو الآخر، وكان رجال هيئة الصناعات الخفيفة قد وصلوا إلى البوابة بالمصادفة، فسمعوا زلزلة في الورشة، وسقطت العربية الرافعة من السماء، وقف رجال هيئة الصناعات الخفيفة في ثبات ورباطة جأش بعد تلك الهزة الأرضية، ورأوا العربية الرافعة وهي توضع على الأرض كجثة هامدة، وقد تحطمت باكرًا وصارت كومة خردة. صرخت مجموعة من حاملِي المطارق الثقيلة واندفعوا إلى الداخل مرةً أخرى لتنظيف ساحة المعركة التي كانت في حالة من الفوضى.

أصيب قادة هيئة الصناعات الخفيفة بالذهول مما رأوا، يتساءل الجميع في أنفسهم لماذا يختلف ذلك عن الوضع الأصلي، ألم يقولوا إنهم سيفككون المعدات ويذهبون بها إلى شياوليجيا لإعادة استخدامها؟ حينما رأوا لي دونغ باو الذي كان لا يزال يحمل مطرقة ثقيلة هرعوا نحوه وأوقفوه ليستفسروا منه. أما لي دونغ باو فقد كان لديه تفسير معقول وعادل، إذ قال إنه وبعد شراء المعدات، أجرى الجميع تحليلات ربحية على المعدات القديمة التي كانت موجودة في مصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة،

فاكتشفوا أنه وناهيك من دوران الماكينات، ولكنها لا تجني مالا، ومن ثمّ اعترض الجميع على شرائها. وفكّر في أن القادة قدّموا الموافقة بالفعل، وسيكون من المؤسف بعض الشيء التراجع في هذا الوقت أمام اهتمام القادة، لذا فلم يكن يملك سوى خيار واحد وهو شراء هذه المعدات على مضض وتحمل الخسائر.

عجز قادة هيئة الصناعات الخفيفة عن الرد عليه، فهم من وقعوا بالموافقة على بيع المعدات، والآن وقد تحطم كل شيء، فما الذي في مقدورهم فعله؟ إنهم ببساطة عاجزون عن تفسير الأمر لهؤلاء العمال الذين لا يزالون يشربون منتظرين الذهاب للعمل في شياوليجيا.

وبمرور الوقت، بدأت تلك العصابة من موظفي مصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة والذين أثاروا قلق قادة هيئة الصناعات الخفيفة في الظهور، ولكنهم لم يعودوا كيّاناً واحداً كما كانوا قبل خمس سنوات، أصابهم الجمود وترددوا في المضي قدماً في مواجهة مجموعة من الفلاحين الذين كانوا يحتقرونهم في الماضي، يحملون المطارق الثقيلة بعنف ويحطمون جهودهم المضنية، فوقفوا في الخارج مثاني وأثلاثاً يسبون ويلعنون، حتى إنه لم يتعرض أيّ منهم لدراجتي لي دونغ باو وتشنغ مينغ الناريتين. رمق لي دونغ باو تلك العصابة بازدراء، يقول في نفسه أما زال لديهم الجرأة للتذمر؟ قبل خمس سنوات لم تكن تمتلك شياوليجيا مصنع الأسلاك الكهربائية، الآن وبعد خمس سنوات صار مصنع دنغ فنغ للأسلاك الكهربائية في شياوليجيا هو الأشهر في المقاطعة، وما زال تحقيق الثروة يعتمد على معداتهم المهملة

في مصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة. هؤلاء الشرذمة الذين لا يُجيدون سوى الأكل يستحقون هذه النهاية.

حينما أسدل الليل ستاره، نظر فلاحو شياولي جيا المترفون إلى المعدات على الأرض وقد تم تفكيكها بالكامل، أشار لهم تشنغ مينغ بالانسحاب، فركب الجميع مختلف أشكال الدرجات النارية مغادرين. أبى أهالي قرية شاوجيا الفقراء نسيبًا المغادرة بسهولة، ثمة قضبان فولاذية من أساس المعدات تملأ الأرض، مرصوفة كثيفة وسميكة، فأنى لهم تركها؟! لم يعودوا حتّى إلى بيوتهم خشيةً أن تغلق الأبواب ويمنعوا من الدخول مرةً أخرى بمجرد مغادرتهم، فبقوا مستيقظين بالداخل يعملون حتى ساعات متأخرة من الليل، حفر العشرات منهم أرضية الورشة، وعاد أحدهم لإشعار العناصر الجديدة بالانضمام إليهم، تناوب الجميع على الحفر حتى قابلوا أساسًا متينًا للمعدات لا يؤثر فيه الحفر، فذهب تفكير هؤلاء البنّائين إلى تفجيرها باستخدام كمية صغيرة من المتفجرات، وبمرور بضعة أيام، تم الحفر واستخرجت من تحت الأرض ما تحت الأساسات حتّى من أنابيب حديدية فاسدة كانت تستخدم في دق الأوتاد. كانت الورشة غارقة في الفوضى بعد مغادرتهم، الحُفر في كل مكان، حتى ولو أحضروا مغناطيسًا فلن يقدر بالضرورة على جذب بقايا الحديد، كانت هذه بالكامل هي نتيجة النهب.

ترددت الكثير من الشائعات بعدما انتهى هذا العمل، ولكنّ لي دونغ باو لم يدافع عن نفسه قيد أنملة. صحيح، كانت هذه هي النتيجة التي يريدونها، وهو الدافع أيضًا الذي دعا لأجله فلاحو

قرية شاوليا الفقراء هؤلاء للعمل. فليسب من يريد أن يسب، ماذا في مقدورهم فعله غير السباب؟ كان يزدرى كُليًا سكان المدينة ذوي الوجوه البيضاء النظيفة. أما سكان المدينة فكانوا ينظرون إليه باعتباره بلطجياً، يقولون جميعهم إن البلطجية من أمثاله هم من صار بإمكانهم تحقيق الثراء في هذه الأيام.

خمن العاملون في هيئة الصناعات الخفيفة لاحقاً بشكل مبهم أن لي دونغ باو تلاعب بهم، لكنهم إن اعترفوا بذلك يفقدوا ماء وجوههم، كان الحل الوحيد أمامهم هو تقديم شكوى أمام تشن بينغ يوان. يتعامل تشن بينغ يوان بلا مبالاة مع مثل هذه النيران المتأججة والصراعات والاشتباكات التي تحدث خارج نطاق سلطته، ومع ذلك فقد سأل لي دونغ باو لاحقاً ما إذا كان ينتقم لزوجته التي رحلت منذ سنوات عديدة، فاعترف دون أدنى مواراة. ضحك تشن بينغ يوان مُطلقاً على لي دونغ باو لقب لي النمر، ومع ذلك، قال له مبتسماً بصفته صديقاً قديماً: «إن القلم أوجع في القتل من السكين».

انتزع تشن بينغ يوان القلم بنفسه، وكتب مقالاً يدور حول مقارنة الوضع الراهن لمصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة ومصنع دنغ فنغ للكابلات الكهربائية بشياوليغيا. اعتمد المقال على مصادر شاملة ودقيقة، واصفاً بالتفصيل كيف بدأ مصنع دنغ فنغ بالمعدات التي كانت مهمة في مصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة، وفي ظل التوجيه الصحيح والدعم المالي من الحكومة ولجنة الحزب في المحافظة، تطوّر من اللاشيء حتّى وصل إلى مجده الحالي، وقاد جميع الفلاحين في القرية، بل وفي القرى المحيطة، إلى

الشراء استنادًا على قوة مصنع واحد، وهذا هو النموذج المثالي للسياسات الصائبة والتنفيذ الصائب.

قرأه لي دونغ باو وقال في نفسه ما علاقة تطور دنغ فنغ بالمحافظة؟! فهذا كله نتاج حفرهم في الصخر بحثًا عن مستقبل مشرق، فكيف صار بفضل المحافظة؟! ولكنّه لم يُعطِ بالأمر، فالفضل لا يؤكل، وإذا ما أراد تشن بينغ يوان أن ينسبه لنفسه فليأخذه، هم أصدقاء قدامى وبإمكانه منحه القليل من هذه السُّمعة الكاذبة.

لكن لم يتوقع لي دونغ باو أن يضرب تشن بينغ يوان حقًا عصفورين بحجر واحد ويساعده على تسديد ضربة قاتلة لمصنع الكابلات الكهربائية بالمدينة ثانيةً. بمجرد أن صدر مقاله في الصحيفة اليومية، تلقى تشنغ مينغ ردود الأفعال فورًا من كل اتجاه، يقول جميع الزملاء إن لي دونغ باو حطّم المصنع بمطرقة فقضى عليه، ومزقه مقال تشنغ بينغ يوان إربًا، لقد فقد القادة القدامى للمصنع ماء وجوههم ولن يتمكنوا فيما بعد من رفع رؤوسهم في العمل، أما هؤلاء العمال الأصليون للمصنع فيخجلون من الاعتراف بأنهم عبارة عن عجائز كسالى حمقى. كان مقال واحد منشور في الصحيفة اليومية كافيًا لتوصيف الأحداث.

بعد القيام بالحسابات، تحقق أن شياولي جيا لن تجني ربحًا أو تتكبد خسارة من هذا الحدث، ولكن شي قن ظلّ يهز رأسه رافضًا، يقول ما الحاجة إلى ما قام به لي دونغ باو؟ وأنه لا يرتاح إلا عندما يُلعن ويُسب اسمه. لم يتقبل لي دونغ باو بالطبع استفزازه، أما عن

تشنغ مينغ فكان لا يتمكن من صم أذنيه عن سماع استفزازه بصفته أصغر عمراً منه. كان تعليم شي قن لتشنغ مينغ صارماً للغاية، إذ حلل من جميع الجوانب خسائر شياوليغيا ولي دونغ باو نفسه في هذا الموضوع، ولفت نظره إلى ردود الفعل العكسية التي قد يتخذها أشخاص متغطرسون، كان يريد من تشنغ مينغ ألا يفرح بنجاحاته في سنٍ صغير وبيالغ في تقدير قدراته، ويقول له إنه لا يملك رأس مال كالذي يملكه لي دونغ باو، وغير مسموح له بإثارة الفوضى فيما بعد. وُبِّخ تشنغ مينغ لدرجة أفقده النطق، ولم يجد أمامه سوى الإنصات إليه وتقبل كلامه في تواضع.

لم يُصدر لي دونغ باو صوتاً فيما يخص تأديب شي قن لتشنغ مينغ، كان يُدرك في قرارة نفسه مسؤولية شي قن، ويقدر حيظته، بل ويعرف ضرورة وجوده خلفه لينظف وراء تهوره، ولطالما لا يشمل حذره وضعه الأساسي، لم يكن ليعارضه، فإما يدعن له وإما يدعمه. يقول جميع أهالي القرية إن الأمين والمحافظ يرتدون بذل ورش. يعلم لي دونغ باو أنه لولا اهتمام شي قن بالتفاصيل بدلاً منه، لعمتَّ الفوضى وخلط الأمور بأسلوبه في الإدارة بالحديد والنار، إذ يقول إن شي قن بمثابة مدير البيت في شياوليغيا.

كان شي قن شديد التوخي للحذر، حينما رأى ثقة لي دونغ باو التي لا مثيل لها، بذل قصارى جهده بطبيعة الحال وعمل بكل جدٍ وإخلاص.

مرّت أحداث مصنع الكابلات الكهربائية في المدينة، وهنا فقط بدأ لي دونغ باو يمتلك الوقت والطاقة للتفكير في وي تشون هونغ.

ذهب أخيراً محملاً بفخر النصر إلى مطعم المحطة بالمحافظة، وعذّب وي تشون هونغ لدرجة أنها لم تنم تقريباً ليلية كاملة. بيد أنها حينما سألته بشيء من الحُرقة ما إذا كانت هذه الأشياء المُذهلة التي فعلها من أجل زوجته الراحلة أم لا، فقال لها «اخرسي»، وأعطاهما ظهره لينام. نظرت إلى ظهره الأشبه بالتلة أمامها، فبكت من فرط الغضب، لكن لم يكن ثمة من يمد يده ليواسيها. وأدركت أخيراً أنها لا تمثل أي شيء في قلب لي دونغ باو.

## 9

أخذ يانغ شيون الخطوة الأولى بعد عيد الربيع، وعاد إلى الشمال الشرقي مُحملاً بشاحتي بضائع. على الرغم من أنه كان يأمل في أن تذهب معه داي جياو فنغ كي لا يشعر بالوحدة في الطريق، ولكنّه يدري أيضاً بمشقة السفر في شاحنة بضائع، وبخاصة مع صعوبة إيجاد مكان مريح لداي جياو فنغ كفتاة في منتصف الطريق، وليس لديه فكرة عن مدى صعوبة الأمر. كان يشعر بالأسى على زوجته، فأوكل الأمر من صديق إلى صديق حتى استطاع بشق الأنفس حجز تذكرة قطار لها في عربة النوم ذات الأسرة الناعمة، وزودها بالعديد من الحيل لتلجأ إليها إذا ما تعرضت للطرد من عربة النوم وكانت غير مؤهلة لركوبها بما فيه الكفاية، ومن ثمّ ودّعها ذاهباً إلى الشمال الشرقي.

لمّا حان الوقت التقطت داي جياو فنغ حقيبة سفر أنيقة وصعدت إلى القطار، اتبعت تعليمات يانغ شيون بمجرد صعودها

إلى القطار وراجعت رقم التذكرة مع كمسري عربية النوم، خوفًا من طردها إلى المقاعد الصلبة ما لم يراجعها الموظف.

دخلت إلى عربية النوم، وكأنها دخلت إلى عالمٍ آخر، شرف السرير ناصع البياض بالداخل، والمارة جيئةً وذهابًا تبدو عليهم الهيبة، ما جعلها تشعر فجأةً بالوجاهة. كما جذب جمالها انتباه ثلاثة ركاب آخرين في العربية نفسها، من بينهم شاب يرتدي نظارة بإطار ذهبي، نهض بشكل مهذب للغاية وساعدها على وضع أمتعتها في رف الأمتعة. وهي لم تعد كما كانت في الماضي، لم تعد تلك الفتاة الريفية التي لم ترَ وجه العالم من قبل، فهي تعرف الآن كيف تبسم وتقول «شكرًا»، ومن بعدها استخرجت من حقيبتها الجلدية الصغيرة جهاز «ووكمان» نادرًا جدًّا، وصعدت إلى السرير العلوي واستلقت مغمضة عينيها تسمع إلى أغاني فنغ فيّ فيّ ملكة القبعات. ولكنَّ ذلك الشاب ذا النظارة الذهبية افتتن بها، وكان يبحث طوال الوقت عن كلام يفتح به حديثًا معها، وبعدها أدرك للدهشة أنهما نزلا من سيارة المدينة نفسها، ظل يدعوها لتناول الطعام على عربية. لم يكن الأمر أنها عديمة الخبرة، أو أنها لا ترى الإعجاب في عيون هذا الشاب، ولكنَّها تحمل في قلبها يانغ شيون، فعلى الرغم من أن الشاب الذي أمامها أنيقٌ وراقٍ، وشخصيته لامعة، ولكنَّها أبت أن تعره اهتمامًا، فأبقت على برودها واكتفت بتناول ما كان معها من طعام.

ومع ذلك فكلُّما تجاهلته في برود ازداد انتباهًا لها، انكلمت داي جياو فنغ في السرير ولم تهبط إلى الأسفل، فجلب لها الماء

والشاي، وحينما نزلت من على السرير ناولها الحذاء لترتديه، وعاملها بطريقة مُربكة للغاية. لكنها وعلى كل حال امرأة شديدة الجمال، ولم تكن لتعبر أي اهتمام لمثل تلك الملاحظات. إنها فقط جميلة، وحتى لو كانت تتجاهله ببرود، كانت عيناها الجميلتان لا تزالان تلمعان كقطرات الماء، ما جعل قلب الشاب يخفق مغرماً بها.

ومع اتجاه القطار في طريقه ناحية الشمال، مرت ثلاثة أيام، ترجّل المسافرون منه واحداً تلو الآخر ليغادروا، ولم يتبقَ في عربة النوم سواهما، لم يأبه الشاب ما إذا كانت ترغب في الاستماع أم لا، وقرأ عليها شعراً ضبايياً<sup>(1)</sup> وغنّى لها أغاني جيانغ يوي هونغ، وعلى الرغم من أنها لم تستشعر فيه إزعاجاً كإزعاج الرجال الذين كانوا يسعون وراءها من قبل، ولكنها شعرت أنه ممل للغاية. لاحقاً وحينما لاحظ أن محطة الوصول تقترب شيئاً فشيئاً، أعطاه عنوان بيته شارحاً لها وضعه، وطلب منها أن يبقيا على تواصل فيما بعد. لم تعده داي جياو فونغ بشيء، ولكنها رمقته بنظرة حادة، ولم تتصور أن يكون هذا الشاب ابناً مدلاً لعائلة ثرية بأي حال من الأحوال، لا عجب إذن في أنه نبيلٌ بكل هذا القدر.

أبهجته تلك النظرة، وأصرَّ بعدما نزلا من القطار أن يستدعي سيارة تنقل داي جياو فونغ إلى مكان سكنها، لم تستطع رفض طلبه رُغم محاولاتها، ولم يسعها سوى القبول، ولكنها أخبرته بوضوح أنها متزوجة. بدت على وجه الشاب علامات خيبة الأمل، لكنه

---

(1) تيار شعري صيني في القرن العشرين ردّاً على قيود الفن خلال الثورة الثقافية.

فضّل أن يوصلها بالشهامة ذاتها إلى البيت، وحفظ العنوان ومن ثمّ غادر. شعرت داي جياو فنغ أن هذا الشاب مثير للاهتمام وبحق، بل ويجيد إلقاء قصائد الحب أمام الفتيات كما لو كان يُمثل في فيلم أجنبي، ممتع جدًّا.

كان يانغ شيون ما زال في الطريق حينها، فالشاحنة أبطأ من القطار بكثير.

عاد يانغ شيون والتقى، حكّت له داي جياو فنغ له أمر الشاب دون أن تأخذ الأمر على محمل الجد، ولكنّه لم يجارها، ماذا؟! هل هناك من يجرؤ على مغازلة زوجته؟ ظل يلف ويدور ليعرف عنوان الشاب، وانتهاز الفرصة في أحد الأيام التي كان متفرغًا فيها مندفعًا إلى هناك مع مجموعة من الأشخاص ليعارك هذا الشاب. لم يتصور أنه مدرب جيّدًا، فعلى الرغم من كثرة عددهم لم يميزهم ذلك بشيء، وتقاتل الطرفان حتّى أصيبوا بجروح بالغة. هذه المرة فشل يانغ شيون في تلقين الشاب درسًا، أما هو فقد رأى بوضوح أن زوج داي جياو فنغ ما هو إلا حثالة لا قيمة له، وهنا بُعثت في قلبه من جديد هواجسه التي كان قد وضعها جانبًا بالفعل.

لكن سرعان ما انشغل يانغ شيون، وعجز عن تلقين هذا الشاب درسًا إضافيًا، خاصةً أنه وبعد عودة لاو وانغ شرع على الفور في العمل مع أحد مناجم الفحم. كان حجم هذا العمل كبير للغاية، أراد لاو وانغ في الأصل استيراد الكابلات الكهربائية من يانغ شيون، ويسلمها لمنجم الفحم، لكن ومع هذه الكمية الكبيرة، لم يكن لاو وانغ يملك مالاً كافيًا لشراء كم كبير من الكابلات.

ولكنه كان صديقًا ليانغ شيون على كل حال، فطلبه ليستشيره في كيفية التصرف في هذا العمل.

على الرغم من أن لاو وانغ يفوق يانغ شيون في خبراته بالعمل بكثير، فمع ذلك يتعين عليه أن يتوسط ويدعو بضعة أصدقاء لتناول الطعام معًا حينما يقابله أمرٌ يتطلب المساعدة. هذا ما يقوم به الأصدقاء فيما بينهم لأجل خاطر بعضهم، بصفته رجل أعمال فهو لم ينظر دومًا إلى شيء سوى قوة رأس المال، ولا ينظر إلى الأقدمية، والآن لا يختلف رأس مال يانغ شيون كثيرًا عن لاو وانغ، بل حتى إنه يتخطاه. لكن وبصفته رجل أعمال فقد أراد أن يعطي بعض الواجهة لمن هو أكثر أقدمية، وأحضر معه داي جياو فنج الجميلة.

كانت زوجة لاو وانغ تحتضن الطفلة التي دفعوا من أجلها غرامة كبيرة، بمُجرد أن بدأت الوليمة أثنى الزوجان على يانغ شيون وزوجته. كان يانغ شيون على دراية بالطبع ماذا هناك، فأوقفه وقال مبتسمًا: «أيها العم وانغ، أنا أصغر عمرًا منك، لا تُبالغ في رفع قدري، إذا ما كان هناك أمرٌ ما فلا تتردد في قوله، أخبرني مباشرة».

تلعثم لاو وانغ قليلًا، ولكنه تحدث على كل حال: «ألم أتحدث معك قبل عام عن تلك الصفقة مع منجم الفحم؟ ثمة مشكلة الآن، إنهم لا يوافقون على إعطاء دفعة مسبقة، وأنت تعلم بالضبط وضعي المالي، إنه لا يكفي لشراء كابلاتك الكهربائية».

كان يانغ شيون يجري حساباته الذهنية بينما يستمع إليه، فقاطعه فورًا قائلاً: «هل تقصد أيها العم أن أتعامل مع المنجم مباشرة بشأن الكابلات؟ لا مشكلة، وسأحسب مكافأتك».

سبّه لا وانغ في سرّه تَوَا بمجرد أن سمع كلامه، لقد بذل كل ذلك الجهد المتراكم من أجل الحصول على هذه الصفقة، ويعلم الجميع أنه لن يتخلى عنها لشخص آخر، ويانغ شيون هذا يتظاهر بالغباء، مكافأة؟ كم من الممكن أن تكون؟ يا له من وغد. ولكنّ لاو وانغ لم يكن في مقدوره أن يلوي وجهه أمامه، وكان من الواضح اليوم أنه هو من يتوسل إلى يانغ شيون، ولا يمكن أن يكون شحيحًا، لا يملك سوى أن يجعله ينتف بعضًا من ريشه. «كان قراري في الأصل هو أن أرشحك إلى منجم الفحم، لكن وفرضًا أنك ستدخل إلى هناك بمفردك، فهل عليك أن تعيد مراجعة كل تفصيلة صغيرة مرةً أخرى؟ لا يضاهاي ذلك الاعتماد على اسمي. لتتفق على التالي، نحن جميعًا على علم واضح بسعر الجملة الخاص بك، كما أن أسعار مناجم الفحم كلها واضحة، ولنقتسم فرق السعر بنسبة خمسين بالمائة. ولنتنظر حتى يسدد المنجم بعد شهرين أو ثلاثة أشهر لنسوّي الحساب. هذا هو المقدار». وهكذا أعطى لاو وانغ تفاصيل الكابلات الكهربائية ليانغ شيون.

دقق يانغ شيون النظر، وأجرى حساباته الذهنية بسرعة فائقة، وسرعان ما حسب الأرقام النهائية إجمالاً. قائلاً في نفسه إن لاو وانغ حقيقةً عديم الرحمة، لقد تدبر هذه الصفقة للتو، ويريد أن ينهب نصفها عبثًا. ضحك وقاطعه ببرود: «لنقسّمها بنسبة عشرين إلى ثمانين بالمائة، أنت تأخذ عشرين بالمائة وأنا ثمانين بالمائة، لا يزال يتعين عليّ اقتراض المال من أصدقائي والعودة به لشراء البضائع من أجل إتمام هذه الصفقة، ولطالما كانت مناجم الفحم هذه خبيرة في تأجيل السداد، من يدري كم سيستغرق بضعة أشهر

من رأس مالي، لن يكون بمقدوري الدخول في أي عمل آخر خلال تلك الأشهر. ولكنَّ الأمر يختلف بالنسبة إليك، فحينما يصل الأمر إلى العم وانغ هنا وجب عليّ فعله حتى ولو هناك خسارة».

ضحك لاو وانغ وقال: «على الرغم من تأخر سداد منجم الفحم، لكن لم يسبق لهم وأن امتنعوا عن الدفع، وهذا أفضل ما في الموضوع. علاوة على ذلك فإنني سأرسي الأساسات بشكل كاف، الدفع ليس بمشكلة. تقول لنقتسم بنسبة عشرين بالمائة إلى ثمانين بالمائة، أليس من الأفضل أن أطلب اقتراض نصف الأرباح من شخص آخر؟ ما الذي سأجنيه في ذلك؟ لنقتسمها بنسبة ثلاثين إلى سبعين، لن أدقق معك الحسابات يا يانغ الصغير، فكلانا نشأنا في المكان نفسه، وعلينا أن نساعد بعضنا».

أخذ يانغ شيون كأس النبيذ وشرب نخب لاو وانغ، شاركهم في ذلك بعضٌ من أهالي قريتهم الموجودين، كانوا بمثابة شهود. وهكذا تم تقرير الصفقة. لكن وبمجرد أن فُضت الوليمة عاد يانغ شيون مسرعًا إلى البيت، لأنه حدد موعدًا مع والدته أن يتصل بها مساء كل سبت الساعة الثامنة ليطمئنها عليه، وقد تجاوز الموعد الآن، كانت والدته تنتظر بجانب الهاتف الوحيد والموجود في مكتب القرية لا تعرف كيف عليها أن تنتظر بكل هذا القلق. علاوة على ذلك، فقد كان من المفترض أن يناقش معها اليوم أمرًا عاجلاً. أما داي جياو فنغ فلم تكن تنتظر مكالمة من حماها المستقبلية على أحر من الجمر، فقد كانت مستاءة منها كثيرًا. لكنَّ ولطالما كان يانغ شيون بارًا بها، فليس أمامها سوى أن تطيعه. لم يجرؤ

كلاهما على ركوب الدراجة مساءً فوق الأرض الجليدية، فخرجا من المطعم، وهرولا تقريبًا عائدين إلى المنزل. كان يانغ شيون ما زال يلهث بينما يرفع سماعة الهاتف ليجري مكالمة بعيدة المدى.

كانت والدة يانغ شيون تنتظر بالطبع في قلق شديد، لكن وبمجرد أن سمعت صوت ابنها تلاشى قلقها كله: «هل خرجت لتمرح أيضًا في مثل هذا اليوم البارد؟ كم درجة الحرارة الآن عندكم تحت الصفر؟».

«إنها عشرة أو عشرون درجة تحت الصفر، أمي، لم أخرج لأمرح، لم أكن لأخرج اليوم إذا لم تكن هناك ضرورة، لقد طلبني العم وانغ من أجل أمرٍ ما، لديه صفقة يريدني أن أشركه فيها، تحدثنا فيها للتو، وشهد عليها بعضٌ من رفاق القرية. هل عادت يانغ لي والباقون إلى البيت أم لا؟».

«عادوا، ينتظرون جميعًا بالجوار للتحدث معك. حينما تأخرت طويلًا ولم تتصل، اجتمعنا نحن الأربعة على طاولة ودفعنا أربعين فنًا».

ارتسمت ابتسامة على شفطي يانغ شيون، وظهر القلق على وجهه: «أمي، قد أضطر إلى اقتراض بعض المال من أجل هذه الصفقة مع العم وانغ، فإنني أمر بضائقة مالية في الآونة الأخيرة».

«لا داعي للقلق، إذا كنت تعاني من ضائقة مالية لا ترسل إليّ المال، سأخذ بعض المال من البنك ولن نحتاج كثيرًا في مصاريف البيت».

تردد يانغ شيون قليلاً، ونظر إلى داي جياو فنع، ومن ثمَّ قال: «أمي، هكذا إذن. إنني أستعد لشراء شقة تابعة للإسكان التجاري في المدينة لأتزوج فيها، وقد كلَّفت أخا فنع الصغيرة العام الماضي ليساعدني في هذا الأمر. اتصل أخوها الآن للتو وأخبرني أنه أتم أمر الشقة، إنها في حي هونغ مي المبني حديثاً، فكرتُ في البداية أن أحول له المال بنفسني، لكنَّ ومن حسن الحظ أن جاءت صفقة العم وانغ، أمي، سأجعل أباها يذهب إليك، فلتستقبله بدلاً مني أولاً، ولسوف أتدبر أمره عن قريب».

تأهبت والدته فوراً: «أيها الابن الأكبر، لم يسبق وأن سمعتك تذكر هذا من قبل. أليس البيت كبيراً بما فيه الكفاية؟ لماذا ستشتري شقة إضافية بعيداً؟ أم أن أخا فنع الصغيرة يريد أن يقترض منك مالاً ليتزوج؟ عليك أن تقول لي الحقيقة».

«لا لا، إلى أين وصل تفكيرك يا أمي. ألم نعد الآن ميسوري الحال قليلاً؟ أريد أن أشتري في المدينة أيضاً منزلاً تابعاً للإسكان التجاري لأعيش فيه، سنذهب إلى المدينة في عيد الربيع للتسوق». قال يانغ شيون بينما ينظر إلى تعبيرات وجه داي جياو فنع، وكما هو المتوقع وجد داي جياو فنع عابسة. وعلى الرغم من أنها لم تسمع كلام والدته على الطرف الآخر من المكالمة، ولكنها عرفت بمجرد أن فكرت، لا بد وأن والدته تقول إنها تريد الاحتيال على أموال عائلة يانغ، فماذا تظن أنها فاعلة؟ كان بإمكانها في الأصل أخذ الأموال التي ادخرتها خلال هذين العامين والمبادرة بدفعها، ولكنها الآن أرادت أن ترى ماذا ستفعل والدته.

تراجعت والدته لتكسب وده: «حسنًا إذن، سأنتظر حتى يأتي أخو فنغ الصغيرة وسأذهب معه، لن أطمئن إذا ما أعطيت المال لشاب. يجب أن أشاهده وهو يسلم المال ويكتب اسمك على العقد حتى أطمئن. لدي وقت في الأسبوع القادم، اطلب من أخيها أن يأتي إلى البنك الزراعي في المحافظة، هذا الموجود عند البرج الأسطواني، ولينتظرنني عند الساعة الثامنة».

وُضع يانغ شيون في موقف حرج للمرة الثانية، فقد وعد بأن يكتب الشقة باسم داي جياو فنغ، لا بد وأن موضوع تسديد والدته للمال أولاً هذا سيفشل، لم يسعه سوى أن يقول بنفاد صبر: «ألسْتُ تُخبئين مالاً في المنزل؟ سيكون الأمر مزعجاً للغاية إذا ما ذهبتِ إلى المحافظة لأخذه ثم ركبِ السيارة وذهبتِ إلى المدينة، ستضيعين يوماً بأكمله خارج المنزل. أمي، انسِ الأمر، لتتحدث في وقت لاحق».

استمعت الأم إلى تفسير ابنها للأمر، وخمنت أنه سيتحتم عليه إيجاد طريقة لاقتراض المال وإعطائه إلى تلك المرأة لشراء المنزل. فهي بعيدة عنه الآن، ولكنها الآن بجواره تملأ رأسه بسمومها، فهل يمكن ألا يرق قلب ابنها له؟ علاوة على ذلك، فمن خلال توضيح ابنها للأمر ازدادت تأكيداً من أن ابنها بالطبع تعرض للضغط بواسطة عائلة داي لينفق المال الذي حصل عليه بشق الأنفس في مساعدة أخيها، فكيف لها ألا تهتم بصفقتها أمه: «ليس ثمة إزعاج، حتى ولو كان مزعجاً فهو أفضل كثيراً من تحويله عن طريق مكتب البريد، ألن يتطلب الذهاب إلى مكتب البريد أكثر من مرة للحصول على نقودك التي تقدر بعشرات الآلاف من اليوانات هذه؟! فلتجعل أختا فنغ الصغيرة يستقطع وقتاً».

على الرغم من موافقة يانغ شيون، فإنه كان يعرف بوضوح أن أخذ المال من أمه سيوصله إلى طريق مسدود. وضع سماعة الهاتف، ومن ثمَّ فكر في أن يخبر داي جياو فنغ أنه سيقترض مالا لحل المشكلة، وكانت هي قد تحملت طويلاً ولم تتمكن من الصمود بعد الآن، فقالت في غضب: «ماذا قالت والدتك؟ هل تقول ثانيةً أنني ثعلبة؟ أنا إنسانة بريئة بصدق، فكيف تراني والدتك وكأنني أريد أن أختطف ابنها؟ قل لي يا يانغ شيون، هل أنا أختطفك أم أختطف أموالك؟».

نظر يانغ شيون إليها متضايقاً، يقول في نفسه إنه لا ينبغي أن يقترض المال من والدته، وحتى لو اقترض المال فعليه ألا يذكر أخا داي جياو فنغ، وقد أراد في الأصل إخفاء هذا الأمر عن والدته مسبقاً، فكيف تبدل الوضع وأخبر أمه بالأمر؟ إنه لا يستطيع أن يتحكم في فمه أمام والدته. فشل الأمر، وسقط من نظر الجميع في النهاية. أمضى وقتاً طويلاً في توخي الحذر أمام داي جياو فنغ التي كانت ثائرة من فرط الغضب، ومن ثمَّ ذهب في اليوم التالي إلى مكتب البريد لإرسال حوالة بالمال، وأخذ الإيصال إلى داي جياو فنغ لتراه بنفسها، وكانت داي جياو فنغ لا تزال ترتسم على وجهها علامات القلق منه، فبسبب موقف والدته منها، لم تكن تعرف حينما يصل يانغ شيون إلى سن الزواج القانونية، هل ستترك له حماتها المراوغة دفتر تسجيل الأسرة ليُسجل فيه زواجه بسهولة ويسر أم لا.

نظرًا لأن يانغ شيون أرسل جزءاً من المال إلى أخي داي جياو فنغ فقد صار أكثر إحكاماً في الإنفاق، وبحث عن صديق يستأجر

له نصف المنزل الذي يعيش فيه الآن مع داي جياو فنغ ليقترض منه مبلغًا من المال، فقد فات الأوان لكي يعود إلى مسقط رأسه ويذهب إلى مصنع دنغ فنغ للأسلاك والكابلات الكهربائية، فأخذ المال وذهب إلى أقرب مصنع أسلاك كهربائية لشراء البضائع، وذهب بها مباشرةً إلى ذلك المنجم الذي أخبره لاو وانغ عنه. وهكذا قضى أسبوعًا ذهابًا وإيابًا وهو يتحرك في عجلة من أمره. طلب لاو وانغ من ابنه أن يأتي مسرعًا لرهن البضائع، وفي النهاية تعاونوا على إتمام تلك الصفقة مع منجم الفحم. كان الاثنان سعيدين حتى جلسا معًا لشرب الخمر ينتظران إلى أن يحين موعد تسوية الحسابات وأخذ المال.

ذهب يانغ شيون في رحلة عمل، وقد فرغ منزله الصغير من الأرز للتو، وعلى الرغم من أن داي جياو فنغ كان في مقدورها أن تطير بالدراجة حينما كانت في بيتها، ولكنها لم تكن تجرؤ على ركوبها شتاءً في تلك الأرض الثلجية التي جاءت إليها حتى ولو كانت في مطلع العام، فذهبت سيرًا على الأقدام إلى منفذ بيع حبوب بمقربة منها، وجهزت نفسها لشراء خمسة كيلوجرامات للضرورة، ولسوف تخبر يانغ شيون بمجرد عودته.

بدأت تسير متعثرة فوق الأرض الثلجية الجليدية تحمل الأرز على ظهرها، وصار الأمر أكثر صعوبةً بالنسبة إليها في السير لأنها كانت تسند شكاارة الأرز بيديها. ومن قبيل الصدفة كان ذلك الشاب الذي قابلته في القطار مارًا أمامها، فقال لها كيف لامرأة جميلة مثلها من جيانغنان أن تقوم بعملٍ شاق كهذا، أخذ منها شكاارة الأرز، ووضعها في سيارته الجيب ليوصلها والأرز إلى

البيت. بيد أنه أراد أن يمارس عليها دهاءه، فأدار عجلة القيادة، واصطحبها لرؤية غابات الأشجار التي تكسوها الثلوج في الضواحي البعيدة، لترى الثلوج الكثيفة البيضاء كالقطن والسحب، ما جعلها تبتهج على أوجها، وظلت تمرح وتتفاخر فوق الثلوج مكونة رجل ثلج ولاعبةً بعصي التزلج، دفعها الشاب بعدها إلى السيارة بعدما تخدرت يداها ورجلاها من التعب. بادر وخلع عن يديها القفازات، وأمسك بيدها التي كانت تشبه لؤلؤة ثمينة في راحة يده، أخذ يفركها ليصل إليها الدم، فسحبت يدها في أدب حينما استعادت شعورها بأناملها، ولم تنتهز الفرصة لاستغلاله أكثر. هنا، انبعثت الحرارة في باطن قدميها تدريجياً، وتدفاً جسدها بالكامل، كانت غارقة في الشعور بالخجل.

حدق الشاب فيها لبعض الوقت قبل أن يحرك السيارة ليغادرا، لكنه قال لها مُلمحاً خلال الطريق إنه لم يتصور أنها تزوجت بهذه السرعة، فمن السهل أن تندفع في ذلك العمر الصغير، ومن السهل أن تخطئ الحكم على الناس، فتكلفها زلةً واحدة عمرًا بأكمله، وأنه على المرء أن يرى ويجمع من المعارف الكثير، ومن ثمَّ يقرر في النهاية. وإلا يشحب وجه المرأة الجميلة في غضون بضعة سنوات. لو كانت سمعت منه هكذا كلام في القطار، كانت لتأخذه بسخرية، ولكنها كانت الآن في أشد انزعاجها وتشتت ذهنها بسبب والده يانغ شيون، ولا تعرف إلى أي وجهة ستصل في المستقبل، ما جعلها تنتهد متأثرةً بكلام الشاب.

حينما رأت يانغ شيون الذي عاد من رحلة العمل شعرت في قلبها بشعور مختلف، فعلى الرغم من كونه ماهراً، ولكنه كان

صغيرًا في النهاية ولا يفهم في المشاعر، وقد تمكن أيضًا من اصطيا داي جياو فنج، الفتاة الجميلة، بسهولة، يمتلئ قلبه حُبًا لها، لكن وبصرف النظر عن تلك الغريزة التي سيطرت عليه في البداية، لم يكن ثمة أمرٌ آخر، فلم يكن يهتم بشيء سوى طعامها وشرابها وكسوتها، فأنى له أن يفكر في أشياء راقية مثل إلقاء الأشعار واللعب في الثلج؟ وهكذا نشأت المقارنة أمام ناظري داي جياو فنج تلقائيًا.

ولكنهما في النهاية كانا حبيبين، ارتبكت داي جياو فنج ليومين ومن ثمَّ عادت للضحك اليوم بأكمله مع يانغ شيون، وكان يملك لسانًا فصيحًا، ما إن يتفوه بكلمة حتى يجعل الجميع يضحكون، لكنَّه كان يفقد تلك الفصاحة في كل مرة تسأله فيها كيف سيتصرف حينما يصلان إلى السن القانونية، وأنه إذا ما أراد أن يذهب للزواج والتسجيل فسيكون في حاجة إلى دفتر تسجيل الأسرة وشهادة القرية، وعلى الرغم من استمراره في مواساتها قائلاً: «لا بأس لا بأس»، بيد أنها لم تجرؤ على تصديقه، إذا كان حقًا لا بأس، فكيف يُمكن أن يقطر لسان يانغ شيون عسلًا إلى هذا الحد؟ لذا فقد كان دائمًا ما يشعر بالأسف تجاهها، ويضعف معاملته الحسنة لها، ولكنَّ العقدة في قلبها كانت تزداد أكثر فأكثر.

في جيانغنان، وبعد انتهاء عيد الربيع بأكثر من شهر، بدأت لمسات الربيع تزهر في كل مكان، بإمكانك رؤية اللون الأخضر المنعش في كل مكان. أما في الشمال الشرقي فكان الثلج ما زال يتساقط، والجليد في كل مكان. حينما لاحظ يانغ شيون السوق الآن ولم يبدأ بشكل طبيعي، لم يسمح لداي جياو فنج بالذهاب إلى

المستودع طوال فترة ما بعد عيد الربيع، وكان يهتم وحده بالإدارة. همَّ بالخروج في الصباح الباكر، فأعطته داي جياو فنج وعاءً من الملفوف والزلابية المحشوة باللحم، أكل وشرب حتى امتلاءً، كما ساعدته في وضع قبعته ولف وشاحه بإحكام، ومن ثم تركته يغادر. أما هو فلم يقرر الذهاب إلا بعدما كتَّفها وقبَّلها عدّة مرات. كان يضحك طوال الطريق، وحينما وصل إلى المستودع أشعل موقد الفحم، ونزع اللوحات من على الباب والنوافذ، مسح النضد ونظفه جيّداً، هذا يجعل الناس يعتقدون بمجرد رؤية المكان أنه مفتوحٌ للعمل بشكل طبيعي.

بعدما فرغ من هذه الأمور، لم يكن ثمة أمرٌ آخر، سخَّن الموقد وتطلع إلى الخارج عبر النافذة في ملل، فرأى لاو وانغ قادماً أمامه للعمل، كما رأى صديقاً آخر من القرية قادماً للعمل أيضاً، وما مرت لحظات حتى بدأت ألسنة الدخان البيضاء تتصاعد من مداخن المستودعات المصفوفة أمامه. قال يانغ شيون في نفسه إنه كان من الممكن ألا يأتي، فقد أعطى معظم البضاعة التي كانت بالمستودع لمنجم الفحم، ولم يتبقَّ سوى بضع لُقّات من الأسلاك الكهربائية، وبعضٌ من الأجهزة الكهربائية التي طلب من لاو وانغ ورفاقه مسبقاً إحضارها إليه لتكون بمثابة عينات، فحتّى لو جاء لص لن يجد شيئاً ثميناً يسرقه. ولكنه إذا لم يأتِ كان من الممكن أن يأتي عميل للبحث عنه ولا يجده، ويظن خطأً أنه سيتوقف عن عمله بعد فشله في إنشاء متجر له، ما أسوأ ذلك، لذا عليه المثابرة حتى ولو ازدادت الشروط صعوبة فيما بعد.

وبينما كان شاعرًا بالملل، تنهى إلى سمعه فجأة صوت  
ضوضاء قادمة من الخارج غطت على صوت الراديو الذي كان  
بجواره، انحنى بجسده خارج النافذة ليلقي نظرة، فرأى جمعًا  
غفيرًا من الناس يحتشدون أمام باب مستودع لاو وانغ في تحدٍ،  
غاضبين جدًا لدرجة أنه لا يدري ماذا يقولون. ما مرت لحظات  
حتى رأى لاو وانغ خارجًا من المستودع مع الشرطة مكبل اليدين،  
فرفع جميع من في ذلك الحشد قبضتهم وصاحوا عاليًا. هنا تمكن  
يانغ شيون من السماع بوضوح، يبدو أن ثمة خطابًا ما في البضاعة  
التي باعها لاو وانغ لمنجم الفحم، ما أدى إلى انفجار المنجم  
وموت الكثير من الأشخاص. بُهت يانغ شيون في الحال، كابلاته  
الكهربائية، أمواله، ما العمل؟ هذه أمواله كلها التي جمعها على  
مدار ما يقرب من أربع سنوات منذ احتكاكه بالسوق للمرة الأولى.  
لم يكذ يلحق استرداد وعيه حتى سمع دويًا هائلًا فجأة قادمًا  
من الخارج، تبعته أصوات تكسير وتحطيم، استفاق من صدمته  
الهائلة، وتطلع إلى الخارج فإذا بهؤلاء الرجال الغاضبين الذين  
قدموا للتو يندفعون إلى داخل مستودع لاو وانغ، وبعد فترة وجيزة  
كان قد تم التخلص حتى من موقد الفحم. قال في نفسه لا يمكن  
أن يكون هؤلاء هم أفراد عائلات العمال الذين لقوا حتفهم في  
منجم الفحم، فلو أنهم هم من فقدوا ذويهم لم يكونوا لتركوا لاو  
وانغ إلى حال سبيله.

وفجأة، وقف شخصٌ ثانيةً أمام نافذة المستودع الذي يجاور  
مستودع لاو وانغ وصاح: «يوجد هنا أيضًا مُشغِّل مزيف، الأمر

سيان». وسرعان ما بدأ شخصٌ آخر في الصُراخ: «كلهم آتون من وكرٍ واحد، كلهم عصابة، افضوا عليهم أيضًا».

لم يسع يانغ شيون سوى إلقاء نظرة على مُشغَل تخفيف الضغط التلقائي الموجود في نضده والذي حصل عليه من بضاعة لاو وانغ، فارتجف قلبه، وتسلق العمود بدافع الغريزة كأنه قرد، واختبأ خلف العارضة الخشبية منكمشًا في الظلام. وكما هو المتوقع، لم يمر الكثير من الوقت حتى رأى باب المستودع يُحطَم بعصا، واندفعت مجموعة من الأشخاص الغاضبين حد الجنون ليحولوا كل ما بالداخل إلى أشلاء. كان بمقدوره سماع عويل أصدقائه القرويين الذين يتعرضون للضرب بالخارج. لم يجرؤ على إصدار صوت، وأخذ يرتعد متوترًا وهو مختبئ في الظلام، كان هذا أخطر وأخوف موقف واجهه منذ أن كان صغيرًا. يعلم بوضوح أنه لو أصدر صوتًا وتم اكتشافه فستهوي فوق جسده أعداد لا تحصى من اللكمات وضربات العصي. هل لم يكن ليجنّ لو أن ذويه هم من ماتوا في المنجم؟ لم يكن ليهتم بأمره حينها أحد إذا ما تعرض للضرب حتى الموت، فمن الذي جعل أدلة الإدانة واضحة في نضده؟

اجتاح المستودع الرجال الغاضبون، ثم هرعوا إلى المستودع التالي، كان بالمكان أكثر من عشرة مستودعات ملك لرفاقه من القرية، معظمهم يشترون البضائع من بعضهم، إذ يُسد كلٌ منهم العجز عنده بما عند الآخر من بضائع، تم تهشيمها كلها بما فيه الكفاية. كان يانغ شيون ما زال منكمشًا بالأعلى لا يجرؤ على النزول، يخشى إذا ما اكتشفوه أن يبرحوه ضربًا. لم يستطع أن يتبين ما يجري في الخارج من النافذة، تناهى إلى سمعه فقط فوضى

الصيحات القادمة من كل حدب وصوب. اتضحت له الخطوط العريضة للصورة تقريبًا حينها، غالبًا فبسبب استرخاها لا ووانع في مُشغَل تخفيف الضغط التلقائي لم يؤدِّ الجهاز دوره، وتعطل منجم الفحم السليم الخاص بهم بمجرد تشغيله، وبعد انقطاع التيار الكهربائي عن المنجم، عجزت المروحة المتوقفة عن تصريف الغاز من البئر في الوقت المناسب، ما أدى إلى تراكم تركيز الغاز إلى مستوى معين، وانفجار بئر الفحم. راح ضحية ذلك الكثير من الناس. شعُر يانغ شيون بالحزن على ضحايا المنجم من العمال، وفي الوقت نفسه شعُر بالقلق على وضعه الحالي، وكان أكثر ما يزعجه هو عدم إمكانية استرداد تلك الدفعة المقدمة، بالإضافة إلى القروض التي لم يتمكن من سدادها. كان على ثقة بأنه لو جرؤ على الذهاب إلى المنجم في الوقت الحالي ليطالب بأخذ ثمن الكابلات الكهربائية، فمن الممكن أن يتلقى ضربًا مبرحًا ويلقى به في بئر فحم عميق لا نهاية له. علاوة على ذلك فإنه سيفقد المنزل الذي أعطاه لصديقه مقابل المال لأنه لن يتمكن من سداده. وهكذا فقد كل ما لديه من مال وعليه أن يبدأ من الصفر مرة أخرى.

اخترقت الرياح الباردة الأبواب والنوافذ المكسورة، وأخذ يانغ شيون يرتعد من البرد حتى تجمدت أوصاله. وبينما هو في أوج يأسه، سمع أخيرًا صوتًا قادمًا من الخارج كأنه يأمر بالحفاظ على النظام. لم يجرؤ أيضًا على النزول، بيد أنه سمع صوت سيارة إسعاف تقترب من بعيد، فازداد رُعبه، ما جعله لا يجرؤ على القفز إلى أسفل، هل وصلت نتائج المعركة إلى الحاجة لسيارة إسعاف؟ كيف له أن يصطدم بهم إذن؟

حينما ابتعد صوت سيارة الإسعاف، وتلاشى صوت الناس بالخارج، اجترأ يانغ شيون على القفز إلى أسفل، لكن يديه وقدميه تجمدت من البرد، لذا فإنه بالأحرى لم يقفز ولكنه تدحرج إلى الأسفل. لم يأبه بالألم، وفرَّ هاربًا إلى المنزل زاحفًا في اندفاع. عاد إلى رشده بعدما رجع إلى المنزل، وأدرك حينها فقط الألم الحارق في ذراعه اليسرى التي كانت متوجهة نحو الأرض بعدما قفز إلى أسفل، فكر في بادئ الأمر في تحمل الألم إلى أن يمضي، فكثيرًا ما تعرض في صغره لإصابات ناتجة عن السقوط، ولم يحتج في أي منها أن يذهب إلى المستشفى. لكن وبحلول المساء ازداد الألم، وبدأ من فرط الألم يتصبب عرقًا باردًا، توصلت إليه داي جياو فنع أن يذهب إلى المستشفى، ولكنَّ الأشعة السينية لا تعمل في المستشفى ليلاً، وكان التشخيص المبدئي للطبيب هو كسر في العظام، فأعطاه علاجًا أوليًا.

نظرًا إلى الساعة وقررًا ألا يعودا إلى البيت، فجلسا على دكَّة موجودة في رُدهة المشفى حتى شروق الشمس منتظرين فتح حُجرة الأشعة السينية.

على الرغم من أن يانغ شيون جاب البلاد طولاً وعرضًا، ولكن كانت هذه هي المرة الأولى التي يصادف فيها عثرة كبيرة كهذه منذ أن كان صغيرًا، ولم يكن يعلم ببساطة كيف يتعامل معها. ألمته ذراعه كثيرًا حتى شعر بالدوار، وتبلَّد مخه فعجز عن التفكير، لم يسعه سوى التحديق في داي جياو فنع التي كانت بدورها شاحبة يعتربها القلق هي الأخرى وسألها متعثرًا: «ما العمل؟ ما العمل؟».

عجزت داي جياو فنج عن الرد وسألت هي الأخرى «ما العمل؟»، كانت أكثر جهلاً منه. لكنها وعلى كل حال لم تكن تتألم، عقلها يقظ، فكان بمقدورها أن تُبادر بالتفكير في أمر آخر: «ماذا لو نطلب من أحدهم أن يتحدث معهم في منجم الفحم، يُخبرهم بأن الكابلات لنا، وأنه ما من مشكلة في جودة كابلاتنا».

«لا فائدة من ذلك، كلها ملتصقة باسم لاو وانغ، فمن سيصدق أنها لي؟».

«لقد سمعوا كل شيء بينما كانوا يتناولون الطعام، اجعلهم شهوداً».

«ومن يجرؤ على المخاطرة بحياته؟ إنني حتى لا أعرف إلام وصلت حالتهم بعدما تعرضوا له من ضرب، سيكون من الجيد للغاية لو عادوا أحياء».

«ما العمل إذن؟ ألم ينفد كل ما لدينا من مال؟ علاوة على ذلك فإننا مدينون بالمال لأناس آخرين».

«حتى ولو بعنا البيت فلن يكفي ثمنه، فأنا ما زلت مديناً لصديقي بعشرين ألف يوان، لقد صرنا معدمين تمامًا. يبدو أن لديك بعض المال هناك يا فنج الصغيرة، أليس كذلك؟».

«ماذا لو أحضر المال بعدما أعود؟ وإذا ما حصلنا على المال فلنعد إلى البيت، وليأخذ البيت من يريد أن يأخذه، لتتعافى من إصابتك أولاً ونتحدث في الأمر لاحقاً».

فكَّر يانغ شيون طويلاً، وقال بمرارة: «أنا أيضًا أريد الهروب، لكنَّ المال الذي اقترضته جمعه صديقي من الناس كمساعدة لي،

سأمرغ وجهه هكذا في التراب. إذا ما هربت، فلن يستطيع هو الهرب من كل هؤلاء الناس، وعليه أن يعيد هذا المبلغ من المال، فأنتى له بذلك؟ فنع يا صغيرة، كم لديك هناك من المال؟ أقتراح أن نتصل بأخيك حينما نعود لنسأله عن ذلك، ونطلب منه أن يبيع الشقة الموجودة بالمدينة ويحوّل لنا المال، كما سأطلب من أمي أن تُحوّل لنا مالا أيضاً، لنعيد المال إلى صديقي أولاً، ومن ثمّ نرجع إلى بيتنا ونبدأ من جديد. لا تخافي، نحن شباب ولدينا قوة».

«حسنًا، كما تريد، أنتى لك بكل هذا الإخلاص؟». تماسك يانغ شيون وقال مبتسمًا: «لطالما كنت مخلصًا، فمن يُحسن إليّ بالطبع أحسن إليه، ومن يتردد بشأنى أتردد بشأنه. فنع يا صغيرة، أنا مخلص لك، لا، أنا كُلّي لك!». قالت بقلق عميق: «هل لديك مزاج للتحدث بهذه الترهات الآن؟ انتظر حتى نعود إلى البيت، إذا ما يبعث شقتنا في المدينة، ولم تعترف أمك بي، فماذا عساني فاعلة؟ كيف ستكون مخلصًا لي؟».

«سأتحدث مع أمي...».

«لقد تحدثت إليها لسنوات، لن تصل لحل إذا ما قابلتها، هل يُمكن أن تدعن إليك والدتك؟ قل لي كيف ستنظر إليّ بعدما أعود الآن؟ كما أننى لن أتركها توجه النقد إليّ». واندفعت من عينيها الدموع بغزارة بينما تتحدث.

كان يانغ شيون حينها متعبًا ويتألم، كما كان يملأ قلبه الشعور بالفشل، رغب أولاً في التماسك وتقديم الدعم العاطفي لداي جياو فنع، فبوصفه الأخ الكبير منذ صغره، لطالما كانت لديه نظرة

أكثر شمولية للأمور في الحياة، بيد أنه وما إن رآها مضطربة في تلك اللحظة، قال في ضيق: «أنا مصاب بكل هذه الجروح وأنتِ لا تكتفي بعدم مواساتي بل وتستفزيني أيضًا، ماذا تريد مني بحق الجحيم؟ هذا ما في مقدوري الآن، ما من حل آخر».

قالت في غضب: «لا مشكلة لديك في أن تسبني أمك متى يحلو لها، ولكنك تغضب إذا ما ذكرتُها بشيء، فهل سأجرؤ على الاتكال عليك بعدما نعود؟ هل ستستطيع أن تأتي لرؤيتي بعدما تعود إلى المنزل وتحبسك والدتك؟»

«لقد قلت لك إنني مُخلصٌ لك، فكيف لا تصدقيني؟ أنا أمر بضائقة مالية مؤقتة، وعليّ أن أعود إلى البيت لأمكث فيه بضعة أيام، ألا يمكنك أن تقاسمني السراء والضراء لبضعة أيام؟» أغلق يانغ شيون عينيه خائر القوى، ولم يرغب في التحدث أكثر من ذلك، كان يشعر بخيبة أمل كبيرة، يرجو في هذه اللحظات أن تحنو عليه يد داي جياو فنغ الصغيرة بلطف وتمنحه القوة، فهو الآن لا يملك أي شيء، فقط الأشخاص من حوله، كان في حاجة إلى دعمها. لكنها لم تكن تُجيد سوى التذمر والبكاء. حزن حينما فُكّر في الأمر، أضف إلى ذلك الألم المبرح في ذراعه، ما جعله في النهاية لا يقدر على حبس دموعه، وانزلت دموعان بجانب شفاهه الأرجوانية المُزرقّة من فرط الألم.

لم تجرؤ داي جياو فنغ على الكلام حينما وجدته تملكه الغضب، فلا يُغرّنك وجهه الضاحك المرح دائمًا، فهو ما إن يُظهر وجهه الحقيقي حتى يكون شرسًا للغاية. ذرفت مزيدًا من الدموع،

ولم تلبث أن تفكر: ما العمل؟ ما العمل؟ كيف ستعود؟ وكيف ستعامل مع والديها؟ كيف ستواجه الناس؟ كيف ستبحث عن عمل بعد عودتها؟

كان بالمشفى العديد من الباكين، جلس الشبان يبكيان في الرُدْهة وسط نظرات الآخرين، ولم يكن ثمة ما يثير دهشتهم، ناهيك بنظرات المحيطين.

وأخيرًا، أضاءت السماء قليلاً بالخارج، كانت داي جياو فنع قد توقفت بالفعل عن البكاء، أخرجت منديلاً لتمسح دموعها، ومسحت ليانغ شيون دموعه أيضًا. حدّق فيها وهي تساعده، فمدّ يده اليمنى يُمسك بها وقال برفق: «سأقف على قدمي من جديد، لن ننفصل، سنظل معًا إلى الأبد».

شعرت بحُرقة في قلبها لَمَّا سمعته، ولم تكن تصدق أن بإمكانهما البقاء معًا بعدما يعودان، ولكنها حبست دموعها وحاولت جاهدة أن تومئ برأسها موافقة، ومن ثمّ خرجت لتشتري طعام الإفطار لكليهما دون أن تنطق بكلمة.

لم يمر وقتٌ طويل حتى عادت داي جياو فنع، استخرجت من جيبتها كيسًا ورقياً ملفوفًا في وشاح يحوي الباوتزي. كان يانغ شيون يتألم لدرجة أنه يرتعد بالكامل من شدة البرد، فأثنى له بشهية للأكل، بيد أنها أصرت على إطعامه لقمة بعد لقمة في فمه. حينما وجدها تتصرف معه بهذا اللطف، انهمرت دموعه أكثر فأكثر، اتكأ عليها وكأنه طفلٌ صغير، وأخذ يتوسل إليها أن تصدقه، وتثق في أنه سيتصرف جيدًا. تأثرت بدموعه فبكت هي الأخرى، وكوَّنا

فريقًا للباكين. كان يانغ شيون في حقيقة الأمر حائرًا، فقد نفذ ماله بالكامل، ولا يعرف ماذا عليه أن يفعل، هل يبدأ من حراسة الأنضاد للآخرين مرةً أخرى؟ ولكن حينها كانت أعداد من يمارسون التجارة الخاصة قليلة، وكانت لديه مساحة لاغتنام تلك الفرصة، أما الآن وبمجرد أن يبدأ في التحرك، فهو لا يعرف مدى سرعة الآخرين في سد تلك الفجوات، وهل سيستطيع استرداد زبائنه القدامى بعدما يجني بعض المال؟ شعر بالذنب، وكان في أشد الحاجة لدعم القريبين منه. ظل ممسكًا بيدها يأبى تركها.

وصل الطبيب إلى العمل أخيرًا، وفتحت أبواب غرفة الأشعة السينية، التقت ليانغ شيون صور الأشعة، وتم إبلاغه في الحال أنه سيخضع لعملية جراحية. فزعت داي جياو فنج، وأخذت تردد بلا توقف: ما العمل؟ نظر الطبيب إلى هذه الفتاة الجميلة، وطلب منها أولاً أن تذهب لتحضير المال. تعاطف معهما الطبيب، فعلى الرغم من عدم كفاية المال الذي معهما، ولكنهم وضعوا يانغ شيون على طاولة العمليات. قال لداي جياو فنج التي كانت مرتبكة وفي حيرة من أمرها إنها ليست عملية جراحية باطنية كبيرة، وطلب منها أن تخرج ولا تنتظره، وتذهب أولاً إلى البنك لإحضار المال.

غادرت مسرعة، وكان حسابها المصرفي يُشبه الحصالة التي لا يفكر أحد عادةً في استخدام الأموال التي فيها، لكن وما إن ذكره يانغ شيون حتى فكرت أخيرًا في أن تلك الأموال المدخرة في حسابها يُمكن استخدامها. صحيح، لقد صار يانغ شيون مدينًا للآخرين، ومن المحتمل أن يكون مضطرًا لاحقًا لاستخدام أموالها. لم تفكر كثيرًا، ركبت الحافلة في عجلة عائدة إلى البيت،

وأخذت ألف يوان كانت قد أودعتها منذ عام واحد للتو وذهبت إلى البنك، أسرع بالعودة إلى المستشفى وأرادت أن تكون إلى جانب يانغ شيون بمجرد خروجه من غرفة العمليات. كانت خائفة وقلقة حينها، شاردة الذهن، تتطلع إلى يانغ شيون راغبةً منه في اتخاذ القرار بصفته المسؤول.

ذهب يانغ شيون إلى الوحدة الداخلية لرعاية المرضى بمفرده عقب العملية الجراحية، ورأى اثنين من أبناء بلدته كانا قد سبقاه إلى الداخل، وبمقارنة كسر ذراعه الأيسر بإصابات ابني قريته البالغة، فقد كانت إصابته هيئة. قابل رفاقه أخيرًا، واسترد وعيه فورًا بعد أن ظل تائهاً لليلة كاملة، كما استعادت عيناه بريقها. لم يأبه بعبوة المحلول الملحي الموصلة بيده، وفكّر في كيفية الاستلقاء على السرير بسلام، ثمّ أمسك بالعمود الحديدي الثقيل المعلق به عبوة المحلول وذهب للتحديث مع رفاقه.

جلس بصعوبة على حافة سرير أحدهما، ولا يعلم على ماذا جلس، إذ سمع صرخة مؤلمة صادرة من رفيقه. تبادل البعض الحديث عن ظروف إصاباتهم، وكما هو المتوقع، كانت إصابته هي الأهون من بينهم، لكنه وعلى الرغم من وجود كسر في ذراعه اليسرى فقط، فإنه كان يشعر بتنميل في نصف جسده من فرط الألم.

وبينما يتحدثون قدّمت إحدى أقارب المرضى، ولمّا رأت زوجها مستلقيًا على السرير أجهشت في البكاء والنحيب، اتضح لهم أنها ذهبت إلى المستودع للتو تسترق النظر، فلم تجد قطعة

زجاج كبيرة واحدة بين شظايا الزجاج المهشم، فما بالك بتلك المستودعات؟ عجز الجميع عن التفوّه بأي كلمة لوهلة، كان الجميع قد جاءوا للتو بعد عيد الربيع من مسقط رأسهم حاملين كل ما في جعبتهم من بضائع، ولم يبيعوا منها تقريبًا سوى القليل، وكانت البضائع الموجودة في كل مستودع بمثابة ممتلكات الأسرة لكل منهم، وهكذا انتهى أمرها بصيحة واحدة. وراحت جميع الأموال التي جمعوها بشق الأنفس ركضًا من الشرق إلى الغرب هباءً متثورًا. فمن منهم لديه مزاج للمزاح في هذه اللحظات؟!!

كان يانغ شيون أيضًا يشعر بغصة كبيرة في قلبه، وتملأ فمه مرارة، لكنّ الأمور آلت لما هي عليه الآن بالفعل، لم يُطل في تهدياته وقال لأبناء بلدته بصوت مرتفع: «لا تحزنوا، فأنا ما زلت الأسوأ حظًا من بينكم، تعلمون جميعًا أن لي بضاعة مُخزنة في منجم الفحم، ويبدو من هذا الزخم أنني لن أستطيع استرداد أموالي من لاو وانغ، كما أنني مدين لآخرين بمبلغ كبير من المال. ماذا أنتم بفاعلين بعد خروجكم من المستشفى؟ ماذا لو جمّعنا مبلغًا من المال ووجدنا من يذهب للتحديث مع الشرطة؟ على الأقل سيكون بإمكاننا استرداد ولو القليل من المال. يبدو لاو شن على دراية بالتعامل مع مراكز الشرطة، أين هو؟».

دبّ النشاط في أحد المستقلين على السرير: «لاو شن... زوجتي، اذهبي للبحث عنه، غالبًا فإنه موجود في إحدى المستشفيات بالجوار، وإذا لم يكن فيها فلا بد وأنه مختبئ بالبيت، لن يخرج من بين هذه الأماكن. في حوزتنا الآن ألف أو ألفي يوان، إذا ما استطعنا استرداد نصف البضائع... زوجتي، اذهبي أنتِ الآن».

بمجرد أن سمعته إحدى أقارب المرضى هذه التي جاءت لتوها من المستودع بعد إلقاء نظرة عليه، وكانت تبكي حتى كاد الحُزن أن يفلق كبدها، مسحت دموعها وقالت: «هذه حقًا فكرة جيدة، سأذهب مُسرعةً للبحث عنه، ولا تنسوا أن تقدموا لزوجي طعام الغداء». وهرولت في عجلة من أمرها بمجرد أن انتهت من كلامها.

«كم يعتمد عليها هذه العمّة». حاول يانغ شيون البحث عن جُملة إطراء مناسبة على إثرها، وكانت داي جياو فنج في هذا الوقت تحديدًا تبحث عن باب غرفته، فدعاها للجلوس والتحدث.

تختلف داي جياو فنج عن أولئك الزوجات اللاتي يتبعن خطى أزواجهن في عمل كل شيء، فأقصى ما يمكنها فعله هو تسجيل الحسابات، وليس لديها خبرة في التعامل خارج المنزل، إذ كان الجميع يتناقشون عابسي الوجوه، أما هي فلم تقترح أي فكرة، كانت تنصت بالجوار فحسب. بعد ذلك بدأ الناس يُقبلون على مهل من الغرف الأخرى للمرضى، ومن المستشفيات الأخرى، أو من بيوتهم، وُجهت لهم دعوة للمجيء بواسطة أقارب المرضى الذين غادروا. جاء منهم وحيدًا من يستطيع التحرك بمفرده، أما من لا يستطيع التحرك بمفرده فجاء مع أقاربه. فدُفعت داي جياو فنج تدريجيًا إلى بعيد. كانت مذعورة تريد أن تتكئ على يانغ شيون، ولكنّه كان مدفونًا وسط الحشد لا يأبه حتى لألمه، فكيف يمكنه الاهتمام لأمرها، ما أشعرها بالعجز الشديد.

لربما كان الجميع ينخرطون عادة في المؤامرات والمكائد ويتقاتلون من أجل العمل، أما في تلك اللحظات الحرجة كانوا

يجلسون معًا ويتحدون على قلب رجل واحد. وضع كلٌ منهم الخطط على حدة، من بينهم ثلاثة أوغاد في مواجهة رجل مخلص واحد يبحثون لأنفسهم عن مخرج لتبرئتها، أو لنقل في كيفية إلقاء التهمة على كاهل شخصٍ آخر، وذلك في مقابل تصدي الجمع واستعادة البضائع المخطوفة. كان يانغ شيون هو الآخر مضطراً لاسترداد تلك الأموال التي كانت معه مؤخرًا، فبالنسبة لشخصٍ مثله غارق في الديون، كان في حاجة ولو لأقل القليل من المال. ومع ذلك فبعد النقاش والمحاورة فُكّر فيما هو أبعد من ذلك، وسأل بصوتٍ مرتفع: «بغض النظر عمّا إذا كان في مقدورنا استعادة الأشياء أم لا، لم تنتهِ مُدة استئجارنا للمستودعات بعد، هل تنوون فتحها ثانية؟ ألن تتعرض للتحطيم مرةً أخرى إذا ما فتحناها؟».

نظر الجميع إلى بعضهم للحظة، وقال أحدهم أخيراً: «سنرى، دعونا نرى ما إذا كان بإمكاننا استعادة الأشياء أم لا، إذا ما استطعت استعادة نصفها فسوف أعود. أما إذا لم أستطع... هل سيُمكننا الجلوس مكتوفي الأيدي في المستقبل وهؤلاء يتعاملون مع المسروقات وكأن شيئاً لم يحدث؟ من حسن الحظ أننا نمتلك في أيدينا الآن القليل من المال، لكن إذا ما عادت الكرة فإنني سأفقد حتى نعش موتي».

«نعم، على الأقل نطلب من الحكومة أن تتصرف، لتأتي وتلقي نظرة أمام مستودعاتنا، وإلا فكيف سيكون في مقدورنا اللعب مع هؤلاء الثعابين؟».

«هل تريد من الحكومة أن تتصرف؟ إنه خطأ لا ووانغ من البداية، ليس لدينا من الثقة ما يكفي للمطالبة بحقنا». تحدث

الجميع في وقت واحد وتباينت آراؤهم، وكان أغلبهم متشائمين.  
قال يانغ شيون: «هل تقصدون الرحيل؟ لكن أليس من  
المؤسف أن نترك كل هذه الأسس التي أرسينا لها على مدار  
سنوات طويلة وكل تلك العلاقات القديمة ونرحل؟».

قال أحدهم: «أنت شاب صغير لا تفكر في الأمور جيدًا، لقد  
كسروا ذراعك اليسرى اليوم، وغدًا بإمكانهم كسر ذراعك اليمنى،  
فكم لديك من الأذرع لمحاربتهم؟».

«صحيح، ألم تروا أحدًا منهم يحمل بندقية مساء البارحة؟ لو  
لم يكن هناك من يوقفهم لسقط منّا بضعة أشخاص، فطبيعة أهالي  
الشمال الشرقي عنيفة».

أحسن الجميع أنه لم يكن توقيتًا مناسبًا للتفكير في الخطوة  
الأخيرة، ومن ثمّ عادوا للتحدث في الموضوعات السابقة ما عدا  
يانغ شيون، كان يفكر ماذا سيفعل لو استطاع استعادة تلك البضائع  
ثانيةً، فمن المؤكد أنه لن يكون في مقدوره استعادة تلك البضائع  
التي حطمها لاو وانغ في منجم الفحم، وهو لا يزال مدينًا بالمال.  
بيد أنه كان يحمل على ظهره مسؤولية ستّة أفواه بما فيهم هو نفسه،  
أضف إلى ذلك ضرورة اجتياز يانغ سو ويانغ ليان لاختبارات  
الالتحاق بالجامعة العام المقبل، فكيف لا يستطيع توفير النفقات  
لأخويه الصغيرين؟ لو استطع فقط استعادة البضائع هل سيكون  
كافيًا؟ ماذا عن تلك الديون؟ علاوة على ذلك فحتى ولو أراد  
الاستمرار في عمله، فكيف يستمر بدون رأس مال؟ هل يبيع البيت  
القديم والدراجة النارية؟ أخذ يفكر كثيرًا، إذا ما تخلى عن كل تلك

العلاقات القيمة التي كوَّنها هنا على مدار سنوات طويلة فعليه أن يبدأ من الصفر لو ذهب إلى مكان آخر، هل سيكون الأمر سهلاً؟ ومع ذلك فإذا ما ظل يعمل هنا، كيف يمكنه كسب ثقة الناس لاحقاً بعد أن دمَّر لاو وانغ في هذا المكان سمعة علامته التجارية؟ سيكون هذا صعباً أيضاً.

برُغم الأحاديث الدائرة من حوله فقد كان مشدوهاً. ما العمل؟  
ما العمل؟ ما العمل؟

ظل مأخوذاً لمدة حتى تلاشى في تلك اللحظات تأثير المخدر وبدأ يحترق جُرحه من الألم. ألقى التحية على الجميع، وقال لهم إنه سيذهب ليستلقي على السرير، ثم خرج لبحث عن داي جياو فنغ. حينما رآته أخيراً يقاتل للخروج من وسط الحشد، هرولت نحوه وسألته بنفاد صبر: «هل تتألم؟ إنك تتعرق من جديد».

«نعم، ألم فظيع. سأستلقي قليلاً، تعالي اجلسي معي وحدثيني».  
كان يرتجف من فرط الألم، ولكنه تحمل الألم دون أن يتأوه.

قدِمت داي جياو فنغ وجلست إلى جانبه، ربتت برفق على ظهر ذراعه التي تؤلمه، جعلت مثل تلك الملاطفة الناعمة يانغ شيون يتحسن كثيراً، فلم يأبه بنظرات أبناء بلدته الذين يملؤون الغرفة، وشدَّ داي جياو فنغ لتجلس بجانبه على الوسادة، ومن ثمَّ تمدد على ساقها. وفجأة تذكر شيئاً: «هل أحضرتِ صحن الطعام معك يا فنغ الصغيرة أم لا؟».

«يا إلهي، لقد نسيت، كنت متوترة للغاية لدرجة أنني نسيت، انظر، سأذهب ثانيةً لأحضره».

لم يقدر على فراقها، فسحب يدها ليستوقفها، وقال: «لا تذهبي، الجو بالخارج بارد والشوارع زلقة، انتظري وسأستعير صحنًا منهم، هل معك قسائم شراء الطعام؟».

«من الأفضل أن أذهب ثانية، من حسن الحظ أنني طهيت حساء العظام بالأمس، سأحضره لك لتحتسيه، فأنت في حاجة الآن إلى التعافي. انتظرنني، سأعود بسرعة».

«انسى الأمر، لتحدث في ذلك مساءً. الساعة الآن العاشرة والنصف، فلتطلبي منهم صحنًا، واذهبي إلى المقصف لشراء فطيرتي مانتو وبعض الخضار، لنفعل ذلك الآن وتحضري لي بالمساء طعامك الجميل. دعينا نسرع كي يتسنى لهم الذهاب إلى المقصف لإحضار طعامهم بعدما ننتهي نحن من تناوله، هيا!». ما إن استحثها يانغ شيون حتى شلّ تفكيرها، فأذعنت لقلوبه وذهبت لتستعير صحنًا خزفيًا، ثم هرعت إلى المقصف. حينما رآها تغادر حدّق في السقف ممعنا في التفكير. ليس بإمكانه السقوط، فثمة عائلة كبيرة تنتظره لينفق عليها، عليه أن يجد حلاً فورًا. حينما وصل بتفكيره إلى هنا نسي حتى ألمه تقريبًا، وكان القلق يسيطر على تفكيره.

عادت داي جياو فنع بفطائر المانتو والخضراوات، فأكل شارد الدهن، كما أفقده الألم شهيته للطعام، ومع ذلك فقد أكل قليلاً. غسلت الصحن وعادت، فتوجه ببصره ناحيتها وسألها: «كم من المال في يدك؟». لم يسبق له وأن سألها عن مدخراتها قط، لذا تفاجأت.

«تقريبًا... تقريبًا عشرة آلاف يوان». لم تتصور أن يسألها مثل ذلك السؤال فتلعثمت للحظة.

شعُر ببعض الحساسية لوهلة، فحملق فيها وسألها: «إذن فكري كم في مقدورك أن تعطيني، إذا كان لا بأس فأحضري المال لي اليوم، إنني أتجهز للعودة إلى البيت فيما بعد. أملك بعض المدخرات في البيت أيضًا، إذا ما أضفتها إليه سيكون معي بعض المال، وسوف أبيع الدراجة النارية. انتظري حتى نعود إلى المنزل واتصلي فورًا بأخيك، ينبغي أن نصل إليه اليوم، لنسأله ما إذا كان اشترى الشقة أم لا، إذا لم يشترها فليحفظ بالمال حتى أعود وأخذه، فهو مبلغ ليس بالقليل، يكفي ليكون رأسًا للمال. فلتعودي أنتِ الآن، هذه أمور عاجلة. أنا مصاب في يد واحدة، بإمكانني التصرف بمفردي. أحضري لي طعامًا آخر في المساء، فأنا لا أريد أن أكل المانتو».

«لا حاجة لهذا الاستعجال، لقد خضعت لعملية جراحية اليوم للتو، من الأفضل أن أرافقك ونتحدث قليلاً».

«الأمر عاجل جدًا». ألقى نظرة على أبناء بلدته الذين ما زالوا يتحدثون أحاديث سخنة ولم يأبهوا حتى بتناول الطعام، «الوقت لا ينتظر أحدًا. أسرع، عذرًا، ستعذبين بمفردك».

صرَّت على أسنانها ومن ثمَّ غادرت على مضض. بحث يانغ شيون بعدها عن الممرضة، كان يريد منها أن تحقنه مخدرًا، لم ينجح الأمر، ومع ذلك فلم يعرف ماذا حقنته الممرضة، إذ غطَّ في النوم رُغم ضوضاء غرفة المرضى والألم الحارق في ذراعه.

عادت داي جياو فنع إلى البيت، واتصلت بمكتب القرية وطلبت منهم بمنتهى اللطف أن يساعدها أحد ويذهب لينادي على أخيها. وبعد مدة طويلة عاود أخوها الاتصال بها، أغلقا الهاتف بمجرد أن تبادلًا بضع كلمات، ومن ثمّ اتصلت به ثانيةً. حينما وجد أخته تتحدث بهذه الطريقة سارع بالقول: «لقد اشترت الشقة منذ وقت مبكر، كما لا يمكن العودة في الأمر».

«أخي، فكر في حل، ألم تقل إن لديك علاقات قوية؟ نحن في حاجة شديدة إلى المال».

«مهما كنتم في حاجة إليه فلا يمكن العودة في الشراء. فكري قليلاً يا فنع الصغيرة، أنتِ لم تتزوجي بعد، هل تضمني أن يانغ شيون سيتمكن من الوقوف على قدميه مرةً أخرى؟ إذا لم يكن في مقدوره فعلى الأقل تكن معكِ الشقة بمثابة ضمان. علاوة على ذلك فحماة مثل حماة عائلة يانغ تلك، لا يمكن أن تمكثي معها بكل تأكيد إذا ما تزوجت لاحقاً به، لا بد وستكونين في حاجة إلى شقة المدينة. لكن وفرضاً، اعذريني فأنا أتحدث بطريقة قاسية قليلاً، فرضاً أنكِ لم تتزوجي، قولتي لي، هل سيكون لديك وجه لتعودي وتبقي في البيت؟ هل تضمنين ما تضمّره لك حماة عائلة يانغ تلك؟ يمكنك حينها فقط اللجوء إلى شقة المدينة كملاذ أخير. انظري، بغض النظر عن أي شيء، لا يمكن العودة في شراء شقتك بالمدينة».

لم يكن ليقبل لها هذا الكلام سوى فردٍ من عائلتها، بيد أنه أصاب قلبها مباشرةً. نرددت للحظة، ثم قالت: «ولكنّ، كيف

يمكن أن ينهض يانغ شيون من جديد بدون المال؟ أخي، فكر في حل».

«لا تكوني حمقاء، على العموم فإنني طرف محايد أرى الصورة كاملة من الخارج، لا يمكن العودة في شراء الشقة. فليسأل يانغ شيون إذا ما ذهب إلى محل لشراء شيء بثمان معين، ووجد لافتة موضوعة على التُّضد الزجاجي مكتوبٌ عليها «ممنوع استرجاع أو استبدال البضاعة المُباعة»، فما بالك بعقد شراء شقة، هل بإمكانهم العودة فيه؟ قل لي إنني أجتهد هنا لأرى ما إذا كان بالإمكان استرجاعها أم لا. لا تقولي إنه لا يمكن، تذكرني هذا جيدًا. هناك أيضًا المال الذي بين يديك، ألم يقل مسبقًا أن هذا المال لك؟ فكيف يطالبك به مع أول مشكلة؟ كم أن كلامه ليس بموضع ثقة. انظري، تكاليف المعيشة في العام الواحد تصل على الأقل إلى ألف يوان، ينبغي لك أن تحتفظي بتكاليف كافية لبضعة أعوام. ينبغي لك أن تتخذي لنفسك خطة بديلة، لا تظلي كما كنت في الماضي حمقاء تتبعينه بغض النظر عن أي شيء، ليس من الضروري أن يكون شخصًا يُعتمد عليه. أنا شقيقك، ولن أضرك. هل سمعتِ؟ عديني بذلك».

وجدت داي جياو فنغ صعوبة في الرد عليه، فيانغ شيون في ورطة كبيرة الآن، فكيف يمكنها أن تحسب حساباتها لتنجو بنفسها فقط؟! على أن أخاها ظلَّ يستحثها بالهاتف على الموافقة، ويسألها ما إذا كان كلامه صحيحًا أم لا، فلم يكن منها إلا أخبرته أنه صحيح، فهو حريصٌ على مصلحتها، ويفكر من أجلها، ما من خطأ هنا. وضعت سماعة الهاتف، وجلست طويلاً. إن المدخرات

التي بين يديها، وبصرف النظر عمّا ذكرته صباح اليوم، فما زال لديها أكثر من عشرة آلاف يوان بقليل، أخذت تفكر كثيرًا ومن ثمّ قررت أن تقدم له منهم ثمانية آلاف، وتحتفظ لنفسها بالباقي كخطة بديلة، فإذا ما احتفظت لنفسها بأكثر من ذلك ستشعر بأنها آسفة ليانغ شيون.

ذهبت إلى البنك لأخذ المال ثم مرّت على المستشفى، فوجدت يانغ شيون يغط في نوم عميق ووجهه شاحب، ما أصابها ثانيةً بغصّة في قلبها، فذرفت عينها بينما تنظر إليه. كانت النقاشات الساخنة لا تزال دائرة هناك، كانت في مزاج سيئ لا يسمح لها بالحديث مع أولئك الرفاق، فجلست في سأم عند حافة السرير شاردة الذهن. جلست لبعض الوقت ولكنه لم يستيقظ، فربتت على جسده بلطف، وقالت وكأنما تحدث نفسها: «أحضرتُ المال، سأضعه مساء اليوم في فراشك، فأنا لا أجرؤ على العودة به إلى المنزل».

وبشكل غير متوقع جاءها صوت يانغ شيون من فوق رأسها: «بهذه السرعة عدتِ؟ يا لها من سرعة في التصرف!».

رفعت رأسها فجأة، فوجدته وقد نهض بجسده قليلاً على مهل ينظر إليها، همت بمساعدته على الجلوس معتدلاً. بدا عليه الرفق، وطمأنها محاولاً تصنّع ابتسامة: «كما ترين، لقد نمت قليلاً، أشعر بكثير من الحيوية بعدما استيقظت».

«وجدتُك للتو متعمقاً في النوم، فكيف استيقظت فجأة؟ لقد نمتَ لمدة ليست بالقليلة، حلّ المساء بالفعل».

قال ضاحكاً: «ألا تعرفين أن الروح تدب فيّ بمجرد أن أسمع

سيرة المال؟! استيقظت بمجرد أن همست في أذني بكلمة نقود. حسناً، ستعيبين لليلة أخرى اليوم، ولسوف أتحسن حينما أستيقظ غداً. كم أحضرت؟».

«ثمانية آلاف». نظرت يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وانحنت لتستخرج المال من ثيابها خلسة، ومن ثمّ دسسته في فراش يانغ شيون.

«أكل هذا؟!» تحسس يانغ شيون المال، ووزنه بيده فعرف أنه ليس بالقليل، واطمأن قلبه على الفور، «انتظريني حتى أجنبي المال يا فنج الصغيرة، ولسوف أعيده لك أضعافاً».

«ماذا تعيد؟!» قالت متعمدة بعض الشيء، «أما زلت تُفرّق بين مالي ومالك؟».

«كيف، كيف يكون ذلك، أنا لم ألتِ عليكِ بنفقات البيت قط، كما لم أوصد القفل على أموال العمل، ألسنا بذلك أهلاً؟».

«هل تعترف بي أمك؟».

«جئنا من جديد. أنا من تزوجتك وليس أمي. دعينا لا نتحدث في ذلك الأمر، أنا أتألم اليوم، لا تذكري هذا الأمر أمامي، حسناً؟».

«لكن ألا يُمكنك أن تعطيني جواباً محدداً؟».

«مهما قلتُ لك كل يوم، فلا يهم ما أقوله، المهم هو الفعل».

على الرغم من استنكارها لما يقوله في نفسها «أين هذه الأفعال؟»، ولكنها نظرت إليه فوجدت وجهه تقلص فجأة، وبدت عليه بالكامل علامات الألم، فتوقفت عن الحديث، ومدّت يدها تربت برفق على ذراعه المجروحة، ظلت تراقبه إلى أن أنهى طعامه، ومن ثم مسح على جسده، إلى أن شدّها أقاربُ المرضى

الآخرون لكي تغادر وتعود إلى البيت.

أثار مبلغ من المال حماس يانغ شيون حماسًا كبيرًا، كما جلب له أفكارًا جديدة. استغرق في النوم ليلية كاملة، وفي صباح اليوم التالي، لم تكن الشمس قد أشرقت بعد، نهض بمفرده من على السرير وارتدى ثيابه بصعوبة، ثم تسلل خلسة خارجًا من المستشفى. فقد أراد أن يبادر بالبحث عن الدائن.

رُغم نومه ليلية كاملة، فإنه وبعد كل شيء كان يعاني من كسر في العظام، كما أنه خضع لعملية جراحية، ما جعله يعاني من الألم طوال الليل، وحينما استيقظ شعر بدوار شديد، حتى إن حرارته كانت مرتفعة قليلاً. تحامل على نفسه وسار خارجًا من بوابة المستشفى، لكن وبمجرد أن اصطدم بالهواء البارد المحمل برائحة الدُخان خارج المستشفى استفاق بالكامل، حتى إنه لم يعد يشعر بالألم يُذكر في ذراعاه، وصارت دماغه تعمل بشكل أفضل، فقد قضى البارحة يفكر طويلاً ماذا عليه أن يفعل وماذا عليه أن يقول، وفي تلك اللحظات ارتسمت أمامه الصورة فجأة وأصبحت قرارًا.

كان ما زال هناك عدد قليل من المارة على قارعة الطريق في الصباح الباكر، كما لم يكن هناك بالطبع جهات عمل منظمة لتجريف الثلج. تراءت له من قريب ومن بعيد مداخن عالية ومنخفضة يتصاعد منها دخان أبيض بسلاسة، وقد أضاءت السماء بالفعل. أخذت الشمس الأشبه بصفار البيض تحوم فيما بين مداخن غابة المصانع، وقد أبكرت قليلاً في الشروق منها في عيد الربيع

وبداية السنة الجديدة. لم يكن منزل صاحب الدين الذي يريد يانغ شيون أن يذهب إليه قريبًا من المستشفى، بيد أنه كان يملك خارطة حيوية في عقله، فما إن خرج من بوابة المستشفى وألقى نظرة على رقم الحافلة حتى تمكن من تحديد مسار الطريق تقريبًا. لكن ذراعه كانت مجروحة، وسيكون من العسير عليه الذهاب سيرًا على الأقدام، إذ اعتاد الحفاظ على توازنه بواسطة ذراعيه، أما وقد فقد أحدهما اليوم فجأة، فسيمنعه فقدان توازنه منعًا باتًا من السير على الطريق الجليدية، اختل توازنه عن طريق الخطأ فسقط على الأرض، استمات على كل حال في الحفاظ على زاوية سقوطه، وارتطمت فروة رأسه بالأرض لأجل الحفاظ على ذراعه المصابة. صعد بعد ذلك إلى الحافلة، وكان من حسن حظه أنه ركبها في الصباح الباكر، إذ كان الناس قليلين والمقاعد شاغرة، فإذا ما ركبها في وقت الذروة عند ذهاب الموظفين وعودتهم من العمل كان ليجدها مزدحمة ازدحامًا شديدًا يجعله يصرخ من الألم.

كان الطريق شاقًا، على أنه حينما طرق باب بيت الدائن لاولي، تصببت من جبينه قطرات عرق صغيرة، لا يعلم ما إذا كانت باردة أم دافئة، رأى لاولي ورغوة معجون الأسنان تنساب من زوايا فمه، وقد فرح برؤيته للغاية وكأنه رأى المطر في موسم جفاف شديد، فذبَّت الروح في يانغ شيون على الفور، وكان عاقداً العزم على أنه ينبغي له إقناعه. نظرًا لأنه لم يجد أمامه سوى مسار واحد يسلكه، وكانت نقطة التفتيش الأولى على الطريق هي لاولي، فكان عليه أن يجتازها أولاً. كان مرناً في الحديث، ولكنه تحدث بصراحة

على غير عادته: «أخي لي، ثمة أمور طرأت مساء أول أمس، وقد قضيت البارحة بالكامل في المستشفى، وخضعت لعملية جراحية. خشيت أن تقلق عليّ، لذا جئتُ مسرعًا في الصباح الباكر لأتحدث معك، هل لديك طعام إفطار يا أخي؟».

«نعم نعم، أسرع بالدخول. ألم كنتَ لتأتي من الأفضل بعد فترة؟ احذر أن يلتهب الجرح بسبب هذه الحركة». كان كلامه غير واضح وقد ابتلع تقريبًا رغوّة معجون الأسنان التي لم يغسلها بالكامل، قدمت زوجته هي الأخرى من المطبخ لترحب به ترحيبًا حارًا، فقالت له بصوت عالٍ: «هل هو حقًا أنتَ يا يانغ الصغير؟ يا إلهي، ماذا حدث لكم هناك بالضبط؟ ماذا حل بذراعك؟».

جلس يانغ شيون، ومسح عرقه برفق، لم يتجمل في حديثه وحكى ببساطة ما حدث قبل أمس من البداية إلى النهاية، وأضاف: «المشكلة الآن هي أن لا ووانغ أحدث كارثة، قد لا أستطيع استرداد أموالِي، لذا فمن الممكن أن تكون هناك مشكلة مؤقتًا في المال الذي اقترضته من أخي لي سالفًا؛ أنا أعجز عن سداه. ولكنك تثق فيّ كإنسان، فبرغم أنني شاب خبراته قليلة، ولكنني لا أستطيع القيام بأمر مثل التكاثر في تسوية الحسابات. جئتُ اليوم بهدف طمأننتك، ولأعطيك هذه الشقة التي تركتها لك، اعتبرها دفعة أولى من المال، فهي تمثل ربما نصف المبلغ. ولأوقع لك على إيصال آخر، سأحاول كسب المال في أسرع وقت ممكن لأعيد المبلغ المتبقي خلال هذا العام. سأذهب في رحلات عمل كثيرة لاحقًا، لن أستقر في مكان محدد، كما سأجهز لك تقارير تجنّبًا لأن تكون قلقًا من عدم رؤيتي. أخي لي، ما رأيك في ذلك؟».

سمع لاو لي بالأمس بما حدث هناك عند يانغ شيون، فذهب على الفور إلى المستودع ليلقي نظرة، ووجده غارقًا في فوضى عارمة، ليس ثمة أثرٌ لإنسان، ما جعله يقضي ليلته بطولها قلقًا حتى لشاب رأسه من فرط القلق، يفكر في طلب إجازة اليوم مهما قيل له ليذهب إلى هذا الذي يُدعى يانغ شيون، لم يتصور أن يأتيه حتى عتبة بابه في الصباح الباكر، ما جعله يرغب بالحرف الواحد في النداء على بوذا ليباركه. قال في نفسه إذا كان يانغ شيون يرغب حقًا في التخلف عن سداد الدين، ويصطحب زوجته ليلًا في القطار مرتحلًا إلى مكان لا يعثر عليهما فيه أحد، فمن يعرف أين يقع منزلهما في الجنوب؟ لكنه لم يرحل، بل بادر بالمجيء إليه ليشرح له الظروف ويناقشه للبحث عن حلول، علاوة على ذلك فقد غادر المستشفى مصابًا، كان صدقه واضحًا للعيان. فماذا في مقدور لاو لي أن يقول؟ وبزعم أنه ما زال قلقًا بشأن الأموال التي أقرضها له لدرجة أن الكوابيس صارت تراوده طوال الليل، فإنه ما إن رآه على هذه الهيئة المُخلصة حتى تأثر، وجلس بطبيعة الحال ليناقد معه كيفية سداد الدين بشكل معقول. وبالطبع فقد أعطاه لاو لي وعدًا من كلمة واحدة أنه وبصفته نائب المدير المسؤول عن التوريد والتسويق في واحدٍ من أكبر المصانع المستهلكة بشكل رئيسي للأسلاك الكهربائية، فسوف يولي اهتمامًا كعادته لتجارة يانغ شيون، هذا الشاب الصادق.

شكره يانغ شيون آلاف المرات متجاهلاً الألم الذي في جسده، وهنا استطاع أخيرًا الجلوس مستقرًا لتناول وجبة شهية في بيتهم. حينما همَّ بالمغادرة استوقفه لاو لي، وأخذ يحوم جيئةً وذهابًا في

الفناء المحيط لمنزله باحثًا له عن الدراجة ثلاثية العجلات، إذ أراد أن يوصله بنفسه إلى المستشفى.

تأثر يانغ شيون كثيرًا، وسرعان ما أمسك به قائلاً: «أخي لي، لا أستطيع أن أعود إلى المستشفى مؤقتًا، فتأثير حادثة أول أمس كبير، والأشخاص الذين لا أعرفهم سيظنون أنني تعرضت للضرب لأنني أتلاعب وأبيع سلعة مزيفة، أما من أعرفهم فتربطني بهم صداقة طويلة، هم مثل إخوتي تمامًا، أخشى أن يقلقوا على سلامتي، لذا عليّ أن أذهب بنفسني لأطرق باب بيتهم وأطمئنهم أنني حي أرزق. فلتذهب أنت إلى العمل يا أخي، وسأذهب إليهم بيتًا بعد بيتٍ بمفردي».

نظر لاو لي إلى يانغ شيون فوجده نشيطًا بشكل غير معقول، لكن وجهه كان شاحبًا ومنهكًا، فلم يسعه سوى أن يمد يده ويربت على كتفه، وقال له بصراحة: «كم أنت جريء أيها الصغير. إلى أين تريد أن تذهب فيما بعد؟ سأوصلك».

قال ضاحكًا: «إذن فلا حاجة إلى الخجل، أخي لي، سأذهب في المحطة القادمة إلى مصنع النجمة الحمراء للمحركات القريب من هنا». تفاعل معه لاو لي في الحال: «هل تريد أن تذهب إلى هناك للقاء لاو لو؟ سأصطحبك إلى هناك لأسلم عليه».

سُرَّ يانغ شيون كثيرًا، فذهابه مع شخص مثل لاو لي يتولى قيادة الطريق لهو ببساطة أفضل إثبات على حُسن خلقه. كان لاو لي هو الآخر مخلصًا، فحينما رآه يريد أن يفعل شيئًا ويضع قدمه على الطريق همَّ بمساعدته، فبخلاف اصطحابه له ركضًا هنا وهناك،

بعد انتهائه من العمل اتصل ببعض المصانع المعروفة له حسن المعرفة من ضمن القائمة التي قدمها له يانغ شيون وتحدث إليهم بعض الوقت، ومن ثمّ فحينما يذهب إليهم يانغ شيون سيحصل على نتائج مضاعفة بمجهودٍ أقل.

استلهم يانغ شيون من سلاسة تنفيذ خطته، فدبّت فيه الحيوية وكان يعمل مثل الساعة، حافظ على ابتسامته طوال الوقت، وتنقل مستميتًا بين عشرات العملاء القدامى الذين تربطه بهم علاقة قوية. كانت عناوين هؤلاء العملاء القدامى ووسائل التواصل معهم محفورة بوضوح في تلك الخارطة الموجودة في عقله، فلم يكن في حاجة للعودة على المنزل والبحث عنها. لم يضطر للتوقف عن العمل إلا حينما حلّ المساء، إذ كان هناك عميل استوقفه ويريد أن يشرب معه كأسين، فاعتذر بأدب، ولم يجبره الرجل على البقاء بسبب إصابة ذراعه، فدار بينهما حديث جيد، ومن ثمّ أوصله للخارج. لم يجرؤ يانغ شيون على ركوب المواصلات العامة في وقت ذروة خروج الموظفين من العمل، وكان يُفضل تكبد عناء السير على الأقدام ذاهبًا إلى المستشفى، استرجع زيارته ليوم كامل وشعر بالرضا يملأ قلبه. لكنه تذكر فجأة في منتصف الطريق: يا إلهي، لقد نسي أن يترك لفنغ الصغيرة خبزًا بخروجه في الصباح، ولا يعلم كيف سيكون حالها اليوم ومدى القلق الذي ستكون فيه. هرول على الطريق، ودّ لو استطاع أن يعود إلى المستشفى في خطوة واحدة. ومع ذلك فقد أتم الآن خطة اليوم، وكان قلبه مُرتاحًا للغاية، لكن ليس بمقدوره حتى استجماع طاقته، وكأن قدميه تسيران على قطن، تترنح في وهن. ففكر فيما إذا كان قد نرف

دماً كثيراً في العملية الجراحية التي خضع لها البارحة، وأنه الآن في حاجة إلى نقل دم؟ ومن ثمّ فكر ثانية في معدته التي تتضور جوعاً الآن، فهو لم يأكل سوى بضع حبّات من الزلاية من متجر على الطريق عند الظهر من أجل أن يسابق الوقت. كما نسي ألم ذراعه ليوم كامل، والآن عاد الألم يوخز ذراعه مرةً أخرى، ما جعله يتصبّب عرقاً بارداً من رأسه بينما يسير.

صرّ يانغ شيون على أسنانه متحملاً مشقة طريق العودة إلى المستشفى، لكن وبمجرد أن وصل إلى غرفة رعاية المرضى وجد مريضاً لا يعرفه مستلقياً على سريره، ما جعله في حيرة من أمره، وسرعان ما اندفع نحوه أحد أبناء بلده قائلاً: «يا إلهي، أين كنت طوال اليوم؟ لقد قلقت عليك فنع الصغيرة حتى كادت تجن، وبكت بكاءً مريزاً».

«وأين هي؟»

«بكت طويلاً وانتظرتك فلم تعد، كما لم يكن يعرف الطبيب إلى أين ذهبت، فطلب منها أن تستكمل إجراءات خروجك من المستشفى، وأوصلها أحد أقارب لاو شن إلى البيت. إلى أين ذهبت بالضبط؟ لقد كانت مضطربة وكأنها جُنّت، تقول إنك ولا بد اختفيت بالمال بعدما حصلت عليه، هل حصلت على ذلك المبلغ من المال من لاو وانغ ومنجم الفحم؟ كيف حصلت عليه».

سأل يانغ شيون شاعرًا ببعض الدوار في رأسه: «مال؟ أنى لي بالحصول على أموالى من منجم الفحم؟ هل ذهبتم وحصلتم على أموالكم؟». كان يتحدث بينما تتحرك قدماه تلقائياً نحو الخارج، يُريد أن يعود إلى داي جياو فنغ.

لم يتبين ابن بلدته كلامه جيدًا، فهرول خلفه قائلاً: «وجهك شاحب، ماذا لو تطلب من الطبيب أن يحقنك دواءً ومن ثم تغادر؟». فقال يانغ شيون: «سأعود إلى البيت أولاً، ففنع الصغيرة متهورة». لم يجلس وأسرع متجهاً إلى البيت. وكان من خلفه رفاق بلدته ينظرون إليه ويتناقشون، يقولون في أنفسهم ماذا حلَّ بهذين الزوجين؟ يبدو أن ثمة مشكلة كبيرة طرأت بينهما، فقد سمعوا بكاء داي جياو فنع وشكواها، وكأنها قلقة من أن يكون يانغ شيون هرب بالمال وهجرها، وبزُغم أن كلامها الآن يبدو غير حقيقي، فإنه من الصعب الحُكم في ذلك، فالجميع يقولون إن الزوجين مثلهم كمثلي طيور الغابة الواحدة، إذا ما حلت كارثة هائلة يتفرق كلُّ منهما إلى حال سبيله. كان يانغ شيون مدينًا بمبلغ ضخم، فكيف لا تفكر داي جياو فنع ذات الجمال الفاتن بهذه الطريقة؟ ولا شعوريًا، شكك الجميع في مكوث هذه الزوجة الجميلة بيبتها.

وصل يانغ شيون إلى خارج باب المستشفى، وما إن لفحته الرياح الباردة حتى استفاق وفهم معنى بكائها وشكواها، ألا يمكن أن تكون قد شكَّت في أنه هرب متلحفًا بالثمانية آلاف يوان؟ إنه مدين بعشرة آلاف يوان ولم يهرب، فكيف الحال بثمانية آلاف؟ هل هو من ذلك النوع؟ لماذا هي قلقة بكل هذا القدر؟ بيد أنه أعاد التفكير ووجد أنه مخطئ، فقد ركض خلسة في عجلة من أمره صباحًا، ولم يوقظ رفاقه النائمين حينها ليرك معهم خبرًا، ما جعلها تذهب بتفكيرها بعيدًا.

شعر بدوار وتعب في رأسه فتوقف عن التفكير، وأسرع عائداً إلى البيت. أظلمت السماء، وكان المارة في الطريق قليلين، فهرول

بدافع الغريزة ليتعجل العودة، وما كان منه إلا أن تعثر وسقط ثانية. وصل إلى أسفل المبنى السكني الذي يعيش فيه، وقد خارت قواه بالكامل، فاتكأ على مقبض الدرج وانزلت جالسًا على الأرض يلتقط أنفاسه، ومن قبيل المصادفة فقد كان هناك جازٌّ له يُهم بالصعود هو الآخر، وحينما رآه على هذه الحالة أراد أن يُسدي له معروفًا، فأسنده حتى باب البيت. ولكنَّ يانغ شيون نظر في الظلام، ولم يجد شعاع ضوء واحد ينبعث من باب البيت، فأسْرَّ إلى نفسه مغلوبًا على أمره... أليست فنغ الصغيرة بالداخل؟

فتح الباب ودلف إلى الداخل. وكما هو المتوقع، كان البيت بالداخل مظلمًا ظلامًا دامسًا. نادى أكثر من مرة: «فنغ يا صغيرتي، فنغ يا صغيرتي»، لكنه لم يسمع أثرًا لرد. كان قلقًا ومتعبًا. أشعل النور ونظر، فرأى بوضوح غرفة النوم خالية.

نادى عليها ثانيةً بشكل لا إرادي، وكأنه تناهى إلى سماعه صوت استجابة، فاستدار بسرعة. وكان في عجلة من أمره، ما جعل رأسه يطيح وكأنه يطير بعيدًا، فسقط بكامل ثقله على الأرض.

أراد أن ينهض ويستمر في البحث عنها، ولكنه كان واهنًا لا يقدر على النهوض. ولم يشعر سوى بأن جسده يتأجج بالحرارة مثل الفحم في تلك الغرفة الدافئة. لم يكن في مقدوره حتى إن يفتح عينيه. ضعفت أوصاله، ولم يعد قادرًا على التحرك. ومع ذلك، فقد كان قلقًا. أراد أن يجدها ليبرر لها ما حدث. همَّ بالالتكاء على أصابعه المرتجفة لينهض، لكنه لم يستطع، وانهار على الأرض فاقدًا للوعي.

حينما استيقظ يانغ شيون وجد نفسه محاطًا بمساحة شاسعة من البياض في المستشفى. فكر تلقائيًا ووجد بالطبع أنه لا بد في المستشفى، ومن ثم أغلق عينيه ثانيةً شاعرًا بالنعاس. لم يتصور أن يكون أحدهم مكمومًا بجانبه عند كتفه. صاح فيه: «أنت، هل استيقظت؟ استيقظ، افتح عينيك وانظر إليّ».

فتح عينيه بصعوبة ونظر، فإذا بلاو لي، وسرعان ما قال متهلاً: «أخي لي، هل جئت لتطمئن عليّ؟ كيف وجدته؟». حدّق فيه لاو لي قائلاً: «كيف وجدته؟ لقد ذهبت مساءً أول أمس إلى بيتك، أردت أن أخبرك بشيء، وكانت النتيجة أنني وجدتُ باب البيت مفتوحًا. ظننتُ أنه تعرض للسرقة، فدلّفتُ إلى الداخل لألقي نظرة. كنتُ فاقداً للوعي ومطروحاً أرضاً وحرارتك مرتفعة. أين زوجتك الصغيرة تلك؟ هل هربت؟ أليست عديمة الضمير؟».

بُهِت يانغ شيون، وحدّق في لاو لي مفكراً لبعض الوقت، ثم تذكر أخيراً مشهد ما قبل الإغماء: «هل كان مغمى عليّ ليومين؟». «أنت محظوظ بما فيه الكفاية، ما زال في حوزتك كل ذلك المال، من حسن الحظ أنك لم تُسرق. عُدتُ مساءً البارحة إلى بيتك لأرى ما إذا كانت زوجتك موجودة هناك أم لا. ما هذا؟ أين ذهبت؟ لتكئ عليّ وتنهض، عليك أن تأكل شيئاً. لم ينبغ لك الركض بعد خضوعك لعملية جراحية، هل تظن أن جراحة العظام ليست بالأمر الجاد؟ يقول الطبيب إنك قد تصاب بالعدوى إذا لم تتعامل معها بشكل صحيح، كان من الممكن أن يُبتر ذراعك. أنتُ محظوظ».

كان لاو لي يثرثر مثل النساء، فثبّت يانغ شيون بصره إلى الأمام وحدّث نفسه قائلاً: «فنع الصغيرة... ألم تعد؟ إلى أين ذهبت؟ متى

تعود إلى البيت يا أخي لي؟ هل من الممكن أن تساعدني على ترك ملاحظة لها في المنزل حتى تراها بمجرد عودتها؟ يا إلهي! لقد فقدت الوعي ليومين في المستشفى، سيزيد هذا من اعتقادها أنني هربت».

قال لاولي متعجبًا: «هل تقلق زوجتك الصغيرة من أن تهرب؟ أنا نفسي لا أقلق، هل أنت من ذلك النوع؟ لا تقلق، لا داعي للقلق في هذه اللحظة، سأحرسك هذه المرة، لن أدعك تهرب قبل أن تسترد عافيتك. اذهب للبحث عنها بعدما تتعافى، فإلى أين يمكن أن تهرب امرأة مثلها».

لم يكن يانغ شيون في مزاج جيد لتناول الزلاية التي أحضرها لاولي، فقال له في عجالة: «أخي، ثمة سوء تفاهم هنا، يجب أن تساعدني في وضع ملاحظة على الباب لأخبر فنج الصغيرة أنني في المستشفى. فهي وحيدة هنا وليس لها أقارب، ستذهب على أقصى تقدير لتزوي في بيت أحد رفاق القرية، ولا بد من أن تعود إلى المنزل لتحضر ثيابها. إذا ما رأيت الملاحظة سينتهي الأمر، فهي أكثر من قلبه موجدوع لأجلي».

«حسنًا، ليس بالأمر الكبير على كل حال، فلتأكل الزلاية أولاً. دعني أقول لك، كنتُ أتناقش مع بضعة أصدقاء، مهما كنت في ضائقة حاليًا فمن الأفضل بقاؤك في منزلك، فلتعتبر أنك تستأجره منًا، وحينما تجني مالاً لاحقًا عد واسترده، وستوفر على نفسك مشقة الانتقال من بيت إلى بيت. قال أكثر من أخ لي إنهم يثقون بك، فأنت نبتة طيبة. إذا ما حلَّ بك أمرٌ فيما بعد فنَادِ عليهم فقط، ولسوف يساعدك جميع هؤلاء الإخوة».

تأثر يانغ شيون لدرجة أنه عجز عن التفوه بكلمة. نظر إلى لاو لي وعيناه مغرورقتان بالدموع، فلم يتمالك نفسه وذرفت عيناه.

ما أطيب هؤلاء الإخوة! ما أطيب هؤلاء الأصدقاء! لو لم يكن لاو لي، لما عرف مصير حياته بعدما فقد وعيه في المنزل.

الناس الطيبون كثيرون، وإذا ما هممت بفعل شيء ما، فستنتفتح لك الأبواب دائماً.

رغم قلقه الذي لم يزل بشأن داي جياو فنغ، فإنه ما باليد حيلة. وقد أحس بالخجل من الاستمرار في الثرثرة أمام لاو لي الذي يهتم به كل ذلك الاهتمام، فأخذ يستمع إليه وهو يأكل الزلابية. كان لاو لي يخبره أنه في لحظة دخوله إلى المستشفى كانت حرارته تسعاً وثلاثين درجة مئوية، وكان وجهه ساخناً بشكل مخيف. وأضاف أنه أخذ على استحياء بضع أوراق نقدية من حزمة المال التي كانت في جيبه ليدفع ثمن تكاليف الأدوية، ومعه إيصال كدليل.

بعد قليل جاء صبي لاو لي، كان يشبه الرجل الحديدي تماماً، جاء ليستلم الوردية بعدما تناول طعام العشاء، عندها فقط عاد لاو لي إلى المنزل بعدما حذّره وأملى عليه نصائح كثيرة.

يقول صبي لاو لي إنه سهر بجانبه أول أمس لليلة كاملة. ومع ذلك فلم تظهر داي جياو فنغ قط، حتى بعد أن وضع لاو لي ملاحظة على الباب، ظلت مخفية.

حُبس يانغ شيون في غرفة رعاية المرضى ولم يُسمح له بالمغادرة. توسل في قلق إلى لاو لي وصبيته لكي يذهبوا ويلقوا نظرة ما إذا كانت الملاحظة انتزعت أم لا، فلما عادوا أخبروه أنها ما زالت موجودة.

فكر في احتمالات لا حصر لها، لكنه وبعد أن قلب الأمر في ذهنه رأى أنه من المرجح أن تكون قد عادت إلى بيت والديها. وهنا بدأ يتعجل في العودة إلى البلدة ليجدها. علاوة على ذلك، فعليه أن يغتنم كل دقيقة ويسابق الزمن من أجل عمله. ودّل لو يطرق على سمكة خشبية<sup>(1)</sup> أو يردد اسم بوذا لكي يعجل من شفائه، ويرق له الطبيب ويعطيه الإذن بمغادرة المستشفى.

على أنه انتظر أيامًا طويلة لكي يتعافى. مر أسبوع حتى سمحت له المستشفى أخيرًا بالمغادرة.

اندفع وكأنه كاد يطير متجهًا إلى البيت. قلب البيت رأسًا على عقب، وسرعان ما اكتشف أن إحدى حقائب السفر مفقودة، كما اختفت ثياب وحاجيات داي جياو فنغ، وكانت الملاحظة التي تركها على الباب ملتصقة تمامًا.

لم يستطع أن يتذكر ما إذا كان قد نظر في خزانة الملابس قبل أن يتعرض للإغماء أم لا، ليعرف هل ثيابها بداخلها أم لا. وكان عاجزًا عن التأكد من توقيت رحيلها بأشياءها، أهو في آخر مرة عاد فيها إلى البيت؟ أم قبل أن تُلصق الملاحظة؟ أم أنها غادرت بعد أن رأتها؟

كان واثقًا من شيء واحد بداخله، وهو أنه ينبغي له العودة بسرعة إلى بلدته. فثمة أمور كثيرة عليه فعلها، ولكن أول شيء سيفعله بعد عودته هو الذهاب إلى بيت عائلة داي ليطلب مقابلتها.

---

(1) من الطقوس البوذية، ترمز السمكة الخشبية إلى الأثنى، والعصا الخشبية إلى الذكر، وطرق السمكة بالعصا يرمز للتوافق بين الذكر والأثنى.

بحث عن حقيبة سفر، ووضع في عجلة من أمره بضع قطع من الملابس، وذراعه المصابة لا تزال معلقة أمام صدره، وهكذا هروا ليلحق بالقطار العائد إلى مسقط رأسه. سبق له أن رأى في صغره فيلمًا يُدعى «الملهوف على العودة»، وكان هذا الاسم مناسبًا لوصفه تمامًا الآن. كانت بداخله رغبة ملحّة تجعله يعتقد بأنه ما إن يعود ويبرر ما حدث لداي جياو فنغ، فلن تكون هناك مشكلة ويمكن أن تعود المياه بينهما إلى مجاريها.

توجه مباشرةً إلى بيتها بمجرد أن ترجل من القطار، حتى إنه لم يعد أولاً إلى بيته.

لم يتصور أنه ما إن دخل من باب البيت سيتلقى لكمة في وجهه من أخيها. كانت لكمة قوية دفعته إلى الخارج، وزلت قدمه فانطرح أرضًا على ظهره مواجهًا السماء. وقبل أن ينهض والشر يتطاير أمام عينيه، إذا بقدم كبيرة تهوي فوق صدره لتدهسه، وتناهى صوت أخيها إلى سمعه من فوقه: «اللعة عليك، أو ما زلت تجرؤ على القدوم إلى هنا؟ اغرب عن وجهي، يا لك من وغد عديم الضمير، سأشرب من دمك». أخذ يسب ويلعن وهو يصر على أسنانه من فرط الغضب بينما يصفعه على وجهه.

تعرض يانغ شيون لضرب مبرح حتى أصيب بالدوار، ولكن إحدى ذراعيه كانت لا تزال مصابة ويعجز عن المقاومة، فلم يجد أمامه سوى ركله بقدميه وهو يصرخ بكل قوته: «فنغ يا صغيرتي، لقد ذهبت في ذلك اليوم إلى الدائن، ونتج عن ذهابي إلى هناك أنني فقدت الوعي ليومين، أنا لم أهرب، ألم آت إليك الآن؟ اخرجي لتحدث».

أحسنَ والداها أن ثمة خطبًا ما، فاندفعا إلى الخارج وأمسكا بابنهما محاولين منعه عن مواصلة الضرب. وهنا استطاع يانغ شيون أخيرًا أن يتحامل على نفسه ويجلس. شعر بشيء يسيل على شفاهه، فتحسسها وإذا ببلطخة دم.

فزِع ونهض قائلاً: «اجعلوا فنع الصغيرة تخرج، لقد عدت مسرعًا بمجرد أن غادرت المستشفى، أعلم أنها في المنزل، لقد أسأتم الظن فيّ». تبادل أفراد عائلة داي النظرات فيما بينهم. سعل الأب وقال: «لم تعد فنع الصغيرة. اغرب عن هنا، لا نريد أن نراك مرة أخرى».

أمسكت الأم بابنها ولكنه كان يتحدث بشراسة كالوحش الضاري: «اغرب عن وجهي، لا تجعلني أراك، سأبرحك ضربًا في كل مرة أراك فيها».

«لم تعد؟» مدَّ يانغ شيون رأسه محاولاً النظر لما بالداخل، ولكنه لم يرَ شيئاً، ومنعوه فلم يستطع اقتحام المنزل. لم يسعه سوى أن يتوسل إليهم: «فلقولوا لها أنني لم أهرب، وأنني أصبت بالحمى وفقدت الوعي، أنقذني أحدهم وأدخلني المستشفى ولم أتعافَ إلا بشق الأنفس. انظروا، هذه بطاقة السجل الطبي».

لم يصدقه أخوها. تخلص من ذراع والدته التي كانت تطوقه، واندفع نحوه يريد أن يضربه ثانية. كان غاضبًا منه، وعلى الرغم من سماعه تقريبًا لوجود ثمة سوء تفاهم في الأمر، لكنه لم يجرؤ على التفكير في أن أخته أساءت الظن به، أو لعلها شعرت بالخجل من العودة والاختباء في بيت والديها. أليس هذا كله يدل على أن هذا

السفيه أَلحق الضرر بها؟ تملكه الغضب بمجرد التفكير في ذلك. لم يتمكن يانغ شيون من رد الضربات له على الإطلاق، فقد كانت ذراعه مصابة، وأنفه ينزف بلا توقف، فما كان منه إلا أن استدار مغادرًا. ولكنه لم يجرؤ على العودة إلى المنزل، إذ خشي أن يثير منظر أنفه النازف ووجهه المتورم قلق والدته التي لم ترفي حياتها الكثير، كما خشي أن يخاف إخوته من رؤيته.

تراجع مغادرًا قرية عائلة داي، وجلس على ضفاف نهر تملؤه الأزهار الحمراء الزاهية وأشجار الصفصاف الخضراء ليوقف نزيف أنفه. غسل وجهه حتى صار نظيفًا، ثم نهض متجهًا مباشرة إلى قرية شياولي جيا، فقد كانت متنفسه الآخر.

كاد قلبه يتمزق حزنًا طوال الطريق. شكَّ في أن داي جياو فنغ كانت تنظر إليه من الداخل، وحزن لأنها كانت تراه وهو يُضرب ولم تخرج. كان مرتابًا من أن تكون لم تعد تريده، لكنه لم يجرؤ على التفكير في الأسباب، ولم يرغب في ذلك. عزم فقط على التفكير في أمر واحد؛ وهو أنه بعدما يشفى جيدًا من إصابته ويسترد عافيته ينبغي له أن يعثر عليها ويشرح لها كل شيء بوضوح، ومن ثم فقد تعود المياه إلى مجاريها.

شعر بشيء من الغضب، لماذا تعامله داي جياو فنغ بهذه الطريقة؟ هل يمكن أن تكون حقًا كما قالت والدته؟

رأى يانغ شيون الكثير من الناس، وكانوا عادة ما يسترقون إليه النظر في فضول. لم تكن في حوزته مرآة، فلم يعرف ماذا حل بوجهه، لكنه كان أمرًا يمكن تصوره، فمن المؤكد أن أنفه ينزف ووجهه متورم، تمامًا كراس الخنزير.

لم يملك طاقة لتوبيخهم. فقد تعافى للتو من إصابة خطيرة، وذراعه مصابة، كما وصل للتو من رحلة قطار طويلة، وساقاه ضعيفتان لا تقويان على حمله. لا طاقة له بالشجار مع الناس مرةً أخرى، فهو يفهم أنه من الحكمة أن يعلم متى يطاقى رأسه ويتراجع خطوة إلى الوراء. لم يسعه في هذه اللحظات سوى أن يدير رأسه لينظر من نافذة السيارة ويحدق مذهولاً في المشهد المتراجع بالخارج.

كان ما يقلقه فحسب هو ذهابه إلى لي دونغ باو بهذه الحالة، وهل سترك هذا انطباعاً سيئاً لديه أم لا. ولكنه حينما فكر في الصداقة التي تربطه بلاو لي تزايدت ثقته.

كان في الوقت الحالي لا يملك الكثير من رأس المال الذي يمكنه من إقناع لي دونغ باو بمواصلة إمداده بالبضائع؛ إذ يعتمد نجاح الأمر من فشله على ما يفكر فيه لي دونغ باو، وهكذا لا يستطيع أن يتأكد مما سيحدث لاحقاً. ومع ذلك فهذه هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن يقاتل من خلالها، وهو أكثر طريق مختصر يتبدى أمامه. حتى ولو كان بصدد الكثير من العوائق والصعوبات، فعليه أن يمضي قدماً دون ما تردد.

أخبر نفسه أنه أفلس بالفعل، كما هربت زوجته، فلماذا عليه أن يخجل بعد؟ ينبغي عليه أن يقاتل ولو على أقل القليل، غير عابئ بأي شيء مهما كان الثمن.

كان يانغ شيون يأتي إلى قرية شياوليغيا أكثر من مرة على الأقل في السنة، وفي كل مرة يأتي فيها يشعر ببعض التغيير. أما أكثر

ما أذهله من بين تلك التغيرات فهو النقل والمواصلات، إذ صارت هناك بالفعل حافلتان تأتيان من المدينة والمحافظه كل على حدة. وعلى الرغم من وجود محطة في البلدة، فإنها جميعاً وبلا استثناء كانت تحوم حول مدخل قرية شياوليغيا، ما يُظهر الاهتمام الشديد بالقرية على مستوى المدينة والمحافظه.

كان في مقدوره دائماً الولوج إلى جوهر الأمور بعد النظر في ظاهرها، إذ كان بإمكانه ملاحظة مرور وتوقف الحافلات في محطة شياوليغيا خلال بضع مرات ركبها فيها، وكان هناك الكثير من الناس الذين يركبون وينزلون منها، ما يوضح تدفق الركاب بكثرة على القرية.

وكان يانغ شيون أيضاً واحداً من أولئك الركاب المتدفقين عليها. ترجل من الحافلة اليوم مع الآخرين، وكان أولئك الناس يقدمون له التحية بعيونهم. كان هو الذي يبدي الاهتمام بالراكبين والنازلين من الحافلات في الماضي، ويخمن تخميناً تقريبياً هوية هؤلاء الأشخاص، ثم يستدل على حقيقتهم التي يخفيها مظهرهم عن طريق هوياتهم. كانت هذه عادة اكتسبها من العمل في التجارة الصغيرة بالشوارع والأرقة في صغره.

أما اليوم فالناس هم من يحملقون فيه، ويتساءلون من ضربه حتى صار رأسه أشبه برأس خنزير. وعندما يحدق فيه الآخرون يعجز عن مراقبتهم بطريقة مهيبة.

كان وجه يانغ شيون متهللاً وهو يدنو مباشرةً من مكتب القرية. لكن ليس كما في السابق، وصل أولاً إلى مكتب مصنع دنغ فنغ

وأخذ يحوم لتسوية الحسابات. أما في مكتب القرية فلم يكن لي دونغ باو موجودًا، وكان لي شي قن، مدير البيت، موجودًا كعادته. غَضَّ الطرف عن وجه يانغ شيون المزرق المصاب بالكدمات، وسأله فقط: «أوتم إرسال تلك البضائع التي أخذتها في عيد الربيع بهذه السرعة؟»، ولما وجده يتلجلج في الكلام اصطحبه بمفرده إلى مكتب لي دونغ باو وصبَّ له شايًا، ومن ثم خرج لمواصلة استقبال باقي الضيوف.

شعر يانغ شيون بغم شديد، وأراد أن يفضي بما في نفسه إلى شي قن ليكسب تعاطفه، ولكنه كان عاجزًا عن التفوه بكلمة. بعد قليل عاد لي دونغ باو. لم يتصور أن يكون هناك أحد في حجرته، فتوقف ونظر إلى يانغ شيون، ثم سار بخطوات واسعة إلى الداخل. سأله مشيرًا إليه بعدما جلس: «هل عُدت بعدما جلبت إلى نفسك المتاعب بالخارج؟».

قال يانغ شيون وقد أعد الكلام في ذهنه مسبقًا: «لستُ أنا من جلبت إلى نفسي المتاعب، ولكنه شخصٌ آخر تسبب لنا كمجموعة كبيرة في متاعب كثيرة. هل تعرف أيها الأمين لاو وانغ صاحب المصنع التابع للمدرسة؟ إنه هو، لقد باع لمنجم فحم مفاتيح تشغيل لا تقوم بوظيفة تخفيف الضغط، ما أدى إلى انفجار غازات في منجم الفحم ولقي عدد ليس بالقليل من الأشخاص حتفهم إثر ذلك. جاء الرجال من المنجم وحطموا جميع المستودعات في منطقتنا، وثمة عدد من الأشخاص راقدون الآن في المشفى لا يقوون على النهوض». نظر يانغ شيون إلى لي دونغ باو بعدما وصل بحديثه إلى هنا.

ظنّ أنه سيتجاوب معه نوعًا ما، ولم يتصور أن يجده محددًا فيه بعينين متقدتين كما لو كان مذنبًا يستجوبه. لم يقرأ في عينيه سوى كلمة واحدة: «واصل»، وما كان منه إلا أن يواصل الحديث بمنتهى الصدق دون أن يجرؤ على المواربة.

استمع لي دونغ باو إلى شرح يانغ شيون المفصل بوضوح، ومن ثم سأله: «هل فقدت كل تلك البضائع التي شحنتها من عندي في عيد الربيع؟».

«نعم، فقدتها مقابل ألا أفقد حياتي. أيها الأمين لي، أرجوك ساعدني».

«من السهل عليك أن تقول ساعدني، ولكن إياك أن تعتبرني مغفلًا يا يانغ شيون، لا تحتال عليّ وتستعطفني بتلك الإصابات».

«لم أفعل ذلك». قالها يانغ شيون تلقائيًا، ولكنه انتبه فجأة لما يقصده لي دونغ باو، فأسرع قائلاً: «كانت إصابة ذراعي هناك، أما وجهي... فثمة سوء تفاهم حدث بيني وبين زوجتي، فضربني أخوها للتو». كان يعرف أنه لا بد من حكي ذلك، فقد عجز عن الصمت أمام تلك النظرات الحادة. ولكنه في الحقيقة لم يرغب في الحديث عن تعرضه للضرب المبرح وهزيمته أمام أخي داي جياو فنج، ولا عن عدم عثوره عليها حتى الآن في أي مكان.

كان يتلعثم في هذه اللحظات، هو الذي لطالما امتلك لسانًا فصيحًا. وبمجرد أن رأى لي دونغ باو هذا الوضع فكّر دونما تردد في الحقيقة شائعة الحدوث، ما الذي يمكن أن يجري بين تاجر أفلس للتو وخطيبته صاحبة الجمال الفريد؟! وفورًا تذكر سونغ

يون بينغ حبيبتة. فعلى هذه الأرض ليس هناك من هو أطيب منها، فأى امرأة على هذه الأرض باستثناء سونغ يون بينغ قد توافق بمحض إرادتها على الزواج من رجل فقير لا يملك في بيته حتى طاولة؟ لا يوجد. يُقال إن الطيبين لا يعيشون طويلاً، والبلاء يبقى لآلاف السنين، صحيح تمامًا.

أحسنَ بالحنين لسونغ يون بينغ، ولم يسعه سوى التعاطف مع يانغ شيون: «تستحق ذلك لأنك لستَ بعيد النظر. هل العثور على زوجة يتوقف على جمال وجهها فقط؟ لا تنكس رأسك، هذا ليس بالأمر المحرج، فمن منا لم يدخل في الكثير من الشجارات منذ صغره؟ لكن ثمة بعض الأمور التي لا أفهمها، أريد أن أفهم منك بوضوح، وإياك أن تتظاهر أمامي بالجهل. هل خرجتم معًا وتحطم كل شيء؟».

«تحطم كل شيء، لم يبقَ شيئًا. تعد إصابتي هينة بالنسبة إليهم، فقد تسلقت عمود السقف لأختبي».

نقر لي دونغ باو بأصابعه على الطاولة، وكان ما زال يحدق في يانغ شيون، ثم سأله بلا خجل: «ألم تهتم الحكومة؟».

«أنى للحكومة بالمجيء في الوقت المناسب، حتى إننا لم ألحق الهروب». ولما وجده يحتار في تصديقه، كان عليه أن يضيف: «لقد أوصينا شخصًا بالذهاب إلى الحكومة وطلب المساعدة، ولكن الحلول دائمًا تحتاج إلى وقت».

هزَّ لي دونغ باو رأسه يمنة ويسرة: «غير صحيح، لو لم تذهبوا إلى الحكومة للاهتمام بالأمر كانت لتهتم به أيضًا. حتى ولو كانت

تحمي السكان المحليين، فلا يمكن ألا تكثرث برؤيتكم، هذا الكم الكبير من الناس، وأنتم تتعرضون للسرقة واحدًا تلو الآخر. نحن دولة اشتراكية. أم أنكم تريدونهم أن يسيطروا عليكم؟».

بالغ لي دونغ باو في سؤال يانغ شيون حتى وصل به إلى طريق مسدود، فاضطر أن يخبره بالحقيقة: «على الرغم من استيراد كل منا لبضاعته الخاصة، ولكن النضد يحوي من كل البضائع. جميعنا نعرض من بضائع لاو وانغ في مستودعاتنا، وقد حطمها عمال المنجم بمجرد أن رأوها».

«ما أقصده هو من الذي طلب منكم أن تقوموا بمثل تلك التجارة التي قضت عليكم؟ تستحقون تحطيمها. لقد أخذت أسلاك وكابلات دنغ فنغ الكهربائية الخاصة بي بذنوب مفاتيح التشغيل العقيمة الخاصة بك، وتسببتم في تدمير علامتي التجارية، اللعنة!».

أصيب يانغ شيون بالذعر لسماعه ذلك، وسرعان ما قال: «أيها الأمين لي، ما من حل في هذا الأمر. لاو وانغ أكثر خبرة منّا، وقد خدعنا وطلب منّا مساعدته، فخرجنا من رفض المساعدة. قل لي أنت... هل يمكن ألا نعنتي ببعضنا ونحن أبناء بلدة واحدة وخرجنا منها معًا؟ ولكن الدرس الذي تعلمناه هذه المرة عميقٌ بما فيه الكفاية، فمن الآن وصاعدًا لن أبيع سلعة رديئة ولو على رقبتني، مهما يكن فلن أبيع سوى الأفضل لاحقًا. ألم آت إليك أولاً لأطلب منك الدعم؟ أما علامة دنغ فنغ التجارية فهي ذات صيت لامع».

شعر لي دونغ باو بالراحة في النهاية بعد استماعه إليه، بيد أنه قال دون موارد: «بأي حقٍ تطلب مني بضائعًا الآن؟».

«أنا لا أملك أي شيء في الوقت الحالي، لكن لدي عملائي، وتربطني بهؤلاء العملاء علاقة طويلة تمتد لسنوات. إذا ما حاولتم الوصول إليهم بأنفسكم فقد لا تستطيعون ذلك. لأقل لك الحقيقة، حينما أصبت هذه المرة وفقدت الوعي نُقلت إلى المستشفى لتلقي العلاج، وكان هؤلاء العملاء هم من ساعدوني بالمال والجهد، هم مثل أقاربي تمامًا. إذا وثقت في أيها الأمين، فأرسل معي شخصًا إلى الشمال الشرقي لرهن البضائع. لن أهتم سوى بالبيع، وسيكون الشخص الذي ترسله معي هو المعني بالمعاملات المالية. لن أمس المال، فقط أريد أجر عملي. ليس في مقدوري التخلي عن الصداقات التي كونتها على مدار هذين العامين».

لم يكن لي دونغ باو يشك في أن يانغ شيون لديه قنوات مبيعات، فقد كان يشحن كمًّا ليس بالقليل من البضاعة في العام الواحد من دنغ فنج، وهو حتمًا عميلٌ كبير.

ولكن... «على أي أساس أصدقك وليس في حوزتك أدنى قدرٍ من المال؟».

تردد يانغ شيون للحظة، وسحب ورقة من على الطاولة ليكتب عنوانًا: «هذا عنوان بيتي، إذا ما فعلتُ شيئًا مؤسفًا لك، ابحث عن شخصٍ يحطمه. على أقصى تقدير فإن أهالي الشمال الشرقي حطموا مستودعي، وأنت فلتحطم بيتي».

أخذ لي دونغ باو الملاحظة بلا أدنى خجل، ونظر إلى الجو بالخارج وقال: «ما زال الوقت باكراً، لم يُفت الأوان بعد لأذهب وأعود. هيا، خذني لتعرفني على الطريق».

وجد يانغ شيون بصيص أمل، ومع ذلك قال ببعض العجز: «ليس بإمكانني العودة. ألا تعرف أيها الأمين لي أن والدي متوفى منذ وقتٍ باكر، وقد حزنت أُمي حزنًا يقصف العمر، بل وتعاملني أنا وإخوتي وكأننا أهم ما في حياتها. إذا ما عدت إلى البيت بهذه الحالة ستعرف أن أموري لا تسير في الشمال الشرقي على ما يرام، وهكذا تفقد ما تبقى من عمرها. أضف إلى ذلك إخوتي الثلاثة الذين يصغرونني، تضعني أُمي أمامهم كقدوة لتوبيخهم من أجل الدراسة، وسوف يؤثر سقوطي على تقدمهم. أيها الأمين لي، فلتذهب بمفردك وسأثقل عليك. ما من غرباء في تلك القرية الجبلية التي يقع بيتي فيها، بمجرد أن تدخلها وتسال عن بيت يانغ شيون ستجد الجميع يعرفه، هو المبنى الجديد الموجود بجانب البركة الكبيرة».

ظهرت أمارات الدهشة في عيني لي دونغ باو، فهو لم يتصور أن يكون هذا الوغد المسمى يانغ شيون أخًا أكبر بارًا متحملاً للمسؤولية. لكل إنسان وجهان لشخصيته.

أخيرًا أزاح بصره الذي كان مثبتًا عليه، ونهض قائلاً: «حسنًا، سأذهب في الحال، وأنت تعالَ معي، ستبيت ليلتك في بيتي، وإذا كان هناك أي شيء يمكننا مناقشته عندما أعود».

أشاح لي دونغ باو بوجهه بعيدًا، فشعر يانغ شيون وكأن شياطين اليابانين أطفأوا كشافاتهم، وصار في إمكان الفدائيين الانطلاق وعمل ما يلزم. تخلص من نصف الحمل الذي كان على كاهله، وكأنه صار بمقدوره أن يكون مراوغًا مرةً أخرى. ومع ذلك

فإنه لم يجرؤ في هذه اللحظات أن يراوغ. فنهض مع لي دونغ باو، وبادره بالكلام متملقًا إياه تملقًا خالصًا: «من حسن حظي أن إخوتي ساعدوني في هذه الحادثة، وإلا كنت لقيتُ حتفي في المنزل بسبب الحمى الشديدة دون أن يدري أحد. وحينما جئتُ إلى هنا كنتُ في مساعدتي أيضًا».

لم يُشعر لي دونغ باو هذا التملق بالامتنان: «كن صادقًا، لا أحد يظنك غيبًا. حينما تتحدث بصدق تكون مثل الرجال، وبغض النظر عن عيوبك يكون بإمكانني الوثوق بك. كلما كنتُ مراوغًا في الحديث تجعلني أمقتك، أنا أمقتك دائمًا. اتبعني، واصل تملق أُمي».

وبخه حتى احمرَّ وجهه من فرط الخجل، فانصاع خلفه في خضوع، ولم يجرؤ على المزيد من التملق والمداهنة. تبعه إلى بيته ليبقى فيه، ورأى نصف جسده الأعلى السمين ينطلق على الدراجة النارية مبتعدًا. جال بنظره في هذا المنزل الواسع قليل الأثاث وفكر في نفسه، هل تم الأمر أم لا؟

وافق لي دونغ باو على الذهاب إلى منزله ليتحقق منه، ألا يدل ذلك على تمام نصف الأمر؟

لكنه ولما فكر مليًا وبتمعن، رأى أنه بذل قصارى جهده بالفعل، ومهما كان القرار الذي سيخذه لي دونغ باو، فليس أمامه سوى الإذعان لإرادة السماء. أحسنَّ في هذه اللحظة بأنه مغلوبٌ على أمره، مغلوبٌ على أمره لدرجة الذعر، وكان أكثر ما يثير ذعره هو ماذا لو لم ينجح هذا الطريق، ستكون معيشة العائلة بأكملها في مشكلة.

كان متعبًا بحق.

حينها دخلت والدته لي دونغ باو وتفحصت يانغ شيون بنظرة متعالية، ولم يصدر منها ردُّ مقابل تحية يانغ شيون المهدبة لها، فقط تمتمت قائلة: أوصلت أحدهم للتو واستقبلت آخرًا، لقد صار البيت مصححًا للعلاج.

انتهت من تمتتها وخرجت، ولم تعره اهتمامًا. لم يكن يعرف من الذي غادر بيتهم للتو، فقال في نفسه: كم أن لي دونغ باو سخيفًا! لم يلحظ ذلك من قبل، كان دائمًا يظنه متعاليًا.

لم يكن أحدٌ في المنزل، فجلس وحيدًا في حالة ذهول، وثمة دوامة من فوضى الأفكار تدور في رأسه، لا تتضح أمام ناظره سوى كلمة واحدة: «أريد مخرجًا».

لم يكن يعرف ما إذا كان لي دونغ باو سيوافق على طلباته في النهاية أم لا. فلو لم يوافق، فإنه لن يستطيع حينها التفكير في كيفية إقناعه. لكن وعلى الرغم من تلك الفوضى التي كانت في عقله، فإنه كان ما زال عاقد العزم، حتى ولو خاطر بحياته اليوم، ينبغي له السير في هذا الطريق.

أما بالنسبة لكيفية السير، فقد كان حقًا متعبًا. بدأ يشعر بوخز الألم في ذراعه مرةً أخرى، وكان ثمة ألمٌ حارقٌ في وجنتيه إثر الصفع الذي تلقاه من أخي داي جياو فنغ. أخذ يفكر مرارًا وتكرارًا ولم يفهم بوضوح كيف تفكر داي جياو فنغ بالضبط. أخذت حقيبة السفر بصورة مفاجئة وغادرت دون أن تعود.

اعتقد أن والديها يعلمان مكان وجودها، وكان يأمل حقًا في أن تكون قد نفست عن غضبها في ذلك الحين بالخارج، أو لعل

والديها نقلًا إليها بالفعل تبريراته. فإذا لم تعد حقًا إلى بيت والديها، هل يمكن أن تكون قد عادت إلى بيتها الصغير الآن، تطهي حساء المرق كما كانت تفعل في الماضي وتجلس في انتظاره؟

لم يكن يعرف أي شيء. وكان أكثر ما يتمناه هو عودة لي دونغ باو وإعطاءه قرارًا نهائيًا لتحفيز دماغه الذي كاد يكون فارغًا وعاجزًا عن التفكير. ووسط تلك الحالة من الفوضى فكر في والدته، كان كما الطفل الذي تعرض للقهر بالخارج ولا يطيق انتظارها، يشتاق إلى أمه القوية. ولكنه فجأة شعر بالقلق حيال ما إذا كان لي دونغ باو سيتحدث إلى والدته أم لا.

ثمة مجموعة كبيرة من رفاقه في القرية ذهبوا إلى الشمال الشرقي، وهو لا يعرف هل ستصل الأخبار إلى بيته وإلى أذني والدته هذه المرة أم لا؟! هذا لأن ما حدث قد حدث لهم جميعًا. من حسن الحظ أن بيته يقع على أطراف القرية، وقليلًا ما يتواصل سكان الجبل مع الناس في الخارج. علاوة على ذلك فعدد قليل من أهالي القرية يخرجون منها لكسب المال، فما منهم من أحد في المدينة. ولكنه يتمنى لو كانت هناك فرصة ليلتقط أنفاسه قبل أن تصل الأخبار إلى أذني أمه.

لا يعرف ما إذا كان لي دونغ باو سيصر على تبادل بضع كلمات مع والدته أم لا، وهي شخصية موسوسة، لو ذل لسانه أمامها فستظل تفكر طوال الليل. لم يعد يانغ شيون قادرًا على المكوث محددًا، فقام قاصدًا الذهاب نحو الباب ليتكلم مع والدته لي دونغ باو. كان لسانه طليقًا أكثر بكثير من سونغ يون هوي، فما إن تبادلت معه أطراف الحديث حتى أحبته على الفور.

ذهب لي دونغ باو بنفسه إلى بيت يانغ شيون. وكان بيته يقع وسط جبل ضخيم، لزم عليه المرور بالقرية التي قطع فيها سونغ يون هوي الطابور ذات مرة.

نشأ لي دونغ باو بوصفه فلاحًا. حينما عبر التل ووقف لينظر أسفله، أحسَّ بأن هذا المكان لا يختلف كثيرًا عن شياوليغيا، وكان الفصل الشمسي<sup>(1)</sup> متأخرًا قليلًا عن السهل أسفل الجبل. كانت أزهار الخوخ والبرقوق عند سفح الجبل على وشك التفتح، أما هنا فكانت متفتحة بالكامل. وبسهولة كبيرة وبمجرد أن سأل استطاع الوصول إلى بيت يانغ شيون.

اتبع الإشارات وسار ليلقي نظرة، وكما توقع إذا بيت جديد، لكن وفي نظر خبير مثله، لم يكن المبنى جميلًا وقويًا مثل مبنى منزله.

كان باب البيت موصدًا، ويبدو أنه ما من أحد فيه. أخذ يحوم يمنا ويسرة، وفكر أخيرًا في أن يطلب من شخص أن يتقصى أخبارهم، وإذا بامرأة مهذبة وذكية تنعطف خارجة من الزقاق.

«سمعتُ أن ضيفًا حلَّ بيتنا، هل أنت من تبحث عن بيتنا يا سيدي؟».

«نعم، أنا لي دونغ باو، من قرية شياوليغيا، هل أنتِ والدة يانغ شيون؟».

---

(1) الفصل الشمسي: هو أحد أربع وعشرين فترة أو فصل في التقويم الشرق آسيوي أو التقويم القمري-الشمسي والذي يوافق بعض الأحداث الجوية أو ظواهر الطقس.

«يا إلهي، الأمين لي، ضيفٌ عزيزٌ ضيفٌ عزيز. من فضلك ادخل لتأخذ شربة ماء، للتو حصدنا شاي الربيع. لم يقع ابني في مشكلة، أليس كذلك؟».

كان لي دونغ باو ذائع الصيت، ووالدة يانغ شيون من كوادر القرية، ولطالما سمعت عمدة القرية يضرب لهؤلاء الكوادر في القرية بلي دونغ باو مثلاً يحتذى به، وكان اسمه كالرعد يخترق آذانهم.

ولشد ما أسعدها أن يتعامل ابنها في الوقت الراهن مع شخص مثله. لكنها عادت وفكرت في مجيئه غير المتوقع، فلم يسعها سوى الشعور بعدم الارتياح، ذلك أن ابنها لم يهاتفها السبت الماضي.

«ابنك كالقط بسبعة أرواح، كيف يمكن أن يقع في مشكلة؟». حاول لي دونغ باو الكذب بصعوبة، لكن وبهذا الوجه الشرس طوال الوقت، والذي كان يزداد شراسة مقارنةً بالطرف الآخر حينما يكذب، لم يسعها إلا أن تصدقه.

«بيتكم ليس صغيرًا، يوجد فيه أربع غرف، أليس كذلك؟».

«نعم، هذه الأرض الكبيرة تركها لنا أجدادنا. وهذا البيت بنيناه من المال الذي كسبه ابني الأكبر في العمل، يعتبر الأول في القرية. سمعتُ أن بيتكم في القرية يشبه الجنة، ولا يقارن بيتنا به بأي حال من الأحوال. تفضل الشاي، غليتُ الماء منذ وقتٍ باكر، ليس ساخناً جدًّا، سأذهب لأغلي القليل».

«لا تغلي شيئًا، لستُ صبورًا بما يكفي، لا أشرب الشاي ساخناً». استطاع لي دونغ باو أن يسمع من فم والدة يانغ شيون مدى افتخارها بابنها، وكان هذا تحديدًا ما جاء به إلى هنا ليعاينه.

كان دائماً ما يختار الأشخاص أولاً عندما يهم بعمل أي شيء، وإذا ما صدق حدسه يضع الثقة فيهم، لذا فقد كان يمثل التعرف على الناس بالنسبة إليه أولوية قصوى. قال لها شيئاً عارضاً: «نريد إرسال شاحنة بضاعة إلى يانغ الصغير، وقد طلب إحضار بعض الشاي الربيعي لإرساله، كان الوقت ضيقاً فجئت بمفردي».

كانت شياولي جيا معتادة في الربيع من كل عام على إرسال كمية كبيرة من ورق الشاي للعملاء الذين تربطهم بها علاقة جيدة، حتى شيوي الكبير جاء منه اتصال يمدح في ورق الشاي الذي يرسلونه ويخبرهم كم هو طازج ولذيذ، وهكذا فكر في سبب منطقي لمجيئه إلى بيت يانغ شيون.

صدقت والدته هذا السبب بشدة، فرجل ذائع الصيت مثل لي دونغ باو كيف يمكن له أن ينطق هراء؟!!

ثانياً فقد كان يانغ شيون فعلاً معتاداً على أخذ بعض المنتجات المحلية معه من البيت إلى الشمال الشرقي؛ مثل: ورق الشاي الربيعي والخوخ الصيفي والبرتقال الخريفي والبرقوق الشتوي. وهكذا على مدار عدة سنوات اعتاد شخصٌ ذكي مثلها على ذلك، فلم يعد ابنها في حاجة إلى إخبارها، فغالباً ما صارت تعد له ما يريد منذ وقتٍ باكر. بل وكان ورق الشاي اليوم مخزناً في الحجرة المجاورة، قسمته في كيسين كبيرين، أحدهما فيه الورق الذي تم قطفه قبل مهرجان تشينغ مينغ<sup>(1)</sup>، والآخر فيه الورق الذي تم قطفه قبل هطول الأمطار الغزيرة.

(1) مهرجان صيني تقليدي يكسون المقابر.

شعرت أيضًا بالارتياح، فعلى الرغم من أن ابنها لم يهاتفها السبت الماضي، لكن يبدو أنه ما من شيء حدث، فهو على تواصله المعتاد مع أهالي شياوليغيا.

لشد ما كانت تشتاق إلى ابنها الأكبر البعيد عنها بآلاف الأميال. «أنا آسفة حقًا، جعلنا الأمين لي يأتي بنفسه إلى هنا، ولدي الكبير حقًا لا يفهم في الأصول، فأنت مشغول كل يوم بالكثير من الأعمال، وهو يزعجك بمثل تلك الأمور الصغيرة، سأذهب لأحضره لك».

لم يكن لي دونغ باو مندهشًا من قولها بأنها ستحضر ورق الشاي، فقد كانوا في شياوليغيا في حاجة إليه. كان سي باو هو من يحمل السلال ويذهب إلى الجبل لقطفه، وكان أهالي الجبل كلهم تقريبًا عندهم منه، فما يمر يوم واحد حتى يكون قد انتهى من المهمة. فوجئ حينما رأى والدته قادمة ومعها أكياس ورق الشاي، إذ كان مغلفًا في ورق كرافت له كله نفس الحجم. وعلى الرغم من امتلائه بورق الشاي، لكن الأوراق بدت لها حواف وزوايا كما لو تم كيها بالمكواة، بدا منظرها يبعث السرور على العين، كما كان مكتوبٌ بالحرير على مقدمتها كلمة واحدة بخط جميل «شاي».

أخذ عبوة منها وسألها: «أيتها الأخت، من أين تشتري هذه الأوراق؟ أريد أن أذهب لأشتري بعضًا منها، فما أجمل أن أرسلها للناس لتغليف واجهة الأبواب».

انفجرت أساريرها بمجرد أن سمعته: «أنا من قمت بصنعها، فابني الأكبر ليس بالمنزل، وأولادي الثلاثة الباقون يدرسون بعيدًا

عن الجبل، لدي الكثير من الوقت، حينما أشعر بالفراغ أقوم بصنع بعضها. لدي منها عدد ليس بالقليل، إذا كنت قد أحببتها أيها الأمين لي فخذ بعضًا منها، ما زال لدي مئة حفنة متبقية».

كانت تتحدث بينما تتجه إلى الداخل لتحضرها.

قال لي دونغ باو وهو ينظر إلى عبوات الشاي: «الخط جميل أيضًا. هل أنت من كتبتيه بنفسك؟ يا لك من متعلمة ومثقفة». قال في نفسه المطلقات لسن كلهن واحد، فوالدته حينما يكون لديها وقت تنادي على جيرانها، ووي تشون هونغ تهتاج جنسيًا في وقت فراغها، ووالدة يانغ شيون وحدها تقوم بأشياء مفيدة حينما تملك وقتًا.

«أين هذا، زوجي هو من كان متعلمًا حقًا، هو من علمني كل هذا، كان يقول إن هذا الخط اسمه خط يان». شعرت والدة يانغ شيون ببعض الفخر حينما سمعت مدحًا من شخصية مثل لي دونغ باو، «لقد طلب مني أبنائي الأربعة ممارسة الخط منذ أن كانوا صغارًا، جميعهم خطهم جميل. أنت نادرًا ما تأتي أيها الأمين لي، فلتتناول وجبة عشاء هنا، فضيف مثلك لا نستطيع أن ندعوه حتى ولو كان متفرغًا».

نظر لي دونغ باو للجو بالخارج، وقال: «لن آكل، فقيادة الدراجة النارية على طريق جبلي في الظلام أمر خطير. هل هذه هي الأشياء جميعها؟ سأخذها وأغادر».

سرعان ما قالت والدة يانغ شيون: «يا إلهي، هل استعجلتك بهذه الطريقة؟ لقد تأخر الوقت الآن على عودتك أيها الأمين لي.

إذا لم تلحق تناول الطعام، فماذا لو تجلس لعشر دقائق؟ قطفت للتو في الصباح براعم الخيزران الربيعية وأوراق التوت الذئبي المحلي وأوراق التون المحلي، سأقليها بسرعة وسأنتهي منها حينما يحين موعد ذهابك. انتظرنى انتظرنى». كانت تتحدث ولم تنتظر حتى سماع رده، وذهبت إلى المطبخ في عجلة.

كان أكثر ما يمقت لي دونغ باو الثرثرة، وكان في مقدوره أن يأمرها بأن تتوقف بصرخة واحدة، لكن النظر إليها كان يبعث السرور على العين. علاوة على ذلك فقد كان يانغ شيون المسكين الذي ازرق وجهه من كثرة الكدمات ينتظر في بيته معلقًا على أحر من الجمر، ما جعله يجلس في هدوء ليشرب الشاي. لم يستطع تمييز طعم الشاي وما إذا كان جيدًا أم سيئًا، ولكنه فقط شعر بأنه لم يُنقَع بما فيه الكفاية، وأنه خفيفٌ بلا طعم.

كانت والدة يانغ شيون سريعة الحركة، وكما هو المتوقع انتهت من طهي ثلاثة أطباق من الخضار خلال عشر دقائق تقريبًا، كانت على الترتيب: براعم الخيزران المقلية، وأوراق التوت الذئبي المقلية، وأوراق التوت المطهوه مع البيض المخفوق. لم يكن لي دونغ باو يعرف صعوبة الأمر لأنه لا يدخل المطبخ، ولو كان شخصًا آخر غيره لاندesh بالفعل أشد الدهشة. فكيف يمكن أن تشعل النار وتطهي الطعام في عشر دقائق فحسب؟ إنها ليست أفالوكيتسافارا إلهة الرحمة ذات الألف يد على كل حال. قبيل مغادرته، أخرجت والدة يانغ شيون عبوتين إضافيتين من أوراق الشاي الجيدة والطرية ذات الأطراف الحادة بحسب ما تقول، وبراعم الخيزران الطازجة الجافة، والخضروات الجافة، جففتها

أمام الفرن ثم أعطته إياها، وأوصلته بمنتهى الشكر والامتنان إلى خارج القرية، وظلت تشكره طوال الطريق على تعبه، كما أرسلت معه طعامًا ليانغ شيون.

أخذ لي دونغ باو يفكر حينما خرج على الطريق، يبدو أن والدة يانغ شيون شخصية مهمة حقًا، لا عجب إذن في أنها تزدرى داي جياو فنج الجميلة عديمة الفائدة.

حينما علم أن ليانغ شيون والدة مسؤولة ويعتمد عليها مثل هذه، ازدادت ثقته فعليًا أضعافًا فيه.

أكل يانغ شيون الطعام الذي طهته والدته بنفسها، فنكس رأسه واحمرت عيناه، كان يعلم في قرارة نفسه أن هذه هي المساعدة التي قدمها له لي دونغ باو. كان عليه أن يصمت طويلًا حتى يستعيد هدوءه، ثم سأله: «هل صحة أمي على ما يرام؟».

«على ما يرام، ونفسيها أيضًا جيدة. فقط لا تلبث تردد اسمك. أنت أيها المخيب للآمال، لن تستطيع والدتك رؤيتك على هذه الحال. بعدما قابلتها فلن أتعاطف مرة ثانية مع زوجتك». لاحقًا رأى أمه تأكل بشراهة ذلك الطعام الذي صنعه والدة يانغ شيون، فقال لها: «أمي، كفى، هذا الطعام صنعه والدته خصيصًا له، فماذا سيأكل هو لو أنهيته كله؟».

«فنج الصغيرة أيضًا إنسانة جيدة، ولكنها لا تستطيع أن تنسجم فقط مع والدتي. أيها الأمين لي، شكرًا على تعبك في إحضار الطعام لي، لا أعرف كيف يمكنني أن أشكرك».

«لا داعي للشكر، لقد شكرتني والدتك بالفعل، وأهدت لي كل هذه الأشياء، لم أخجل من قبولها كلها، فجميعها أشياء جيدة. قل لي، كيف يمكن لإنسانة مسؤولة وماهرة مثل والدتك أن تربي وغداً مثلك؟! وتقول لي إنك قدوة لإخوتك، فما الجيد فيك لتكون قدوة لهم؟ لقد قلقتُ نيابةً عن والدتك بمجرد أن رأيتُ حالتك، هي ما زالت تعتبرك جيداً، وأنت في كل مرة تعود فيها إلى المنزل تخدعها كلص يتظاهر بأنه مثقف، أليس كذلك أيها الفتى؟».

وبينما يتحدث التقط عيدان الطعام وضرب بها على رأسه. لم يكن يانغ شيون بالطبع ليقنع لو كان في موقفٍ آخر، أما اليوم وقد شعر بينما يسمع لي دونغ باو بأنه مخلصٌ له، فقد اقتنع اقتناعاً كبيراً. أو ما برأسه موافقاً: «لقد خسرت بالفعل، وعليّ أن أتعلم من الدرس لاحقاً، عليّ أن أضع الأمور في نصابها الصحيح وأبدأ من جديد».

«هكذا يتحدث العقلاء. كلامك أكثر أناة مقارنةً بكلامي، فوالدتك ماهرة علمتكم جيداً، لم يكن الأمر سهلاً عليها كأرملة. هل لك ثلاثة إخوة آخرين ما زالوا يدرسون؟».

«نعم، يدرس الأخ الثاني والثالث في السنة الثانية من المرحلة الثانوية، والأخ الثالث ذكي ويدرس في المدرسة المتوسطة الرئيسية، دخول الجامعة سهلٌ بالنسبة إليه كأنه سيغرف من بحر. أما الأخ الثاني فأقل ذكاءً، درس في المرحلة المتوسطة العادية، ولكنه كان على استعداد لتحمل مشقة الدراسة، وتصنيفه صار جيداً في الفصل. أما الرابعة فنتائجها الآن جيدة للغاية، ولكنها

تحب اللهو، تتفاوت نتائجها بين الجيدة والسيئة. وفقًا لما تقول فإنها تريد أن تلتحق بالمدرسة الثانوية الرئيسية، لكن من الصعب الفصل في ذلك، فلو نجحت هذا العام في الالتحاق كان بها، وإن لم تنجح عليّ أن أعود وأجد لها طريقة لتلتحق بالمدرسة الرئيسية، فهي ليست بالسيئة».

نظر لي دونغ باو إلى يانغ شيون وهو يتحدث عن إخوته وكأنما يعدد كنوز عائلته ويتكلم بروح معنوية عالية، فلم يتمالك نفسه وسأله: «كم عمرك؟».

ردّ عليه دون أدنى ريبة: «عمري الاسمي<sup>(1)</sup> هذا العام اثنان وعشرون، حينما يتخرج أخي الأصغر مني، سأعود للدراسة مرة أخرى». تبدلت ملامح لي دونغ باو تلقائياً: «ما أصعب مسؤولياتك أيها الفتى، أنت بمثابة أب لهم في المنزل».

«أين هذا، أين هذا».

لم ينتظر لي دونغ باو حتى ينتهي يانغ شيون من تواضعه، وواصل كلامه: «عادت ثقتي بك حينما رأيت والدتك اليوم وجهًا لوجه. ليس عندي من أرسله معك إلى الشمال الشرقي، سأجعل تشنغ مينغ يشحن لك عربتي بضائع غداً. خذ البضائع وحملها في سيارة وغادر. لا تجرؤ على التلاعب بي أيها الفتى لأنني تساهلت معك، ستكون المشكلة مع والدتك إذا ما تجرأت على التلاعب بي، تذكر».

(1) في الثقافة الصينية، يعتبر عمر الطفل حديث الولادة سنة واحدة، ويزداد عمره سنة في كل بداية لفصل يتشون وهو أول الفصول الأربعة والعشرين الشمسية.

سرعان ما قال يانغ شيون: «أيها الأمين لي، كيف لي أن أجرؤ على المراوغة ثانيةً بعدما وثقت في كل هذه الثقة، هل سأكون رجلاً حينها؟ لطالما علمتني أمي أن الاعتراف بالفضل ورد الجميل من شيم الرجال، وأنا لن أشكرك بالكلام اليوم على لطفك معي، ولكنني أعرف ماذا سأفعل. سأعمل بجدٍ أكثر في المستقبل، وعلى الأقل، فإنني سأذهب إلى مقاطعات الشمال الشرقي الثلاثة من أجلك».

«لست في حاجة لتقسم أمامي، فأنا لا أراك شخصًا ملتزمًا. أنا ممسكٌ بك الآن لتروج كابلاتي الكهربائية التي أصنعها، وحينما تسترد عافيتك عاجلاً أم آجلاً ستتخلص من ولائك لي. أنا فقط رجلٌ طيب القلب، أريد أن أساعدك على تجاوز هذا الوقت العصيب، وبعد نصف عام من الآن سنعود كما كنا، تعطيني المال فأعطيك البضائع. لكن عليك أن تعدني بشرطين: الأول، ليس مسموحًا لك ببيع بضائعي من دنج فنغ مع أي بضائع أخرى رديئة، وإذا علمتُ بذلك ستلقى مني صفةً كبيرة. ثانيًا، إذا ما عملت في الأسلاك الكهربائية، عليك أن تأخذ سبعين في المئة من البضائع مني هنا».

وعده يانغ شيون، ولم يتصور أن يبدأ لي دونغ باو العمل معه بهذه الطريقة. رغم العناية الذي لاقاه في تلك المصيبة التي كاد يفقد فيها حياته، ولكنه عرف رجلين حقيقيين بشكل غير متوقع. لنقل إنها المنحة التي أهدتها له المحنة. لم يرغب في قول الكثير من الكلام المعسول ثانيةً، فقط حمل الامتنان في قلبه، ولتكفِ أفعاله فيما بعد.

حينما عاد إلى الشمال الشرقي، قال كل من التقوا به بأن هذا الفتى عيناه مرهقتان. لطالما بدت عيناه ضاحكتين في الماضي لكل من ينظر إليه. من الممكن أن يكون السبب هو فقدانه الوزن، ما جعل عينيه تغوصان في محجريهما، فتبدوان للناظرين داكتين عميقتين. لكن لا ولي قال إنه خلع أخيراً عنه مظهره الصبياني، وصار يشبه الرجال، يبدو جديراً بالاعتماد عليه.

لم يُسر يانغ شيون بسماع هذا الكلام. هل في الإمكان الاعتماد عليه؟ لقد اختفت داي جياو فنج ولا أثر لها إلى اليوم، ما يعني أنها لا ترغب في أن تودعه ثقتها مرةً أخرى. والآن هو مفلس، يستند إلى كرم أخلاق لا ولي ولي دونغ باو ليقف على قدميه مرةً أخرى. وعلى الرغم من قسمه أمامهما بكل جد وإخلاص، فإنه يعلم في قرارة نفسه أنه ليس متأكدًا من شيء. هل سيستطيع أن يسدد الدين إلى لا ولي؟ هل سيكون في مقدوره أن يرد الجميل للي دونغ باو؟ وكان أكثر ما يثير قلقه هو أنه هل سيتمكن من تحمل مسؤولية معيشة أسرته بكبيرها وصغيرها؟ وأيضاً، هل يمكن أن تعود داي جياو فنج؟ كان الضغط عليه هائلاً أكثر من أي وقت مضى.

وهذه الضغوط منعتة من الضحك والنوم الهانئ.

في اليوم الثاني من مغادرة الجنوب حيث تفتح الأزهار والربيع الدافئ، والعودة إلى الشمال الشرقي حيث أوراق الأشجار المتساقطة والخريف البارد كما هو الحال دائماً، دعا يانغ شيون أربعة من صبية لا ولي ذوي العضلات المفتولة، وذهب إلى العنوان القديم ليفتح المستودع.

كان مستودعه هو المستودع الوحيد المفتوح في منطقة المستودعات بأكملها والتي كانت تعرف مسبقًا بشارع الأجهزة الكهربائية في جيانغنان. أما باقي رفاقه فإما أنهم ما زالوا يترقبون في المستشفى، وإما أنهم لم يحصلوا على بضاعة جديدة، وإما ما زالوا يترقبون، لا يجروون على أخذ زمام المبادرة وفتح أبواب متاجرهم. لكنه لم يكن يعلم لماذا لا يوجد أثر للإنسان؛ هل بسبب سمعة شارع الأجهزة الكهربائية التي خربت، أم لأنه كان الوحيد الذي فتح باب مستودعه. لم يبع شيئًا طوال اليوم، كما كان زبائنه القدامى أولئك يخشون مؤقتًا أن يشتروا منه شيئًا لأن شارع الأجهزة الكهربائية تم تحطيمه، وصارت سمعة البضائع التي تباع في هذه المنطقة سيئة للغاية. فعلى الرغم من الصداقة التي تربطهم به على مدار سنوات طويلة، لكن ووسط هذه العواصف كان من الأفضل لهم أن يتجنبوها قليلاً حتى لا يسيء أحدٌ فهمهم.

علاوة على ذلك فقد جاء بضعة رجال ملطخين بالسواد، وكأنهم جاءوا من منجم الفحم، وأحدثوا ضجة في المتجر. ومن حسن الحظ أن صبية لاولي كانوا موجودين، فهم من أهل البلد، وأقوياء البنيان، ما جعل أولئك الرجال المشاغبين لا ينجحون في عمل شيء، وسرعان ما غادروا.

بما أنه لم يكن هناك عمل، أخرج يانغ شيون مالا ودعا صبية لاولي لشرب الخمر في المساء.

لاحقًا، وحينما أصابه النعاس في المستودع، عاد إلى البيت شاعرًا بوحدة قاتلة، ولم يسعه سوى أن يفكر في داي جياو فنغ.

كان يشعر بالأسف، ورأى أنه من الأفضل له أن يهتم بالمستودع.  
رقد ليلاً في المستودع المنتشرة فيه رائحة البلاستيكيات النتنة  
النافذة وأخذ يفكر، ما العمل إذا لم تسر التجارة؟

لقد دفع الثمانية آلاف التي أخذها من داي جياو فنغ في تكاليف  
الشحن، وتكاليف تصليح المستودع، ولم يتبقّ منها سوى القليل.  
بل ويبدو أن عمال منجم الفحم ليس لديهم نية للاستسلام، وإذا  
ما طلب من صبّية لاو لي المجيء لحماية المكان كل يوم، فهذا  
الحل لن ينفع طويلاً.

أضف إلى ذلك طعامه وشرابه يوميًا، وفي مثل تلك الأيام التي  
ينفق فيها ولا يأتيه دخل، حسب ما في جعبته من مال فوجده يكفي  
ليومين أو ثلاثة على الأكثر. إذن فهل عليه أن يفعل شيئًا لاستعادة  
شعبيته التي كانت في الماضي، وأن يبدد مخاوف عملائه القدامى؟  
ولكن ما الحل؟

فكر مليًا، ولم يحظّ في ليلته بنوم هانئ، كما كان هناك ألم  
خفيف في ذراعه المصابة. فهو لم ينعم بفرصة جيدة للتعافي تقريبًا  
بعد إصابته، بل على العكس من ذلك عمل بجهد أكبر، وفوق ذلك  
لم يجد وقتًا للذهاب إلى المستشفى من أجل المتابعة. لم يكن  
يعرف ما إذا كان ذراعه قد تلف أم لا.

أزال عنه الألم الشعور بالنعاس، فلم يستطع النوم، ونهض سائرًا  
نحو الخارج. لم يكن هناك مصباح واحد مضاء على الطريق، فقط  
القمر مكتمل، والمستودعات من حوله ما زالت محطمة الأبواب  
والنوافذ. جال بنظره في المكان، فوجد هوة شديدة الظلمة مخيفة،  
وكانها تحوي أشباحًا.

على الرغم من أنه كان معتادًا منذ المرحلة الابتدائية على صعود الجبل ونزوله ليأتي بمستلزمات البيت، وكان غالبًا ما يذهب عند حلول الظلام، بيد أنه لم يسعه سوى الشعور بالقشعريرة تجتاح كامل جسده حينما وجد نفسه في تلك اللحظة وحيدًا بشارع الأجهزة الكهربائية، تعوي الرياح كما لو كانت أشباحًا، والقمر البارد من فوقه كأنه عينٌ بيضاء.

سيطر عليه الخوف في تلك الأجواء الباردة تحت ضوء القمر، وأمام ظله الطويل الممتد أمامه على الأرض، شعر بأنه مملوء بالعجز والبرد.

عانى من ضغطٍ هائل، فقد ملأ قلبه القلق ولم يكن يرى بصيص أمل. وبدت له الحياة المترفة التي عاشها مع داي جياو فنع في وقت ليس ببعيد وكأنها عمر مضى. وحينما وصل بتفكيره إليها تعمقت عيناه في النظر أكثر. لم يكن يفهم، لم يكن يفهم حقًا، وأقسم أنه سيأتي اليوم الذي سيعرف فيه الحقيقة كاملة منها. ومع ذلك، فما السبيل إلى إنهاء تلك الأزمة التي تزداد تكاليفها عليه دون أن يأتيه دخل؟

سار يانغ شيون صاحب الاثني والعشرين عامًا من بداية الشارع إلى نهايته، ثم عاد من نهايته إلى بدايته ثانيةً، تارةً يجزر ظله، وتارةً يدهسه. لم يعرف كم سار، وكاد شعره يشيب من فرط القلق. بعد ثلاثة أيام من إعادة افتتاح المستودع، بلغت مبيعاته في تلك الأيام الثلاثة ثمن ثلاثة بيضات بط، كان المكان مهجورًا. ومن آن إلى آخر يدخل شخص يلقي نظرة على البضائع، ثم يلقي

جملة: «هل يمكن الوثوق في جودة أشياءكم التي تعرضونها هنا؟»، وسرعان ما يغادر.

نقل صبية لا ولي الأخبار إليه، فقلق هو الآخر. وبعدهما انتهى من العمل توجه إليه بنفسه ليقتراح عليه تغيير المكان والعمل في المكان الجديد دون الإفصاح عن هويته الحقيقية، أو وضع نضيد جديد، وأخبره ألا ينتظر ليحاول في هذا المكان سيء السمعة. فأخر مرة تعرض فيها للسطو كانت بسبب انفجار الغاز في منجم الفحم، وأحدثوا أعمال شغب سمعت بها المدينة بأكملها، فمن سيظل يثق إلى الآن في بضاعة شارع الأجهزة الكهربائية؟

لم يجرؤ يانغ شيون على إحباطه، لم يجرؤ على إخباره بأنه لا يملك ثمن النضد الجديد، فما كان منه إلا أن قال له إنه سينتظر لبضعة أيام أخرى، وإذا ما مر أسبوع وظل الحال كما هو عليه فسيرحل في الحال.

مر أسبوع، وكان هذا هو الموعد الأقصى الذي حدده، وكما هو المتوقع، كانت محفظته نظيفة بكل تأكيد، لم يعد فيها قرش واحد. لكن كيف يمكن أن يخرج بتجارته من هذه الأزمة؟ أن يزيل شكوك الزبائن، ويستعيد سمعته، بل ويفعل هذا كله خلال أسبوع واحد؟

كيف يحقق تلك الأمور التي بمثابة معجزاتٍ تقريباً؟ تجول يانغ شيون ليلاً في شارع الأجهزة الكهربائية تحت ضوء القمر، وأجهد عقله في التفكير. وفي النهار، كانت عيناه غائبتين في محجريهما ومحاطتين بهالات سوداء، ما جعلها تبدو وكأنها عينا شبح.

في مساء اليوم الخامس، وفي ظل شعوره بالعجز، جازف بمحاولة يائسة. ربط ذراعه اليسرى في جسده تجنبًا لإصابته إصابةً جديدة إذا ما قام بحركة عنيفة عن طريق الخطأ. تجول بين المستودعات الفارغة في هذا الشارع المقفر، وأزاح الباب الداخلي السليم للمستودع المجاور له، وألصق أعلاه ورقة بيضاء، ثم غمس في الحبر وكتب إعلانًا على لوح الباب بالخط الجميل الذي كان يتمرن عليه على يد والدته.

كتب في الإعلان بشكل انتقائي عن المشاكل التي كانت موجودة في منتجات شارع الأجهزة الكهربائية في الماضي، وظاهرة انتشار المنتجات المقلدة غير المطابقة للمواصفات. فعلى سبيل المثال: لم يتم عزل الأجهزة الكهربائية التي كان من الضروري عزلها، واستخدام الأوراق الأسمنتية لتغطية الأماكن التي يجب لفها بالأسلاك، وتواطؤ الجميع للتستر على ذلك، وإقامة علاقات جيدة بين بعضهم للتسويق لبضائع ورشهم، وهكذا.

وفي الأخير قال إنه أدرك خطر ذلك، وقرر أن يغير جذريًا طريقة عمله، ويقطع علاقته نهائيًا بالموردين القدامى غير المؤهلين، ومن ثم يختار البضائع المضمونة لتلبية احتياجات سكان المدينة.

وفي النهاية، عرّف بمصنع دنغ فنغ للكابلات الكهربائية والذي اختاره ليعمل معه الآن، وشرح الإنجازات الاجتماعية اللامعة لشياوليجيا في السنوات القليلة الماضية، والأعمال الجيدة لقائدهم ولقبه الاجتماعي، وهكذا رفع من مكانة دنغ فنغ.

بعدما انتهى من الكتابة، حمل لوح الباب هذا بصعوبة بالغة ونقله إلى التقاطع، إذ يمر الناس من هناك عند ذهابهم إلى العمل

وخرجهم منه. يعتبر هذا التقاطع حيًا، أسند هذا اللوح على الجدار وجعله واضحًا، حتى يراه المارة جيدًا.

بعد ذلك، تسلل إلى داخل جميع المستودعات ليلاً، وجمع من واحدٍ تلو الآخر الغلاف الخارجي المصنوع من الباكلت للأجهزة الكهربائية المحطمة التي يأنف حتى تجار «الروبابيكيا» من أخذها. كما فكك بالطبع وبطريقة انتهازية بعضًا من أطر النوافذ والرفوف الخشبية، وكومها فوق بعضها في وسط الشارع المرصوف بالحصى، ثم عاد إلى البيت وجاء ثانيةً محضرًا معه تلك الأجهزة الكهربائية التي كان يحتفظ بها كعينات وألقاها فوق هذه الكومة.

وبحلول النهار كان قد انتهى من جمع الأجهزة الكهربائية المحطمة في كومة يبلغ ارتفاعها طول إنسان نوعًا ما.

تصبب جبينه عرقًا غزيرًا. أخذ يشرب الماء البارد منهكًا، ينظر بإعجاب لثمار جهده طوال الليل، لا يلبث ينظر إلى ساعة يده من آن إلى آخر، يتابع الوقت بالدقيقة والثانية من الساعة السادسة وحتى الساعة السابعة. وعند الساعة السابعة والنصف، كان الشارع عند التقاطع يعج بالناس، وبينما يمر الناس جيئةً وذهابًا، توجه نحو كومة الأجهزة الكهربائية المحطمة وسكب فوقها زجاجة خمر ماركة آرغوه، ثم ألقى عليها عود ثقاب ليضرم النار فيها.

كان يعلم أن هذه الخطوة ستجلب له اللوم من رفاق بلدته، ولكنه لم يعد قادرًا على مراعاتهم بعد الآن. لم يكن أمامه خيار سوى النجاة بنفسه في ظل تلك الظروف.

لهب، ودخانٌ أبيض، ورائحة حرق الباكليت الكريهة. كسرت مثل تلك الحادثة الغربية الروتين المعتاد في المدينة، وتسببت على الفور في توقف المارة مشيرين لما يحدث. قرأ الجميع الإعلان المكتوب في التقاطع والذي لم يكن سلسًا بالضرورة، وهكذا فهموا الوضع. وبالطبع، دخل أصحاب النوايا الحسنة إلى متجر يانغ شيون متحمسين ولمدة أسبوع لإلقاء نظرة وإرضاء فضولهم. وبطبيعة الحال انتهز يانغ شيون الفرصة، وأخذ يكرر على مسامعهم مبتهجًا تعريفه بالأسلاك والكابلات الكهربائية المختارة التي صار يعمل فيها حاليًا. فما أكثر طلاقة لسانه حينما يتحدث عنه حينما يكتب. كان الزوار ممن يأتون إليه يومئذ برأسهم حين يستمعون إليه، ويعترفون بأن تصرفه المتمثل في الانفصال النهائي عن الماضي وعن أولئك الزملاء الذين لا يرقون إلى مستوى التوقعات لهو أمر جدير بالثناء.

وللحظة، صار مدخل مستودعه يعج بالمتفرجين، كان المشهد مفعماً بالحياة كما لو كانوا يشاهدون أوبرا باي.

انتقلت أنباء الحادثة بين عشرة، ومن عشرة إلى مئة، وبسرعة البرق ذاع الخبر بين الناس وصاروا يدرشون حوله في العمل. ينتظر الجميع معرفة التطورات اللاحقة بعد تحطيم شارع الأجهزة الكهربائية، والخطوة المثيرة التي اتخذها يانغ شيون، ما أدى إلى تلبية الاحتياجات النفسية للجميع في آن، ومن ثم انتشر الخبر بسرعة أكبر وعلى نطاق أوسع.

رتّب يانغ شيون مجيء أحد صبية لاو لي إلى المتجر يقرع الطبول والأجراس، ويُخرج المال أمام الحشد ليطلب شراء

حزمتين من الأسلاك الكهربائية للاستخدام المنزلي، وأن يتراقص مبالغاً في مدح منتجاته، ومن ثم يرفع صوته معلناً أمام باب المتجر دعمه لأولئك الذين يتداركون أخطاءهم بسرعة، ويحمل بعدها الأسلاك ويغادر.

استغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى قَدِمَ مسؤول الحي وطلب من يانغ شيون إطفاء الحريق، قائلاً إن ذلك غير آمن. كان يانغ شيون معتاداً على إشعال الموقد منذ صغره، ويفهم في كيفية التعامل معها، فأعطى وعداً واضحاً للمسؤول، واستعمل ذراعه المصابة في حمل طست من الماء، لا يقدر في المرة الواحدة سوى على ملء نصفه، وسكبه فوق الحريق. وكانت النتيجة أن هدأت شدة النار قليلاً، ولكنَّ الدخان ازداد وازدادت كثافته، كان بالإمكان رؤية تصاعد الدخان الأسود من بعيد مباشرةً من فوق الحريق، ما يجعل الجميع يريدون المجيء لمعرفة ما يدور بالضبط، فمن لا يحب مشاهدة الحريق؟ وعلى غير المتوقع جاء مراسلو الصحف. كانت المرة الأولى التي يتلقى فيها يانغ شيون مقابلة صحفية، ما جعل المحيطين لا يرغبون أكثر في المغادرة، ويريدون أن يشاهدوا هذا المشهد الأجنبي الواحد تلو الآخر.

في الأخير، وبخلاف المسرحية التي نظمها يانغ شيون لمجيء صبي لاو لي وتظاهرة بالشراء، قَدِمَ آخرون للشراء منه. وكلما أتى أحداً قابله الحشد على حين غرة بالتصفيق والصخب، فيصير المشهد حيويًا بصورة غير متوقعة. ليس من المعروف ما إذا كان قد حدث هذا بسبب تحطيم شارع الأجهزة الكهربائية لعدة أيام، وعدم توفر البضائع أمام الناس ليشتروها، ما تسبب في كبت

احتياجاتهم وانفجارها في هذا الوقت، فقد كان الناس لا يزالون ينضمون للحشد، يتخبرون أوقات الذروة ليحدثوا الهرج والمرج، في هذا اليوم بيعت الكثير من الأسلاك الكهربائية للاستخدام المنزلي على نحو غير متوقع، ما أثار دهشة يانغ شيون.

ومع ذلك، وفي ظل دهشته، لم ينسَ عقله المُنهك المتحمس أمراً، وهو رفاق بلدته الذين لم يتخذوا إجراءً حتى الآن، كيف سيفنون حسابهم معه بعدما يتفرق الحشد ويجن الليل؟! وقد رأى بعضاً منهم يقفون خارج الحشد ويراقبون ما يحدث بالفعل منذ وقت باكر، ولكنهم لم ينضموا إليه. خمن ما يدور في نفسياتهم، وتوقع أن يكونوا مستشيطين غضباً منه بكل تأكيد.

جنَّ الليل لا محالة، أبقى يانغ شيون على اثنين من صبية لاولي ليحرسا المتجر، لم يستطع المقاومة وغلبه النعاس غير واع بأي شيء. وضع في حسابه أن رفاق بلدته سيأتون إليه الليلة، لكن ومهما كان قلقاً فهو في حاجة إلى الراحة، فقد كان منهكاً. نام بعقلية خنزير ميت لن يخشى الماء المغلي، وكان واثقاً من أن صبيّ لاولي قادران على صد رفاقه ومنعهم من الدخول. كانت رحلة قدمه قُبيل أيام طويلة ووعرة، جعلته يقضي بضعة أيام دون نوم، إلى جانب عمله الشاق ليلة البارحة، وتعبه وتوتره طوال النهار، أضف إلى ذلك بضعة أيام أخرى من القلق ونفاد الصبر، وكان هذا كله سبباً في سحق يانغ شيون الفتى الشاب.

جلس صبيبا لاولي في غرفة مظلمة يشربان، ينظران من آن إلى آخر إلى الأجواء في الخارج تحت ضوء القمر. كانا قلقين من أن

يأتي رفاق بلدة يانغ شيون حقًا ويطلقوا عليهم الباب. كان معروفًا عن رجال جيانغنان في شارع الأجهزة الكهربائية حب التجمهر، وكان من الصعب البت فيما إذا كانا سيُحاصران الليلة أم لا. لكن الوضع فاق توقعاتهما، إذ جاء الناس، ولم يكن عددهم بالقليل، بيد أن معظمهم كان من النساء والأطفال العجزة، وبخلاف سبهم وشمهم بلهجتهم المحلية، لم يكن ثمة تصرفات عنيفة أخرى. أراد هؤلاء الناس مقابلة يانغ شيون، ولكنه كان نائمًا كما الخنزير الميت، أراد هؤلاء العصاة أن يوقظوه بأنفسهم، ولكن صبيّ لاو لي منعاهم. لم يصمدوا كثيرًا، إذ احتشدوا لأقل من ساعتين ومن ثم غادروا. ظل يانغ شيون نائمًا حتى شروق الشمس إلى أن أيقظه صبيًا لاو لي.

ما إن استيقظ وسمع كلامهما حتى حَمَّن أن رفاقه لم يتعافوا من إصاباتهم بعد، ولم تجرؤ النساء على إثارة المتاعب، ففعلن ما فعلن في الليلة الماضية، ولربما لن يتسببوا في كثير من الضجة. شعروا بالارتياح قليلاً، غسل وجهه وفرّش أسنانه، وأسرع بالخروج لشراء كومة كبيرة من الباتزي للترفيه عن صبية لاو لي. حينما انتهوا من تناول الطعام بدأ الزبائن في القدوم أمام الباب. قام يانغ شيون لاستقبالهم بحماس، سأله بمجرد أن التقوا به عن حادثة الأمس، وكان يوضح لهم ضاحكًا ما حدث بينما يُعرفهم على مواصفات البضائع، وكأنه وُلد بفمين، فلم يكن سوى صوته الذي يدوي في المتجر بأكمله. بعد فترة وجيزة حمل الزبائن حزمة من الأسلاك الكهربائية وغادروا. كان صبيًا لاو لي يراقبان ما يحدث بالجوار، وما إن غادر الزبائن حتى لم يتمالكا نفسيهما وقالوا

ضاحكين: «توجهك أفضل بكثير يا يانغ الصغير من توجه متجر الأجهزة والمواد الكهربائية المملوك للدولة، فنحن حينما نذهب لشراء شيء من هناك لا يعيرنا أحدًا انتباهه. فمن سيصبر على تعجر فهم هناك بعدما يعتاد على الشراء منك ها هنا لفترة طويلة».

«لا مجال للمقارنة، فمتجرهم مملوك للدولة، ورزقهم مضمون مهما حدث من اضطرابات. لسنا واحدًا، فإذا لم يطرق الزبائن بابنا سنعاني الأمرين. أنتما أيضًا تعملان في مؤسسات مملوكة للدولة، كم أغبطكما! ولكنني مُسَجَّل في أسرة ريفية، فكيف السبيل إلى الانضمام لجهة عمل مملوكة للدولة؟ ما من سبيل. إنني أجعل إخوتي الصغار يدرسون جيدًا، لعلهم في يوم من الأيام يُقبلون في الجامعة ويرتقون إلى مستوى التسجيل ضمن الأسر الحضرية، ومن ثمَّ أَسْتفيد أيضًا مما سيكونون فيه».

«ما الفائدة الآن من المؤسسات المملوكة للدولة؟! إنها لا تجني مالاً كثيرًا مثلكم في المؤسسات الفردية. العمل فيها لا يحتاج سوى جهد قليل، ولكنَّ المال أيضًا قليل».

«ليست هكذا تُحسب الأمور. فلو تغيرت سياسات الدولة، من الممكن أن نعود نحن أصحاب الأعمال الفردية إلى حمل الفؤوس. يا إلهي، شخصٌ قادم».

لم يتصور يانغ شيون أن يستمر سيل الزبائن عليه، وبرؤية ذلك لم يرغب صبيًّا لا ولي في البقاء لوقتٍ أطول، انتظرًا قدوم أخويهم الأكبر لتبديل الوردية، ومن ثمَّ عادا لينا. كان يانغ شيون مبتهجًا، واستغل كل ثانية في مهاتفة العملاء القدامى الذين كانوا مسؤولين

عن التوريد والتسويق، ليشرح لهم الأوضاع بالأمس واليوم، كان الجميع سعداء كثيرًا على الهاتف من أجله، ومنهم من طلب منه فورًا أن يبدأ في إرسال البضائع لهم. لكن من المؤسف للجميع أنه وبعد مرور تلك الأحداث وجب أن تكون تشكيلة المنتجات التي يتاجر فيها أكثر تفرّدًا. ومع ذلك، هكذا يمكن أن نقول إن تجارته عادت من جديد، علاوة على ذلك فنظرًا لعدم عودة المستودعات الأخرى في شارع الأجهزة الكهربائية للعمل، تخلص يانغ شيون من المنافسة في العمل، واشتعلت تجارته بشكل لا يوصف.

بدا أن الجميع فرح لأجل يانغ شيون، حتى الزبائن الذين يدخلون عليه من الباب، وبسبب عقلية القطيع، حينما رأوا الآخرين يتلهفون على الشراء، شعروا أن الأمور لا بد وستتغير حقًا كما هو مكتوبٌ على الباب، غالبًا فإن الأسلاك الكهربائية التي يتاجر فيها يانغ شيون الآن لا عيب فيها، وهكذا اشترى هم أيضًا بقلبٍ مرتاح. كان هو الوحيد الذي يوقن في قرارة نفسه أن الأمور ليست بهذه البساطة مطلقًا. فرفاق بلدته منهم من هو غاضب منه ومنهم من هو يغار منه، ولم يكن الأمر لينتهي دون الضجّة التي سببها ليلة البارحة. أما منجم الفحم، وعلى الرغم من أن لاو وانغ هو من هيّجهم فيه، لكن من يعلم كيف ستتعامل الحكومة المحلية مع هؤلاء القادمين من الجنوب. والآن يختبئ الجميع منتظرين مرور العاصفة، وحده المدين بالمال والذي عليه أن يصمد ويواجه هذا الوضع العصيب بشجاعة، وإذا ما تحركت الحكومة للتصرف في الأمر، فسيتلقى الضربة الأولى بكل تأكيد. لأجل ذلك ذهب إلى جهات العمل المحيطة ليستعير جريدة اليوم وينظر فيها،

وكما توقع، لم تنشر الجريدة اللقاء الصحفي الذي تلقاه بالأمس كما وعده المراسل الصحفي، ومن ذلك استشف أن أحداث هذا الشارع لم تنته بعد. كان في واقع الأمر يجلس في تلك الأيام منتظرًا ما سيحدث على أحر من الجمر. كان يقول في الصباح إنه يرغب صبيّ لا ولي على تناول لقمة عيشهم من مؤسسة مملوكة للدولة، وكانت هذه الغبطة حقيقية بكل ما في الكلمة من معنى. فبغض النظر عن حجم الرواتب فيها، سيضمنون ثبات لقمة عيشهم مهما قلّت. اكتشف للمرة الأولى في حالة من الرعب بعدما مرّ بتلك التقلبات كم أنه من السهل أن يفقد بوصفه مؤسسة فردية كل شيء وينتهي نهاية سيئة. وفكر، أما وقد صار مغلوبًا على أمره وبلا حيلة، فمن المستحيل أن يسمح لإخوته بالسير في طريقه هذه التي سلكها، ينبغي لهم جميعًا بلا استثناء القفز في مصالح حكومية.

كان يانغ شيون في حقيقة الأمر ينتظر مكالمة من رفاق بلدته بمجرد استيقاظه، فلطالما لم يستطيعوا أن يقتصوا منه ليلة أمس ولم يفهموا موقفه، لا بد وأنهم سيأتون اليوم مرة أخرى. ظل منتظرًا حتى الظهيرة، ثم ذهب إلى مطعم صغير وأخذ طلبًا كبيرًا من أقدام الخنازير، ووعاءً من اللحم البقري المطهو مع ثمار الكاكي، ثم شرع هو ومن معه في تناول الطعام، وإذا بجرس الهاتف يرن على مهل ويأتيه اتصال من رفاق بلدته. ما إن ردّ حتى وجد أحدهم يستشيط غضبًا: «يانغ شيون، ما الذي تقصده؟ هل الأهم عندك هو أن تكون مرتاحًا ولا يعينك أن نفتح متاجرنا أم لا؟».

فقال يانغ شيون: «اللجنة على أمهاتكم، إذا ما تجرأتم على فتحها اليوم فافتحوها، واستفيدوا من الجميل الذي فعلته بكم،

نحن أبناء بلدة واحدة وفي المركب ذاته، سأدعكم تستفيدون مما فعلت دون مقابل. أما إذا لم تكن لديكم الجرأة فكفوا عن الثروة. أعمل الآن بعدما جازفت بكل شيء، وإذا ما كنتم تغارون، فتعالوا أنتم أيضًا».

صمت رفيق بلده على الطرف الآخر من المكالمة قليلاً، كان على الأغلب يتناقش معهم، ثم قال: «لا يهمني ما إذا كنت جازفت بكل شيء أم لا، فهذا شأنك، لكن لماذا قضيت علينا..».

«من قضى عليكم؟ لقد قضيت على نفسي. لأقل لك بصراحة، من الأفضل لكم أن تمتلكوا الشجاعة وتفتحوا في أسرع وقت ممكن، لا تضيعوا مجهودكم في الجدل معي حول تفاهات لا طائل منها. انتظروا حتى تحاسبني الحكومة على ما جنيتُ في هذه الفترة، وستعرفون أنه رقمٌ يستحق انتزاعه من الآخرين. إذا ما كنتم تملكون الوقت والمال، فلا تبددوا أوقات مملكم الناتج عن فراغكم في تصيّد أخطائي والدخول معي في صراعات».

خيّم الصمت للمرة الثانية، ثم قال: «لم تظهر نتائج تصرفهم مع لاو وانغ بعد، سمعتُ أن هيئة السجل التجاري تنتظر التحقيق والتصرف معنا».

«أولم تسارعوا بالهرب بعد؟ أنتظرون هنا لتغريمكم وسجنكم؟ اسمعوا مني، إذا كنتم تمتلكون الشجاعة فافتحوا متاجركم، وإذا جبنتم فعودوا، كيف ستعملون في التجارة وأنتم بهذا الجبن؟ لستم تحت رعاية الدولة بعد كل شيء. لا أملك الوقت لمواصلة الحديث معكم، لديّ زبائن».

ألقى يانغ شيون سماعاً الهاتف وعاد إلى الطاولة لتناول الطعام، قال واحدٌ من صبية لاو لي: «ما الذي سيفعلونه معك؟ اترك لإخوتك الأمر».

قال يانغ شيون: «لا داعي لذلك، أليس الأمر مجيئهم من هيئة السجل التجاري فحسب؟ كما أنني لا أخشى قدومهم للتحقيق، لا بد وستكون هناك طريقة لتسوية الأمر بمجرد مجيئهم. أعرف عددًا من الموظفين العاملين في هيئة السجل التجاري بهذه المنطقة، فقط أخشى أن تصل الجلبة إلى المدينة».

«استقصَ عن الأمر، وأخبرنا إذا ما كانت هناك اضطرابات، فنحن من السكان المحليين، لا بد ولدينا أقارب ومعارف في هيئة السجل التجاري».

«لا داعي لأن تخبروني باهتمامكم بي أيها الإخوة، فكما يقولون، في البيت يسندنا الأهل، وفي الخارج يسندنا الأصدقاء، وأنا أعتمد على مساعدتكم بالكامل هذه المرة في نهوضي من تلك العثرة. كلمات الشكر حتى لا تكفيكم».

«لا تتعامل معنا وكأننا أغراب. نريد أن نسألك سؤالاً، هل تعتقد أن رجال منجم الفحم سيأتون إليكم مرةً ثانية؟».

«يبدو من هذا الجراك أنهم لن يأتوا مؤقتًا. لدي فكرة، سيكون من غير المناسب أن تذهبوا يوميًا للعمل وتأتوا إليّ هنا لمساعدتي في أوقات فراغكم، من الأفضل أن أتحدث مع معلمكم، سأسأله ما إذا كان لديكم إخوة صغار قويو البنيان، أريد اثنين منهم هنا لتوصيل البضائع وحراسة المتجر، وسيكون الراتب مجزيًا، كان

لدي في الأصل مساعدان من رفاق بلدتي، ولكنهم هربوا، يبدو أن عليّ البحث عن مساعدين من الأهالي ها هنا».

«إيجادهم ليس مستحيلاً. سأتحدث مع المعلم حينما أعود، سهلة».

لم يطمئن يانغ شيون لهذين الشائين، فقال للاولي قبالتهما ما يريد، وبالمناسبة قدّم إليه تقريرًا عن حصاد اليومين الماضيين، ففرح أشد الفرح. ربّ لاولي الأمور، وفي اليوم التالي جاء إليه بنفسه مصطحبًا فتيين كبيرين قويي البنيان، وأخبره أنهما تخرجا في المدرسة الإعدادية وينتظران العمل حتى الآن، وأنه يريد منه أن يبدأ في تدريبهم وتعليمهم أولاً، وحينما ينجح في ذلك سيكون على استعداد بالطبع لقبولهم كصبيين له. علاوة على ذلك فقد اتفق شفهيًا على الراتب أمامهما، وقدّم مساعدة كبيرة ليانغ شيون، كان ممتنًا له للغاية.

صار لدى يانغ شيون مساعدان تحت طوعه وبإمكانه إرسالهم في أي مهمة، ما جعله يسترخي كثيرًا. لكنّ الفتيين كانا معتادين على الاستهتار، وتختلف طباعهما عمّا تربى عليه يانغ شيون في بلدته تمامًا. فلم يسعه سوى البحث عن أحد رفاق بلدته اللذين كانا ينوبان عنه مسبقًا في الاهتمام بالمتجر لحراسته. وكالعادة، كان يرسل الفتيين لتوصيل البضائع أو الانتقال بالعربة لجمع المال. كان الأشخاص الذين أرسلهم لاولي يعرفون دورهم حق المعرفة، وحتى لو تجرأوا على الدخول مع يانغ شيون في حرب عصابات التي كان بصددتها، فإنهم لا يملكون الجرأة على ارتكاب

سفاسف الأمور مع صديق لاو لي، غمرت السعادة الجميع لفترة وجيزة، وأُتيح الوقت أخيرًا لكي تحظى ذراع يانغ شيون المصابة بفرصة للتعافي. امتلك المال، وتيسر له إنجاز الكثير من الأمور، على الرغم من أنه اقترض ذلك المال من مصنع دنغ فنغ.

لم يتخيل أن تزداد حجم تجارته على نحو مفاجئ وبشكل مطرد، تمامًا كسرعة وصول الربيع هنا إلى الشمال الشرقي، ودرجة حرارته التي تتغير يوميًا بعد يوم. يقول جميع الناس الذين يأتون لشراء البضائع إنهم سمعوا بشهرة هذا المتجر الكبيرة الآن، وسمعوا بأنهم حينما يبيعون فيه لا يطففون في الميزان، والجودة مضمونة، كما يمكن استرجاع أو استبدال المنتجات إذا ما كانت فيها مشكلة، سمعوا... وسمعوا... ما جعل يانغ شيون مسرورًا راضيًا، غالبًا فقد رأى بصيص أمل، وأتى عمله الجاد ثماره. شكَّ في أنه لولا تلك الضغوط التي وضع فيها من البداية ما كانت لتقفز إلى ذهنه فكرة إضرار النار ووضع الإعلان والمجازفة بكل ما يملك. لكنَّهُ إذا لم يجازف بكل شيء لم يكن عمله الجاد ليؤتي ثماره. من ذلك استشف أنه وبغض النظر عن كيفية القيام بالأمر، فالمطلوب هو أن تقوم به، ولا بد أن تمتلك شجاعة كبيرة.

لكن ما جعله في حيرة من أمره هو عدم فتح رفاق بلدته لمتاجرهم حتى الآن. لم يكن يتبين بوضوح لمَ يجلس هؤلاء الناس في منازلهم ينتظرون بدون العمل وكسب المال؟ يقول لاو لي إنه من الممكن أن يكون في أيديهم ما يكفي من المال، وأنهم ليسوا مدعورين، كما يخشون أن تتحقق الحكومة وتصادر ما يملكون من مال. ليس وضعهم كوضع يانغ شيون الذي لا شيء لديه ليخسره،

يعمل إذا ما أراد أن يعمل، ولا يحمل عبئًا نفسيًا. شعر بأن كلامه منطقي، ومع ذلك فمن حسن الحظ أنهم لا يعملون، وأتاحوا له الفرصة لي عمل وحده.

لم يملك يانغ شيون وقتًا فارغًا، فزُغم وجود من يهتم بالمتجر، ولكنه ذهب ليستورد بعض الأشياء مثل: مقابس بمفاتيح وحاملات مصابيح وقواطع سكينية وأسلاك فيوز وغيرها، لكي يسهل على الناس الحلول عند شراء الأسلاك دفعةً واحدة. لم يعد يجرؤ حتى الآن على استيراد تلك البضائع التي يظهر عليها بوضوح أنها منخفضة الجودة، فبعد عدة سنوات قضاها في التجارة صار لديه حدسٌ لمعرفة الأماكن التي بها منتجات قوية من الأماكن التي بها منتجات ضعيفة، وإذا كانت المصانع بعيدة، يدفع مالا زائدًا ويشحن البضائع على متن القطار. لم يكن التجار الصغار ليقارنوا بالمصانع، فحينما يرون أسعاره أرخص قليلاً من متجر الأجهزة والمواد الكهربائية، كانوا يشترون منه بكل تأكيد. ما جعل تجارة التجزئة لديه تسير أيضًا على نحو جيد وبشكل غير متوقع.

حينما حلَّ موسم تفتح الأزهار والربيع الدافئ في الشمال الشرقي، وضع يانغ شيون أمواله في جيبه وعاد إلى بلده، فذهب إلى شياوليجيا لتحميل دفعة من البضائع، لم تكن الدفعة مقتصرة على الأسلاك الكهربائية بشكل عاجل فحسب، ولكنه كان أيضًا في حاجة ماسةً إلى الكابلات الكهربائية. أخذ البضائع وعاد مسرعًا لتوصيلها مع مساعديه الثلاثة. بعدما انتهى من توصيل البضاعة المحجوزة للمصانع نهائيًا، خرج بمفرده ليلاً وركب دراجته ثلاثية العجلات لتوصيل البضائع الفردية، كان قد أزال الجبس عن ذراعه

المصابة، وصار في إمكانه العمل بأريحية أكبر، ولكنه فقط كان يشعر بأنه لا يقدر على بذل مجهود كبير، ولا يعرف ما إذا كانت هذه حالة مؤقتة أم ستدوم معه إلى الأبد.

أوصل البضائع إلى مكانٍ تلو الآخر، وسمع تنهدات الكثير من الناس، إذ سمع العديد منهم يقول الجملة نفسها تقريبًا: «لم أتصور حقًا أن أترك ملاحظة بالبضاعة المطلوبة في المتجر وتوصّل إليّ من دون دفع المزيد من المال»، قال يانغ شيون في نفسه إنه لا يريد أن يغترّ بعدما يجني بعض المال ويظن أنه نابغة عصره كما كان في الماضي. فقد دبّ الرعب في قلبه بسبب تعثره هذه المرة، وعليه أن يجتهد ويكافح في العمل وجني المال فحسب، وهذا ما سيجعله قادرًا على إعالة نفسه وإعالة أسرته، ويزداد قدرة على حشد قوته لمواجهة الكوارث التي قد تأتيه من حيث لا يعلم.

لم يلبث يانغ شيون أن يفكر في داي جياو فنج بأوقات فراغه، وكان يشعر بالأسى الشديد. كل هذه الأيام ولا حسنَ لها. إنها تعرف رقم هاتفه، وتعرف مستودعه، لو أرادت الوصول إليه حقًا فهو في مكانه القديم. ومع ذلك، فإنها لم تأتِ حتى بعدما أرسل إليها رسالة يوضح لها فيها سوء التفاهم الذي حدث. كان كثيرًا ما يفكر في أن عائلتها أخفت عنها الحقيقة بكل تأكيد، فقد عاشا كزوج وزوجة وبينهما عيشٌ وملح، وحتى لو غضبت في البداية، فلا بد وأنها هدأت الآن، على الأقل تواجهه وتفهم منه، بالتأكيد تلاعبت بها عائلتها.

انتهى أخيرًا من توصيل البضائع، وكان جسده يتصبب عرقًا، فركب دراجته ثلاثية العجلات بسرعة عائدًا إلى المستودع.

كان يشغل حاليًا مستودعًا فارغًا على مقربة منه، يحرس كلاً من المستودعين هو وابن بلدته في المساء. وكان شارع الأجهزة الكهربائية في الوقت الراهن خاويًا لا يُرى فيه أثر لإنسان، ولا يوجد من يحرس أي مكانٍ فيه. كان محتفظًا في ذهنه بخريطة حيّة، يسلك طرقًا مختصرة بين الشوارع والأزقة، ما يجعل الفتيين، وهما من السكان المحليين، يسألانه عن الطريق في بعض الأحيان. ومع ذلك فقد جاء وقتٌ تعطلّ فيه بينما كان يسلك طريقًا مختصرة عند عودته إلى البيت؛ إذ أعاقته سيارة جيب توقفت ببطء أمامه في شارع صغير. أظلمت مصابيح السيارة الأمامية والخلفية، ولم يكن فيها سوى مصباح خلفي أحمر يضيء الطريق. من المؤسف أنها أطفأت هذا المصباح الخلفي الأحمر أيضًا، وقفز منها ظلٌ أسود طويل القامة، وأخذ يردد: «انتظري، سأفتح لك الباب، سيكون من الصعب عليك القفز من السيارة بهذا الكعب العالي».

لم يجد يانغ شيون خيارًا سوى الانتظار، فقد قضى اليوم بطوله في توصيل البضائع وكان منهكًا، يتكاسل عن الانعطاف لأخذ طريق آخر، إذا ما كان عليه أن ينتظر فلينتظر. نظر ذلك الرجل الذي قفز من السيارة في الظلام فوجد دراجة ثلاثية العجلات تقف في الخلف، فالتفت من أمام السيارة، حدّق فيه يانغ شيون وكان متكاسلاً عن التفكير في أي شيء، ولكنّه سمع فجأة صوت امرأة مألوفًا إليه قادمًا من السيارة: «سأتي بنفسي». يا إلهي، أهذه هي داي جياو فنج التي كان يفكر فيها طوال الليل؟ صعق يانغ شيون، وصار عقله فارغًا فجأة، يحدق بعينه مباشرة في باب السيارة الأيمن مذهولاً وفاقدًا القدرة على النطق.

وجد باب السيارة يُفتح، وتقدم هذا الرجل بضع خطوات مسرعًا، وضع يده بشهامة ونبل تحت الإطار العلوي للسيارة قبل أن تخرج المرأة التي بالداخل، وبينما تترجل المرأة أسندها في الحال واضعًا يده على خصرها لتتمالك توازنها. لم يكن يانغ شيون ليخطئ في معرفة هذه المرأة التي تبخرت من الوسط، إنها داي جياو فنغ. صاح بصوتٍ مبحوح: «فنع الصغيرة!» ولم يكن في ذلك الحين قادرًا على التحدث بلسانٍ ذلق، فقط نظر إلى شفثيها اللتين ترتعشان.

بُهِتت داي جياو فنغ وشحب وجهها، استدارت ونظرت إلى يانغ شيون، فتراجعت خطوتين إلى الوراء، وارتمت في أحضان الرجل الذي كان يقف خلفها. أوقفها ذلك الرجل خلفه ليحميها، وقال في عجالة: «فلتركبي، أنا من سأصدي له».

انكسر قلب يانغ شيون حينما رآها تتوارى منه، فصرخ عاليًا: «لم أهرب يا فنع الصغيرة، لقد ذهبت في ذلك اليوم إلى بيت لائو لي لأبادر بتوضيح المسألة له، بعد ذلك فقدت الوعي وأخذني لائو لي إلى المستشفى ومكثتُ فيها سبعة أيام. ما زلت على رأس عملي في المكان القديم، لم أغادر، حتى إنني ذهبتُ إلى بيتك لأبحث عنك، وبررت ما حدث لأبيك وأمك».

كان يتحدث بينما تتراجع داي جياو فنغ إلى الخلف وتتمتم: «لا عليك... لا تبرر... لا عليك... لا عليك... انتهى الأمر... لا عليك...».

قفز يانغ شيون وذهب يريد ملاحظتها، فمنعه ذلك الرجل وأوقفه، وقال بصوتٍ رخيم: «دع الآنسة داي تختار بحريتها، لن أسمح لك بإجبارها، لن أسمح لك باستخدام القوة».

تعرف يانغ شيون على هذا الرجل أخيرًا، كان هو الذي حاول ملاحقة داي جياو فنغ من قبل، والذي دخل معه مُسبقًا في عراك، كان يعلم في قرارة نفسه أنهما ليسا نِدَّين، ولكنَّه في هذه اللحظات كان فاقدًا للأمل، فارتضى بجسده عليه مندفعًا نحو داي جياو فنغ يصيح: «فنج يا صغيرتي، فنج يا صغيرة، أشتاق إليك كل يوم، ما زلت في مكاني القديم، لن أضغط عليك، فلتعودي أنتِ، رقم هاتفني لم يتغير، لم يتغير أي شيء، أنتظرُك، لن أجبرك، اشتقتُ إليك، اشتقتُ إليك».

قال الرجل ببرود وهو يمنعه: «الآنسة داي بارعة الجمال، تبدو كما لو كانت وردة زاهية، بأي حق تُريد أنت يا صاحب الدراجة ثلاثية العجلات أن تجعلها تكافح وتحفر معك في الصخر؟ إذا كنت تحبها حقًا، دعها تذهب، دعها تستمتع بحياةٍ أفضل، أنت لا تليق بها».

لم يكن يانغ شيون في مزاج يسمح له بالدخول في جدال مع ذلك الرجل، أخذ ينظر بلا حول ولا قوة إلى داي جياو فنغ التي رفعت تنورتها في هلع وركضت لتدخل من بوابة كبيرة يقف عليها حارس أمن، هنا أدرك فجأة أن الرجل يمنعه، فلم يتمالك نفسه وسدد له لكمة بقبضته: «اللجنة على أمك، فنج الصغيرة زوجتي، أتريد أيها الوغد أن تخطف...». ولكنَّه لم يكمل كلامه، وطار فجأة، لا يعرف كيف تحرر من قبضة ذلك الرجل، سدد الرجل له لكمة في وجهه، فسقط على ظهره، وارتطمت رأسه بالأرض بقوة، ما جعله يشعر بالدوار للحظات ولا يقوى على النهوض. وبينما كان دائحًا، شعر بشيء ثقيل على صدره، وانحنى أحدهم ليهمس في

أذنه ببرود: «أنت من تُدعى يانغ شيون؟ أنت أيها الحقير، مستواك التعليمي؟ كتبت إعلانًا عبارة عن هُراء. مستواك القتالي؟ لا تقوى على صد لكمة واحدة مني. بقاء الأنسة داي معك يشبه زراعة زهرة جميلة في مكب للنفايات. اسمع، اهتم لشؤونك، وأعدك بأن أعامل الأنسة داي مثل الجوهرة. وإذا لم تفعل، فقد تحريتُ عنك جيدًا. وسوف أجعل هذا المدعو لي يتخلى عنك، كما سأطلب من الأمن العام لهيئة السجل التجاري يحقق في مسؤوليتك عمّا حدث. مع السلامة، تصبح على خير».

انتظر يانغ شيون إلى أن تلاشت القوة الجاثمة على صدره، وقاوم على الفور لينهض، فوجد ذلك الرجل قفز في السيارة بالفعل، وكانت السيارة تعود عمدًا إلى الوراء، وأخذت تصطدم بشكل استفزازي بالدراجة ثلاثية العجلات وتواصل الرجوع إلى الخلف، إلى أن أحدثت صوت صرير، همّ متعمدًا بسحق جسد يانغ شيون، ثم انطلق مغادرًا. تحسس يانغ شيون أنفه فوجدها تنزف ثانيةً، وكان هناك ألمٌ حارقٌ في وجهه ومؤخرة رأسه، ذلك الرجل يده أثقل من يد أخي داي جياو فنج.

جلس على الأرض لبعض الوقت في حالة ذهول، ثم قام مترنحًا، وقف قليلاً مستندًا إلى الدراجة إلى أن استرد وعيه. وظل يسيل من أنفه دمٌ دافئ. لم يخطر على باله في هذه المرة أن يمسح عنه الدم حتى، فقد كان يريد أن ينزف إلى أن يجف دمه، لا بأس، حتى لو مات، لا بأس.

لكن وقبل أن يموت، ينبغي أن يتحرى هو الآخر ما خطب داي جياو فنج. تتبع طريق هربها ليعثر عليها، فوجد بوابة موصدة، فغالبًا

قد سمع حارس الأمن ما حدث بوضوح، وأغلق البوابة باكراً تجنباً للمتاعب. لم يتمكن يانغ شيون من الدخول، ولكنه لم يستسلم، فوقف في الخارج يصيح: «فغ يا صغيرتي، سأكون في انتظارك دائماً، سأنتظرك في المستودع دائماً. فغ يا صغيرتي، سأكون في انتظارك دائماً، سأنتظرك في المستودع دائماً. فغ يا صغيرتي، سأكون في انتظارك دائماً، سأنتظرك في المستودع دائماً...».

لم يدرك يانغ شيون نفسه كم من المرات قد صاح، فقط ظل يصرخ إلى أن ظهر أحدهم من خلفه وأخذ يوبخه وألقاه بشيء يريد أن يضربه، ولكنه رفض المغادرة أيضاً. إلى أن لم يعد حارس الأمن قادراً على التحمل، ففتح الباب الصغير وخرج منه محاولاً أن يكتم فم يانغ شيون، قال خافضاً صوته: «أيها الأخ الصغير، أرجوك امش من هنا، أنت لا تعرف حتى مع من تتشاجر. إذا أصرت على ما تفعل فسيحدث ما لا يُحمد عقباه. يا إلهي، ما كل هذا الدم! دعني أمسحه لك، ارفع رأسك».

شعر يانغ شيون بدوار في رأسه، وتركها في يد حارس الأمن، ثبت ناظره على الفناء الكبير شديد الظلمة بالداخل، لا يقوى على التحدث. منذ أن قابل تلك العثرة في تجارته بُتت فيه طاقة مضاعفة وانطلق هنا وهناك باحثاً عن مخرج، أما اليوم فقط، فقد انهار كلياً.

دفعه الحارس مثل الدمية ليركب الدراجة، ثم دفعه للخروج من هذا الشارع المُظلم الذي لا نهاية له. لم يكن يعرف كيف عاد إلى المستودع، ولا كيف أخرج زجاجة النبيذ ليشرَب منها، لا يعرف كيف أوقف رفاقه في المستودع المجاور، كل ما يعرفه

أنه حينما استفاق وجد صدره عبارة عن رقعة من الدم، ورأسه على وشك الانفجار من فرط الألم. أخذ يسترجع ما حدث الليلة الماضية ببطء وهو مستلقٍ على السرير كالجثة الهامدة لا يقدر على النهوض. مما لا شك فيه أن داي جياو فنع قد هجرته. ومن ثم فكر في كلام ذلك الرجل الذي يفوقه في الطول، فكر في سيارته الجيب، وكيف دهس بها دراجته ذات العجلات الثلاث، فتعجب كيف كان وضيعًا بكل تلك الدرجة ليلة البارحة! وهل لو كان يركب سيارة هو الآخر الليلة الماضية لاستطاع أن يسترد داي جياو فنع أم لا؟ لم يكن يفهم، لماذا هربت بمجرد أن رأته، لماذا ظلت تردد «لا عليك، لا عليك»، لماذا؟ هل من الممكن أن يزيد الأمر عن مجرد سوء تفاهم؟

كان خاملاً طوال اليوم، راقداً في الفراش لا يريد أن يعمل. ذهنه مشغولٌ بالكامل بما حدث الليلة الماضية، ولكنه عاجزٌ عن التعمق في التفكير فيه، فما إن يبدأ بالتعمق حتى يؤلمه رأسه ويوشك على الانفجار. لكنّه وبالرغم من انهياره، فما إن قدّم زبون إلى الباب حتى نهض. فبأي وجه يريد أن يستريح الآن؟! ظل فقط خاملاً، شاحبَ الوجه، ومكتئبًا لبضعة أيام. وبمرور تلك الأيام صار في مقدوره أخيراً أن يفكر في دُعر داي جياو فنع، يفكر في تهديد ذلك الرجل، ويفكر أيضاً في سخريته منه وضربه إياه. ومع ذلك فكان ما زال لا يعترف بأنها تركته لانخفاض مستواه التعليمي وقدرته على القتال، لا بد وأن ثمة سبباً ما، وإلا فلماذا كانت مذعورة إلى هذا الحد، لماذا قالت: «انتهى الأمر»؟ أم أن هذا الرجل يضغط عليها بأي وسيلة؟

ولكنه لم يُقبل قط على أخذ خطوة انتظارها في ذلك الشارع الذي ضرب فيه تلك الليلة، لا، ليس لأنه يخاف، بيد أنه كان ثمة صوت منخفض يستمر بالصراخ داخله، كان ذلك الصوت يحاول أن يخبره أن قلب داي جياو فنع هجره بالفعل. حاول مرارًا أن يكتم ذلك الصوت، ولا يترك نفسه للذهاب بتفكيره على هذا النحو، ولكنه أقسم أيضًا عاقداً العزم، عليه أن يتعلم! عليه أن يقاتل! عليه أن يكسب المال ويكوّن ثروة... ولكن، هل ستعود له داي جياو فنع مرةً أخرى؟

في مساء يوم السبت، اتصل يانغ شيون بعائلته متظاهراً بلا شيء. لم يُقل لأفراد عائلته وسط ذلك الضجيج الذي أحدثوه على الطرف الآخر من المكالمة أن داي جياو فنع تركته، وحاول أن يتصنع الضحك. كما طلب من يانغ سو أن يساعده في البحث عن الكتب الدراسية للمرحلة الثانوية، وأنه يريد أن يدرس ذاتياً. لم يلحظ أفراد عائلته الأربعة وعلى رأسهم والدته أي تغيير طراً عليه خلال تلك المكالمة. كما كان إخوته يتناقشون في أمر ذهابهم إلى أخيهم في العطلة الصيفية ليساعده، وكانوا في الأصل يُريدون أن يتخلصوا من حرارة الصيف ويوسعوا آفاقهم. ولكن والدتهم رفضت، وقالت لهم إن هذا سيتطلب الكثير من المال، علاوة على ذلك فإن ولديها على وشك الانتقال للصف الثالث الثانوي، وينبغي لهما أن يقضيا العطلة الصيفية في البيت والدراسة بجد.

بعد فترة وجيزة، أرسلت مجموعة من كتب الصف الأول الثانوي إليه بالبريد. كانت الكتب المدرسية التي تمت الدراسة فيها لثلاث سنوات في حالة يرثى لها، أخذتها والدته ورتبتها ثم جلدتها،

وقامت بتسخينها أكثر من مرة بالمكواة، ومن ثمَّ أرسلتها إليه. كانت سعيدة للغاية، فقد كانت تفكر فيما كان زوجها الفقيد يفكر فيه، وهو أن كل الأشياء تؤدي إلى القاع باستثناء التعليم، فهو يرفع من قدر صاحبه. كان يانغ شيون حينما يتصل بهم في الماضي يخبرهم بمتهى السرور أين ذهب للرقص وأين ذهب للشرب، ولكنَّها لم يكن يعجبها ذلك، وتشكو في نفسها سرًّا من أن زوجة ابنها اللعوب تريد أن تُفسده. لهذا مدحت فيها اليوم وبشكل استثنائي على الهاتف لأكثر من مرة، وقالت إنهما الآن كبرا، وصار في مقدورهما أخيراً قضاء حياتهما معاً كما ينبغي أن يكون. عجز يانغ شيون عن النطق حينما سمع هذه الكلمات، فقد غادرت داي جياو فنج، وأمه تمدح فيها فجأة، كم أن هذا في الحقيقة مثيرٌ للسخرية!

لم يعد ثانيةً إلى المنزل الذي سبق له وأن قضى فيه أياماً حلوة مع داي جياو فنج، وبحث بشتى الطرق عن فرصة لبيعه وتسديد الدين أولاً إلى لاو لي. حينما رآه لاو لي يتقدم بالتزام شديد، لم يعد قلقاً بشأن تسديد الدين، فالأسعار تزداد يوماً بعد يوم سرًّا وعلانية، ووضع الأموال في البنك للخروج منها بفائدة ضئيلة لا يضاهي الفائدة التي يخرج بها من وجود الأموال في يد يانغ شيون. ومن هنا توثقت العلاقة بينهما. لاحقاً، عاد رفاق بلدته تدريجياً واحداً تلو الآخر لفتح متاجرهم من جديد، لكن وبعد كل شيء كان هو من خطف الأنظار أولاً واحتل جزءاً لا يستهان به من المشهد، منهم من غضب منه ومنهم من حسده، ولكنَّهم عجزوا جميعاً عن منع تزعمه للمشهد في شارع الأجهزة الكهربائية بغموض بعدما رحل لاو وانغ. وتزعم المشهد يتطلب الاستغلال قليلاً طوال الوقت.

بعدهما عاد سونغ يون هوي إلى جيتشسو، لم يكد يملك الوقت لإلقاء نظرة على الربيع المزدهر في فناء منزله الأمامي والخلفي. هذا لأنه كان ما زال يتعذر بموضوع الالتهاب الكبدي، فلم يكن أمام تشنغ كاي يان خيار سوى أن تمكث في بيت والديها. كان وحده في المنزل، وظل خطأ الهاتفين الداخلي والخارجي ساخينين بالمكالمات، وثمة سيلٌ من الناس يقفون في الفناء أمام الباب بالخارج، ولكنهم لم يدخلوا، كانوا يبلغونه بما يريدون عند الباب وينصرفون. اعترف الجميع بالفوضى العارمة التي حلت بهم في ظل عدم وجوده، لا حاجة طبعًا للحديث عن أولئك الذين كانوا مقتنعين في الأصل بسونغ يون هوي، أما مهندسو الميكانيكا والكهرباء الذين لم يقتنعوا به في البداية، فقد أصابهم الخرس منذ ذلك الحين. وعلى الرغم من حاجتهم للذهاب إليه من أجل الحصول على توقيع، فإن ذلك بالنسبة إليهم أفضل من الانتظار لوقتٍ طويل دون جواب قاطع.

ارتاح أفراد فريق التحول التقني، ووصلوا إلى حالة من التنظيم، ولكن سونغ يون هوي كان مشغولاً على أوجه، فقد غرقت أعمال فريق التحول التقني في الفوضى خلال الأيام التي اضطر أن يغيب فيها، فكان أول ما عُنِيَ به بعد عودته إلى البيت هو تنظيمهم، فالتقط سماعة الهاتف وهاتف مسؤولي الفريق واحدًا واحدًا ليتقضى منهم حول مدى تقدم العمل، وبينما كان مشغولاً على خط الهاتف الداخلي، بحث أولئك الذين لم يستطيعوا الوصول

إليه بشتى الطرق عن رقم الخط الخارجي ليتصلوا به، ما جعل ذهنه مشتتاً منذ أن عاد إلى البيت طوال هذين اليومين.

تملك الشوق والقلق بتشنغ كاي يان، فتركت ابنتها مُلقاة في بيت والديها، وأصرت على الذهاب لتلقي نظرة على سونغ يون هوي، حتى ولو كانت أذناه كل واحدة منهما عليها سماعة هاتف، ولا يملك الوقت للتحدث معها، فلا بأس، يكفيها أن تجلس إلى جواره، وتحتضنه، تستشعر وجوده وكفى. كان هناك دائماً فاصلٌ قصير من الوقت، تنهدت تشنغ كاي يان، كيف يمكن للمرء أن يعيش حياته مشغولاً إلى هذا الحد، أما سونغ يون هوي فكان يختلف معها، يرى أن القارب الذي يبحر ضد التيار لا بد له أن يتقدم إلى الأمام وإلا سيُدفع إلى الخلف، فكيف يمكن للمرء أن يتوقف؟ ومع ذلك، فقد كان يأمل ألا تضطر إلى فهم هذه الأمور، فإن والدها وزوجها موجودان في قلب عاصفة جيتشو، وهما موضع اهتمام ومحط أنظار الجميع، لو فهمت كثيراً فلن تنعم بالراحة التي تحظى بها الآن. في بيتها بالفعل رجلٌ لا ينعم بالراحة، يكفي هذا، فهو يتمنى أن تكون هي ومن بعدها سونغ ين الصغيرة بسيطتين، وأن يملك أجنحة عريضة تحميهن مستقبلاً كما يفعل حموه تماماً.

[t.me/soramnqraa](http://t.me/soramnqraa)

لم ينسَ في خضم انشغاله أن يتواصل مع مدير المصنع مين من أن إلى آخر بشأن مشكلته الشخصية. فمنذ أن تحدثا في الموضوع لم يعد مين يُخفي شيئاً بالطبع، وتطلع كلاهما إلى مصنع ساحلي تخطط الوزارة لإنشائه. والبدء من الصفر له مزاياه، كأنها ورقة بيضاء، ترسم فيها بالضبط ما في ذهنك من خطط. كل ما في الأمر

أنه استمع إلى اقتراح مين، فحدّث نفسه قائلاً إنه تفاوض علانية للتو معه خلال الأيام القليلة الماضية، فكيف ركض ليجد حلاً بهذه السرعة؟! يبدو أنه كان يخطط منذ وقتٍ باكرٍ إلى إبعاده عن جينتشو.

من المؤكد أن مين يفهم بوضوح أن عدم إصدار أمر النقل الذي يُرضي سونغ يون هوي قبل مرحلة التركيب النهائية قد يتسبب في انتكاسته وإصابته ثانيةً بالتهاب الكبد الوبائي في وقتٍ ما. لقد عانى بالفعل كثيرًا، ولم يعد أمامه خيار سوى الوصول إلى حل وسط.

علم الأمين شوي من صديق قديم في الوزارة أن مين ينوب عن سونغ يون هوي في إنجاز ما يُريد مع الجهات العليا، وبتغيير طفيف في طريقة تفكيره، استطاع أن يستتج أن العدوين عقدا صفقة سرية. وباكتشاف ذلك، اختلفت نظرة الأمين شوي فورًا لسونغ يون هوي، فهو لم يتوقع مطلقًا أن يبدأ هذا المتحذلق في الانحناء والتنازل. وقد فكّر في هذا التكتيك من قبل ولكنه لم يتصور أن يسلكه سونغ يون هوي، ولم يعتقد بالأصل أنه، وبما يمتلك من طاقة شبابية، في مقدوره تقبل مثل ذلك الوضع. لم يتوقع أن يصدر منه مثل هذا التصرف هكذا بتلك الروعة. ما جعله يُعجب بفعلته من أعماق قلبه.

ومن ثمّ فحينما فكّر الأمين شوي في قرب مغادرة ذلك الشخص الذي عمل بجد على دعمه وتدريبه، شعر بعدم تقبل شديد للأمر. خصوصًا حينما فكّر في أن سونغ يون هوي لو رفض يديه وغادر، فلن يعودَ هناك وجود لشخصٍ قوي يفرض سيطرته

على مين، وهذا بلا شك لن يكون في مصلحته بالنسبة لحياته بعد التقاعد. فكر مرارًا وتكرارًا، فلم تُعجبه حقًا تلك الصفقة السرية التي عقدها سونغ ومين متجاوزين إياه، لم يكن يريد أن يتحول بعد التقاعد إلى مفعولٍ به. كان واضحًا للعيان أن دوافع مين تزداد يومًا بعد يوم، وصار هناك من يعترف بوجوده فحسب غافلاً شوي، ما جعله يزداد هو الآخر تعاسةً يومًا بعد يوم. كان يراقبه في صمتٍ بالجوار، ويفكر ليل نهار في تدابيرٍ مضادة.

انتهت الفترة التي ادعى فيها سونغ يون هوي التعافي من الالتهاب الكبدي بشق الأنفس، وفي اليوم الأول للعمل دُعي للذهاب إلى مكتب الأمين شوي. حينما التقاه الأمين شوي مدَّ يده بحرارة وأمسك بيده بإحكام، قال ضاحكًا: «ما زلت هزيلًا، ما زلت هزيلًا، لم يكن عليَّ أن أشغلك وأقلقك في فترة مرضك، ولكنني لم أجد شخصًا مناسبًا. هذا ما يقولون عنه: «في الشدائد تُعرف معادن الرجال»، حسنًا، الجميع يعلم الآن أنك يُعتمد عليك يا سونغ الصغير. تفضل، اجلس، لتجرب الشاي الأخضر خاصتي». شكره سونغ يون هوي كثيرًا، وأثنى على جمال إبريق الشاي ذي اللون الأرجواني المصنوع من الطين.

ضحك الأمين شوي وقال: «تعلمتُ من شيوي الصغير شُرب الشاي من هذا الإبريق». وصبَّ الماء بنفسه في فنجان سونغ يون هوي: «أنت من تكمل مسيرة شيوي الصغير، أكثر شخص فخورٌ به تدرب على يدي. كنت أعلم أن شيوي الصغير لن يمكث طويلًا، ولكن هل ستغادر أنت أيضًا هكذا بسرعة؟ أنت لم تترك لي خبرًا

حتى، هل نسيت الكلام الذي حدثتكَ به حينما جئتُ إليَّ في بيتي؟».

لم يتخيل سونغ يون هوي أن يتحدث معه الأمين شوي بوضوح مباشرة، فذهل قليلاً، ثم قال: «أنا لا أفعل هذا بإرادتي الحرة». «أليس في مقدورك التحمل قليلاً؟ ما زلت شاباً، أقولها لك وبصراحة، المستقبل لكم أتم. جيتشو بمثابة مسرح كبير بإمكانك أن تؤدي فيه، فأين يُمكنك أن تجد مثله إذا ما غادرت؟ هل ستستطيع أن تعثر على مثل تلك العلاقات الاجتماعية العميقة في جيتشو بعدما تغادر؟ هل تظن أن إيجاد علاقات اجتماعية جيدة لهو أمرٌ بهذه السهولة؟ أحمق».

«لكنك لا يمكنك أن تقرر نيابةً عني أيها الأمين شوي». «أنا فقط أسألك، هل تريد البقاء أم لا؟». «ليس في مقدوري البقاء في ظل هذه البيئة».

قال الأمين شوي في عجرفة: «هل قلتُ لك من قبل أنني سأدعك تغادر؟».

صدم سونغ يون هوي، ولم يجد ما يقوله، ماذا؟ ألن يستطيع الرحيل حتى ولو أراد ذلك؟! شعُر وكأنه لا يعرف هل عليه أن يضحك أم يبكي حينما نظر في كتاب «سجلات المؤرخ الكبير» الذي أخذه من مكتب الأمين شوي. ماذا دها هؤلاء الرجال الكبار، ماذا هم فاعلون به؟ ألا يلاحظ الأمين شوي أن هذا العالم لم يعد ينتمي إليه؟ لم يسعه سوى أن يتنهد، لم يتصور أن يظل هذا الرجل طموحاً حتى في شيخوخته. فقد رأى فيه بمجرد أن

جاء إلى جيتتسو بطلاً مهيباً، كانت له القدرة على إنجاز أي شيء بسهولة ودون أدنى جهد، مرَّ على ذلك سنوات قليلة، وها هو يقع في مثل ذلك الزلزل. بعدما علم حموه تشنغ بدأ يترك الأمر للحظ، فعلى الرغم من أن مين الآن في ذروة مجده كالشمس في وضوح النهار، ولكن سلطة الأمين شوي في جيتتسو كانت معقدة ويصعب التعامل معها، فبالنظر إلى ما يعنيه اليوم، هل يمكن أن يكون هناك أمل في المستقبل؟

حينما كان سونغ يون هوي يتناول الطعام عند الظهر، تسنى له الوقت أخيراً للتقليب في صفحات كتاب «سجلات المؤرخ الكبير» الذي أعطاه له الأمين شوي ليقرأه. ومع أنه كان يدرس بمفرده كتب المرحلة الثانوية وهو لا يزال في المرحلة الإعدادية، بيد أن أساسه اللغوي كان ضعيفاً للغاية، وحتى مع وجود حواشي توضيحية في الأسفل تفسر الكتاب، على أنه شعر بأن رأسه سينفجر بمجرد التقليب في صفحاته. ومع ذلك فقد استشف ضرورة وجود سبب جعل الأمين شوي يطلب منه قراءته.

قلَّب في صفحة من صفحات الكتاب كان بها إشارة مرجعية وضعها الأمين شوي، فوجد مقال «عائلة شياو شيانغ قوة الأرستقراطية»<sup>(1)</sup>. ألقى عليه نظرة سريعة، فأصابته الدهشة، إن هذا المدعو الأمين شوي لا يفعل شيئاً هباءً، فإعطاؤه له كتاب في خضم انشغاله لهذه الدرجة، بل وإعارته له كتاباً ليقرأه للمرة

---

(1) نصر كلاسيكي كتبه مؤرخ سلالة الهان الغربية سي ما تشيان، وتم تضمينه في كتاب «سجلات المؤرخ الكبير»، يشير «شياو شيانغ قوة» إلى شياو خه، أحد الأبطال المؤسسين لسلالة هان الغربية.

الأولى، لا بد ينطوي هذا التصرف على سبب، وبالطبع فإن موقع هذه الإشارة المرجعية يوجد بها المقال الذي يريده أن يقرأه أيضًا. قرأه سونغ يون هوي مرةً من بدايته إلى نهايته وهو ممسك بصحن الطعام، وكان يهز رأسه يمينًا ويسرةً في مخيلته، يبدو أن الأمين شوي قد شاب فعلاً، هل يُريد منه أن يتعلم من العبد شياو خه كيف اتبع ليو بانغ<sup>(1)</sup>؟ في أي عصر نعيش نحن؟ ناهيك من أن الأمين شوي ليس بطاغية مستبد يحكم جيتشو مدى الحياة، كما أن جيتشو ليست بمملكة إقطاعية ثابتة ومُحكمة، ألم يرَ الأمين شوي أن يوي شان تشينغ قد رحل بالفعل؟ وصار في إمكانه أن ينجح في حياته المهنية أيضًا؟ لماذا عليه أن يبقى في جيتشو ويقدم زناد فكره ليصل إلى طريقة تفكير الحاكم المستبد؟ لقد تغير العصر، وما زال تفكير الأمين شوي عالقًا في تلك الحقبة التي لا يُسمح فيها للكفاءات بالتحرك. في الحقيقة حموه كذلك هو الآخر، فما إن أخبره بأنه سيترك جيتشو، وكأن العالم سيتتهي بالنسبة له تمامًا، لكن أليسَ أشخاص مثل لي دونغ باو ويانغ شيون يعملون خارج أنظمة ويعيشون حياتهم بأفضل حال؟

لم يسع سونغ يون هوي سوى أن يهز رأسه يمينًا ويسرةً حينما كان يقرأ الفقرة التي أهلك فيها شياو خه نفسه من أجل تبديد شكوك ليو بانغ، ما أصعب أن تكون إنسانًا. أغلق الكتاب، وفكر

(1) الإمبراطور قاو تسو، ولد باسم ليو بانغ، هو الإمبراطور والمؤسس لمملكة هان سنة 202 ق.م، والذي شارك في إسقاط سلالة تشين سنة 206 ق.م. كان شياو خه من تلاميذه الذين ساعدوه على الانتفاضة.

فجأة، ألم يُهلك نفسه هو الآخر حينما تظاهر بإصابته بالالتهاب الكبدى؟ ثم عاد ليقرأ تصرف شياو خه، كان من بينه فقرة تقول:

في خريف السنة الثانية عشرة من حكم الإمبراطور قاوتسو، إمبراطور سلالة الهان، حدث تمرد تشينغبو، وقاد الإمبراطور الجيش بنفسه لقمع التمرد، وأرسل مبعوثين ليسألوا شيانغ قوة عن سبب التمرد. ونظرًا لوجود الإمبراطور بنفسه على رأس الجيش، عمل شيانغ قوة على استرضاء الناس وتشجيعهم، وأرسل كل ما هو مطلوب لتزويد الجيش بالإمدادات العسكرية، تمامًا كما حدث عند قمع تمرد تشينشيويو. قال أحد الناشطين لشيانغ قوة: «ستعاني قريبًا من كارثة الإبادة الجماعية. أنت شيانغ قوة، لديك أكبر قدر من الجدارة، ألا يمكنك أن تُزيد من إنجازاتك؟ فمئذ أن جئت إلى قوانتشيونغ، دخلت قلوب الناس بعمق، والآن وقد مرَّ أكثر من عشر سنوات، الناس كلهم يحبونك، أنت دائمًا ما تعمل بجد، وعليك أن تحصل على ترحيب الناس. والسبب في إرسال الإمبراطور لأناس كثيرين مرارًا وتكرارًا لسؤالك عن الوضع هو خوفه من استغلالك لهيبتك وزعزعة الاستقرار. لماذا لا تشتري المزيد من الأراضي الآن، تقترض وتشتري بالتقسيط بأسعار منخفضة لتدئس صورتك، (إذا ما فعلت ذلك) سيرتاح لك الإمبراطور. » ومن ثمَّ سمع شيانغ قوة لرأيه واتبع خطته، وسعد الإمبراطور قاو تسو كثيرًا.

قرأها سونغ يون هوي لأكثر من مرة، وأغلق الكتاب دون أن ينبس ببنت شفة. من الواضح أن المبادئ الإنسانية واحدة مهما اختلفت الأساليب المؤدية إليها. «سيرتاح لك الإمبراطور»، كم أن

هذا غير متوقع! خَمَّن سونغ يون هوي أن الأمين شوي يُريد منه أن يقرأ عن ولاء وإخلاص شياو خه، لكن وفي رأيه، فإنه لم يثر شغفه هذا، وكان لا يرى سوى جملة «سيرتاح لك الإمبراطور».

ولكنَّ سونغ يون هوي الذي عانى مؤخرًا من عذاب الاستقلال وسط عائلة لي، لم يعد فتى بريئًا، ضحك ببرود، ووضع الكتاب في الدُرج. يمكن أن يرتاح الإمبراطور، يُمكن أن يُخدع أيضًا، بل يمكن بالطبع أن يتمرد. لقد استشف ذلك بالتأكيد.

سرعان ما انتهت المرحلة الأولى من التحول التقني، وبدأت مرحلة التركيب والتشغيل. لم يكن سونغ يون هوي متحمسًا كما كان هو الحال أثناء مرحلة التركيب في الورشة الأولى، كما كان يؤخر الإعلان عن بدء المرحلة، كان ينتظر أن يضع مدير المصنع مين على مكتبه نسخة من أمر النقل القادم من الوزارة، تأكيد بوضوح من أنه سيصبح نائب المدير العام لمشاريع المصنع الساحلي المُخطط بناؤه، ومن ثمَّ أعلن عن أمر البدء. وباستثناء مين وسونغ، لم يكن يعرف بهذا الأمر سوى الأمين شوي صاحب النفوذ ونائب سكرتير الحزب تشنغ اللذين في مقدورهما استخراج الأخبار من فم سونغ يون هوي، ولكنَّ لم يكن ليعلن أيُّ من الأربعة عن الأمر، ومن ثمَّ كان سرًّا عن الجميع.

أما عن كبير المهندسين ليو فلم يظهر مرةً أخرى في المصنع الرئيسي، يبدو أنه كان محرجًا من رؤية الجميع.

كانت مرحلة التركيب في الورشة الجديدة تختلف عن التحول التقني؛ إذ كانت عبارة عن مجموعة من الأمور التافهة، مزعجة،

ولكنها ليست صعبة. فلطالما يعلم حساب ما يفعل جيدًا، لن يكون من الصعب عليه القيام به. علاوة على ذلك فقد كانت إعادة تأهيل مبنية على معدات قديمة، وكان الجميع في معظم الحالات على دراية بالمطلوب منهم، بل لم يكن سونغ يون هوي مضطرًا إلى الذهاب بنفسه إلى الموقع وفي مقدوره إبلاغهم بالتفاصيل بوضوح فقط، هذا لأنه قام بمسح ورسم جزء جزء من قبل. حينما وصلوا للمرحلة الأخيرة من التركيب، وحينما لم يتبق سوى عدد قليل من التعديلات على المعدات الرئيسية، امتلك سونغ يون هوي بالفعل بعض أوقات الراحة. وبشكل غير متوقع، قدّم طلبًا إلى مدير المصنع مين برغبته في تعلم قيادة السيارات. وجاء في نموذج الطلب الذي قدمه أنه يريد ذلك من أجل العمل على راحة الضيوف الأجانب عند استقبالهم. لكنه كان يعلم هو ومين جيدًا في قرارة نفسيهما: أي ضيوف أجانب هؤلاء الذين سيستقبلهم! إنه على وشك المغادرة على كل حال. ومع ذلك فقد وافق مين بترحيب، ما أجمل ذلك، سينشغل سونغ يون هوي أخيرًا عن مهامه التقليدية الواجبة. فقد أرخى راحته أخيرًا، وبالتعبية أرخى مين هو الآخر راحته. إذا تمسك سونغ يون هوي بمنصبه، حتى ولو تعب فيه إلى أن يبصق دمًا، وجاء أمر مفاجئ بنقله، لم يكن مين ليعرف كيف سيتم التحدث عنه من وراء ظهره، والقول بأنه لا يستطيع احتواء موظفيه. كان مين يعلم بوضوح نوايا سونغ يون هوي، ويعتقد أنه يهديه فرصة للتخلص من موقفه المحرج. ولشكره على ذلك، كان يريد أن يرسله بعيدًا في أقرب وقت ممكن. فوجود

شخصٍ ذكي مثل هذا يتمتع بمهارات عالية إلى جانبه، لم يكن ليجرؤ على أن يكون رئيسه المباشر.

لا توجد تقريبًا أي سيطرة للشرطة خارج منطقة المعيشة في المصنع الرئيسي، تدرّب سونغ يون هوي بسعادة على سيارة جيب مُهلكة من وحدة السيارات، كان يقودها يوميًا عند ذهابه إلى العمل وعودته منه متفخرًا للغاية، وبالطبع، فقد جلب له ذلك انتقادًا خفيًا من أناس ليسوا بالقليلين. خصوصًا الأمين شوي، الذي كان يذهب إلى العمل ويعود منه بالدراجة الهوائية، وحينما رأى سونغ يون هوي يطير بالسيارة، لم يملك إلا التهنّد، فهو ما زال شابًا عديم الخبرة في نهاية المطاف، وقد جن جنونه لما عرف بأنه سيغادر، ولم يعرف كيف ينهي الأمر جيدًا كما بدأه جيدًا، ما تسبب له في هزّة قوية.

انتهى التحول التقني بنجاح في الموعد المقرر، وتم الانتقال بمنتجات الورشة الأولى إلى مستوى جديد، وكان المصنع الرئيسي يعترم على إقامة احتفال، ولكنّ سونغ يون هوي رفض ذلك. بعدها لم يعد يذهب ثانيةً إلى الورشة الأولى، ولا إلى الورشة الجديدة، وبخلاف عمله في قسم التصدير، كان يتدرّب على القيادة، وشيئًا فشيئًا، وافق رئيس وحدة السيارات أخيرًا على تسليمه سيارة تويوتا كراون من المصنع الرئيسي ليقودها. حينما كان ينتهي من العمل يصطحب القطة الصغيرة والقطة الأصغر منها في جولة حول منطقة النزل عند المصنع الرئيسي، كانت سونغ ين قد تجاوزت بالفعل عامها الأول، وقد كانت في أقصى درجات سعادتها وهي تجلس في سيارة غريبة، كما كانت تشنغ كاي يان هي الأخرى

سعيدة، فهي لا تذكر كم من المرات ذهبت مع زوجها ليمرحا معًا. غربت شمس الصيف من وراء الجبال متأخرة، وخرج الجميع من منازلهم ليتسكعوا، كان منهم من يتهامسون حينما يرون سونغ يون هوي وهو يتدرب على قيادة السيارة، أما المعجبون به والمقتنعون بقدراته فلم يكونوا أيضًا بالقليلين.

أظلمت السماء أخيرًا، لم يجرؤ سونغ يون هوي على تعريض زوجته وطفلته للخطر، فقاد السيارة بترو إلى المنزل. توقف بجوار الفناء الأمامي، وطلب من زوجته أن تنتظر ولا تترجل منها؛ إذ أراد أن يفتح للهانم زوجته بُنبل باب السيارة. لم تستطع تشنغ كاي يان التوقف عن الضحك، ولم تفهم سونغ ين ماذا يحدث، ولكنها حينما رأت أمها تضحك بسعادة ضحكت هي الأخرى. وكما أراد، فتح سونغ يون هوي باب السيارة لزوجته وابنته بشهامة، حينما فتح الباب كانت تشنغ كاي يان قد فقدت أعصابها من كثرة الضحك، فلم تستطع حمل سونغ ين. ضحك سونغ يون هوي هو الآخر، ولكنه سمع صوتًا واضحًا آتيا من خلفه يناديه: «سونغ يون هوي».

صُعب سونغ يون هوي، وقال تلقائيًا: «شيون جيان شيانغ؟» واستدار، وجد رجلًا نحيفًا طويل القامة قادمًا بخطوات واسعة من الفناء الخلفي، استطاع أن يميزه تحت ضوء عمود الإنارة، من يكن إذن إن لم يكن شيون جيان شيانغ؟ كان قد ترك زوجته وابنته، وذهب للترحيب به مسرورًا، كانا لم يريا بعضهما لوقتٍ طويل، فتعانقا بقوة.

كانت تشنغ كاي يان تعلم أن هذا هو شيون جيان شيانغ، وتعلم كيف حماه سونغ يون هوي في وقتٍ مضى، كما كان زوجها يذكر

هذا الرجل كثيرًا بعدما تزوجا، وبسببه لم تنظر إليه قط على أنه إنسان سيئ لأنه سُجِن. حملت ابنتها وخرجت من السيارة، ثم أغلقت الباب وتقدمت إلى الأمام، قالت لابنتها: «أيتها القطة، هذا عمك شيون، صديق حميم لأبيك».

ربت شيون جيان شيانغ بقوة على كتف سونغ يون هوي قائلاً: «أخي، لم تنسَ أخوتنا، أنت تملك عقلاً سليماً، ما إن سمعت صوتي حتى عرفنتي، حتى شقيقي الذي من دمي لم يتعرف عليّ حينما سمعه. يا لنا من إخوة، لم تنسَ أخاك حتى بعدما ارتفع مستواك وقُدت سيارة. هيا، لنجلس في بيتك».

نظر سونغ يون هوي بابتسامة عريضة إلى شيون جيان شيانغ وهو يثرثر، وحين انتهى من كلامه قال له: «متى خرجت؟ ولماذا لم تُرسل إليّ خطابًا تُبلغني فيه، كنت لأستقبلك».

قال شيون جيان شيانغ: «أعلم أنك أهل لها، يعلم الجميع أنك أهل لها. فكرت، ألن أستطيع أن أصل إليك إذا ما بحثت عن القسم الثالث في الورشة الأولى؟ لم أتصور أنني وبمجرد أن اتصلت بك ردّ عليّ معلمك وقال لي إنك الآن ركبت الصاروخ! ليس سيئاً ليس سيئاً، حتى إنك سكنت في مجمع منازل المديرين. لم يكن قد تم بناؤه هنا بعد حينما غادرت في الماضي، يا إلهي، ما أكبر هذا المنزل، إنه عصري». كان يتحدث طوال الطريق بينما يضحك، وحينما دخل إلى المنزل، ووجد تشنغ كاي يان تأخذ ابنتها إلى بيت الخلاء، قال بصوت هامس: «كما توقعت، سعيّت خلف ابنة مدير المصنع تشنغ، يا لك من بارع!».

«ألسْتُ محظوظًا؟» شدّه سونغ يون هوي إلى تحت ضوء المصباح ضاحكًا، فوجده قد نحف، ولم يرَ في بنيانه القوة التي كانت فيه من قبل، كما رأى ندبة على وجهه بالقرب من شحمة أذنه، بدا عليه كُليًا فقدان تلك الحياة المُزدهرة التي كان يحياها قديمًا. علاوة على ذلك، فهو لم يشعر بأنه ما زال الشخص القديم الذي كان في ذاكرته بعدما تحدث بكل هذا الكلام، فقد كان شيون جيان شيانغ القديم يحب التظاهر بالرعونة، ويتحدث بشكل أخرق، وحينما يضحك لا يملك السيطرة على نفسه.

شعر سونغ يون هوي بالأسف قليلا تجاهه، حاول شيون جيان شيانغ الهروب من نظراته، وسعل سعالًا جافًا: «إلامَ تنظر، إلامَ تنظر، ألم يكبر أخوك خمس سنوات؟ ما زلتُ بطلاً كما كنت، أَلنَ تقدم إليّ شاي الضيافة؟».

«لا تتعجل شرب الشاي، أريد أن أسألك سؤالًا، هل جئتَ من البيت؟ أكلت أم لا؟».

«أكلت، شعرت بالجوع الشديد وأنا في الطريق، فذهبت إلى مطعم أولاً لآكل وأشرب. سألني مُعلمك هذا السؤال أيضًا حينما ردّ على الهاتف، ما أشبه التلميذ بمعلمه».

«متشابهان حقًا، هذا المعلم قويم الخلق، لقد أسأتُ استخدام سلطتي لتحقيق مكاسب شخصية بعض الشيء خلال العامين المنصرمين، نقلته إلى منصب به وريديات عمل، وكانت النتيجة أنه عمل في الوردية الصباحية لبضعة أسابيع، لم يتقبل أحدُ الوردية الصباحية قط، وكانوا يصرون على العودة للعمل بنظام الورديات.

لا تنظر إليّ نظرةً سطحية، من المؤكد أنك تلعنني الآن لأنني لم أحسن توظيف معلمي. اجلس، سأذهب لتحميص بعض الفول السوداني، لنرددش ونحن نشرب».

حينما رآه شيون جيان شيانغ يعامله بإخلاص، وضع عن كاهله العبء الذي كان يحمله، وضحك في ارتياح، ولكنها لم تكن الضحكة ذاتها التي كان يضحكها قديمًا. «هل ستشرب معي؟ هلم يا رجل، إنك تأخذ بضع رشقات من الشاي وتبدأ في إفراغ هموم قلبك، سأضطر إلى التنظيف خلفك إذا ما شربت الخمر». لم تتمالك تشنغ كاي يان التي كانت تبدل ثياب ابنتها نفسها من الضحك حينما سمعته.

«لتشرب أنت الخمر وأنا سأشرب الشاي، حسنًا؟ ستقضي ليلتك هنا، لن أسمح لك بأن تغادر».

«من قال إنني سأغادر؟ هل كنت لآتي إليك في المساء لو كنت مستعدًا للعودة؟ لنشرب إذن، وأنا لن أسمح لك أيضًا أن تذهب، جئتُ إليك من بعيد، وعليك أن ترافقني».

ابتسم سونغ يون هوي بسعادة حينما رآه يعود إلى عناده القديم، وذهب إلى المطبخ لإعداد الطعام. تبعه شيون جيان شيانغ، وأخذ يتفرج على البيت من حوله، رأى تشنغ كاي يان التي كانت بعيدة المنال في الماضي تتعامل معه بود وإخلاص استثنائي، وعلم أن أخاه هذا لظالما كان مهتمًا به وبحق، فمن المؤكد أن هذه هي نتيجة ذكره أمامها بالخير دائمًا. لقد قضى في السجن خمس سنوات، وعلى الرغم من عدم اعترافه بالتهمة المنسوبة إليه، فإنه كان يشعر

بالخزي بعد كل شيء، حينما خرج ورأى سونغ يون هوي وقد ارتفع مستوى معيشته، وحينما التقاه وجده يقود سيارة سوداء لامعة، فشعر بالحساسية تجاهه، وهنا فقط أحسنَّ أخيراً بالارتياح، دخل وراء سونغ يون هوي إلى المطبخ، ثم خرجا منه، أخذ كأس النبيذ وبدأ يحكي له عن السنوات الخمس الماضية.

أغلقت تشنغ كاي يان باب غرفة النوم، وحملت سونغ ين بين ذراعيها لتنام، ومن ثمَّ خرجت وجلست بجانب طاولة الشراب تستمع إلى كلامهما. وجدت زوجها وقد احمرَّ وجهه بمجرد أن شرب بضعة كؤوس، لكنَّ عينيه كانتا تلمعان، والحماس يملأ وجهه، كلامه أيضًا لم يكن بالقليل، وحديثه متعثر، لم يكن ذلك يشبه حديثه القليل المتوازن المعتاد. أعادت النظر إلى شيون جيان شيانغ، فوجدته يأخذ رشفةً تلو الأخرى من النبيذ، وكأنه لن يشمل، كانت عيناه جاحظتين بينما يتحدث، تبدو شرسة للغاية، كان في الحقيقة مرحًا جدًا.

حينما رآها تنظر إليه باستغراب، انتهاز فرصة صبَّه للخمر، وقال خجلًا في لا مبالة: «أبدو شرسًا للغاية، حتى بعد إعادة تأهيلي في الأشغال الشاقة، لا فائدة».

سرعان ما قالت ضاحكة: «لست شرسًا، فقط خشيت منك قطننا الصغيرة بعض الشيء».

قال سونغ يون هوي: «أي شراسة هذه؟ حينما تم توزيعي وجئتُ إلى هنا، كانت عيناك تُفرغانا جميعًا بما فيه الكفاية، الآن أحسبهما صارا أكثر رحمة». ضحك شيون جيان شيانغ: «أما زلت

مستاءً مني؟ لقد أخفتهم جميعًا في البداية، وكنت أنت الشاب الأكثر مكرًا من بينهم، فزعت ولم تسقط. كما توقعت، كنت الأكثر نبوغًا، حتى إنك سكنت في مجمع منازل المديرين في هذا العمر الصغير، وصارت لديك زوجة وطفلة».

ابتسم سونغ يون هوي: «هل فكرت في العودة إلى جيتشو أم لا؟ أمامي بضعة أيام هنا، يُمكنني مساعدتك، هذه فرصتك».

«لن أعود إلى جيتشو، هذا المكان الرديء قديمٌ ومقفر. حينما دخلته بعد خمس سنوات وجدته على وضعه القديم وقد تغيرت جميع الأماكن الأخرى. كان لدي إخوة في السجن من قوانغدونغ، اتفقوا معي على العمل في السيراميك، ذهبتُ إلى هناك أولاً لألقي نظرة، ووجدت حقًا بضعة متاجر فحسب تعمل في السيراميك، يُمكنني أن أقوم بهذا العمل».

«هل لديك تمويلٌ كافٍ؟».

«ليس كافيًا بالطبع، لا أملك في البيت سوى القليل من المال. ظننتُ أن جيتشو ثرية، ولكنني حينما استقصيتُ عن الأمر، وجدتها ليست ثرية كثيرًا، انتظرت خمس سنوات، وحينما خرجت وجدت الأسعار مرتفعة كثيرًا لدرجة أنني لم أعرف عليها، لم يعد المال الذي ادخرته قديمًا يساوي شيئًا. وهذا بيتك أيضًا لا يحتوي على الكثير من الأثاث، تبدو أيضًا لا تملك المال، لن أسألك أن تقرضني».

قال سونغ يون هوي مبتسمًا: «دائمًا هناك شيء يستحق المال». كان يتحدث بينما يخلع ساعة يده، ووضعها أمامه: «هذه من

شانغهاي، يصل سعرها إلى بضع عشرات الآلاف. حينما تذهب إلى قوانغدونغ ابحث عن مكان تبيعها فيه بسعر جيد، فثمة كثيرون يفهمون في جودة البضائع هناك، ردها إليَّ حينما تجني المال».

ولللحظة، بُهت كلُّ من تشنغ كاي يان وشيون جيان شيانغ. كانت تشنغ كاي يان تشعر بالفرح والوجع في الوقت ذاته، كانت فرحة لأنه سيبيع ويتخلص من هدية ليانغ سي شن، وتشعر بالوجع لأنها كانت تساوي بضع عشرات الآلاف، ولا تعلم ما إذا كان سيستردها ثانيةً بعدما يقرضها له أم لا. لكن ولطالما نطق سونغ يون هوي بهذا الأمر، فعليها أن تدعن له على كل حال وألا تعترض. أما شيون جيان شيانغ فقد استصعب الأمر كثيرًا، ورد إليه الساعة قائلاً: «لا أريد كل هذا المال، كما أنني لستُ في حاجة للذهاب إلى قوانغدونغ، أخبرني هؤلاء الإخوة بأنهم سيرسلون إليَّ البضاعة لأبيعها هنا في المقاطعة، سأذهب وأطلب القليل من البضائع لأعمل فيها، يكفي خمسة أو ستة آلاف».

قال سونغ يون هوي: «قد تبدو نصيحتي ثقيلة ولكن عليك أن تسمعها يا شيون جيان شيانغ، لقد اختلفت هويتك، وتريد أيضًا أن تفتح متجرًا صغيرًا، وتشتري من التجار لتبيع أنت بالسعر نفسه، قل لي أين سيذهب الناس ليشتروا، منك أم منهم؟ ولكنك إذا أخفضت السعر قليلاً، لن تكسب شيئًا. عليك أن تستثمر استثمارًا أكبر قليلاً، وأن تكون خطواتك أعلى من خطوات الآخرين، أن تكون واجهة متجرك أجمل بعض الشيء، وتأخذ البضائع مباشرة من المصانع التي يتعامل معها إخوتك، تبيع بالجملة والتجزئة، وحينها ستكسب المال».

نظر شيون جيان شيانغ إليه طويلاً وهو صامت، ثم استدار برأسه وقال لتشنغ كاي يان: «هل توافقين؟».

لم تتصور تشنغ كاي يان أن يسألها هذا السؤال، فقالت في تردد: «لدي أيضاً خاتم ذهب، أعطته لي أمي عند الزواج، ماذا لو تأخذه أيضاً».

قال سونغ يون هوي ضاحكاً: «هذا تذكار زواجنا، لا تفرطي فيه». وسرعان ما قال شيون جيان شيانغ: «هذه الساعة ستكون كافية وأكثر، لم أقصد أن أطلب منك شيئاً آخر. حسناً، لقد قبلتها، لن أخجل». ارتدى الساعة، وقال بتأثر عميق: «أحضر لي ورقة، سأكتب لك إيصالاً».

«لماذا ستكتبه؟ إنها بضع عشرات آلاف فحسب، إذا ما أردت أن تعيدها فلا بد وأنك ستعيدها، وإذا لم تُرد، فلا فائدة من ذلك ولو كتبت ألف إيصال. لطالما ستعمل بجد على جني المال، وستُسرع بالبحث عن زوجة طيبة مثل زوجتي، فهذا سيسعدني».

حينما سمعت تشنغ كاي يان ثناءه عليها أمام صديقه سعدت كثيراً، ونظرت إليه بوجه مرح: «متى أعجبت بي أنت؟ بل أنا من تعبت في اللحاق خلفك».

«لديك نظرة ثابتة، على عكس بعض الفتيات، يقعن فقط في حب الشباب الوسيم...». لكن وحينما نظر شيون جيان شيانغ إليها، ثم أعاد النظر إلى صديقه سونغ يون هوي، ابتلع الباقي من كلامه بداخله. فبعدها عرف من قائد القسم الثالث أن سونغ يون هوي يريد أن يتزوج ابنة مدير المصنع تشنغ، كان يشك دائماً فيما

إذا كانت طباع سونغ يون هوي سوف تتغير كثيرًا في هذه السنوات القليلة الماضية. وإلا فلماذا كان يقول في الماضي إن الأشخاص ذوي العقول المتواضعة لا أمل فيهم، ومع ذلك اختار تشنغ كاي يان لتكون زوجته رغم أنها أقل ذكاءً من ليو تشي مينغ؟ هل يمكن أن يكون قد صار متغطرًا الآن؟ ولكن لا يبدو هذا عليه حاليًا، كانت الشكوك تملأ ذهنه.

علم سونغ يون هوي أنه كان يقصد شيئًا مما قال، وبينما يهّم بالرد عليه، جاءه اتصال على الخط الداخلي فجأة. كان الشخص المناوب في وحدة السيارات هو من يتصل، يريد منه أن ينتظر في المنزل، وأن الأمين شوي يريد أن يستخدم السيارة، وأنه خرج فورًا لأخذ السيارة. وافق سونغ يون هوي، ونظر تلقائيًا في ساعة يده، فتذكر أنه أعطها لشيون جيان شيانغ، فلم يسعه سوى سحب يد تشنغ كاي يان السمينية للنظر في الوقت، وتعجب من خروج الأمين شوي في هذا الوقت المتأخر.

جاء موظف وحدة السيارات بعد فترة وجيزة، أخرج سونغ يون هوي المفاتيح وسلمه السيارة. كان شيون جيان شيانغ ينظر إليه بينما يخرج، وقال في نفسه إنه كان يعتقد بأن سونغ يون هوي سيتجاهله حينما يصير مسؤولاً، لم يتصور أن يظلا أخوين حميمين. فقد تغير كثيرًا بعدما سُجن لخمس سنوات، تغير وصار شكّاكًا، تغير لدرجة أنه فقد الثقة في نفسه، ولكنّ تغيره هذا أيضًا جعله قادرًا على ارتداء قناع، كان سونغ يون هوي يعامله كما كان في السابق، عند الحديث من الناحية الودية، فكأن تلك السنوات الخمس لم تمر، ما جعله مرتاحًا بشكل لا يوصف، وممتنًا كذلك للغاية، فبالنسبة

إليه، كان ذلك الود يرقى به إلى مستوى آخر، مستوى يعني له أن سونغ يون هوي لا يحتقره. أراد في الأصل أن يذهب إلى بيت بيت ويقترض بضعة آلاف ظناً منه أنهم سيحفظون الود القديم، حتى إنه لم يكن يعرف كم سيمكث في جينتسو، ولكنه لم يتصور أن تُحل المشكلة بتلك السرعة، عليه أن يكد ويجتهد حقاً فيما بعد. بعدما خرج سونغ يون هوي، سألته تشنغ كاي يان عن السجن في فضول، وعلى الرغم من رده عليها في سرور، ولكن كان يشعر في أعماق قلبه بشيء من الصراع، فهذه بمثابة ندبة في قلبه، لا يريد أن يذكرها. ومن ثم فقد تظاهر بأنه أكثر فضولاً من تشنغ كاي يان وهم بالخروج خلف سونغ يون هوي ليعرف منه ماذا هناك.

في اليوم التالي، وبينما كان شيون جيان شيانغ متجهًا إلى قوانغدونغ في الجنوب مرتدياً ساعة سونغ يون هوي، كان لي دونغ باو في طريقه إلى بلدة داتشيو في مقاطعة تيانجين بالشمال مصطحبًا لي تشنغ مينغ ولي تشونغ فو مع فريق قادم من المدينة في رحلة للتنزه والتعلم، وترك خلفه في القرية لي شي قن وشي هونغ وي ليهتما بشؤونها.

كان ثمة أمر يمثل صدامًا في رأس لي دونغ باو؛ إذ كان كثيرًا ما يسعى خلفه أهالي القرى الأخرى ويسألونه عن المشاريع التي يجب أن يبدؤوها، والمصانع التي عليهم فتحها ليجنوا منها مالاً، وقد كان هو الآخر يقدر زناد فكره في الماضي ليعرف كيف يمكنه تكوين ثروة، ومن أين يجب أن يبدأ، ولكن الأمر الآن اختلف، ففي الوقت الراهن يركض خلفه أكابر التجار ليوافق على توسيع تجارته، أضف إلى ذلك شهيتهم الواسعة في العمل. كان هونغ وي

يريد أن يتولى إدارة عمل الأعمدة الأسمنتية للكابلات، وبالمناسبة فإن هونغ وي أكثر من هو مؤهلٌ لذلك. بعدما قرأ تشونغ فو المعلومات الضخمة التي أرسلها لهم شيوي الكبير مع شخصٍ تتحدث عن هاضم الغاز الحيوي في مزرعة الخنازير، وبعدها تحقق من المعلومات اقترح إنشاء هاضم الغاز الحيوي، والعمل بتقنية الزراعة الشاملة ثلاثية الأبعاد، والتخطيط لتنمية الزراعة والغابات اعتمادًا على مزرعة الخنازير، ووضع تصورًا لتسلسل مزارع الخنازير اعتمادًا على نتائج المزارع والغابات، كان التخطيط على نطاق واسع، ما جعل لي دونغ باو يشعر بأن عقله فارغ تقريبًا بعدما استمع إليه، أما الوسائل التي اقترحها تشونغ مينغ فكانت أعظم، إذ فاجأهم باقتراح تسهيل تدعيم خط إنتاج صب مستمر ودلفنة لقضبان النحاس منخفضة الأكسجين لإنتاج الأسلاك والكابلات، وسيحتاج ذلك في الحقيقة إلى استيراد المعدات من الخارج، والإنفاق على المشروع بالدولار الأمريكي، إذ سيبلغ تكلفته أربعة ملايين دولار أمريكي. يا إلهي، لطالما ظنَّ لي دونغ باو أن استيراد المعدات من الخارج يخص المصانع المملوكة للدولة كالتي يعمل فيها سونغ يون هوي وغيره.

بعدها أحس بأن هؤلاء الثلاثة يطاردونه، ظلَّ لي دونغ باو يردد عبارة واحدة لثلاث مرات، «والمال؟ والمال؟ والمال؟». توقف الجميع عن الكلام على مضض، لكن وبعد فترة وجيزة عادوا إلى إقناعه بعيون لامعة. في الحقيقة لقد أعجب لي دونغ باو بالمشاريع التي اقترحها ثلاثتهم، فمن لا يتوق إلى مستقبل أعظم وأعمق؟ لقد تحمس بينما كان يستمع إلى إقناعهم له، تذكر ذلك العام الذي كان

رأى فيه بصيص الأمل بعدما عمل أحد أفران القرميد، فما بالك بحالته الآن! كان يصيح في نفسه يوماً بعد يوم: «عليّ إيجاد المال! عليّ إيجاد المال! عليّ إيجاد المال!».

ذهب إلى المحافظة لمناقشة الأمر مع تشن بينغ يوان، وسأله تشن بينغ يوان من أين سيحصل على المال أيضاً. ومع ذلك فقد أيد بشدة مشروع لي تشونغ فو، وقال في مشروع هونغ وي إنه ليس كبيراً بما يكفي، أما عن مشروع تشنغ مينغ فنظراً لأنه ينطوي على نقد أجنبي، ستكون إجراءات الموافقة كثيرة بشكل مفرغ، علاوة على ذلك فإنها ستكون مؤسسة ريفية، وقد لا توافق لجنة التخطيط والاقتصاد على دراسة الجدوى الخاصة بهم. يمكن أن يسير فقط مشروع تشونغ فو. كانت شياوليجيا تبذل قصارى جهدها في الوقت الحالي لتطوير الصناعة فيها، وقد اصطحب قادة على مستوى رفيع في الربيع وذهبوا لتفقدتها، وكان القادة الكبار لديهم تحفظات كبيرة على هجر جزء من أراضي القرية. وعلى الرغم من أنه تعذر حينها ليخدع القادة بأن المزارعين الأثرياء لا يحبون تناول الأرز المزروع في الموسم المبكر، لذا فإنهم لم يزرعوا الأراضي، وانتظروا الصيف لزراعة الأرز المحبب إليهم في أواخر الموسم مباشرة، وبالكاد تمكن من إقناعهم، ولكنه كان على ثقة بأنه من المؤكد سيكون من بينهم قائد لا يُخدع بسهولة، وأنه ستحدث مشكلة في يوم ما إذا لم تُزرع أراضي شياوليجيا المتعاقد عليها. كان اقتراح تشونغ فو هو التكيف مع الظروف المحلية. ومن قبيل المصادفة، كان تشن بينغ يوان في يده قائمة تضم أماكن فارغة لثلاثة أشخاص من أجل زيارة أماكن تُعد مثلاً يُحتذى به في

التنمية الاقتصادية الريفية الجيدة مثل بلدة داتشيو، وقد استحوذ لي دونغ باو على القائمة بأكملها، وأراد أن يصطحب تشونغ فو، وتشنغ مينغ، هذين الأسدين، رفيقيه المفوهين، للذهاب إلى تلك القرية المتقدمة ومعرفة ماذا يفعلون فيها.

خرج من مكتب لجنة المحافظة، وذهب إلى وي تشون هونغ لأنها كانت في طريقه، ولكنه لم يتصور أن تقول له في تردد إنها تريد أن تقطع علاقتها به لمدة شهرين؛ إذ إن ابن زوجها الذي كانت تربيته في بيته سيأتي ليجتمع بها في العطلة الصيفية، ولم يكن لقاؤهما الحميمي في المطعم مناسبًا ليحدث أمامه. وافق لي دونغ باو فورًا، ولكنه بمجرد أن غادر قفز الشك إلى قلبه، كيف لم تخبره في العطلة الشتوية قبل نصف عام بأمر هذا اللقاء؟ فقد استدرجته إليها في عطلة نصف العام. لم يمر يومان وأعاد الذهاب إلى المحافظة، فرأى مطعمها وقد بدأ تزيينه وتغيير ديكوراته بشكل مفاجئ، كان يعرف المقاول الذي يرأس العمال، وحينما سأله، حُلت الشكوك التي كانت في ذهنه، وفهم أنها تريد أن تجعل المطعم عبارة عن ثلاثة أدوار بدلاً من دورين. قال في نفسه أليس هذا الدور الثالث هو الذي كان ينام فيه معها؟ لقد تعذرت بأمر الطفل لتبعده، هذه هي تصرفات زوجة الأخ آتشينغ الصغيرة. وبينما يفكر في الأمر تملكه الغضب، وقرر أنها مهما قالت فهي ستحاول تبرير فعلتها، وأنه لن يقابلها ثانية، حتى ولو غيرت رأيها في يوم ما فلن تجده. ولكنه لم يُرد أيضًا أن يستغلها، فأعطى المال لأحقًا بعدما عاد للعامل الذي يذهب لتوصيل البضائع في قوانغدونغ وطلب منه شراء ثلاثة مصابيح متدلّية وإهداءها لها لتزيين المطعم.

لم تكن المصاييح المتدلية وصلت بعد، وبينما شرع في طريقه إلى الشمال رفقة المجموعة، كان يضحك ويتبادل أطراف الحديث مع أولئك الكوادر في القرى المتقدمة والقادمين من المدينة نفسها، كانت الأجواء مفعمة بالحيوية، ولكنه ما إن فكر في وي تشون هونغ حتى شعُر بالضيق. كان لا يزال يفكر، لماذا عليه أن يشاق لامرأة مثلها؟ ومع ذلك، فقد فكر في لطفها معه حينما هدأ وتملك منه الشعور بالعجز. أحسَّ بأن اشتياقه لها يعني تغيير مكانة سونغ يون بينغ في قلبه، ما جعله يسيطر على نفسه ويمنعها بإصرار من التفكير فيها. ولكنّه فقط كان فاقداً للسيطرة على أحلامه.

لكن وبمجرد الوصول إلى بلدة داتشيو، ورؤية الريف ذاته مع اختلاف التطور فيه، والاستماع إلى أمين بلدة داتشيو يوي تسوة مين وهو يتحدث بفخر وإيجاز، والاستماع أيضاً لتقارير إيرادهم المالي والرؤى العظيمة التي يطمحون إليها، سرعان ما ألقى بوي تشون هونغ وراء ظهره. الريف نفسه، والبدء نفسه من لا شيء، علاوة على ذلك فقد رأى في يوي تسوة مين الشخص الجلف ذاته، فلماذا إذن تمكنوا من تطوير اقتصاد جماعي قوي اعتماداً على الأراضي المالحة القلوية التي لا تضاهي أراضي شياوليجيا في الخصوبة؟ حينما رأى بلدة داتشيو، أدرك لي دونغ باو أنه كان متعجباً معتداً بنفسه في الماضي، واتضح له أنه لا شيء مقارنةً بهذه البلدة.

كانت دراسة مجموعة المدينة تقتصر على يوم واحد، وفي اليوم التالي غيَّروا وجهتهم ليذهبوا إلى قرى أخرى متقدمة، تحركوا من تيانجين، وذهبوا مباشرة إلى بينغكو في شبه جزيرة جيانداو، كان

لي دونغ باو يشاهد بينما يفكر، حينما يفرغون من رحلة التعلم هذه، سيرسل تشنغ مينغ وتشونغ فو إلى هنا مرة أخرى، فهو يريد أن يستكشف بنفسه بلدة داتشيو.

قال قائد فرقة المدينة إنه يريد أن تتعلم شياوليغيا من أسلوب بلدة داتشيو، وأن ينظم قافلة إليها، فعلى كل حال طريق قرية شياوليغيا واسع وفسيح. لم يرد عليه لي دونغ باو، ياله من وغد، يريد أن يرى استمتاع أهالي القرية بها دون أن يرى كفاءتهم في العمل.

كانت المرة الثانية التي جاء فيها إلى بلدة داتشيو تختلف عن المرة التي تسبقها والتي كان عقله غائبًا فيها؛ إذ ركّز تفكيره هذه المرة، وجاء حاملاً معه أسئلة. كانت لديه الكثير من الأسئلة، فعلى سبيل المثال: أراد أن يعرف كيف حلّت بلدة داتشيو مشكلة رفض الفنيين القادمين من المدينة الاستقرار في القرية، ومسألة رفع المستوى التقني لدى أهالي القرية بشكل شامل، وكيفية التقدم في تعميق التنمية استنادًا إلى الأساسات الحالية، وكيفية التركيز على التطوير وغيرها من المشكلات.

ومع ذلك، فقد كانت شياوليغيا قريته يأتيها الزوّار كل يوم، فما بالك ببلدة داتشيو الشهيرة بتقدمها؟! لولا وجوده ضمن مجموعة، ما كان ليجد فرصة في الأصل يستفسر فيها عمّا يريد. لقد أظهر الحماس نفسه الذي أظهره عندما قطع نظام التوريد والتسويق عنهم إمدادات الأسمت والصلب، واصطحب سي باو معه ليدقا الأبواب ويتوسطا بكلمة طيبة وعلى وجهيهما ابتسامة

تواضع وخنوع، لم يخجل من طرح الأسئلة، وقدم لهم السجائر كهدية، وبرغم عدم رؤيته ليوي تسوة مين مرة أخرى، ولكنه تواصل مع مسؤول كبير. كان الرجل مشغولاً لدرجة أنه لم يعطه وجهًا، ولكنه حينما وجد لديه مهارة في طرح الأسئلة، ولا يشبه تلك المجموعات من الزوّار الذين يُريدون أخذ معلوماتٍ سطحية فحسب، ويتجمعون حول سيارة مرسيدس-بنز سيدان يحدقون فيها بعيون فارغة، فاستقبل لي دونغ باو. بعد أكثر من وجبة طعام تناولها معه، استطاع لي دونغ باو الوصول إلى إجابات واضحة حول طريقة تفكيرهم في بلدة داتشيو تقريبًا، كما استشاره بوصفه يسبقه خطوة حول تطوير شياولي جيا قريته.

حينما وصل إلى محطة قطار تيانجين، تذكر فجأة أنه ينبغي له أن يناقش تجربته التعليمية مع شيوي الكبير، والاستماع إلى آرائه فيها، فغيّر وجهته إلى بكين. لم يتصور أن يجد شيوي الكبير قد غادر البلاد في جولة تفتيش، فلم يجد أمامه سوى العودة إلى بيته مغتمًا، وخلال الطريق، كانت الخطط هي جُل ما يُشغل تفكيره، لم يستطع أخذ قيلولة نهارًا من فرط الحماس، فاستلقى على السرير الصلب مُحدقًا بعينه وكأنه تشانغ في<sup>(1)</sup>، يطلق العنان لتفكيره، وكلما ازداد تفكيرًا ازداد حماسةً، يتمنى لو ينمو لجسده جناحان، يطير بهما عائداً إلى بلده للتنفيذ. في ذلك الحين لم يتذكر قط وي تشون هونغ ومن على شاكلتها. بعدما وصل إلى شياولي جيا، قال له شخصٌ إن المصاييح المتدلّية قد تم توصيلها بالفعل إلى مطعمها، فأوما برأسه فقط وانصرف عنه.

(1) أحد القادة الأقوياء في عصر الممالك الثلاث، معروفٌ بشجاعته وتهوره.

كان أول ما فعله لي دونغ باو بعد عودته إلى شياوليغيا هو نقل علاقاته من المحافظة إلى المدينة، فسعى إلى التواصل مع الأماكن الرفيعة في الهيئة التعليمية بالمدينة بعد أن كان على تواصل مع الهيئة التعليمية في المحافظة، وأنفق عشرة آلاف يوان، وأرسل جميع طلاب المرحلة الثانوية الاثني عشر الذين لم يلتحقوا بالجامعة هذا العام والعام الماضي للدراسة في الكليات المهنية بالمدينة وفقاً لتخصصاتهم. سيدرس الذكور منهم الهندسة الميكانيكية والكهربائية، وتدرس الإناث المالية والمحاسبة. وفي اليوم السابق لبدء الكليات المهنية الدراسة، عمل بجد وبلا كلل على استكمال جميع الإجراءات، وفي اليوم التالي نقلت شاحنة الطلاب الاثني عشر ذكوراً وإناثاً إلى الكليات المهنية ليكونوا طلاباً جامعيين فيها.

ركض لي دونغ باو متجهًا إلى تيانجين، وبعد عودته منها، وحينما كان يركض يوميًا متجهًا إلى المدينة، كانت والدته تستقل حافلة من القرية متجهة إلى المدينة هي الأخرى. إذ انتشرت شائعات مفادها أن الدولة لم تعد تهتم بأسعار السلع، وأن المتاجر سترفع الأسعار كما يحلو لها، ما جعل والدته تقلق، ما أفضع ذلك! هل سنقبل أن ترفع المتاجر الأسعار فيما بعد وتسرقنا؟ فاجتمعت على الفور مع أخواتها العجائز وأجمعن أمرهن على أخذ المال ونهب جميع ما في متاجر القرية والأرياف والمحافظة، وبعد ذلك يستقلن سيارة إلى المدينة مباشرةً لنهب متاجرها. كان الناس يتجمعون أمام المتاجر، يصطفون كالجيوش وكأنهم بصدد حرب، وكان الرجال والنساء الأثرياء في شياوليغيا يتعاونون معًا

في تلك المعركة، تساعدني وأساعدك، إذا ما رأيت شيئاً اشتريه،  
والمال ليس مشكلة ما دامت البضائع موجودة. بعدما انتهى لي  
دونغ باو من جدول أعماله المزدحم هذه الفترة، ألقى نظرة على  
البيت، فوجد الطاولة عليها صفوف من زجاجات المياه الساخنة،  
وعلى السرير أكوام من البطانيات الصوفية وبطانيات من ألياف  
الأكريليك والقطن المكبوس في طبقات رقيقة والألحفة وأقمشة  
الملابس والخیوط الصوفية والمنامات القطنية. أما الأرض فكانت  
مزدحمة بأطباق الغسيل والدلاء وعُلب الألومنيوم والصحون  
الخزفية وعيدان الطعام والمجارف والآنية الحديدية وغيرها من  
اللوازم، وكان المطبخ مليئاً بأكياس كبيرة من الأرز والمعكرونة،  
وزجاجات البيرة والبيذ الأبيض، أضف إلى ذلك ثلاث كراتين  
من المعكرونة سريعة التحضير. كان المشهد يُسر العين، وكأن في  
مقدورهم تقريباً فتح متجرٍ صغير.

وعلى الفور، قطع لي دونغ باو الإمدادات المالية عن والدته.  
أم أنها تريد شراء احتياجاتهم مدى الحياة؟ بالنسبة لشراء الأشياء  
فيما بعد، فليكن بعدما يجني المال اللازم له، فقد كان على ثقة  
تامة بأنه سيتمكن من الشراء ما دام الآخرون يتمكنون من ذلك.  
وعلى قدر ارتفاع أسعار السلع فسيجني مالاً أكثر مما يحتاج  
لشرائها. فعلى سبيل المثال البضائع التي تنتجها المصانع التي  
تحت إدارته هذه الأيام، سترتفع أسعارها هي الأخرى يوماً بعد  
يوم، وهناك من الناس من نهبوا جميع البضائع المخزنة ولم يتركوا  
منها شيئاً، كما أن هناك أناساً آخرين ودوا لو أنفقوا أموالاً باهظة  
لشراء إناث الخنازير الكبيرة وذبحها، فالأسعار ترتفع في المتاجر

يومًا بعد يوم، وشياوليجيا تجني هي الأخرى مالا وفيّرًا يومًا بعد يوم. لكن ما جعل والدته تُحَبِّط هو أنها لا تجرؤ على فعل شيء لولدها، فلم يكن لديها خيارٌ سوى أن ترفع الراية البيضاء وتتوقف عن الإسراف في الشراء بجنون، وتقف متفرجةً على رفاقها وهم يواصلون الركض نحو المدينة والاصطفاف أمام المتاجر، ما سبب لها غُصّة في قلبها.

كان لي دونغ باو وحده من هدا، في حين انضم سونغ يون هوي، الذي كان يقف في الماضي مكتوف الأيدي أمام ارتفاع الأسعار، إلى طوابير الشراء بجنون هذه المرة. ما من حل، فبالنظر إلى الأسعار التي تتضاعف والراتب الذي لا يتغير قيد أنملة، من سيقدر على عدم الاكتراث؟ الأسعار تزداد، والدولة لا تبالي، والمتاجر صارت ببساطة خارجة عن السيطرة. لكن المبلغ الذي كان في يد سونغ يون هوي أقل بكثير مما كانت تملكه والدته لي دونغ باو، كان في مقدوره بما يتناسب مع الميزانية بدقة فحسب ملء الثلاجة بالأطعمة الطازجة، وملء المطبخ بالضروريات مثل: الحبوب والزيت والسكر والملح ومسحوق الحليب الذي تحتاجه سونغ ين، ولا يسعه سوى الوقوف عاجزًا متفرجًا على الأسعار وهي ترتفع بسرعة الصاروخ. ولكنّه لم يشترِ أحواض غسيل ولا غلايات، فقد رأى أنواعًا جيدة منها في الخارج، ويشعر بأن الأنواع الموجودة حاليًا ستنقرض يومًا ما، يكفي ما يملكونه منها.

علاوة على ذلك، فمن يعرف متى سينتقل فجأة من هذا البيت الموجود في مجمع منازل المديرين؟! كان أكثر ما يثير قلقه هو ذلك الأمر بالنقل.

في البداية كان يعتقد أن أمر نقله لهو خطوة مؤكدة، ولم يتصور أنه وبسبب استخدام الأمين شوي للسيارة بشكل استثنائي في تلك الليلة التي جاء فيها شيون جيان شيانغ حدث خطبٌ ما. انتشرت شائعات بعد تلك الليلة مفادها وجود علاقة مشبوهة بين مدير المصنع مين وفرقة الأغاني والرقص في المدينة؛ إذ تم القبض عليه بواسطة مركز الشرطة المحلي، وكان الأمين شوي يبحث طوال الليل عن قادة المدينة ليطلب منهم إخراجه، وتم التستر على الأمر. ولكن للحيطان آذانًا؛ إذ تناقل مثل تلك الأخبار الساخنة واحدًا إلى عشرةٍ إلى مائة، حتى صارت موضوع حديث المصنع الرئيسي بأكمله. ألمّ بمدير المصنع مين شعورٌ بالعار في ذلك الحين، ولم يظهر في الاجتماعات لبضع أيام متتالية، ووفقًا لما قيل فإنه مريض وأدخل المستشفى.

فكر سونغ يون هوي في الحديث الخاص الذي دار بينه وبين الأمين شوي، ومن ثمّ فكر في ذهاب كبير المهندسين ليو ومن معه إلى بكين وتقديم شكوى حينما سافر الأمين شوي إلى أمريكا، والضغط على الأمين شوي ليضحي على مريض في التعامل مع الأمر، ما جعله يضحك ببرود في سرّه، إنها الخُدعة نفسها لجأ إليها اثنان من الرؤساء. من يدري أيضًا ما إذا كان انتشار هذه الأخبار ثغرة عمد إلى ترتيبها الأمين شوي أم لا؟! تمامًا كما اكتشف يوي شان تشينغ من قبل تحركات كبير المهندسين ليو ومن معه من قبيل الصدفة.

بيد أن سونغ يون هوي لم يكن في مقدوره الوقوف متفرجًا. فأمر نقله قد تم تسويته تحت الطاولة مع مين، وقد حاول الأمين

شوي إقناعه بالبقاء. الآن وقد طرأت مثل تلك الدراما الحية، هل سيتأثر أمر نقله بذلك أم لا؟

ومع ذلك فقد واصل الاستعداد السري للرحيل، أو لنقل الانسحاب السريع. فقد كان ينسحب تقريباً من الإدارة اليومية للورشة الجديدة، ولم يكن يذهب إلى هناك إلا حينما يحدث فيها أمرٌ عاجل، يشرب فنجان شاي، أو يُدخن لفافة تبغ من آن إلى آخر، مثل الموظف العادي، يحمل صحيفة في يده، أو كتاباً في أغلب الأحيان. راجع كتب الإدارة والمالية التي أرسلتها له ليانغ سي شن من قبل مرةً أخرى، كما قرأ الصحف التي جلبتها من الخارج حينما عادت في العطلة الصيفية. كلما كُبرت الفتاة الصغيرة كُبر عقلها، وصارت الكتب والصحف والمجلات التي ترسلها أكثر عمقاً.

كان رئيس قسم الأعمال المحلية مشغولاً انشغالاً كبيراً مؤخراً، إذ قدم إليه عدد لا يحصى من العملاء الذين لم يسبق لهم المجيء من قبل حاملين المال للشراء، فترأى له وكأن حمل سلتين باستخدام عمود على الكتفين والعودة بهما إلى المنزل لهو أمرٌ جيد. طلب رئيس القسم من سونغ يون هوي أن ينسق له منتجات من الورشة الجديدة، ومن ثم أخبره عن الوضع الحالي في السوق. تعجب سونغ يون هوي بشدة، ألن ترتفع الأسعار؟ فقال له رئيس القسم إنه لا يجد الأمين شوي ولا مدير المصنع مين، فقد ذهب الأمين شوي إلى بكين، ومدير المصنع مين مريضٌ بالمستشفى، ما جعله عاجزاً عن عقد اجتماع لإصدار وثيقة بالأسعار الجديدة، فكيف له أن يجروا على اللعب بالأسعار بمفرده؟!

انفعل سونغ يون هوي عند سماعه هذا، وفكّر فجأة، لربما لا تكون جينتشو وحدها هي المؤسسة المملوكة للدولة التي لا تستغل الفترة الحالية لتصطاد في المياه العكّرة وترفع الأسعار. والأسباب وراء عدم رفع الأسعار تتغير باستمرار، فبالنسبة لجينتشو تكمن في حالة الارتباك والاستنفار التي تسيطر عليها، يُمكن أن يكون البعض حذرين يتحنون الفرصة المناسبة، والأدهى أن البعض الآخر لم يتخذ ردة فعل على الإطلاق. وما تسبب في انفعاله هو ما قاله له لي دونغ باو على الهاتف في السابق من أن شياوليجيا اختزنت مؤونها منذ وقتٍ باكر. وقد أنفق شي قن كل أموال القرية على شراء أعمدة النحاس والبلاستيك وقضبان الصُلب والأسمت وأعلاف الخنازير، إذ حسب حسبته جيّدًا. كما أنه لم يبيع السلع التي ينتجونها، و ينتظر بيعها بضعف الثمن بعد ارتفاع الأسعار. الأمر نفسه في الصناعة، فكيف يختلف الأمر بينهما بكل هذا القدر؟!

أما عن يانغ شيون وشيون جيان شيانغ فقد حان الوقت ليلحقا بالركب. إذا ما قلنا إن شيون جيان شيانغ كان يختبر لتوه الوضع، فإنه حينما رأى ارتفاع الأسعار بسرعة الصاروخ، وتهافت الناس على الشراء بجنون، كان لا يزال في حيرة من أمره، لم يفهم في البداية معنى تناسب أسعار البيع مع أسعار الشراء، وكان يبيع بمنتهى السعادة والبهجة، وحينما استفاق اتخذ ذريعة لقفل المتجر والاحتفاظ بباقي المخزون، في ذلك الحين كان قد باع بالفعل ثلث حمولة السيراميك التي جاء بها من قوانغدونغ، وقد فات الأوان على الندم!

وأما يانغ شيون فقد كان الوضع عنده مختلفًا تمامًا، فقد مرَّ خلال السنوات القليلة الماضية بتجارب كثيرة لتعديل الأسعار، وحينما رأى الأسعار هذه المرة ترتفع وكأنها طائرة ورقية تحلق في السماء بلا قيود، وتختلف عن سابقاتها من المرات، توقف عن تسويق البضائع، وانتظر على أهبة الاستعداد. كان متحمسًا وبشدة، إذ سيتسنى له أخيرًا انتهاز هذه الفرصة لرفع الأسعار، وسداد ديونه دفعةً واحدة، وسيكون في مقدوره حتى إنشاء بعض رأس المال من العدم. لم يتخيل حقًا أنه وفي ظل مثل هذا الوضع اليائس سيواجه فرصة عظيمة كهذه.

كان الشيء الوحيد الذي يشعُر يانغ شيون تجاهه بالأسف هو أن أسلاكه وكابلاته الكهربائية لا يُمكن أن تتضاعف أسعارها كمثل المنتجات المستخدمة في الحياة اليومية المُباعة في المتاجر، وود لو باع بدلاً منها أجهزة تسجيل فيديو أو أجهزة تليفزيون يابانية، أو حتى أحواض غسيل وزجاجات مياه ساخنة. لكن ومن حسن الحظ فقد باع البضائع الموجودة في المستودعين بأسعار جيدة اقتربت من أعلى سعر لبيعها تقريبًا، وبعدها باعها فكر في الذهاب إلى شياوليجيا لتحميل بضائع، ولكنه وجد مخازنها فارغة، ولا توجد بضائع يُمكن شراؤها. شعُر بغصة في قلبه، فلو لم يفعل لا ووانغ ما فعله بمنجم الفحم، ولو كان ما زال يملك في يده رأس مال يساوي عشرات الآلاف من اليوانات، لو تمكن من شراء بعض البضائع منذ وقتٍ باكر، لازداد المال في يده أضعافًا مضاعفة، وكان ليصبح بصدد فرصة رائعة تأتي في العمر مرةً واحدة.

لكن ولطالما لا يوجد عمل في الوقت الراهن، ولم يجد بضاعة يشتريها بعد عودته إلى بلدته، فقد بدأ يتصرف في موضوع لاو وانغ. لقد فقد لاو وانغ جميع بضائعه في الشمال الشرقي، ولكنه لا يزال لديه ممتلكات في مسقط رأسه، لديه مصنع تديره مدرسة، ولا يعرف ما الذي حل به الآن. كان يانغ شيون لديه وقت فراغ حاليًا، ولم يعد يقلق بشأن سداد ديونه، وصار في مقدوره الآن إبطاء خطواته، والتوقف للحظات من أجل التقاط أنفاسه، والبدء في تنظيف الفوضى التي حدثت في الماضي. وبالطبع، فقد أخبر يانغ شيون والدته على انفراد بتلك التغيرات التي أحلت به. فما كان منها إلا أن أخذت تلطم خديها بكفيها بينما تبكي. وحينما وضَّح لها سبب عدم إخباره لهم بما حدث، قالت له موبَّخَةً: «هل تظن أنك كبرت عليّ؟ هل تظن أن أمك لا تجيد التعامل مع المشكلات؟ حتى ولو قلنا إنك تملك الكفاءة للتعامل معها بمفردك، ولكنك... انتهينا انتهينا، تفكيرك أيضًا صائب، ولكنك فقط عانيت».

«أمي، أنتِ أساس هذا البيت، أما فيما يحدث لنا بالخارج، فأنا من يجب أن أتصدى له».

تنهدت والدته وقالت: «حسنًا إذن، فلتتصدى أيضًا لما يحل بإخوتك فيما بعد. ولأهتم أنا بما أكلكم وملبسكم، لأهتم بتزويجكم وتكوين أسر لكم، ولن أفعل أكثر من ذلك. لأبدأ في ترتيب أمر زواجك أولاً، لقد كبرت، لأنتهز فرصة وجودك في البيت هذه الأيام وأقابل أصهارنا لتحدث في أمر الزواج».

فقد يانغ شيون النطق للحظات، ثم قال بعدها بوقتٍ طويل:  
«داي الصغيرة... لقد اختفت». لم يرغب في ذكر أمر ذهابها مع  
شخصٍ آخر لأي أحد، حتى ولو كانت والدته.

ذهلت والدته، نظرت إلى وجهه الضائع، ثم أومأت برأسها  
ونهدت قائلة: «سأذهب لألقي نظرة على القواقع، انتظر وسأعد  
لك وجبة حلزون مشوي لتأكلها». ألم تكن لتفهم ما يدور في خلد  
ابنها؟ لم تُرد أن تطعنه في قلبه هي الأخرى. كانت على ثقة تامة  
في ذكائه، فمروره بمثل هذه التجربة سيجعله لا يهيم على وجهه  
واقعاً في حُب امرأة أخرى منحلة ثانية، لم تكن في حاجة إلى إعادة  
تلخيص ما ألم به لإفاقته.

حدّق يانغ شيون من النافذة الشمالية في عيدان الخيزران  
الطويلة المُخضرة، فشعر براحة نفسية، لقد أخبر والدته بكل  
شيء، وبدلاً له أنه تخلّص من آخر عبء كان يجثم على قلبه. أحسَّ  
بالامتنان لوالدته لأنها لم تقل أي شيء، ولم تحتقر داي جياو فنغ  
كما كانت تفعل في السابق، لم يكن ليؤيدها، حتى وبعدما رأى  
داي جياو فنغ بأم عينه تذهب مع رجلٍ آخر، وكانت أهداف هذا  
الرجل واضحة، ولكنه لم يرغب في سوء الظن بها. فما أجمل  
الأيام التي قضوها معاً في الماضي! وكافحاً معاً من أجل العيش  
حيث أقاما في منزلٍ صغير بجوار المستودع، كان يؤمن أنها تحبه،  
وأن سبب المشكلة التي حدثت من المؤكد يقع على عاتق أبيها  
وأخيها، فهي صغيرة في السن، متذبذبة، صدّقت ما قالوه لها.

على الرغم من انشغال والدته في عمل ما بيدها، ولكن عقلها  
كان مشغولاً بولدها، فكانت تثبت ناظرها عليه. وجدته يُحدق

في الفراغ بمنتهى البله، صعد إلى الأعلى وارتدى قميصًا قصير الأكمام وبنطالاً، ثم دخل إلى بيت الخلاء، وكأنه يتجهز للخروج. انتظرت إلى حين خروجه، وتبعته تسأل: «ابني الأكبر، إلى أين تذهب؟» كانت تخشى وبحق أن يذهب إلى بيت عائلة داي.

سأذهب إلى بيت لاو ولانغ لأعثر عليه. أمي، لا تنتظريني على العشاء».

«هل ستذهب لتطالبه بالدين؟ إذا ما ذهبت الآن فلا تضغط عليه وتخنقه».

أعطى والدته العجوز المشغولة وعدًا وودعها وغادر. وبينما تنظر إليه وهو يمتطي الدراجة النارية ويبتعد، تركت ما في يدها من عمل، وجلست على مقعد في المطبخ تنتحب في صمت. لم تعمل على تهدئة ابنها الكبير بما يكفي قبل قليل، ليس الأمر أنها قاسية القلب، لكن وبوصفها أمًا، فكيف لها ألا يتوجع قلبها إذا ما أحل بابنها خطبٌ ما. ومع ذلك فما باليد حيلة، لقد تُوِّفِي زوجها باكراً، وربّت بمفردها أربعة أبناء، كان صعبًا عليها للغاية. لم يكن أمامها سوى إجبار ابنها الأكبر على مواجهة العالم في سن صغيرة ليساعدها على حمل هذا البيت. فلا يمكنها أن تُنشئه نشأة ضعيفة بسبب خوفها عليه. وهي تعلم ما لاقاه من ظلم، فقد اضطُر أن ينقطع عن الدراسة للإنفاق على البيت، ففي البداية كان يبيع المانتو حتى وهو لا يملك دراجة هوائية، وفي غضون أيام قليلة اخشنَّ جلد كتفيه. وناهيك بما حدث له من أشياء أخرى، فقد كان أقصر من أخويه الصغيرين، هذا لأنه أكثر من لاقى مشقة من بينهم.

حينما تتذكر الآن، تشعر بالقليل من الندم على معاملتها الحمقاء  
لداي جياو فنغ في البداية، كان عليها في ذلك الحين أن تغمض  
عينًا وتتغاضى وتترك ابنها يعيش بضعة أيام هنيئة، على الأقل تتركه  
يسعد لبضعة أيام. أما الآن فقد أقسمت في قرارة نفسها أنها ولا بد  
ستختار لابنها فيما بعد أفضل شريكة حياة.

ذهب يانغ شيون إلى بيت لاو وانغ فوجد المالك قد تغير، كما  
تم إخلاء تلك المؤسسة التي تديرها المدرسة، لم يكن هناك حتى  
مكان ينفس فيه عن غضبه. فذهب مغتمًا إلى شياولي جيا، كان يريد  
أن يُظهر امتنانه الشديد للي دونغ باو، ولكنه كان مشغولًا لدرجة أنه  
لم يجد وقتًا للدردشة معه.

بعدما مرَّ لي دونغ باو بفترة انشغال شديد وأرسل أبناء  
شياولي جيا للالتحاق بالجامعة، بدأ في تطبيق خطته. كان يتلمَّس  
ويفكر، القرية مثل بيت كبير، وإذا كان أبناء هذا البيت لا يجيدون  
سوى مدَّ الأيدي وطلب المال والأشياء الأخرى، فلن يفهموا  
أبداً صعوبة جني هذا المال والحصول على الطعام، لن يعرفوا  
سوى فتح أفواههم على مصراعيها. وإذا لم يُعطيهم سيتدمرون. لا  
يضاهي ذلك تخليه عن بعض المسؤوليات وتركها لهم، وجعلهم  
يتحكمون في الأرباح التي يحصلون عليها خلال تلك السنوات  
بأنفسهم. وكلما كسبوا أكثر، ازداد المال الذي في أيديهم أكثر،  
فمن ناحية سيُشجعهم على التفكير في طُرُق ووسائل إيجابية لزيادة  
الربح، ومن ناحية أخرى يجعلهم يعرفون بأنفسهم أن الحصول  
على المال ليس بالأمر الهين، وبالتالي يتأنون في إنفاقه بحكمة.  
علاوة على ذلك، فعلى الرغم من الهدوء الذي يخيم على الأجواء

في موجة ارتفاع الأسعار هذه، ولكنهم ما زالوا يكسبون الكثير من المال، وسددوا ديون البنك جميعها تقريبًا، وهذا هو الوقت المثالي الذي يترك فيه المصانع التالية تقرر المشاريع التي يجب تنفيذها وفقًا للظروف الحالية. وماذا عنه؟ سُبِّقِي عينيه مفتوحتين على مصراعيهما لآلا يسمح لهم بخداعه، علاوة على ذلك، فسوف يساعدهم بكل تأكيد على حل المشكلات المالية مع البنك، فهو لن يتركهم وينفض يديه تمامًا عنهم، لأنه بعد كل شيء كبير هذا البيت.

كان شي قن أول من عارض هذه الفكرة حينما عرضها عليهم. فقد كان يرى أنه سيتخلى هكذا عن الكثير من صلاحياته، ولسوف تطرأ مشكلة في يوم من الأيام كما حدث مع الأمين القديم. قال لي دونغ باو أن شي قن يحسب الأمور بدقة شديدة ولا يدع فيها مجالاً للمرونة؛ فهم وبعد كل هذه الأيام من العمل صاروا على علمٍ تقريبًا بمقدار الربح الذي يحققه كل مصنع. حينما وجد تشنغ مينغ وتشونغ فو وهونغ وي يجرؤون على التردد، ودَّ لو أغلق المصانع ليتخلص منهم، فهم يطرحون لقمة عيشٍ مضمونة أرضًا ولا يحافظون عليها، أيجرؤون على ارتكاب حماقة كهذه؟ لقد اختلف الزمن عمدًا كان عليه في الماضي.

لطالما كان شي قن شديد التوتر والقلق، لا ينتظر أن يُكْمَل لي دونغ باو حديثه ويشرع في التفكير في كلام مُعَاكِس، ثم يُجْري تعديلات هيكلية على فريق التمويل الذي يُديره في القرية والذي كان يُرَكِّز مسبقًا على وظائف التسوية والوصول إلى اتفاقات، ويغيرها لإيلاء قدرٍ متساوٍ من الاهتمام إلى التسوية والتدقيق. ما

يجعل لي دونغ باو يقف حائرًا لا يدري أيضًا أم يبكي. وعلى الرغم من سُخريته من شي قن لأنه يُسرف في الحذر، ولكنه لا يتدخل، فهذا الأمر يدخل ضمن صلاحياته، وهو على ثقة تامة فيه، فلا يتدخل إطلاقًا ما لم يحدث أمرٌ جليل.

انتظر على مريض إلى حين أن أعطاه شي قن الموافقة، ثم عقد اجتماعًا بين كوادر القرية الآخرين والقادة المسؤولين عن المصانع الثلاثة ليقدم اقتراحاته. كانت كلمته ثقيلة ولها وزنها في الاجتماع، لا تتسع تقريبًا لمدح الآخرين أو معارضتهم، فهو يقول إن هذا الطريق جيدٌ جدًا، ألم يقل فوق ذلك إنه ينبغي إثبات الكلام النظري عبر تطبيقه؟ إن تطبيق بلدة داتشيو لهو دليل على نجاحه، ويعني نجاحه العمل بجِدٍ أكبر على المُضي فيه قُدّمًا، والانطلاق في التنفيذ حتى ولو لاقوا الأمرين، عليهم ألا ينتظروا إلى حين أن يتعلم الآخرون من بلدة داتشيو، ومن ثمّ تسلك شياوليجيا مسارها، إذ ينبغي لها أن تركز لتسبق على الأقل المدينة والمقاطعة بأكملها، وهذا هو قراره الأخير.

حينما اقترح هذا الطريق، لم يُزعجه ثلاثتهم، هونغ وي وتشونغ فو وتشنغ مينغ، قائلين إنَّ خياله واسع كما اعتادوا، ففي خلال ثلاثة أيام تقريبًا كان هونغ وي قد قدّم خطته، وقرر البدء في عمل الأعمدة الأسمنتية للأسلاك. وبعد فترة وجيزة قرر تشونغ فو هو الآخر، سيعتمد على سماء عشرة آلاف رأس من الخنازير لتطوير مشروع الغاز الحيوي، وهو مشروع مريحٌ للغاية، وهكذا تُحل مشكلة روث الخنازير، وليفكروا مستقبلاً في تقنية الزراعة الشاملة ثلاثية الأبعاد. وكان تشونغ فو يحب مجال الزراعة وتربية

الحيوانات الداجنة، كما يحب التعمق في دراستها، أضف إلى ذلك الأموال الكثيرة التي ربحها من تربية الخنازير خلال السنوات القليلة الماضية، لم يكن الاستثمار في الزراعة كبيرًا مثل الاستثمار في الصناعات الكبرى، ولكنَّ الأموال التي كانت تُحوَّل إليه تكفي لإدارة المشروع. وهكذا سُرعان ما حصل على تصديق لي دونغ باو على خطته، لم يكن يعرف لي دونغ باو في الحقيقة ما إذا كان هذا المشروع سينجح في النهاية أم لا، ولكنه اختار أن يثق فيمن عينهم، فهو أولاً يثق في شخصية تشونغ فو العنيدة الحازمة، وثانيًا في عقله الذي لم يُخطئ قط.

وما إن حصل على المال حتى بدأ فورًا في التنفيذ.

أما تشنغ مينغ فلم يجرؤ على طرح خطته الأولى، فرغم تربيته مصنعه، مصنع دنج فنغ، ربحًا ليس بالقليل في السنوات القليلة الماضية، لكنَّ وبالمقارنة مع المشروع الذي طرحه، فلن يكون التمويل ببساطة كافيًا. لم يكن أمامه إلا أن يبتلع طموحه المرتفع، ويبحث ببعض الشعور بالاضطهاد عن مشروع آخر يُمكن تنفيذه نسبيًا. لم يخجل من طرح الأسئلة، وحصل على نصائح من رجال الأعمال الذين كانوا يطلبون منه البضائع، فقد جابوا البلاد طولًا وعرضًا وهم أوسع خبرةً منه، وهم في الدائرة نفسها التي تجمعهم، ولكل منهم خطته الجيدة. عقد تشنغ مينغ المقارنات، وفي الأخير اضطر إلى اختيار مواصلة إثراء سلسلة منتجات دنج فنغ.

دائمًا ما كانت هناك مكالمات هاتفية تدور بين سونغ يون هوي ولي دونغ باو، إذ وصله علم بالإجراءات التي اتخذتها شياولي جيا

مؤخرًا، لم يكن له أي دور في التغييرات هذه المرة، كان سعيدًا  
للي دونغ باو والآخرين، لأن ذلك يعني بعد كل شيء أنهم تقدموا،  
واتسعت رؤاهم، وتلمسوا بأنفسهم طريقًا للتطوير. ومع ذلك كان  
يشعر في قرارة نفسه بشيء من الخذلان، فشياولي جيا لم تعد تحتاجه!  
ألا يدحض ذلك في الوقت نفسه رضاه عن ذاته مؤخرًا، لم يعد يلحق  
تفكيره حتى تطور شياولي جيا؟ ما جعله لا يتقبل ذلك بعض الشيء.

بيد أنه لم يجد فرصة ليبدل فيها جهدها. فرغم تعافي مين وعودته  
لمباشرة العمل، لكنه لم يكن يغادر المكتب كثيرًا مؤخرًا، ولا يُعطي  
الأوامر بقوة وحزم كما كان قبل شهر. أما الأمين شوي فلم يكن  
يكل ولا يملّ بعض الشيء، يسافر ذهابًا وإيابًا بين جيتشو وبكين،  
وقد ذهب معه مين مرتين، لم يكن يعرف حتى ما الذي يُشغل  
عقلهم. حتمًا أن مين كان يذهب إلى الوزارة لتهدئة الأوضاع، أما  
شوي فكان يذهب إلى هناك لإشغالها. ولكن ما مقدار الفائدة التي  
سيجنيها الأمين شوي من ذلك؟ لم يكن هذا واضحًا له، فالأمين  
شوي أمامه أقل من عام على التقاعد.

وبالطبع، لم يملك شوي ولا مين وقتًا لأخذ زمام المبادرة  
والاهتمام بشؤونه. لقد ذكر خصيصًا حينما قابل مين في وقت  
سابق أنه سيُصعب الأمور عليه أكثر إذا لم يتم نقله لهذا السبب،  
وبلا شك، سيتم تحويله إلى قطعة شطرنج مهمة تشاركه صلاحياته.  
ولقد أكد مين حينها على هذا الكلام، لكن حينما رآه يكافح  
للتعامل مع الفضيحة التي وصلت أخبارها إلى الوزارة، ساوره  
الشك فيما إذا كان يهتم فعلاً بأمره، فهو يرى بعد كل شيء أنه لا  
يتعامل مع الأمر على أنه عاجل.

وعلى العكس فقد طلبه الأمين شوي بمجرد أن عاد من بكين. مرَّ اليوم الوطني لتوه، وصار الجو مُنعشًا وباردًا، فحينما طلبه ليتحدث معه على انفراد، أغلق جميع النوافذ والأبواب.

أعطاه الأمين شوي نسخة من ملف ذي عنوان كبير مكتوب باللون الأحمر، وقال له بحزم: «اقرأ هذا الملف بدقة، وفكّر بدقة في مخرج لك. أنا أقدر مواهبك، ولكنني ليس في مقدوري أيضًا الإصرار مرارًا وتكرارًا على إبقائك. قل لي الحل بعدما تقرأ هذا الملف، ولسوف أعطيك فرصة أخرى».

حدّق سونغ يون هوي فيه لبعض الوقت، ثم نظر في الملف الذي في يده. كان هذا «إخطار مجلس الدولة بشأن فرز وتنظيم مشاريع استثمارات الأصول الثابتة قيد الإنشاء، وتقليص نطاق الاستثمارات، وضبط هيكلها» الذي أصدره مجلس الدولة. أشار «الإخطار» إلى ما يلي: «من أجل الحد من التضخم، وتهيئة الظروف لإصلاح الأسعار والأجور، وللحفاظ على الزخم اللازم لتنمية الاقتصاد الوطني، قرر مجلس الدولة الشروع في أعمال فرز وتنظيم مشاريع استثمارات الأصول الثابتة في المجتمع بأكمله. ومن خلال الفرز والتنظيم الشامل للمشاريع قيد الإنشاء، سنعمل على تقليص نطاق الاستثمارات بشكل كبير، والمُضي قُدُمًا في ضبط هيكلها. ويتضمن الفرز والتنظيم هذه المرة مشاريع استثمارات الأصول الثابتة في المجتمع بأكمله».

بعدما قرأه سونغ يون هوي شعرَ بطنين في رأسه، في الواقع، كان عليه أن يتوقع منذ وقتٍ باكر إصدار الدولة إخطار مماثل،

ألم تتبع الدولة دومًا في الفترة الأخيرة سياسة الكلمات الأربع: «الضبط، التغيير، الإصلاح، التحسين»؟ أما وقد ارتفعت الأسعار هذه المرة بشكل غير طبيعي، وظلّ التضخم في حالة ازدياد لا تتوقف، هل يمكن ألا تتخذ إجراءات ضبط؟ فقط بالنسبة إليه فقد جاء هذا الضبط في الوقت الخاطيء.

ومع ذلك، فكيف يمكنه أن يبقى؟ ناهيك من تغير مين معه إذا بقي، فحتى ولو تواضع بعد تلك الفضيحة، ستظل بطانته ترى سونغ يون هوي نِدًا له. فالعصابات كثيرة في جيتشو، ومعقدة، والمحترفون الخبراء في كل مكان، ولقد تقرر مصيره بالفعل منذ أن برزَ وقتَ إنشاء الورشة الجديدة.

اتخذ سونغ يون هوي قراره، ووضع «الإخطار» على مكتب الأمين شوي، بذل قصارى جهده لمحاولة ضبط النفس، وقال بمتهى الهدوء: «أيها الأمين، أمل أن آخذ معي تقاليد جيتشو التي أسستها وأنشرها معي في كل مكان».

بدأت علامات الإحباط نسبيًا على وجه الأمين شوي، فلا فائدة حتى ولو تقطر من فم سونغ يون هوي غسلٌ. نهض من على الأريكة، وعاد ليجلس إلى مكتبه، ومن ثمّ استخرج ملفًا ووضع على المكتب، تغيرت نبرة صوته في الحال إلى نبرة آسفة وقال: «جد وقتًا للذهاب إلى مكتب الكادر لاستكمال الإجراءات، وفيما بعد ستكون جيتشو بيتك ومكانك القديم، وسُرحب بعودتك في أي وقت، كما سنكون على استعداد لتقديم المساعدة لك متى أردت. لا بأس، الشباب لا يمكن حبسهم، لا بأس بالخروج والمغامرة».

نهض سونغ يون هوي وأخذ الملف لينظر فيه، وكما توقع، إنه أمر النقل الذي انتظره طويلاً. قبل أن يحصل عليه كان عاقداً العزم على الرحيل بأي طريقة ممكنة، أما وقد حصل عليه، فقد شعر فجأة ببعض الذعر، أهكذا سيغادر؟! وفوق هذا فهو مُصر على الرحيل من دون أن يتبين ملامح مستقبله؟ كيف سيكون مستقبله إذن بالضبط؟ ولكنَّ الأمين شوي لم يحاول حينها الإبقاء عليه، فقد كان يتعامل معه بهوية الأمين.

وكان أبناء النقل نمت لها أجنحة، فسُرعان ما وصلت إلى روضة الأطفال في المصنع الرئيسي. كانت تشنغ كاي يان دائماً ما تعلم بأن سونغ يون هوي يبحث عن طريقة للنقل، لكن ومع اقتراب هذا اليوم أخيراً، ولأنه لم يكن أول من أخبرها بذلك، بل أخبرها زملائها من مصادر موثوقة، لم تكن تملك ثباتاً انفعالياً مثل سونغ يون هوي، فبهتت مباشرةً وسط النقاشات الدائرة بين المعلمات، وأخذ وجهها في الاحمرار، ومن ثمَّ انهمرت الدموع من عينيها.

حينها، اجتمعت حولها زميلاتها وأخذن يهمنن ويلمزن، سألت بعضهن ما إذا كان هناك من يتعمد مطاردة وإبعاد سونغ يون هوي، وشنَّ ضده هجوماً مفاجئاً، وسألت أخريات ما إذا كان سونغ يون هوي قد فعل ما فعله من دون إخبار زوجته. بل وتناقش بعضهن فيما إذا كانت تشنغ كاي يان ينبغي لها الانتقال من مجمع منازل المديرين، والانتظار للانتقال إلى مجمع منازل العنقاء المخصص لزوجات العمال في المصنع. إضافة إلى ذلك كانت منهن من تسأل في فضول متى ستأخذ تشنغ كاي يان ابنتها وتتطوع في الجيش،

وتقول أخرى: سيطير سونغ يون هوي بمفرده، ويترك تشنغ كاي يان في جيتشوو، ولكن الجميع يقول هل سيظمئن إلى ذلك؟!!

إذا ما اجتمع ثلاثة نساء معًا يكنّ ثرثرات، فكيف بكل أولئك النساء؟! أحيطت تشنغ كاي يان بهن، وبينما تستمع إليهن شعرت بأن هذا منطقي، وذاك منطقي، فعصفت الآراء اللامتناهية بعقلها، وكانت لا تعرف بما تجيب عليهن، لم يكن منها إلا أن بكت، فسارعت أولئك الزميلات لتهدئتها، وكان الحماس يتملكهن إلى درجة أنهن نسين موعد انتهاء العمل.

عاد سونغ يون هوي إلى المنزل، ولم يتوقع ألا يجد تشنغ كاي يان فيه على غير عاداتها. هاتف منزل حميه، فقالوا له إنها ليست هناك. بدّل ملابس العمل، وأخذ حمامًا، ولكنها لم تعد أيضًا، ما جعله يقلق، ركب الدراجة الهوائية وذهب إلى منزل حميه ليأخذ سونغ ين الصغيرة، ثم ذهب إلى روضة الأطفال لإلقاء نظرة.

وكالمتوقع، وجد تشنغ كاي يان جالسة تبكي وسط كومة من النساء الشمطاوات، وقبل أن يسمع أي كلمة من الخارج علم أن حياة تلك العُصبة من النساء فارغة، وأنهن يتهافتن على إثارة المشاكل، وقد وقعت تشنغ كاي يان وحدها في الفخ. في الحقيقة ما الداعي لبكائها؟! ألم تكن تعرف بقدوم هذا اليوم منذ وقتٍ باكر؟! إنها تسمح لأولئك النساء الشمطاوات بالفرجة عليها عبثًا.

دخل من بينهن، ومدّ يده وكأن شيئًا لم يحدث ليربت على رأس تشنغ كاي يان، وقال ضاحكًا: «ماذا هنالك، هل ضايقت الأطفال الصغار؟».

لم تتمالك المعلمات أنفسهن من الضحك، وعلى الرغم من أن سونغ يون هوي كان يرتدي ملابس عمل نظيفة فحسب، ولكن هيئته كانت أخاذة. قالت أنثى شمطاء من بينهن: «لقد أُجبرتِ الأمير عبثًا على المجيء لأخذك يا تشنغ الصغيرة».

لم تأبه تشنغ كاي يان بالمحيطين بها، ومسحت الدموع من عينيها وهي تسأله: «هل حقيقي أمر النقل؟».

شعر سونغ يون هوي وكأن النساء الشمطاوات من حوله يرهفن آذانهن، فما كان منه إلا أن ضحك وقال: «وهل سيكون مزيفًا؟ كنت أنوي أن أحدثك في الأمر على مهل في المساء. هيّا، والدك ووالدتك في انتظارك». ولم يسعه سوى أن يشدها بقوة قليلًا من معصمها ويُنهضها خوفًا من أن تطرح المزيد من الأسئلة.

حينما رأى الحشد هذين الزوجين يغادران، تنهدت إحداهن فجأة وقالت: «يكفي أن يضع المدير سونغ بشخصيته هذه وشاحًا أبيض وسيصير مثل شيوي ون تشيانغ<sup>(1)</sup>». فهم الجميع ضمنيًا ما تقصده، وخطر على أذهانهم سؤال: لماذا تبكي تشنغ كاي يان بكل هذه الحُرقة؟ ألا تكون قلقة من أن يتكيف زوجها مع البيئة الجديدة، ومن ثمَّ يخرج عن سيطرتها؟ علاوة على ذلك، فقد كانت تعتمد على نائب الأمين تشنغ بوصفها ابنته في مساعدتها على تطويق سونغ يون هوي، ما جعل عائلتهم الصغيرة سالمة ولا يشوبها القلق، لكن وما إن يغادر سونغ يون هوي هذه المرة، سيكون خارج نطاق قبضة مدير المصنع تشنغ، ألا يُقلقها ذلك حد البكاء؟!

(1) شخصية درامية، من صفاته: الوسامة والشجاعة والعقلانية والحسم.

جلست تشنغ كاي يان خلف سونغ يون هوي، وكانت تبكي طوال الطريق، تبكي لدرجة أن سونغ ين التي كانت تجلس على الكرسي المثلث الصغير الأمامي بكت هي الأخرى. لم تكن تعرف لماذا تبكي تحديداً، ولكنها شعرت أن ثمة الكثير من الأسباب العالقة في قلبها ولا تستطيع التعبير عنها. كان سونغ يون هوي يتحدث بكلمة بين الفينة والأخرى ويمد يده لمواساتهما في الأمام وفي الخلف، ولكنه عجز عن ذلك، كانت أصوات البكاء تتعالى الواحدة تلو الأخرى طوال الطريق، فلم يسعه سوى أن يبذل جهداً أكبر ويسرع بالعودة إلى منزله، فهو لم يجرؤ على الذهاب إلى بيت حميه.

ما إن دخلا من باب المنزل حتى قالت تشنغ كاي يان وقد خنقتها العبرة: «إنني أريد أن أذهب معك يا هوي الصغير».

تخلى سونغ يون هوي عن فكرة الذهاب إلى المطبخ، وجلس القرفصاء إلى جوارها، مسح عنها دموعها وقال في صوتٍ دافئ: «أنا أيضاً أفكر في ذلك. انتظري حتى أستقر هناك على الساحل، ولسوف أنقلك على الفور. الآن عليّ الذهاب إلى بكين، وما من طريقة لنقلك أنتِ الأخرى أيضاً».

قالت له: «لا أريد أن أنتقل، سأذهب معك مباشرة إلى بكين، وسأسكن معك في دار الضيافة، أريد أن أكون معك».

استشف ما ترمي إليه بكلامها، فتنهد، إلى أين تريد أن تذهب تشنغ كاي يان؟! لا عجب إذن في أنها كانت تبكي بحرقه في الروضة، وبنسبة كبيرة فقد لعبت أولئك النساء الشمطاوات في

أذنها. كان هو الآخر في حيرة من أمره، لا يتبين ملامح مستقبله، الخطوة التي يُقدم عليها فارغة ومتعثرة، لم يتوقع في الأصل أن تبادلده تشنغ كاي يان بفتح الموضوع؛ إذ أراد أن يعود إلى المنزل ويقضي ليلته يفكر في هدوء، ومن ثمَّ يجيب لاحقًا عن جميع الأسئلة التي سَطَّرح عليه، لم يتصور أن يضطر إلى التعامل مع تشنغ كاي يان أولاً. لم يسعه سوى تصنع ابتسامة: «وجودي في بكين خلال فترة التحضير للبناء سيكون مؤقتًا، وسيكون عليَّ أن أذهب إلى هناك سريعًا. أخشى حقًا أن يكون من الصعب عليك الذهاب بمفردك حاملةً القطة الصغيرة، لقد تناقشتُ مع والدك للتو، من الأفضل لك أن تبقي في بيت والديك».

«ولكنَّ أُمِّي كانت تعمل في الماضي أيضًا وهي تحمِلني أنا وأخي، كنا جميعًا نتكُدس في النُزل نفسه. في مقدوري أيضًا أن أتحمِل، أنا مُصرَّة على تواجدني معك».

«الماضي هو الماضي، والحياة قد اختلفت، من الصعب الانتقال من حياة الرفاهية إلى حياة التشف. بالإضافة إلى ذلك فأنا لا أريد للقطة الصغيرة أن تعاني».

«قل لي، هل تقلق من أن أكون غبية؟ ألا أستطيع العناية جيدًا بالقطة الصغيرة؟ لطالما ظننتني غبية، ولكنني في مقدوري أن أعمل وأرعى ابنتي في الوقت نفسه».

كان سونغ يون هوي يعلم أنه لن يستطيع شرح الموضوع لها بوضوح، فقال لها في فتور: «حسنٌ إذن، سأرتب أمر نقلك بمجرد أن أذهب إلى بكين، ولكن لا تقولي شيئًا لأحد في الوقت الحالي،

استمري في عملك جيدًا كما كنتِ، ولا تجعلي هؤلاء المعلمين المحيطين بك يسيئون الفهم».

وأخيرًا، دخلت عليها الحيلة، فتوقفت تشنغ كاي يان المدللة عن البكاء، ولم يكن سونغ يون هوي يملك طاقة لطهي الطعام، ومن حسن الحظ فقد جاءهما اتصال من حماته تدعوهما إلى الطعام. غسلت وجهها وتبعته، وعلى الرغم من أنه قد ضمن لها ما تريد، ولكنهما لم يتفرقا طويلاً منذ أن تزوجا، فبمجرد أن فكرت في ذهابه إلى بكين ومكوته هناك، لم تستطع تفهم الأمر، وتملكها القلق، كانت عاجزة عن الاطمئنان. بعدما انتهت العائلة من تناول الطعام، ورأت والدها يدردش مع زوجها على الطاولة بشكل عابر عن كيفية استكمال الإجراءات، وأنها ستمكث مستقبلاً في بيت والديها، تحدثا أيضاً عن مجمع منازل العنقاء والمميزات الخاصة فيه، لكن لم يكن هذا كله هو أكثر ما يقلقها.

ظلا هكذا حتى بعد تناول الطعام، واقترح سونغ يون هوي على حميه أن يتحدث إليه على انفراد، فشعرت تشنغ كاي يان بعدم الارتياح على الفور، وأصرت على أن تتبعهم إلى حجرة المكتب لتجلس بالجوار وتستمع إليهم.

لم يكثر سونغ يون هوي من الحديث في بيت والديها، لم يسعه سوى الجلوس صامتًا ينظر إليها.

ذُعت حينما رآته ينظر إليها بهذه الطريقة، وأحسَّت أنها تسبب ضجة من لا شيء، وهنا انصرفت أخيرًا. ومع ذلك، فحينما جلست مع والدتها في حجرة المعيشة، كانت قلقة طوال الوقت من ذلك

الحديث الدائر بالداخل، فلم تشعر بتأنيب الضمير تجاه والدتها،  
وسكنت كل ما يقلقها في أذنيها.

لنلخص ما شعرت به في جملة واحدة: «رجلٌ متعلم ومثقف  
مثله، كما أن شكله لا بأس به، ألن يأتي اليوم الذي سيزهدها  
فيه؟!». كانت والدتها هي الأخرى في حيرة من أمرها، إذ وجدت  
زوج ابنتها يزداد تميزًا شيئًا فشيئًا، وقد فقد مظهره القروي الذي  
جاء به إلى هنا للمرة الأولى، وكان يزداد وسامةً، فكيف لها ألا  
تقلق؟!!

ومع ذلك، فحتى لو ازداد قلقها على ابنتها أكثر، هل سيكون  
في مقدورهم التحكم في أمر نقله هذه المرة؟  
ليس في أيديهم أي شيء.

أخبر سونغ يون هوي حماه بمحتوى «الإخطار» وحديث  
الأمين شوي معه اليوم، وحكى له كل شيء بالتفصيل.

بعدما أنهى كلامه، أغلق الأمين تشنغ عينيه وأطرق طويلًا  
يفكر، ومن ثم قال: «ليس «الإخطار» هو الشيء الأكثر أهمية،  
فمنذ أن بدأ الإصلاح، صدر أكثر من إخطار لتضييق نطاق إنشاء  
البنية التحتية، يصدر تقريبًا إخطارًا كلَّ عام، ولكنَّ البنية التحتية لا  
تزال تزداد عامًا بعد عام كما كانت في الماضي. مجرد عاصفة  
وستمر، ولسوف تمتد لبضعة أيام على الأكثر، واستغلال شوي  
الكبير لهذا الأمر من أجل اجتذابك لهو دربٌّ من دروب الخيال.  
ليس في مقدورك ألا تغادر، فعلى الرغم من السخافة التي ارتكبتها  
مين الصغير، ولكنَّ شوي ليس أمامه وقتٌ طويل، وستكون الأمور

في النهاية تحت سيطرة مين، إذا بقيت، فسيكون أول شيء يفعله مين بعد توليه منصبه لإثبات كفاءته هو إعلان الحرب علينا. لكن، وبالنسبة لانفصالك عن عائلتك الصغيرة...».

أطرق سونغ يون هوي للحظة، ثم قال مباشرة: «لقد بكت كاي يان اليوم... أرى أنها قلقة لأنني سأكون حُرًا طليقًا وحدي في الخارج. أبي، انصحها حين تسنح الفرصة أن تكف عن هذه الأفكار السخيفة، هذا أمرٌ مُحال، أنت أكثر من يعرفني. علاوة على ذلك، فإنني أتمنى أن يكون هذا «الإخطار» عاصفة وستمر حقًا، وأن أتمكن من تنفيذ المشروع باكراً، أن يكون في مقدوري إحضار كاي يان وابنتي ويُلم شملنا عن قريب، فقط سأكون مضطراً لجعلها تبتعد عنكما.»

نظر الأمين تشنغ إليه بصمتٍ لفترة وجيزة، ثم قال: «لا بد وستكون هناك بعض التقلبات في مسيرتكما الحياتية، أتما مسؤولان عن بيت الآن، وعليكما أن تتعلما الكفاح وحدكما. أنا أثق بك، بالطبع، وأنت أيضاً لا تخيب أملي فيك.»

أعطى سونغ يون هوي وعدًا لحميه، ولكنَّه في الواقع كان مستاءً بعض الشيء من كلامه، إذ استشف منه أنهم كعائلة لا يطمنون إليه كثيرًا.

شعر بالإهانة، ولكن الحديث انتهى عند هذه النقطة، لم يتفوه بكلمة ثانية في هذا الموضوع، وتناقش معه بعض الوقت عن رأيه في مديره المباشر الجديد لاو ما، ثم خرج وأخذ زوجته وابنته عائداً إلى المنزل. أما فيما عن الأسئلة التي أرادت تشنغ كاي يان

أن تطرحها ولكنها لم تجرؤ على ذلك، فقد اكتفى بقوله لها: «كفي عن التفكير في هذه السخافات»، ماذا كان عليه أن يقول أيضًا، أم أنها تريد منه أن يكتب لها خطاب ضمان؟!

كانت تشغ كاي يان حزينة حُزنًا شديدًا، وحينما رأت زوجها وابنتها يلعبان ويسببان ضجيجًا، ظلت مُطْرِقةً في حالة ذهول، فكرت شاعرةً باختناق شديد، ماذا لو لم تنقل عملها من البداية إلى روضة الأطفال، وظلت في عملها كأمانة صندوق، أو انتقلت حتى للعمل كمحاسبة مالية، ألم يكن أمر الانتقال مع زوجها ليصير أسهل؟!

لو أنها تكبدت عناء دراسة اليابانية مع بداية العام، ألم تكن لتذهب معه؟ صحيح!

إنهم بصدد إنشاء مصنع جديد، وسيطلب الأمر بالتأكيد العديد من المعدات الأجنبية، لو أنها تستطيع تحدث جملة أو جملتين من اللغة اليابانية!

يا إلهي، لو أنها لم تكن بهذا الغباء، لم تكن لتصبح عبئًا على زوجها، بل وكان ليصير في مقدورها الطيران جنبًا إلى جنبٍ معه. ولكنها الآن مضطرة لأن تنتظره حتى يستقر ومن ثمَّ تذهب إليه. كانت تشعر في الحقيقة أنها بلا فائدة. وكلما فكرت يئست وخارت عزيمتها، ما جعلها تبكي خلسة مرةً أخرى.

تضايق سونغ يون هوي كثيرًا، كان مستاءً وبشدة. أحسن أن ذلك «الإخطار» لتضييق نطاق إنشاء البنية التحتية لم يكن عاصفة عابرة، فقد كانت موجة ارتفاع الأسعار هذه المرة شرسة بشكلٍ غير

متوقع، حتى إنهم فقدوا السيطرة على السوق بعض الشيء، هذه  
أوضاع لم يسبق لها مثيل، ومن ثمّ، ستكون جهود التصحيح في  
المقابل مختلفة عن الماضي.

حَمَم سونغ ين وكأنه عامل مُتمرس، وحكى لها قصة وغنى لها  
مهدِّدًا إيّاها كي تنام، انتظر حتى نامت ابنته بشق الأنفس، ونظر  
إلى وجهها الصغير الشبيه بالوردة، وحدّث نفسه: حتى ولو لم تقل  
تشغ كاي يان ذلك، ينبغي له أن يُسرّع في إكمال إجراءات نقلهما،  
فكيف له تحمل فراق ابنته؟!

ثَمّة العديد من الأساطير التي حللت أمر نقل سونغ يون هوي،  
ولكنّ الكثير منها تم تخمينه بدقة شديدة وكان أقرب إلى الصواب،  
إذ أكدت على عدم قدرة مين على احتوائه.

أقام سونغ يون هوي ثلاث ولائم في البيت، استضاف في  
الأولى أصدقاءه القُدامى ومُعلّميه من الورشة الأولى، وودّعهم،  
واستضاف في الثانية زملائه من الورشة الجديدة، وفي الثالثة  
استضاف زملاءه من قسم التصدير. كان الجميع يقولون، خصوصًا  
فنيو الورشة الجديدة مثل فانغ بينغ، لطالما دعاهم القائد الكبير  
ينبغي لهم أن يتركوا ما في أيديهم من أعمال ويذهبوا ليلبوا النداء.

بذل سونغ يون هوي كل ما في وسعه ليغادر على نحو مُرضٍ،  
ولكنه كان يعلم في قرارة نفسه أن رحيله دفعةً واحدة لا يعني  
بالضرورة القدرة على عودته دفعةً واحدة أيضًا. ليس أمامه سوى  
طريقٍ واحد، المستقبل مبهم، ولكن ما من سبيل ليعود أدراجه. بيد  
أنه حينما حان الوقت الذي حمل فيه أمتعته، شعر بنوعٍ من الراحة

القلبية، على الأقل سيسقط عن كاهله جميل أصحاب الفضل عليه  
كالأمين شوي وحميه وغيرهم.

لم يتصور أن يرافقه شيون جيان شيانغ في الطريق ويركب معه  
القطار ليُوصَّله إلى بكين.

يقول شيون جيان شيانغ: حالما وصل سونغ يون هوي إلى  
جيتشو كان هو في استقباله وحمائته، الآن وهو بصدد الذهاب إلى  
بكين، فعليه أن يساعده على شقِّ طريقه.

سكن سونغ يون هوي في دار الضيافة. يُمكن لكادر في  
درجة نائب مدير مثله تقريبًا أن يتصرف بزهوٍ وتسلط في جيتشو،  
ولكن ما إن هبط في بكين، فلم يُسمع له صوت، حتى إنه لم يتم  
استقباله جيدًا في دار ضيافة النظام. في ذلك اليوم، لَحِقَ الساعات  
الأخيرة من العمل بصعوبة، وذهب إلى مكتب التحضير لبناء  
مشروع دونغهاي الواقع في مبنى مهيب ليثبت حضوره. كانوا  
خمسة أشخاص يجلسون في المكتب بمن فيهم سونغ يون هوي،  
جميعهم تم انتدابهم من مؤسسات مختلفة، وجميعهم شباب  
ورجال في منتصف العمر أقوياء أصحاب.

كان المدير الحالي هو لاو ما، والذي كان يشغل منصب نائب  
مدير أحد المصانع الكبيرة، يدعوه الجميع المدير ما. أما سونغ  
يون هوي والثلاثة الآخرون فجميعهم يشغلون مناصب رسمية،  
يبدو عليهم أن عددهم كبير على الأعمال المطلوبة. ومع ذلك،  
فقد كان الجميع يسخرون من كونهم سيئفون، فموقع عمل مشروع  
دونغهاي يقع على شبه جزيرة مهجورة، حتى الطريق السريع يُمكن

الوصول إليه بالكاد من خلال طرق الجرارات الزراعية، فإذا كان اليوم مشمسًا تجاوز التراب أقدامهم، وإن كان اليوم ممطرًا غطى الطين أجسادهم، يجلس الواحد منهم في السيارة وكأنه بداخل أرجوحة.

وفقًا لما يُقال، فبعدما ذهب بضعة أشخاص مسبقًا من مكتب التحضير للبناء إلى موقع العمل لإلقاء نظرة، بحثوا عن كل طريقة ممكنة للانتقال. إذ يقولون إن الباقين لن يكون طريقهم سلسًا، وأنهم يرغبون في الاعتماد على كفاءتهم لإيجاد لقمة عيشهم.

لاحظ سونغ يون هوي أن الخمسة جميعهم بلا استثناء رجال، بالإضافة إلى أنهم لم يصطحبوا عائلاتهم إلى العاصمة.

حينما حل المساء، جلس خمستهم معًا لتناول الطعام، وشاركهم أيضًا شيون جيان شيانغ، فدرّش الجميع، وفتحوا قلوبهم لبعضهم البعض. كان الانطباع الأول الذي تلقاه سونغ يون هوي من هذا التجمع لا بأس به.

لاحقًا، كانوا يسكنون معًا ويأكلون معًا، والأجواء مفعمة بالحياة، نقية وكانهم فتية كبار يعيشون في مهجع طلابي. ورُغم أن «الإخطار» كان يُلقى بظلاله على مشروع دونغهاي، لكن ونظرًا لأنهم كانوا في عون بعضهم، ويشدّون عضد بعضهم، لم يكن العمل معقدًا كما كانوا يتخيلونه في البداية، وكانوا يتقدون حماسة كل يوم. بعد فترة وجيزة، أكد الجميع بمن فيهم المدير ما على أن سونغ يون هوي سيكون فيما بعد المُشرف الأساسي على ما يخص المعدات والفنيات وتلك الأمور.

قال المدير ما إنه سيكون مسؤولاً عن إدارة المشروع في الوزارة والإشراف على مدى تقدمه. على غرار الكثير من الكوادر الكبار: جميعهم لديهم من يرأسهم، وهو ليس مُستثنى من ذلك. تحمّس سونغ يون هوي للعمل الجديد حماسًا شديدًا، فللمرة الأولى لا يشعر بتلك الحواجز النفسية عند العمل. كان الأمر الوحيد الذي يؤرقه أنه يشتاق إلى بيته، يشتاق إلى ابنته.

كان العُزّاب الخمسة دائمًا ما يتبادلون النظر في صور أبنائهم الموجودة في محافظ نقودهم، وحينما يكونون ثملين يتحدثون بشكل عشوائي عن أبنائهم وأقاربهم، كانوا يضحكون حينما يلتقون في اليوم الثاني ويطلقون على بعضهم البعض كلمة «قريبى»، كانت بيئة العمل نقية بشكل لا يُمكن تصوره.

لكن سونغ يون هوي لم يكن ليظن ساذجًا ويعتقد أن العلاقات البشرية نقية وبحق، لربما نجح في إقناع مين بالتسوية والوصول إلى حل وسط لمرة واحدة، كما يظن شيون جيان شيانغ أنه طار وحلّق عاليًا، ولكنه يعلم في قرارة نفسه أنه ومهما نجح، فهذا لا يعدو كونه هروبًا، وما هو إلا انسحابٌ بالكليّة، لقد ترك عائلته وفرّ.

إنه يلتهم ثمرة تهوره المريرة كشاب، ومن ثمّ فحتى لو كانت البيئة نقية في الوقت الحالي، فلا تزال لديه تحفظات، إذ ينبغي له تصحيح عيوب شخصيته، والعمل على نفسه أكثر فأكثر ليتكيف مع النظام. أضف إلى ذلك تقلبات المشروع، ما جعله في مزاج سيئ بعض الشيء.

كانت ليانغ سي شن وحدها من تستفسر عن أمر نقله، تقول إن هجره لزوجته وابنته وتغيير عمله ينطوي على أسباب خفية.

عجز سونغ يون هوي عن شرح الأمر لها، ولم يكن لديه خيارٌ سوى قبول مكالماتها بين الحين والآخر لتخفيف حدّة توتره، في الحقيقة لم تؤازره، كانت فقط تتحدث معه وتدرّش، ولكنّه كان يعي هدفها.

لم يتخيل أن تكون أكثر من تفهمه فتاة صغيرة. بيد أنه شعر أيضًا بأنها تتفوق وتلحق بركب التقدم، أما هو فليس في مقدوره أن يُسرّع خطاه.

## 11

مكث يانغ شيون في بيته لبضعة أيام، ثم ذهب إلى الشمال ثانيةً لكسب لقمة عيشه.

بقيت والدته وحدها في المنزل، وكانت تشعر بغصة في قلبها كلما فكرت في أحوال ابنها، وتملك منها القلق أكثر فأكثر. اتضح لها أن الزمن تغير، لماذا يُشبه هذا العصر عصر ما قبل التحرير؟! إذا لم تكن حذرًا فستدمر عائلتك، لكن هل يمكن ألا تهتم الدولة؟

إذا ما فتح يانغ شيون متجرًا في المدينة، كانت لتهتم به من أجل ابنها بغض النظر عن أي شيء، ولكنّ الوضع الآن يفوق قدرتها، فلديها ثلاثة أبناء عليها رعايتهم. كانت تفكر في ضرورة انتظارها لمدة ثلاث سنوات إلى أن تلتحق ابنتها بالجامعة، ومع ذلك

فالوقت يطير، ستمر السنوات الثلاث في لمحة عين. وفكرت،  
يُمكن أن تذهب حينها لمساعدة ابنها.

كانت تكره كونها محبوسة في القرية الجبلية، ولا تفهم كيف  
يتغير العالم بالخارج.

هذا المكان لا يمكنها أن تشاهد فيه التليفزيون، ولا تستقبل  
موجات الراديو بوضوح إلا إذا كانت السماء صافية، وغالبًا ما  
يستغرق وصول الصحف بضعة أيام، فبخلاف ما يقصه عليها ابنها،  
لم تكن لتعرف بالضبط كيف يقضي أيامه بالخارج.

كانت تكره قلة حيلتها. بيد أنها وحينما كانت تفرغ من أعمالها  
تقدح زناد فكرها لتجد حلاً لابنها. وفكرت، لا يمكن للإنسان أبدًا  
الهروب من طبيعته البشرية. فعلى الرغم من عدم فهمها لمدى تغير  
الحياة في المدينة حاليًا، وهل يوجد بها الهدوء النادر الموجود هنا  
في قريتهم الجبلية الصغيرة، فإنها على كل حال من صنع البشر،  
وغالبًا ما سيكون ثمّة اتباع للفطرة السليمة في كل مكان.

في يوم السبت، خرجت الأسرة المكونة من أربعة أفراد في  
الوقت المحدد حاملين في أيديهم مصابيح إنارة، وذهبوا متعثرين  
إلى مكتب القرية في انتظار مكالمة من يانغ شيون.  
حينما اتصل بهم، أخبرته والدته بما فكرت فيه.

«ابني الأكبر، فكرت طويلاً، لقد خسرتم جميعًا هذه المرة،  
وثمّة شخصٌ واحدٌ هو الذي لم يخسر، هذا الشخص هو الذي  
استأجرتم منه المستودعات. فقد تهشمت النوافذ وحُلّعت  
الأبواب، ولكن المكان ما زال موجودًا. فحتى لو تعرض المكان

للسطو، لا يمكن نقل أراضيته، أليس كذلك؟! خسارتكم هائلة، أما هو فيؤجّر ويتلقى المال. ثمّة مقولة شهيرة قيلت قبل التحرير: ملايين الأموال لا تضاهي عشرات الأراضي القاحلة. فالأموال سيأتي اليوم الذي تنفذ فيه، أما الأراضي القاحلة فلها عائد كل عام، كان جدك الأكبر يقول دائماً: إذا ما امتلكت المال فاذهب لشراء الأراضي، ف شراء الأراضي استثمار أبدي. قل لي يا بُني، هل كلامي صحيح؟ فكر في الأمر جيداً».

لم يتفق معها يانغ سو وباقي أبنائها، شراء أراضٍ؟ ألن يُصبح بذلك من مُلاك الأراضي؟

ألا يتم انتقاد مُلاك الأراضي في الكتب المدرسية كل يوم؟ ولكن قوبل نقاشهم منها بالرفض، فقد قالت لهم إن العالم يبدو وكأنه تغير قليلاً في الوقت الراهن، ماذا قد يفهم أطفال صغار مثلهم.

أما يانغ شيون فقد قال من الناحية الأخرى: «أمي، لا يمكنني فتح شركة وحدي، والأشخاص مثلنا الذين يمتلكون سجلاً أسرياً يتبع منطقة أخرى لا يُمكنهم شراء منازل هنا، حتى الشقة التي اشتريتها من قبل كانت باسم شخصٍ آخر. ليس في وسعنا سوى الاستئجار، أو كتابة العقد باسم شركة أو مصنع معين، ودفع رسوم إدارية لهم كل عام، نحن هنا نسَمّى بدوي القبعات الحمراء، لن أقدر على دفع الرسوم الإدارية بانتظام. ثانياً، فعليّ أن أجد جهة عمل مملوكة للدولة جديرة بالثقة كي أنضم إليها، جهة عمل لا يُمكن أن تفصلني بعد بضعة أيام فحسب بعدما اعتمدت عليها، لن أتمكن من تحمل الخسائر، سأفكر في حل».

حينما اتضح لوالدته أنه يفكر في المشكلة ذاتها، تهللت أساريرها، وقالت له في فرح: «أيها الابن الأكبر، أرى أن عليك التمسك بهذه المسألة. فكّر، في الماضي كان الباعة الجائلون يحملون سلال البضائع ويسيرون من قرية إلى قرية، وحينما يمتلكون المال يشترون متجرًا صغيرًا ليستقروا فيه. كنا في البداية أيضًا نحمل المانتو لنبيعه في الأرجاء، لاحقًا وحينما ذهبتم إلى الشمال الشرقي، كنت تتركب الدراجة وتنادي على بضاعتك في مختلف الأماكن، وبعدها امتلكت المال جلست في متجر. أرى أنه من الأفضل لك أن تشتري المتجر، ستكون مالكًا لأرضه وسقفه، وسيكون مُستقرًا أبدًا لك».

كان يانغ شيون يستمع إليها في الأساس بجدية، لكنه ما إن سمع عبارة «مستقرًا أبدًا»، حتى لم يتمالك نفسه من الضحك، ولم يستطع الإبقاء على جديته.

ذَكَرَهُ كلام أمه بملاك الأراضي والأثرياء المشهورين في الأفلام مثل: ليو ون تساي، وهوانغ شي رن، وتشو با بي. حاول كتم ضحكاته، ومن ثمّ قال: «أمي، في بعض الأحيان حينما لا يملك المرء منزلًا يؤويه، في مقدوره أن يفعل أي شيء لكسب لقمة عيشه».

«اللجنة! لم تتخلص بعد من عقلية بائع المانتو، لا تستطيع النظر إلى بعيد».

«حسنًا، حسنًا، سأفكر في الأمر. أمي، كيف لك بمعرفة كل تلك الأمور التي حدثت في الماضي؟».

«قالها لي أبوك، أبوك... آه، كثيرًا ما كان يقرأ في الكتب، يُخجلني أن أقول إنها جميعًا احترقت، كنت لتقرأها أنت أيضًا. سأكف عن الحديث، تعلم أمك أيضًا أنها لا تواكب العصر، ليس في مقدوري سوى الحديث عن الماضي، فلتعتمد على نفسك وتأخذ حذرک. تحدث إلى أخيك الأكبر يا بُني».

أعطت والدته سماعه الهاتف لإخوته، وجلست بمفردها تتبسم وتشاهد أبناءها وهم يتحدثون إلى أخيهم، وتسجل تقاريرهم سرًا في ذاكرتها، تلاحظ ما الذي يقولونه لأخيهم ولا يقولونه لها. حينها، لم يظهر عليها أي شيء، واكتفت بملاحظة ما يقولون خفيةً. أكثر من تحدثت كانت يانغ لي، وكانت تتدلل بشكلٍ مبالغ فيه، وكأنها تلاحق أخواها الأكبر ليمنحها بعض الوعود. تنهدت والدتها سرًا، فإنها لم تخبر أولادها الثلاثة بما حدث مع أخيهم الأكبر، ويبدو أنه هو الآخر لم يشك لإخوته، يا لها من حياة مُرة يعيشها! في طريق عودتهم إلى البيت، كان الإخوة الصغار مبتهجين مفعمين بالحياة، وسمعتهم أمهم يتناقشون حول أغنية لمطرب تايواني، أخذوا يتناقشون طويلًا، ومن ثمَّ بدأت يانغ لي تغني بنبرة غريبة الأطوار: «أنا ذئب قادم من الشمال...»، تمتت أمها بينما تستمع إليها: ذئبٌ من الشمال؟

إنها مجرد بعض الصراخِ الصغيرة، ذئبٌ يذهب إلى الشمال، يا للعجب!

تذكر يانغ شيون مكالمته مع والدته، فتملكت منه الرغبة في الضحك، إذ فكَر فجأةً في أساس هذه المكالمة الذي تحدثت عنه

والدته، وكأنه سمع قصة «البائع المتجول والجميلة» التي حكاها لهم والدهم في الماضي.

تحكي القصة عن بائع زيت متجول يمتلك عاهرة، ويكوّن ثروة بشكل غير متوقع، فيفتح متجرًا ليكون مستقرًا أبدًا له، يمكن أن تكون والدته اتخذت قرارها بناءً على هذه القصة.

حينما وصل بتفكيره إلى هنا، لم يتمالك نفسه من الضحك، فقفز سائرًا إلى خارج المستودع، وأخذ هو الآخر يغني أغنية ذئب الشمال تحت سماء ليل الشمال الشرقي البارد بعض الشيء، ولكنّه كان يقول: «أنا ذئبٌ قادم من الجنوب...»، ما إن بدأ يغني، حتى بدأت تتعالى في الظلام بضعة أصوات سخرية وضحك، وبدأ بعض الشباب الشرسين ذوي الدم الحار برفع حناجرهم والغناء معه، كانوا جميعًا يسكنون في مستودعات بالشارع نفسه.

وعلى العكس، توقف يانغ شيون عن الغناء، فقد كان في الوقت الحالي بمثابة قائد القطيع في هذا الشارع، فكيف له أن يغني مع الذئاب الصغار!

فتح ياقة قميصه ليملاً رثيته بالهواء مُرتاح البال، ووضع يديه على خاصرته، ينظر في صمت إلى المستودعات المُظلمة على جانبي الطريق.

كانت هذه المستودعات في الأصل عبارة عن صفين من المباني التابعة لأحد المصانع، تم التعاقد أكثر من مرّة على شراء هذا المصنع وترك ليلى، وفي المرة الثالثة تم تقسيمه إلى ورش، وكانت العربة الرافعة الموجودة فوقه لا تزال بإمكانها حمل البضائع، وهكذا تغير وصار عبارة عن مستودعات.

هُدِمت الجُدُران المُحيطَة به، وتحوّل الطرِيق الذي كان يتوسّط  
الوَرش إلى شارعٍ صَغير له أهمّية، وِعوضًا عن ذلك صار يُدر  
عليهم مالًا كافيًا لإعالة عمال المصنّع.

فكر يانغ شيون في المكالمة الهاتفية التي كانت مع والدته قبل  
قليل، يبدو أنها فعلاً على حقّ بعض الشيء. فهذا المصنّع الصغير  
الموجود في الشمال الشرقي لا يرقى ليكون مصنعًا كبيرًا بأي  
حالٍ من الأحوال، يعتمد مُلاكه على تأجيرِه وكأنهم يرعون الغنم،  
ويُحصّلون إيجاره دون أن ترمش لهم عين، لا يقوم عمال المصنّع  
بأي شيء، ويضمنون كسوتهم ولقمة عيشهم بلا أدنى جهد، فماذا  
لو امتلك مستودعًا مثله؟

وضع يديه على خاصرته وغاب في أحلام اليقظة تحت ضوء  
القمر. لو امتلك مستودعًا كهذا، لا يُمكن أن يتخلى بأي حال من  
الأحوال عن تأجيرِه الشبيه برعي الغنم، ولسوف يستفيد من هذا  
المصنّع استفادةً قُصوى، سيستغل واجهة المبنى لتكون الإدارة  
المركزية فيه، وسيتمكّن في المقابل من جذب عمالٍ أكثر بكثير.

أما المستودع فلا يصلح أن يكون هنا، ليس ضروريًا أن يقع  
في موقعٍ مركزي كهذا. هذه المنطقة من المستودعات حقًا تمثل  
حاليًا لُقمة عيشٍ سائغة لا يتنبه إليها أحد. ظل هكذا إلى أن عطس  
أحدهم فأيقظه صوت عُطاسِه، فخرج من الحيرة التي وقع فيها،  
وعاد إلى مستودعه.

اتكأ على جانب السرير، ولم يتنبه بأي حالٍ من الأحوال إلى  
وميض شاشة التلفاز، بل أخذ يحدق في سلكي الهوائي أعلاه، إذ

حركت عاطفته مكالمته والدته. وبالطبع، فقد كان يعلم بوضوح أن التحوّل، خصوصًا إلى شراء الأراضي، يحتاج مبلغًا ضخماً من المال. وإصابة الكسر التي تعرض لها منذ فترة لم يتعاف منها تقريبًا إلا الآن، ولا يتبقى في يده سوى القليل من المال.

إذا ما استطاع ادخار المال لنصف عام آخر، سيكون التحوّل حقًا مسألة يمكن التفكير فيها. على أنه بدأ يخطط للتحوّل في ذهنه. فتح تلك الخريطة الحيّة الموجودة في ذهنه، وبدأ يعثر على الأماكن المناسبة لتكون متاجر والأماكن المناسبة لتكون مستودعات. على الأقل، كان يعتقد أنه إذا ما أسس متجرًا كهذا، ستملأه ثقة مطلقة بقدرته على إحضار رفاقه من القرية العاملين في شارع الأجهزة الكهربائية جميعهم عنده، وسيعتمد على جاذبيته وأسعاره المنخفضة التي صممها.

أما في الوقت الحالي فعليه أن يستमित في كسب المال. لقد ظهرت إحدائيات جديدة في طريقه لكسب المال. ومع سقوط أول ندفة ثلج في الشمال الشرقي، حصل يانغ شيون على فرصة جيدة جدًا. كانت هذه بداية لإنشاء البنية التحتية لأحد المؤسسات متوسطة الحجم، وكانوا في حاجة إلى كمية ضخمة من الأسلاك والكابلات الكهربائية. بمجرد أن وصلت هذه الأنباء إلى يانغ شيون، كان كمثل الذئب الذي تسللت إلى منخاره رائحة اللحم، فتتبع الرائحة التي أثلته حتى وصل إلى مكانها. ولكن الأمور لم تسر على النحو الذي يُرضيه، إذ رأى زميله لاو شي يخرج من قسم الإمدادات متأبطًا ذراع رئيس القسم. فتحسس يانغ شيون فورًا لما

رأى واشتمَّ رائحةً أخرى، كانت رائحة الفشل. بيد أنه حافظ على رباطة جأشه واستمر في التفاوض مع رئيس القسم، شرب معه، ووثق علاقته به، حتى إن رئيس القسم تأثر بوَدِّه وترحيبه وأخبره مباشرةً بشعوره بالذنب، وقال له إنه تأخر خطوةً، وإنه ليس في وسعه أن ينقل الصفقة إليه ويترك صديقه لاو شي بعد أن أعطاه وعدًا مسبقًا، فمازحه يانغ شيون وقال له إن أمامهما طريقًا طويلًا لقطعه، وليعتبر أنه تعرف الآن على صديقٍ جديد.

هنا اطمأن رئيس القسم كثيرًا، وبدأ يتعامل مع يانغ شيون حقًا على أنه أخوه، وكثيرًا ما كانا يلتقيان للشرب وتناول الطعام، بل كان يصطحب قادته أيضًا ليشربوا ويأكلوا معهما.

كان لقاءً يجمع عددًا من الأصدقاء وقادة بضعة مصانع، وقد جرَّ رئيس القسم يانغ شيون إلى هذا اللقاء، لأنه أراد منه أن يدفع مالا، وقد فعل يانغ شيون كما قيل له. ودون أن يدري، صار العاملون في هذا المصنع كبيرهم وصغيرهم منصبًا لا يتعاملون مع يانغ شيون على أنه غريب، فكانوا يتناقشون أمامه حول العمل وتقدمه، وكلما تحدثوا أطلقوا العنان لأنفسهم في الكلام.

أما عن يانغ شيون فقد ازداد تعمقًا في الإلمام بتفاصيل تقدم العمل، خصوصًا الوقت المحدد الذي سيحتاجون فيه إلى شراء الأسلاك والكابلات الكهربائية، كانت هذه فرصته، وعليه أن ينقض عليها بكامل قوته.

بعد عدد من المرات التي تساقطت فيها ثلوج كثيفة، وقبل أسبوع واحد من الموعد المحدد لدفع المال وتسلم الأسلاك

والكابلات الكهربائية، طلب يانغ شيون مساعدة من لاو لي، إذ كان يُريد سيارة وصبيين، ليأخذوا لاو شي في السيارة إلى خندق يان تشي في منجم ذهب مهجور يُقال إنه كان يُستخدم في الماضي لتحضير مستحضرات التجميل لمحظيات أسرة تشينغ.

كان خندق يان تشي يقع في قلب الجبل والغابات الكثيفة، وهي قرية تضم بضعة عشرات من الأسر فقط، وكان للاو لي أقرباء بعيدون يعيشون في هذه القرية، وقد قطعوا على أنفسهم وعدًا للاو لي بأن «يرعوا» لاو شي، ويهتمون بمأكله ومسكنه.

كما وعدوه بأن يطلقوا سراحه بعد نصف شهر ويبحثوا عن طريقة لإرساله على متن عربة خيول. وإذا ما فكر لاو شي في المقاومة، فسيتركونه يغادر الخندق على قدميه في ذلك البرد القارس وفوق تلك الأرض المغطاة بالثلوج دون عربة، وسيموت متجمدًا في النهاية. وبقرباب الوقت الذي أراد فيه رئيس قسم الإمدادات لتلك المؤسسة متوسطة الحجم تسلّم البضائع، لم يرَ فجأة أثرًا للمُورّد، فلم يجد بُدًا بالطبع من أن يُلقي بالصفقة بلا تردد في يد يانغ شيون. وعلى كُلي، فإن لاو شي ليس من أقربائه، ولن يتوقف العمل عليه.

جاء يانغ شيون مستعدًا، ورفع السعر قليلاً متعذرًا بأنهم سيحتاجون إلى تجميع كل هذه البضائع في وقتٍ قصير، وبدأ في تحويل كُلي بضائعه الموجودة في المستودعات بلا توقف إلى أن انتهى منها، ثم طلب من مصنع دنغ فنج فورًا أن يرسل إليه بضائعًا عاجلاً، وسيكون الدفع عند الاستلام.

كان لي دونغ باو يؤمن الآن بأن يانغ شيون شخصٌ يفهم في الالتزام، ما جعله يُرسل إليه في الحال فردين من أبناء شياوليجيا لمرافقة البضائع، وتحدى يانغ شيون العوائق ليوصل البضائع إلى تلك المؤسسة في الموعد المحدد، فلم تتعطل في إنشاء البنية التحتية على الإطلاق. وبحسب الخطة، تواصلت هذه المؤسسة مع حامية عسكرية من العساكر والضباط لشدُّ الكابلات الكهربائية، ما يُمثل العلاقة الوثيقة التي تربط الشعب بالجيش، ولطالما طلبوا المساعدة، فسيكون بطبيعة الحال من غير الملائم تغيير موعد بناء الكابلات، لأن هذا سترتب عليه تغيير موعد مجيء القوات.

حينما رأى رئيس قسم الإمدادات يانغ شيون وقد أوصل البضائع إلى المصنع في الموعد المحدد، عانقه بحرارة، كما عانقه القادة الآخرون المقربون منه، وأخذوا يُسرفون في عبارات المدح، ويقولون إنه أحم لهم وبحق. وحينما عاد لاو شي يستشيط غضبًا، كانت الأمور هنا قد استقرت بالفعل، ولم يكن ثمة فائدة من السُّباب والشتم.

على الرغم من أن لاو شي كان يعلم في قرارة نفسه أن يانغ شيون هو من وراء هذه المؤامرة، كما أبلغ مركز الشرطة المحلي بالواقعة، لكنّه لم ينقصه ذراعٌ ولا ساق، كما أنه ليس من السكان المحليين، فلم يكن يعرف كيف يتصرف. وحتى لو حاول التودد إلى مركز الشرطة ثانيةً، فإنه يراهم لم يأخذوا قضيته على محمل الجد، لم يكن في وسعه سوى الوقوف دون أن يُحرك ساكنًا، وقلبه حائق بشكل لا متناهٍ.

أما عن يانغ شيون، فقد كسب مالاً وفيراً، بل حقق أكبر ثروة له على الإطلاق. صار ثرياً، وامتلك رأس المال، إذ يتطلب تكوين الصداقات وتثبيت أقدامه وتراكم البضاعة في المخازن وتوسيع نطاق عمله الدعم برأس المال. أدرك يانغ الذي مرَّ بتقلبات في بداية العام، وبعدهما جرَّب طعم السقوط في الوحل والاختناق، أدرك أخيراً أن لا شيء في هذا العالم يضاهي الاعتماد على يديه وعقله في كسب المال والبُعد عن الخسارة، وأنه لا أحد يعرف متى قد تحل ظروف عارضة تسبب كوارث غير متوقعة، فیسوء حظ المرء دون أن يعي ما يحدث له.

ليس كافيًا من أجل كسب المال أن تكون مستعدًا لتحمل المشقة وقادرًا على العمل الجاد، فكسب المال يحتاج أيضًا إلى تحيُّن الفرص المناسبة، واستهداف المشروعات الجيدة، أن تملك نظرة بعيدة، وتتفادى المخاطر.

كان في الحقيقة يريد أن يسترشد ببعض ما جاء في كتب المرحلة الثانوية التي يدرسها ذاتيًا، ولكنَّ مادة الاقتصاد والسياسة عجزت عن إخباره بما يُريد.

لم يكن أمامه سوى الاعتماد على استعمال عقله، وقد أخبره الرُعب العميق الذي ألم به إثر التقلبات والعثرات التي وقع فيها مع بداية العام أن عليه ضبط توجه أعماله في المستقبل، وتحقيق التوازن في مواجهة العوائق، والعمل بجِد واجتهاد على تحقيق الربح. أما بالنسبة لتوجه تكوين الصداقات، فقد جعلته نكسة واحدة بطبيعة الحال يُغيِّر من طريقته القديمة.

ففي الماضي، كان كثيرًا ما يمرح مع رفاق بلدته حينما يملك وقت فراغ، وحالما يمر بمشكلة يلجأ إلى تلك الدائرة المغلقة فحسب لتقديم يد العون إليه ومساعدته على حلّها. أما الآن فقد اختلف الوضع، إذ تأثر كثيرًا بجملة قرأها في الكتب المدرسية تقول: «لكل مقام مقال». وبما أنه جاء إلى الشمال الشرقي، وفي خضم الكارثة التي أحلت به، مدّ أصدقاءه من أهل هذه المدينة يد المساعدة إليه وبقوة، فقد قرر من الآن فصاعدًا ألا ينظر تحت قدميه ويتسكع بين رفاق بلدته فحسب، وأن يطلب المساعدة من لاولي القوي، ويبدأ في توسيع دائرة أصدقائه من السكان المحليين.

في نهاية العام، كان قد أنفق تقريبًا كل رأس المال الذي في حوزته، واشترى مصنعًا صغيرًا لمعالجة الأخشاب بالقرب من محطة القطار، وفي الوقت نفسه دعا لي دونغ باو للمجيء إلى الشمال الشرقي والاستمتاع بمنظر الثلوج.

في واقع الأمر، لقد كان لي دونغ باو يأنف من دعوة يانغ شيون له للمجيء والاستمتاع بالثلوج وما شابه، فما الممتع في الثلوج؟! وعلى الرغم من نُدرة الثلوج خلال العامين المنصرمين، ولكّنه لم يكن شخصًا لم ير الثلوج منذ طفولته، فما من حاجة للذهاب إلى مكان بارد كهذا للمعانة. ولكّنه حينما لم يوافق، أخذ يانغ شيون يتصل به يوميًا للضغط عليه، إلى أن ضايقه هذا الضغط مضايقةً شديدة، فاشترى تذكرة، وكانت تذكرة وقوف بلا مقعد، وصعد على متن القطار لينطلق في طريقه، ثم غيّر القطار بعدها، ولم يتمكن من النوم ليوم كامل سوى في اليوم الأخير على سرير صلب، إلى أن وطأت قدماه أخيرًا أرضًا فاحمة السواد، وكان منهكًا من التعب،

إلى أن استقبله في النهاية يانغ شيون الذي كان يقف على رصيف المحطة وقد انكمش من فرط الصقيع.

عندما التقيا، قدّم إليه يانغ شيون قبعة سميكة وقفازات وزوجًا من الأحذية الثلجية، قبل لي دونغ باو منه الهدية، وجلس في الحال فوق كتلة إسمنتية على جانب الطريق يرتدي ويتدثر بإحكام، ثم ضحك وقال راضيًا: «هل أشبه لي فنغ<sup>(1)</sup> أم لا؟».

نظر يانغ شيون إلى لي دونغ باو الذي صار بدينًا مثل كرة بعدما ارتدى، فقال ضاحكًا: «أنتى للرفيق لي فنغ أن يكون في بدانتك؟! تبدو للوهلة الأولى من الطبقة المستغلة، أما زلت بردانًا؟».

«لماذا يتشابه حديثكم جميعًا يا عائلة يانغ؟ لستُ بردانًا. خُذ، هذا من والدتك». وعلى الرغم من أنه لم يكن متحمسًا للمجيء إلى الشمال الشرقي، لكن ما إن لفحته الرياح الباردة بمجرد قدومه، ورأى الثلوج ناصعة البياض على الطريق، راقته له في الحال، ورأى بالصدفة قطة برية تقفز بعيدًا، فقال مندهشًا: «القطط هنا أيضًا شعرها طويل».

لم يطق يانغ شيون الانتظار فقلّب في الأشياء التي أرسلتها له والدته مع لي دونغ باو، ولم يكف عن الحديث: «الناس هنا حريصون على ارتداء الفراء، يصنعون مفارش من جلود الكلاب ومعاطف من جلود ثعالب الماء، ويرتدون جميعًا ثيابًا مُفراة. يا إلهي، هذه براعم خيزران حامضة، آه، أربع قطع كبيرة. أيها الأمين لي، سأطهو لك في المساء السمك مع براعم الخيزران الحامضة،

(1) كان جنديًا في جيش التحرير الشعبي، بعد وفاته اعتُبر رمزًا للوطنية والتفاني.

الأسماك التي يتم اصطيادها هنا في الشتاء عن طريق عمل حُفر في الجليد تكون سمينة جدًا، تعرف أمي أنني أحبها».

«يكفي ألا تدعني جائعًا». كان لي دونغ باو يتبعه إلى الخارج. لم يكن معتادًا بعد على السير فوق الجليد، ولكنه رفض مساعدة يانغ شيون في إسناده، وسار متعثراً عبر الميدان، سار وسار إلى أن وصل إلى مكان مقفر له بوابة كبيرة مغلقة بإحكام، فقال مندهشًا: «لما أحضرتني إلى هنا؟».

فتح يانغ شيون ذراعيه متخذًا وضعية العناق، وقال معتدًا بنفسه: «هذه الأرض كلها لي. انتظر مطلع الربيع ولسوف أهيئها جيدًا، سأفتح فيها سوقًا للأجهزة الكهربائية، وأحشد رفاق بلدي جميعهم للعمل هنا، أضف إلى ذلك بضع حافلات تمر عبر محطة القطار، من المستحيل ألا تحظى بشعبية كبيرة».

نظر لي دونغ باو إلى يانغ شيون وهو يستخرج المفاتيح ليفتح الباب الصغير الموجود في البوابة الحديدية الكبيرة، فقال بابتسامة باردة: «هل جعلتني أقطع كل هذه المسافة الطويلة لأرى هذا؟ يا لك من عديم الفائدة!».

سُرعان ما ضحك يانغ شيون وقال: «كيف هذا! لقد حققت أخيرًا بعض التقدم، كل هذا بفضل نُصحك لي في البداية وكلماتك التي لها وزن كبير لدي أيها الأمين لي، كيف يُمكنني أن أشرح لك دون أن أدعوك لتأتي وترى بأم عينيك؟!».

أطلق بضع ضحكات، ثم قام بتغيير الموضوع: «فلتشاهد الورشة أيها الأمين، سأصلح النوافذ فيما بعد، وأعلق الأسلاك

والمصابيح الكهربائية، ستسرع هذه الورشة فيما أرى إلى حوالي أربعين نضدًا كبيرًا. قررت أن أنشئ غرفة في تلك الأرض الفضاء أمام الباب حينما يذوب الجليد في الربيع لأستخدمها، ويُمكن أن تسرع أيضًا لعشرين نضدًا مستأجرًا آخر».

وصل بحديثه إلى هنا وتوقف قليلاً، لاحظ أن لي دونغ باو وعلى الرغم من عدم ردّه عليه، فإنه كان ينظر بجديّة مستمعًا لما يقول، فتذكر طبعه السيئ، ولم يعد يتوق إلى ردّه اللامبالي ومنتظره، أخذ يغني ويرد على نفسه: «تعال إلى هنا لترى أيها الأمين، انظر، انظر في هذا الاتجاه، إلى أين يصل؟».

لم يتبعه لي دونغ باو، نظر فحسب إلى حيث يشير، وقال: «محطة القطار، ماذا في ذلك؟ أم أنك تريد الانخراط في أنشطة التخريب المضادة للثورة؟».

ضحك يانغ شيون وقال: «نعم، محطة القطار، لقد صعدت إلى السطح ونظرت من قبل، يُمكن أن أرى هنا بوضوح من محطة القطار، كما يُمكنني أنا الآخر أن أرى محطة القطار بوضوح من هنا. هذه هي أفضل زاوية. لقد كلفت شخصًا بالفعل بالصعود إلى السطح لعمل أطر حديدية، تلك الأطر الحديدية الكبيرة بحجم أربعة أبواب، إنه على وشك الانتهاء منها. سألصق فوقها أربعة ألواح حديد مصفحة، ومن ثم أقوم بطلائها بطلاء أبيض ناصع البياض، وأطلب من أحدهم الكتابة عليها بخط أحمر فني كبير، سيكتب «دفع فنع للكابلات والأسلاك الكهربائية»، ويكتب تحتها بخط كبير «الأفضل»، ففكر، بمجرد أن يرفع الداخلون والخارجون

من محطة القطار رؤوسهم سيرونها، وإذا ما أرادوا شراء أسلاك كهربائية لاحقًا، ألن يتذكرونا في الحال؟».

قال لي دونغ باو محدثًا نفسه، من الذي يملك مصنع دنج فنغ بالضبط؟

«المكان يتسع لهرائك كله، فلتفعل فيه ما تشاء. حسنًا، تفكير جيد. أرى أن تعلق في الأعلى يافطة أخرى وتكتب عليها سوق الأجهزة الكهربائية، وإلا فلن يستطيع الناس العثور عليك، فالمكان ليس مواجهًا لمحطة القطار».

«هاها، لا أخفيك سرًا أيها الأمين، فكرتُ بدايةً في تعليق اليافطة التي تتحدث عنها، ثم عدت وفكرت، بما أنني سأفعلها، فلأنتهز الفرصة وأعلق اسم دنج فنغ الخاص بنا أيضًا. وإذا ما تبقى موضع فارغ، فسأقسمه إلى قطع وأبيعه للآخرين. نحن العظماء جميعًا هكذا نفكر على نحو مماثل».

«أنت أيها الجنّي الصغير، تنتهز كل فرصة ممكنة لكسب المال». ضحك لي دونغ باو سابًا إياه.

ولكنه أيضًا أسدى له متحمسًا نصائح واقتراحات: «انظر، هذه الأرض الفضاء، ألم تقل إنك تريد أن تنشئ فيها غرفة أيضًا؟ أقترح عليك أن تبني دورين، يكون الدور الأرضي سوقًا، والدور الأعلى مكتبًا. وهكذا يتسع حجم متجرك هذا».

ضحك يانغ شيون وقال وهو يربت على قفازه: «رؤية الأمين لي مختلفة حقًا، ولكنني لا أملك الآن نقودًا كافية، لن أستطيع تنفيذها. لقد أنفقت كل ما كان بحوزتي من مال حاليًا في شراء

هذا المصنع، بالإضافة إلى أنني استأجرت مستودعًا كبيرًا على بعد حوالي أربعة لي (1) من هذا الطريق، سأوفر فيه تشكيلة المنتجات التي سأبيعها في سوق الأجهزة الكهربائية هنا، دفعت إيجار شهر مقدّمًا. وهكذا نفذ المال. لقد جلبت بالفعل أكثر من ثلاثين نضدًا، وسأنقلها إلى هنا بعد عيد الربيع في العام المقبل. كانوا مترددين معي قليلاً بسبب تغيير المكان، فقدمت بعض التنازلات وحصلت على إيجار ثلاثة أشهر مقدّمًا فحسب. لا يُشبه الأمر تأجير مستودعاتنا الحالية، إذ دفعت إيجار نصف عام بأكمله. إيجار ثلاثة أشهر ليس كثيرًا، قررت أن أستخدمها كلها في بناء تلك العُرقة، ولسوف أضع أساسات لثلاثة أدوار، وأبني دورًا واحدًا في البداية. وحينما أحصل على المال شيئًا فشيئًا، سأشيد دورًا بعد دور، ما من حل، عليّ أن أحسب الميزانية بدقة».

«حسنٌ، اعتمد على نفسك وشُق طريقك». ضحك لي دونغ باو، ولم يتفوه بكلمة بعدها.

منذ أن سرى المال في أيدي الناس بشياولي جيا، هرع إليه عددٌ من الناس الذين تربطهم به علاقات ودية بسيطة وتحدثوا معه عن تصوراتهم العظيمة، كانوا يتفوقون في النهاية على جملة واحدة، وهي دعوة لي دونغ باو للاستثمار. يبدو أن يانغ شيون دعاه بكل طريقة ممكنة للمجيء إلى هنا من أجل هذا أيضًا، لقد أصقلت لي دونغ باو التجارب وصار مُحصنًا ضد جميع السموم.

(1) وحدة قياس تساوي 500 متر.

لم يكن لدى يانغ شيون أي شك فيه، فضحك معتدًا بنفسه، وسرعان ما انتهز الفرصة قائلاً: «أيها الأمين لي، لنسير من هنا، لقد حجزتُ لك غرفة في بيت الضيافة بالمدينة، نظيفة للغاية. ثمّة أمرٌ آخر أريد أن آخذ من فمك الذهبي الموافقة عليه».

«ماذا هناك؟ تحدث مباشرة، لا تنصب لي شُرْكًا بكلامك». وقال في نفسه: جئنا إلى المُفيد، هكذا إذن.

قال يانغ شيون: «هنا في متجري هذا كل شيء جاهز ما عدا أهم شيء. لدي أصدقاء قرييون مني للغاية في هيئة السجل التجاري لدرجة أنهم يُطلقون عليّ لقب أخيهم، ولكنهم لا يستطيعون تقديم المساعدة لي، فسوق كبير كهذا، لا يُمكنني تسجيله بمفردي. وقد أعطاني أصدقاؤني فكرة، وهي أن أعتد على جهة عمل وأسجل باسمها. أيها الأمين لي، يُمكنني في الحقيقة أن أعتد على تسجيل المتجر تحت اسم إحدى المصانع المحلية المملوكة للدولة، ولكنني لن أطمئن، فأنا أخشى أن يروا متجري وقد ذاع صيته في يومٍ ما فيبتزونني. كيف يُمكنني أن أجابه أبناء المدينة بمفردي أنا الغريب عن هنا؟! هل يُمكن أن أسجله تحت اسم مصنع دنغ فنغ؟ ولسوف أدفع لك الرسوم الإدارية سنويًا».

لكن ما لم يقله يانغ شيون هو أن هذا التسجيل ذاته ليس محميًا بالقانون، وأنه ليس إجراءً رسميًا، فإذا لم تؤدّ جهة العمل المُرادَة واجبها، وتراجعت في كلمتها يومًا ما، سيكون الأمر وكأنه أهدى إليها جميع ممتلكاته في سوق الأجهزة الكهربائية هباءً.

لذا، فينبغي له أن يعثر على جهة عمل ذات إدارة موثوقة بالنسبة إليه، وأن يكون هذا المدير ذا سُلطة مطلقة على مرؤوسيه. فباستثناء مصنع دنغ فنغ الخاص بلي دونغ باو، لم يستطع أن يفكر في غيره. عقد لي دونغ باو يديه خلف ظهره وأخذ يفكر قليلاً، ثم قال: «أنت أيها المُرَاوغ الصغير، إياك وأن تستخدم اسم دنغ فنغ، إذا ما بحث عني أحدهم في يوم من الأيام لأسد عنك دينك، لن أستطيع حتى الهروب».

ضحك يانغ شيون وأسرع قائلاً: «لستُ بهذه العشوائية، وما حدث لي في بداية العام إذ انكفأتُ على وجهي في الوحل كان إرادة السماء. لكن ينبغي للمرء أن يتعلم من الدرس إذا ما عانى في يوم ما، ألا ترى أيها الأمين أنني غيرت توجه أعمالي؟! ما رأيك، لو أنني نجحت في جذب الانتباه إلى متجري هذا، فسوف يكون لاحقاً مصدرًا ثابتًا للقمّة العيش، ولن أجلب المتاعب لدنغ فنغ بكل تأكيد. أيها الأمين لي، اصعد إلى السيارة من فضلك، ستوصلك هذه الحافلة مباشرة أمام باب دار الضيافة. فكر على مهل في أمر التوكيل، لستُ متعجلاً».

«لستُ متعجلاً؟ كم يفصلنا عن عيد الربيع، أليس بضعة أيام فحسب؟ لا تحاول أن تخدعني أيها الصغير. أوه، هل مقابض هذه السيارة مربوطة بالقماش؟».

سُرعان ما شرح له يانغ شيون: «ما من حل، الجو هنا شديد البرودة، إذا ما لم تُربط بالقماش، قد تلتصق بها يد أحدهم بمجرد إمساكها ولا يُمكن فصلها عنه. انتظر أيها الأمين لي، ولسوف يقيم

أخي الكبير لاو لي عشاءً ترحيبياً على شرفك، إنه شخصٌ طيب القلب أيضاً، حينما تعرضت لضائقة في بداية العام، كنتما فقط، أنت وهو، من مدّ لي يد المساعدة. لقد حدثته عنك، وهو يرغب كثيراً في تكوين صداقة معك».

كان يتحدث بينما يعرفه بهوية لاو لي وخلفيته الحياتية.

أوماً لي دونغ باو برأسه: «إنه رجل حقيقي إذن، قدرة أهالي الشمال الشرقي على الشرب عالية، لأكافح معه مساء اليوم حتى الرمق الأخير في الشرب». كانت كلمة لي دونغ باو لها ثقلها حقاً، لكن ينبغي في الشمال الشرقي التزام الصمت وعدم التفوه بكلمة «أكافح» عند وصف الشرب قدر المستطاع.

لطالما كان يظن أن قدرته على الشرب جيدة جداً، لكن ما إن قابل لاو لي، حتى اكتشف أن لسانه ليس معسولاً مثله، فرفع الكأس وشرب نخبه أولاً، بعد ذلك حمله فيه بعينين واسعتين، فوجده ينافسه في الشراب على نحو مفاجئ، ولم يستعن قط بصبيته الذين كانوا يقفون إلى جواره كالأبراج الحديدية، كما أمرهم بألا يتدخلوا ليضغطوا عليه في تلك المعركة. كانا يتناوبان على الشراب، والناس من حولهم يهتفون في انسجام. وكانت النتيجة أن سقط لاو لي أولاً، وقبل أن يسقط بين ذراعي صبيه، رفع إبهامه معجباً وقال: «كفى، صرنا إخوة بما فيه الكفاية».

في ذلك الحين، لم تكن الأطباق التي على الطاولة قد تم تقديمها بعد.

بدأ لي دونغ باو يأكل شاعرًا بالدُّوار، وأحسَّ أن شهيته مفتوحة كثيراً للطعام الموضوع على الطاولة، كان عليها لحم من الضلع،

ونقائق حمراء في سُمك ذراع الطفل وأشياء من هذا القبيل، كان مُحببًا لهذه الأجواء من الشُّرب الكثير وتناول قطع كبيرة من اللحم. مسح فمه بعدما انتهى من تناول الطعام، وسقط فجأة جسده الذي يزن مائتي جين<sup>(1)</sup>، وكان على يانغ شيون أن يتعامل مع الموقف. من حسن الحظ أن صبية لاو لي كانوا كثيرين، فقدموا جميعًا يد المساعدة في حمله.

أوصل يانغ شيون لي دونغ باو إلى دار الضيافة، وكان متعبًا يلهث، وينظر إلى لي دونغ باو في ذهول، يحاول تكهن أسباب شُرب لي دونغ باو للنيذ بهذه الشراسة دون علة واضحة.

فكّر، أليس من الممكن أن يكون لي دونغ باو قلقًا من أن يتحدث معه لاو لي وذووه عن العمل على طاولة الشراب، وأن يضعوه في موقف صعب لا يستطيع أن يتخذ فيه قرارًا بالموافقة أو الرفض، ولهذا أخذ زمام المبادرة، وأخذ يشرب من أجل قفل أفواه الجميع؟ إذن فعلى ما يبدو، ألم يقرر لي دونغ باو الموافقة على التوكيل؟

كان يانغ شيون منهكًا من كثرة التفكير، لنرى ماذا سيحدث غدًا، يبدو وأنه سيضطر إلى اللجوء للماديات.

حينما استيقظ لي دونغ باو في اليوم التالي، كان مُرتاحًا لدرجة أنه لا يرغب في التحرك. كان الجو قارسًا، الأرض في الخارج مغطاة بالثلوج، أما الجو في الداخل فكان أكثر دفئًا من بيت سونغ يون هوي. سمع يانغ شيون وقد استيقظ بالفعل، ودخل وخرج

(1) وحدة وزن تساوي نصف كيلوجرام.

بهدهوء، كان كسولاً لا يقدر حتى على تنبيه يانغ شيون أن يتحرك كما يحلو له، فتمدد على السرير وأطرق مفكراً في أمر التوكيل الذي عرضه عليه يانغ شيون.

كانت نقطة واحدة هي التي تؤرقه، هل أخذ تلك الرسوم الإدارية القليلة أمرٌ يستحق تحمل مسؤولية هائلة سواءً نجح يانغ شيون أم لا في المستقبل؟

هذه في الحقيقة مسألة تتوقف على طبيعة أخلاقه.

حينما شحن له مسبقاً عربتي بضائع، فعل ذلك لأنه يستطيع أن يتحمل خسارتهما. أما هذه المرة فالوضع مختلف، إذا ما أعار يانغ شيون اسم دنغ فنجح ليستفيد منه هذه المرة، وأراد يانغ شيون أن يحتال مرةً أخرى، من الممكن أن تكون الخسارة فادحة. والمشكلة تكمن في أن يانغ شيون، هذا الفتى، يبدو وأنه لا ينقصه الدهاء، ووجوده في تلك الأرض المتجمدة يُحيل بينه وبين مراقبته.

إذا ما حدثت حقاً خسارة فادحة، فهل سيُمكنه تحطيم بيته فعلاً؟ وحتى لو حطمه، فلن يعوض ذلك خسارته.

فكّر لي دونغ باو في الأسباب بوضوح وقلبها في عقله جيداً، فلم يعد متردداً بعد الآن، وألقى بالمسألة خلف ظهره، هذا شيءٌ لا يُمكن استنتاجه، وما من فائدة من كثرة التفكير فيه.

كان ما يفكر فيه هو أنه في حاجة أن يمر القطار ببكين، فلماذا لا يذهب لرؤية شيوي الكبير وسونغ يون هوي؟!

حينما تبلورت الفكرة في رأسه، فتح عينيه وسأل: «قل لي يا يانغ الصغير، هل يوجد هنا منتجات محلية تعتبر نادرة بالنسبة

لسكان بكين؟». فزع يانغ شيون من صوته المفاجئ، فبُهِت قليلاً ثم قال: «يوجد، وكثيرة هي. أضف إلى ذلك أننا في الشتاء، يوجد بعض المنتجات الجبلية واللحوم البرية التي لن تفسد إذا ما أخذتها إلى بكين، سأذهب لأحضرها لك».

ظل لي دونغ باو متكاسلاً لا يرغب في النهوض من على السرير، فقال: «خذ ألف يوان من جيب بنطالي، وأحضر لي نسختين من الهدية نفسها».

أسرع يانغ شيون قائلاً: «أي مال تُريدني أن آخذه، هذه هدية بسيطة سأتحمل أنا تكلفتها. أيها الأمين لي، إذا ما خرجتُ لأرتب هذا الأمر، فسأضع لك وجبة الإفطار على المشعاع، كُل جيداً حينما تنهض، وإلا ستتعب معدتك من فرط الشراب ليلة البارحة».

«لا تقلق، أكلتُ لحمًا يكفي لبضعة أيام، هل توجد النقانق الحمراء التي تناولتها ليلة أمس؟ أحضر لي واحدة». وهنا نهض أخيراً ليغتسل.

كان يانغ شيون مذهولاً بعض الشيء، نظر إلى لي دونغ باو وهو يأخذ المنشفة وفرشاة الأسنان إلى الحمام بالخارج، فخرج مسرعاً، ولم يترك مكاناً إلا ويبحث فيه عن جميع أنواع النقانق التي ظن أنها الألد مذاقاً، ووضعها أمام لي دونغ باو، كان سعيداً جداً بتناولها، ما جعل يانغ شيون يفتن أخيراً إلى سبب بدانة هذا الرجل الذي أمامه.

مسح فمه بعدما أكل، وأخذ يانغ شيون ليذهب ويرى ذلك المستودع المُكْمَل، ثم ذهب إلى شارع الأجهزة الكهربائية

الذي ما زال مفتوحًا حتى الآن ليلقي نظرة على التجارة فيه، إلى جانب الحديث معه عن نية عقد اتفاق على شراء المصنع الصغير واستئجار المستودع، فهي لا تزال نية قيد الانتظار إلى حين الاتفاق مع وحدة على التسجيل باسمها ومن ثم توقيع العقود.

بدا عليهم جميعًا العمل الجاد، لا يوحى مظهرهم أنهم محتالون. ونظرًا لأن موقع ذلك المستودع كان رائعًا، فقد كان الطريق الوطني ليس ببعيد عنه، كما أن سوق محطة السكك الحديدية على مقربة منه، و متجر الأجهزة الكهربائية في المستقبل سيكون قريبًا منه أيضًا، على بُعد نصف ساعة سيرًا على الأقدام.

على ما يبدو أن يانغ شيون عاقد العزم، كما أنه ألم بالموضوع تفكيرًا من جميع الاتجاهات، وكل الخيارات التي توصل إليها هي الأنسب لتشغيل سوق الأجهزة الكهربائية.

كان يانغ شيون في الأصل يفكر في كيفية إقناع لي دونغ باو جيدًا خلال الطريق، لكن حتى ومع وجود لي دونغ باو في مكانٍ غريب عنه، فإنه لم يكن يسير وفقًا لخطط غيره، وكان يتبع طريقه الخاص، طريقه الخاص الذي لا يحب أن يتحدث عنه كثيرًا.

كانت لدى يانغ شيون الآن حاجة عنده، وليس أمامه سوى التعاون معه بكل قوته.

شعرا بالجوع، فاستخرجا ما كان بحوزتهما من نقائق مُخبّأة وأخذًا منها بضع قضمات. ظلا هناك إلى أن أظلمت السماء، فشعُر لي دونغ باو بأنه اكتفى مما رأى، وطلب من يانغ شيون أن يذهب به إلى مكان يقدم اللحوم للتحدث هناك.

سأله يانغ شيون مباشرةً مُجازفًا بكل شيء: «أوافق أم لا؟». فابتسم لي دونغ باو رافعًا ناظره إلى السماء: «سأوافق إذا ما جعلتني أكل حتى أشبع». ضحك يانغ شيون هو الآخر بمجرد سماعه لما قال، فبلا أدنى شك وافق لي دونغ باو. أخذه إلى مطعم شيوياء، كما أراد أن يطلب نبيذًا، ولكن لي دونغ باو منعه من ذلك.

«معدتي ليست على ما يرام، اشرب أنت إذا أردت».

«لكن، أولم ترغب في الشرب بكثرة ليلة البارحة؟».

«حسنًا، فعلتُ ذلك من أجلك، فمن يجهل ضرورة الشرب بكثرة عند اللقاء بشخصٍ من الشمال الشرقي للمرة الأولى على الشراب؟».

«نعم، صحيح...». لم ينتظر لي دونغ باو حتى يكمل يانغ شيون حديثه، وقال: «لتحدث الآن في موضوع سوق الأجهزة الكهربائية...».

«أنا أيضًا كنت أرغب في التحدث معك عن ذلك». بادر يانغ شيون بالحديث أخذًا بمبدأ الهجوم أفضل وسيلة للدفاع، مُدركًا أن بعض الأمور تمامًا مثل التقاء شخصٍ من الشمال الشرقي للمرة الأولى على الشراب، لها قواعد، «لقد قررتُ أن أخصص نضدًا لك أيها الأمين لي».

«ولما سأتي إلى هنا؟ أنت الذي تساعدني في بيع جميع كابلاتي الكهربائية، هل سأجني مالا أكثر منك إذا وقفت في الكُشك أيها الوغد؟».

«لا، لا، ما من طريقة لنقل هذا النضد من هنا، سأهتم به بدلاً عنك، وسأرسل إليك العائد السنوي بعد تحصيله».

سمعه لي دونغ باو فابتسم: «ألم يصل إلى مسامعك ما الذي يحدث عندنا في شياوليغيا لمن يمد يده ويطلب المال؟ لقد شتق الأمين السابق نفسه. لاحقاً، كان هناك رجلان يركضان من أجل أعمال التوريد والتسويق، علقتهما وضربتهما، ولم يجرؤ أحدهما على التقدم بشكوى. لماذا؟ لأنني آخذ نصيبي فقط. لقد سبق ورأيت هؤلاء القادة الذين يخدمون مصالحهم الشخصية على حساب الشعب، لم ينبج أحد منهم. كل ما أريده منك ألا تنهب رسومي الإدارية، وألا تعبت معي، كما عليك أن تعدني بثلاثة أمور: أولاً، تلك اليافطة التي قلت لي أنك ستضعها فوق السطح، يجب أن تضعها في أكثر مكان واضح بغض النظر عن عبتك في هذا المبنى بأي طريقة. ثانياً، يجب وضع منتجات دنغ فنج الخاصة بي بسوق الأجهزة الكهربائية في أكثر مكان مرئي عند مدخل البوابة. ثالثاً، من الضروري أن تُبقي لنفسك نضداً، وتستمر في التسويق لبضاعة دنغ فنج».

سُرعان ما قال له يانغ شيون: «كنت لأفعل هذه النقاط الثلاث حتى ولو لم تتحدث فيها، فكيف لي أن أترك عملاً صرت متمرساً فيه؟ بالإضافة إلى ذلك النضد، حقيقةً كنت لأعجز عن عمله في البداية، لكن وبمساعدتك لي، لا أعرف كيف أشكرك، فلتدعني أقدم لك هذه الخدمة البسيطة، وسأكون عند كلمتي. وإلا فقل لي أنت، لقد ساعدتني في المرة السابقة، ولم أتمكن من شكرك كما

ينبغي أن يكون، تقول أُمِّي إنني لا أفهم في الأصول، أما هذه المرة فقد ساعدتني أيضًا...».

«أيها الصغير، إذا ما حدث لي شيء في يوم ما، فلتمد لي أنت أيضًا يد المساعدة، ولن يكون أحد منّا مدينًا للآخر بشيء».

كان لي دونغ باو يفهم ما يدور في ذهن يانغ شيون، فحينما افتتح مصنع الطوب وقدم الهدايا لمدير التعاونية الائتمانية، لم يقبل الهدايا المُرسلة من الأمين القديم، ما جعله قلقًا بشدة، ولاحقًا، لم يقبل الأمين شوي من هذا الرجل أي مال، كان يتذكر دائمًا هذا الموقف ويشعر بغصة في قلبه.

من المؤكد أن يانغ شيون أيضًا يفكر بهذه الطريقة.

حفظ يانغ شيون كلام لي دونغ باو في عقله، كما حفظ جميله أيضًا.

مكتبة

[t.me/soramnqraa](http://t.me/soramnqraa)

1989

1

كان جميع زملاء بمكتب التحضير للبناء في منتصف العمر، باستثناء سونغ يون هوي الذي لم يبلغ الثلاثين بعد، ومن ثم فقد كان لجميعهم زملاء قدامى في الوزارة بشكلٍ أو بآخر، ولهم صداقات قديمة اكتسبوها في الاجتماعات السابقة، أما سونغ يون هوي فلا، حتى ولو كان حموه لا يملك علاقات ولا نفوذًا، إذ كان وجود حميه في هذا المنصب محض جَمِيل من الأمين شوي، ولكنه في الوقت ذاته كان تحت سيطرة فعلية منه، فلم تكن من صلاحياته التواصل مع الوزارة واللجان.

يمكن القول إن علاقاته في بكين كانت منعدمة تقريبًا، باستثناء شيوي الكبير.

كان سونغ يون هوي يعلم بوضوح أن عمله في المستقبل سيكون مثلما قال الأمين شوي، إنه لن يتمتع بالعلاقات الاجتماعية التي كانت في جيتشو ثانيةً، وهو في حاجة إلى بناء علاقات اجتماعية جديدة بشيء من الاستقلالية.

بيد أنه لم يكن معتادًا على دق الأبواب وزيارة القادة، ولقد انتقد نفسه كثيرًا من المرات في الماضي قبل أن يستطيع عقد زيارات للأمين شوي، علاوة على ذلك، فقد كان مضطرًا أن يذهب إلى بابه في هذه المرات لأمر طارئة.

كان دائمًا ما يحمل في قلبه أثر كل ما تعلمه في طفولته، يحمل بعضًا من روح الولع بمطالعة الكتب التي تأبى مُداهنة الوجهاء، وفيما عن زيارته للأمين شوي في الماضي، فقد كان يملك تبريرًا ضروريًا لنفسه، أما الآن فقد اختلف الوضع.

ضغط على نفسه وذهب إلى بيت شيوي الكبير. حينما وصل، سمع أنه ليس موجودًا، فكان كاللص الفاشل الذي لم يحصل على شيء، وكان الانسحاب من الموقف أيضًا سهلًا كالإخلاء الآمن.

منذ ذلك الحين بدأ يعمل بنفس راضية، ولم يفكر مليًا.

ومع بداية العام الجديد، جاء زائر غير متوقع. كان الجو قارسًا، ويوي شان تشينغ يرتدي معطفًا صوفيًا طويلًا كالذي كان يرتديه في جينتشو، كان في تلك السنوات يرتدي تحته كتنزة أو بذلة أو شيئًا من هذا القبيل، أما الآن فقد شوهد يسير متجهًا إلى الغرفة التي كان فيها سونغ يون هوي، وحينما دخل خلع المعطف، فكان يرتدي تحته قميصًا على الطراز الغربي، ولم يُرَ أثرًا للكنزة.

ضحك سونغ يون هوي وقال: «ألا تخشى البرد؟ أم أنك ترتدي الكتنزة تحت القميص؟».

«لا تسخر مني، سبق وسافرت إلى الخارج أنت الآخر، لماذا غادرت؟ أو مثلما سمعتُ أن مين تخلص منك؟».

لم ينفِ سونغ يون هوي: «بدا لي أنني لن أستطيع البقاء هناك أكثر من ذلك، ففضلت المغادرة. بيئة مكتب التحضير للبناء حاليًا نقية بعض الشيء. وأنت، ألم تقل إنك ستقوم بتجارتك الشخصية؟ ما الذي حدث وجعلك تذهب لتعمل في هيئة التجارة الخارجية؟ وماذا عن زوجتك؟».

ابتسم يوي شان تشينغ، وهزَّ رأسه نافيًا: «قبل أن تغادر جيتشو، أنت لا تملك أدنى فكرة عن مدى صعوبة العمل لحسابك الشخصي ومدى انخفاض مكائتك الاجتماعية. يُمكن أن تجمع مبلغًا من المال، ولكنَّ الدخل يكون متواضعًا جدًّا، لا يكون كافيًا لحياة مستورة. وبالمصادفة أخبرني أحد زملاء الدراسة بحاجة هيئة التجارة الأمريكية إلى شخص للعمل، ولكنني لا أحمل إقامة دائمة مسجلة في بكين، وعجزت عن الانضمام إلى مجمع مواهب شركة بكين للخدمات التجارية الأجنبية، فما العمل؟ بحثت بنفسي في الأمر، وعلمت أن الأشخاص مثلي، والذين لديهم خبرة في التجارة وتقنيات هذا القطاع، ومستوى جيد في اللغة الإنجليزية، فهؤلاء هم من يبحثون عنهم بالضبط. فتواصلت معهم على الفور، ودبَّروالي أمر الإقامة الدائمة المسجلة في بكين، وسُرعان ما أنهت زوجتي هي الأخرى إجراءات الإقامة. ما رأيك؟».

أطرق سونغ يون هوي للحظة، ولم يتمالك نفسه من الضحك، فقال: «كنت أقول كيف حصلت على رقم هاتفي إذن، يبدو أن أمامنا الكثير من فرص التعاون فيما بعد». ضحك يوي شان تشينغ عاليًا وهو يصفق: «سونغ أيها الصغير، من حسن حظك أنك تقيم في مؤسسة مملوكة للدولة ولن تغادرها، وإلا كنت لتخطف هذا

المنصب الجيد هنا في هيئة التجارة الخارجية أيضًا. كيف تسير الأمور، هل بدأ مشروعكم يتبلور وتتضح معالمه؟».

«أوليس من المفترض ألا أكون هنا الآن إذا ما كان قد تبلور، بل أكون في كوخ من القش على الشاطئ؟ هل قرأت «الإخطار» الذي صدر في شهر سبتمبر من العام الماضي؟».

«نعم، كان وكيلنا العام أيضًا قلقًا بسبب هذا، واضطررنا إلى وقف عدد من المفاوضات التي كنا نجريها. لقد أدركت بعمق لمرات لا تعد ولا تحصى تأثير سياسة واحدة على مجموعة من الناس. حينما ذهبت إلى الهيئة للمرة الأولى قبل بضعة أشهر، دردتُ مع الأجانب متسائلًا لماذا لا نجعل مكتبنا في منطقة دلنا نهر اللؤلؤ التي تتمتع بدرجة عالية من الإصلاح والانفتاح، ولم يمر أربعة أشهر حتى اعترفت بأنني سألتُ سؤالًا غيبًا، فالاقتصاد والسياسة مرتبطان ارتباطًا وثيقًا».

ابتسم لسونغ يون هوي ابتسامة خفيفة: «ولكنَّ السياسة والسياسات شيان مختلفان».

فكر سونغ يون هوي قليلاً، ثم قال: «كلامك منطقي، وهل وجدت خطة للحل بالفعل أم لا؟».

ابتسم يوي شان تشينغ: «يُمكنني فقط القول بأنني وجدت لك طريقًا، لكن ينبغي أن يكون السائر في هذا الطريق واحدًا من فريق مشروعكم».

«وما هو هذا الطريق؟»، لمعت عينا سونغ يون هوي.

«عِدني أولاً، يجب أن تكون هيئتي هي الخيار الأول لكم عند شراء المعدات».

«هذا صعبٌ للغاية، غالبًا فإنك تعلم بأنه يكون قرارًا جماعيًا». «كل ما أعرفه أن القرارات الجماعية الخاصة بالتقنيات كلها في قبضتك أنت. لقد ولّى عصر قياسات الأسعار، وصارت هناك مرونة في القياسات التقنية». ابتسم سونغ يون هوي قائلاً: «أخبرني أولاً، ما الطريق الذي ستدلني عليه?».

«آه، آه، لقد أوشكت أن أنسى إلقاء الطُعم. يوجد هذا الطريق في «الإخطار»، يتحدثون عن تقليص نطاق استثمارات الأصول الثابتة في المجتمع بأكمله، ولكن، اسمع، ثمّة اتخاذ سياسات تفضيلية تجاه المؤسسات ذات الأهمية. تمامًا مثل معرفتك الواضحة بمؤشرات المقاييس التقنية في مشروعك يا سونغ الصغير، قل لي، كيف يتم تحديد هذه المؤسسات ذات الأهمية، أليس ثمّة مقاييس يضعها أيضًا شخصٌ ما؟ هل يُفيد ركضكم في الوزارة من شيء؟ إنه ركضٌ في الاتجاه الخاطيء من الأساس».

كان سونغ يون هوي يُرهِف السمع، ويُصغي جيدًا لكل حرف، ينظر إلى يوي شان تشينغ مستغرقًا في تأملاته، وسأله: «بما أنك لديك حيلة، لماذا لم يتم السماح حتى اليوم للشركات التي تواصلتم معها بإحراز أي تقدم؟».

«هذا هو السؤال بالضبط. تلك المشاريع التي يطرحونها لا تعطي الناس انطباعًا بأنها ذات أهمية. أما بالنسبة لكم فالأمر ليس كذلك، استنادًا إلى إمامك بهذا القطاع، في مقدورك إعادة تحديد

النهج الفكري الذي ستتبعه، وتقديم خطة تثير الإعجاب وتجذب الانتباه من اللحظة الأولى. لأقل لك الحقيقة، إن عملنا الحالي في الهيئة ينقسم إلى نوعين: الأول هو المساعدة في الحصول على الموافقات الرسمية، والثاني هو الترويج للمعدات».

ذهل سونغ يون هوي للحظة، وبدأ يفهم تدريجيًا الدافع الحقيقي وراء ما قاله يوي شان تشينغ بشأن إنشاء مكتبهم في بكين. لقد كان يعتمد في الماضي على جينتشو، تلك الشجرة الكبيرة، ولا يدرك التعقيدات المتشابكة في أمور الحياة.

أخذ يوي شان تشينغ ينظر إليه هو الآخر في صمت، كان أكثر ما يعجبه في سونغ يون هوي هو قدرته على التحلي بالرصانة والالتزان، إذا ما قابل سؤالاً لا يعرف إجابته، لم يكن يجيب، ومن ثم لا يرتكب خطأً، كما كان يعطي الطرف الآخر شعورًا بالإنصات العميق، ويجعله يقف في موضع المبادرة بالحديث، لم يكن يخشى أن يسخر منه الآخرون ويتهمونه بالبلادة.

غالبًا ما يجد يوي شان تشينغ نفسه محاصرًا بالانتقادات ويدخل في جدالات حتى النهاية، لكنه يشعر فيما بعد أنه لم يكن يجب أن يتصرف باندفاع. كان يسخر من ذاته لأن ردة فعله سريعة للغاية، ذكي ولكنه غرّ.

في هذه المرة، عزم عامدًا على عدم الثرثرة كثيرًا، وألزم نفسه بانتظار ردة فعل سونغ يون هوي أولاً.

في الحقيقة، كان سونغ يون هوي يفكر في كل خطوة من خطوات عمليات الموافقة السابقة، ويرى أين تكمن مشكلة مكتب التحضير للبناء الخاصة بهم حاليًا. ولكنه لم يستطع أن يفهم

قط، كان مُلزمًا في الماضي بإدارة التقنيات فقط، ولم يكن يقوم بالأعمال الأخرى مثل الركض للحصول على الموافقات، كان يوي شان تشينغ على العكس هو من يقوم ببعض تلك الأمور. ولكنّه لم يكن في مقدوره إعطاء يوي شان تشينغ وعدًا، فهو يخشى أن يُسيء إلى من يُحتمل أن يكونوا واقفين خلف يوي شان تشينغ، ويؤثر ذلك في المستقبل على مشروع دونغهاي.

ذلك لأنه لا يستطيع أن يقرر بمفرده ربط المعدات المستقبلية بمكتب يوي شان تشينغ. ومن ثمّ، لم يكن أمامه سوى التأجيل، وهو واثق من أنه كان قلقًا مثله بالضبط.

«هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها عن تلك الطريقة في التفكير يا يوي الصغير. هكذا إذن، سيتناقش فريقنا الصغير ويرى ما إذا كان مضطرًا لأخذ إجراء أم لا. وسأترك لك خبرًا على رقم الهاتف المكتوب في بطاقة عملك بمجرد أن نتوصل إلى نتيجة».

كيف لا يفهم يوي شان تشينغ أسلوب سونغ يون هوي في المراوغة؟!

قال له بابتسامة خفيفة: «حسنًا. ومع ذلك، فإياك أن تأخذ الطلبات التي ذكرتها لك سالفًا على محمل الجد، كنتُ أمزح معك فقط، أعلم أنك شخصٌ جاد. بيننا صداقة دامت لبضع سنوات، دخلنا إلى جينتشو للسبب نفسه، وخرجنا منها أيضًا للسبب نفسه، ووفاءً لهذه الصداقة، إذا ما أردت منّي مساعدة في أي وقت فهاتفني في الحال. إلى أين نذهب لنمرح اليوم، لقد جئتُ إلى بكين منذ بضعة أيام، فهل ذهبتَ إلى سور الصين العظيم؟».

كان سونغ يون هوي في الأصل يتجهز وقد التقى بصديقه القديم في تلك الأرض الغربية للتزهر معه، ولم يتوقع أن يرث الهاتف المُلحق بجانب سريره، ويقول له لي دونغ باو أنه ذهب إلى بيت شيوي الكبير، وقد ذهب في الوقت المناسب، إذ عاد شيوي الكبير إلى الوطن للتو بسبب عيد الميلاد، ويُريد من سونغ يون هوي أن يذهب فورًا إلى هناك ليُرددشا معًا.

سُرَّ سونغ يون هوي كثيرًا، واعتذر ليوي شان تشينغ، وخرج كل منهما ليذهب إلى حيث يريد.

مدينة بكين في الشتاء شديدة الكآبة، فأينما تذهب يكون المكان مغطى بالضباب، يبدو لك وكأنه كُتلة من القذارة.

كانت ساحة منزل شيوي الكبير كما هي، حينما تنظر إليها من بعيد تراها مغطاة بالضباب أيضًا، ولا ترى نظافتها إلا حينما تقترب، فيبدو لك الباب المطلي بطلاءٍ غير لامع خاليًا من أي غبار.

تحول لي دونغ باو من ضيفٍ إلى صاحب بيت، إذ خرج يركض وهو يصيح بأعلى صوته، وذهب أولاً إلى منتصف الفناء لاستقباله، فتبعه شيوي الكبير مبتسمًا بلطف، وبدون أي تعالٍ، كان ودودًا للغاية.

شعر سونغ يون هوي بسعادة غامرة بمجرد رؤيته للي دونغ باو، فقد غادر البيت منذ أيام طويلة، وبسرعة البرق أقبل ليُسلم على شيوي الكبير، ثم وجه لكلمة للي دونغ باو في صدره: «جئت إلى بكين دون أن تخبرني مُسبقًا على الهاتف، لقد ازداد وزنك ثانية، هل أبي وأمي على ما يرام؟».

لم ينتظر شيوي الكبير لي دونغ باو حتى يُجيب، وقال ضاحكًا: «كنتُ أقول له للتو، إذا لم يكن الرجل وقورًا فلن يكون مهيبًا، وهو الآن يخرج بمظهر مهيب للغاية. لم نلتق منذ وقتٍ طويل يا سونغ الصغير، تفضل ادخل بسرعة». مكتبة سُر من قرأ

«قويٌّ ومهيبٌ كالنمر، لا عجب إذن فيما قالته لي والدتي من أن الناس صاروا يطلقون على أخي الكبير لقب لي النمر».

اصطحبه لي دونغ باو إلى الداخل، لم يكن لي دونغ باو يملك لسانًا رشيقيًا مثلهما، فبدأ الآن فقط يشارك في الحديث: «والدك ووالدتك على ما يرام، حالهما ليس جيدًا وليس سيئًا، فقط يتمنيان أن تعود لتقضي معهم بعض الأيام في عيد الربيع، كيف ازداد وزنك على النقيض بعدما جئت إلى بكين؟».

«لأن العمل مُريح، ليس كما كنت في السابق أعمل ليلاً ونهارًا. لقد تركت جيتتسو يا شيوي الكبير، وأعمل الآن في مكتب التحضير لإنشاء مشروع دونغهاي».

قال شيوي الكبير ضاحكًا: «أخبرني لي الصغير للتو أنك في بكين حاليًا، وتعجبت للغاية. صحيح، في كل مرة تُنشئ فيها الوزارة مصنعًا جديدًا، لا بد وأن تستعين بأفراد أكفء من مقرات العمل التابعة لها لتقديم الدعم، يبدو أنك حققت تقدمًا سريعًا منذ أن جئت إلى جيتتسو قبل بضع سنوات».

سرعان ما صاح لي دونغ باو: «ماذا، إن تقدم هوي الصغير كبيرٌ جدًّا، ولكنه جاء إلى بكين مطرودًا». وبقلة حيلة، لم يكن أمام سونغ يون هوي سوى أن يحكي ما حدث له في جيتتسو بإيجاز،

ثم قال: «وفي النهاية حاول الأمين شوي أن يُبقي عليّ، ولكنني أنا من طلبتُ الرحيل».

فكر شيوي الكبير قليلاً، ثم قال: «لا بأس بذلك أيضاً، ولطالما تركتها فلا تفكر فيها ثانيةً، وركّز في عملك القادم جيداً. ما المشروع الجديد الذي تتجهز له الوزارة، هل هو مشروع بداية العام هذا؟».

«نعم، إن تصور الوزارة هو...». شرح سونغ يون هوي في هذه المرة بالتفصيل.

شعر لي دونغ باو بالملل، فعقد يديه خلف ظهره وأخذ جولة في المنزل، لم يُبِد أي اهتمام بتلك الديكورات الكئيبة المظلمة، أضف إلى ذلك قضاءه ليلة كاملة في قطار النوم على سرير صلب، ما جعله منهكاً للغاية، فجلس على كرسي خشبي بذراعين من الطراز القديم وبدأ يأخذ قيلولة.

وبينما يتحدثان، سمعا صوت شخير الذي يُشبه الرعد، فانفجرا في الضحك وهما ينظران إليه، لكن سرعان ما عادا إلى صُلب الموضوع.

على الرغم من أن سونغ يون هوي لاحظ أن شيوي الكبير يعامله معاملة باردة، لا يُبِد فيها وُدّاً أو جفاء، لكنّه كان مضطراً لأن يتعلق كالغريق بأيّ قشة من أجل مشروع دونغهاي، شرح له تفاصيل الوضع الحالي بدقة، بما فيها الحلول التي عرضها عليه يوي شان تشينغ للتو، غير آبه بما إذا كان مهتماً بحق أم أنه يتصنع الاهتمام. وعلى الرغم من شخير لي دونغ باو الأشبه بالرعد، ولكنّه كان يعلم في قرارة نفسه أن هذا ليس مكاناً للنوم، ولا شعورياً أيقظ نفسه لآلا يغفو ثانيةً.

وسط تلك الحالة المشوشة، وكأنه سمع سونغ يون هوي يقول بنبرة متشككة: «حقًا؟»، فرد متممًا في الحال: «شيوي الكبير إما يمتنع عن الحديث، وإما يتحدث فلا يخدعك، ألا نعلم أي نوع من الرجال هو؟ أنا أستمع إلى كلامه كله، وأنت أيضًا كن كذلك».

ضحك شيوي وسونغ على كلامه، واستدار شيوي الكبير وقال ضاحكًا: «يقولون إن النمر حينما يغفو يفتح عينًا ويغلق الأخرى، وأنت أيها النمر درجة يقظتك عالية جدًا. لقد انتهت فترة دراستي في الخارج يا سونغ الصغير، سأستفسر من أجلك حينما ينقضي العيد، وأقترح عليك ألا تثق في كلام زميلك السابق وتبحث عن طرق عشوائية. فمشروع دونغهاي الخاص بكم ليس مشروعًا صغيرًا غير مُلفت، ومن غير المحتمل أن تكون الوزارة واللجان غفلت عن التخطيط الشامل له».

حينما وافق سونغ يون هوي على كلامه، غيّر من نبرة صوته، وقال للي دونغ باو بلهجة بعيدة كل البعد عن الجدّية: «إياك أن تغفو، آ، أخبرني ماذا فعلتم في شياوليغيا في تلك الستة أشهر الماضية».

«اجعل هوي الصغير يخبرك، سيخبرك بوضوح».

«أنت لم تهاتفني كثيرًا منذ أن جئتُ إلى بكين قبل شهرين. فلتتحدث أنت».

كان لي دونغ باو ما زال نصف نائم ونصف مستيقظ، وحينما رأى أكثر شخصين مهمّين في حياته ينظران إليه ويضحكان، ويصران على أن يتحدث، جلس معتدلًا على مضض، وتمطط،

ثم قال: «ألم أذهب إلى بلدة داتشيو لأتعلّم منهم؟! كنت متحمسًا في تلك المرة، وأسرعْتُ الخطى قادمًا إليك يا شيوي الكبير في بكين، فلم أجدك، فعُدت لأنفذ الخطط التي تعلمتها. أرسلت بضع عشرة طفلًا من الذين لم ينجحوا في اختبارات الالتحاق بالجامعة من أبناء القرية ليدرسوا في المعاهد العالية، ألا يسمى ذلك بالتدريب... الموجه؟ وعلى العموم، فلن يكون لديهم سجل عائلي بعد التخرج، وعليهم أن يعودوا ليعملوا لدي في شياوليجيا. ستدرس هذه الدفعة الهندسة الميكانيكية والكهربائية، والمحاسبة، وستدرس الدفعة القادمة في الجامعة الزراعية، نحن في حاجة إلى دراسة كل شيء».

«هذا جيد جدًا، صحيح جدًا ما فعلتم، أرى أنك إذا ما قرأت لبضع سنواتٍ أخرى، فستكون الأشياء التي تقومون بها أكبر بكثير أيها النمر». وأخذ شيوي الكبير يومئ برأسه بينما يتحدث.

هزَّ لي دونغ باو رأسه نافيًا: «أنتم أيها القراء جبناء، أما نحن الذين لم نقرأ كثيرًا، فنقبل على الأمور بشجاعة. يوي تسوة مين في بلدة داتشيو أيضًا تعليمه متوسط، ولكنه يعمل بشكل رائع. في رأيي، يجب ألا يكون القائد قارئًا للكثير من الكتب، وإلا فيسكون مقيدًا عند القيام بأي شيء. أما من يعملون تحت قيادته، فلا بد أن يقرؤوا كثيرًا، وستجعلهم تلك القراءة الكثيرة يحسنون العمل».

ضحك شيوي الكبير بمجرد أن سمع كلامه، وكان سونغ يون هوي هو الآخر يضحك أصلاً، لكنه وما إن فكر في جيتشيو، وتذكر مدير المصنع في، وكبير المهندسين ليو اللذين لم يكن

في مقدورهما السيطرة على الأمين شوي الذي لم يكن خريج جامعة، قال للحظة ببعض الشعور بالأسى: «هذه أيضًا مشكلة أرقتني في السنوات القليلة الماضية. يساورني شعورٌ ما بأن المثقفين لديهم أفكار كثيرة، ولكن التفكير في الأمور من جميع النواحي أيضًا يجلب الكثير من التردد والقلق، ويُفقد روح الجرأة في التفكير والعمل، ومن ناحية التطبيق العملي يجعلهم يتخلفون عن الأشخاص العمليين بخطوة كبيرة، وكلما ازدادوا في العمر؛ ازدادت مخاوفهم وشكوكهم».

«غالبًا هذه ظاهرة خاصة في مرحلة معينة». نظر شيوي الكبير إلى سونغ يون هوي ف شعر بأنه مستغرق في التفكير، «لكنه لا ينبغي أن يكون توجهًا مستقبليًا على الإطلاق».

«لماذا غيرتم الموضوع؟ استمعوا إليّ». طالما أراد لي دونغ باو أن يتحدث، فلا يستطيع شيوي وسونغ أن ينافساه، فحنجرته تتفوق على كل شيء.

«خطوتي الثانية كانت التنازل عن بعض صلاحياتي، وتركهم يبحثون بأنفسهم عن مشاريع لتوسيع النطاق. لقد توسع مصنع الأسلاك الكهربائية الآن، والعمال القدامى الذين لديهم خبرة يوجهون العمال الجدد. كما قررنا فتح مصنع نحاس إلكتروني، فقد رأيتُ بعض مصانع النحاس الإلكتروني المتهالكة في القرى المجاورة تسير على خير ما يُرام، ونحن أيضًا قادرون على ذلك بالتأكيد».

«سيتعرض هذا النهر للمزيد من الأضرار الشديدة». هزَّ سونغ يون هوي رأسه يمنةً ويسرةً مستنكرًا، وكانت هذه هي المرة

الأولى التي يسمع فيها لي دونغ باو يتحدث عن مصنع النحاس الإلكتروني. خطف شيوي الكبير نظرة إلى سونغ يون هوي، وتذكر زيارته في العام الماضي لشياوليجيا حينما رأى ذلك النهر الذي تغيرت معالمه بالكامل، «هذه هي مخاوف المثقفين». لكنّه لم يُبدِ رأيه: «أكمل يا لي الصغير».

«لقد استمعنا إلى رأيك يا شيوي الكبير، ونفذنا مشروع الغاز الحيوي في مزرعة الخنازير، هذا الشيء مفيدٌ حقًا، وغلي الماء سهلٌ ويسير مثلما هو الحال في مصنع هوي الصغير عند استخدام الغاز الطبيعي، ولكنّ رائحته كريهة جدًّا، هاها. تعتمد مزرعة الخنازير ومصنع الأسلاك الكهربائية الآن على حرق الغاز الحيوي بالكامل، فنحصل على ما نريد دون جهدٍ يُذكر، ونوفّر الكثير من أموال الحرق. لدينا الكثير من الخنازير في المزرعة، وكنا في الماضي نقلق من روثها الكثير كل يوم، ولا ننتهي من نقله، نخصص جرادًا كاملاً له، أما الآن فصرنا نقلق من ألا تُخرج فضلاتها، ونفكر أيضًا في حرق الغاز الحيوي من أجل أفران الطوب. توقف تشونغ فو عن العمل، فهو من يربي الخنازير، وكان روثها هو الذي يُخرجه، فهو يُريد استخدام الغاز الحيوي في تربية الأسماك والجمبري. لقد قُمت في الماضي بملء بركتين له بالأسماك، وهو متعلق بهذا الأمر كثيرًا. ذهب هذه المرة مع خبراء من المقاطعة لجلب ضفادع الثور التي في حجم راحة اليد، وجمبري المياه العذبة العملاق، وحلزونات التفاح الذهبي الذي يُشبه حلزون الأرض، وأيضًا السمك البلطي الأعرض من سمك الشبوط. قلتُ: هل سيستطيع العناية بها؟ فقال لي: لا مشكلة، فلنضعها أولاً في دفيئة دافئة لتربيتها،

وتدفئة المُشعات باستخدام الغاز الحيوي، وأخبرني بأنها ستتكاثر وحدها في الربيع. لم أصدق مدى روعة هذه الأنواع، فطهوتُ ضفدع ثور منها في صلصة الصويا، كان طعمه لذيذًا، ولحمه كثير، أكثر من اللحم الموجود في الضفادع الخضراء. غضب تشونغ فو منِّي، وكان على وشك أن يضربني، هاها».

وقع كلُّ من شيوي الكبير وسونغ يون هوي في حيرة، أيضًا كان أم بيكيان؟ أما لي دونغ باو فقد ضحك معتدًا بنفسه وقال: «لا بد وأن له مستقبلًا واعدًا ما دام طعمه لذيذًا، لقد وعدت تشونغ فو بالآيقلق من حيث المال طالما سيعمل جيدًا، وسأحل له هذا الأمر. لم أطلب قرضًا من المحافظة منذ عامين، ولا تدري كم يستعجلونني لكي أوافق، وأنا مصر على الرفض، ما جعل البنك في غاية القلق، اللعنة».

ضحك شيوي الكبير وقال: «لا بد وأن له مستقبلًا واعدًا ما دام طعمه لذيذًا، بهذه البساطة».

قال سونغ يون هوي متمعنا: «ثمة أمرٌ مريب، كيف لم تأكل أي شيء سوى ضفدع ثور؟ لقد أخبرني من قبل أنه يرقص طربًا حينما يصطاد ضفدعًا أخضر بالصنارة». فضحك لي دونغ باو عاليًا، ولم يحاول أن يُراوغ ويبرر فعلته. فحينما رأى تشونغ فو يستقدم تلك الأنواع الأربعة، أحسَّ أنها كلها عادية ما عدا ضفدع الثور، جذب انتباهه، ووقع في حبه من النظرة الأولى، أخذ يفكر فيه ليلاً ونهارًا، فصفدعٌ كبيرٌ كهذا، هل سيكون لحمه غير ممتلئ مثل ضفادع البرك؟ وإذا كان ممتلئًا، فما أطيب مذاقه إذن! ومن

ثمَّ انتظر حتى خرج تشونغ فو، ودخل إلى الدفيئة واسترق منها ضفدعَ ثورٍ كان في حالة سبات شتوي، وطلب لاحقاً من زوجة سي باو، والتي كانت مسؤولة عن إدارة مقصف القرية، أن تضيف إليه البصل الأخضر والزنجبيل وتطهيه في صلصة الصويا، وكما توقع، كان طعمه لذيذاً، فقط لم يكن واحداً كافياً ليسد رمقه. كانت واحدة من أمنياته في الوقت الحالي هي أن تكبر الضفادع التي في الدفيئة بسرعة وتتكاثر.

«من السهل تربية سمك البلطي، فما إن يوضع في دفيئة دافئة حتى يتزاوج في غضون بضعة أيام، ويحتفظ ببيضه داخل فمه، ما أغربه! وفي الربيع يُصبح لديك دفعة جديدة، تنمو وتكبر بسرعة كبيرة، أرغب في أن أرى هل سيشتري أحداً أم لا».

لطالما كان شيوي الكبير يحب الاستماع إلى كلام لي دونغ باو اللفظ، ومن ثمَّ تذكر فجأةً أمراً، فقال لسونغ يون هوي: «عذراً يا سونغ الصغير، اذهب إلى حجرة المكتب واجلس فيها قليلاً، أريد أن أسأل لي الصغير في أمرٍ ما».

لم يتبين سونغ يون هوي ما هذا الأمر، فاستجاب لكلامه واستدار مغادراً. هنا سأل شيوي الكبير لي دونغ باو بصوت منخفض: «هل حللت مشكلتك الشخصية أم لا؟».

«لا، وأنت أيضاً، أليس كذلك؟».

«ابني صار عاقلاً تقريباً بما يكفي، ولقد مرَّ وقتٌ طويل، ينبغي لنا أن نأخذ الأمر بعين الاعتبار. لقد صار لدي فكرة عن كيفية التعامل مع الموقف، وأنت؟».

لم يتوقع لي دونغ باو أن يتحدث شيوي الكبير بهذا الوضوح، فسأله بلا أدنى تردد: «وهل نسيتها؟».

«كيف لي أن أنساها؟ ولكن... هذا ليس واقعياً. أنا أبحث الآن عن واحدة مختلفة عنها تمامًا، ولا بد أن تكون زوجة صالحة وأماً مثالية، بسيطة جدًا وروتينية. وأنت؟ إياك أن تُجبر نفسك على القيام بشيء، لكن تمامًا مثلما نصحتني من قبل، لن تكون زوجتك مطمئنة في الأعلى وهي ترى حياتك غير منتظمة».

احمرَّ وجه لي دونغ باو فجأة، وقال بصوتٍ يخالجه التردد: «هناك واحدة، كانت في الأصل جيدة جدًا، وكنتُ أذهب إليها كثيرًا، ولكنها رفضت ذهابي إليها فجأة. وإذا كانت لا تُريدني أن أذهب فلن أذهب. نصحني هوي الصغير أيضًا أن أجد لي زوجة، ولكنني لستُ غير قادر على إيجادها، الأمر أنه حينما كان ينصحني كان يتكلم بصعوبة بالغة، إنه لا يتمنى ذلك، فهل ستتمنى أخته؟».

لم يتصور شيوي الكبير وجود سبب كهذا، فتنهَّد متأثرًا بحال لي دونغ باو، وعلى أي حال، فمن غير الواقعي أن يُطلب من سونغ يون هوي أن يحث صهره بسعادة على الزواج مرةً أخرى، يكفي أنه استطاع أن ينطق بهذا أصلاً. جعله هذا الأمر يتفهم سونغ يون هوي، فقد مرَّ بتجربة مشابهة للي دونغ باو، وأخو زوجته الصغير يصعب التعامل معه. لم يكن يرى سونغ يون هوي في السابق إلا بعين الأمين شوي، ويعرف منه ما إذا كان مُفيدًا أم لا، وكانت لا تزال لديه بعض علامات الاستفهام حول مغادرته لجينتشو، لكن في هذه اللحظات تغيرت وجهة نظره شيئًا فشيئًا.

«اسمع مني يا لي الصغير، ابحث لك عن زوجة صالحة تعيش معها، فحياتك وحيداً ليست جيدة، ما من أحد يهتم بمأكلك وملبسك، كيف لك أن تكون بديناً بكل هذا القدر؟ عدني».

فكر لي دونغ باو بجدية لبعض الوقت، وقال: «أنا لا أهتم كثيراً بالطعام والملبس، فقط في بعض الأحيان لا أتحمل الوحدة ليلاً، لكن لا تُشغل نفسك بي في هذا الأمر، وانشغل بنفسك أولاً».

كان شيوي الكبير يعلم أنه مُباشراً وجلف، ولكنه لم يتصور أن يكون مباشراً معه بهذه الدرجة، فقال ضاحكاً: «أتحدث إليك من الناحية العلمية، العزوبية ليست جيدة للصحة. هكذا إذن، اقض ليلتك هنا، وسأرافقك للتجول في الصباح الباكر».

«لا، يوجد سريران عند هوي الصغير، سأبيت ليلتي هناك، وسأركب قطار الغد، ما الجميل في جو بكين المُغبر؟! يمكنكني التحدث معك، لكن لا يمكنكني المبيت في منزلك، لطالما كانت لديك هيبة القائد، لن أرتاح إذا نمتُ في بيتك. سأسمع كلامك في موضوع الزواج، فما تقوله منطقي بالتأكيد».

لم يسع شيوي الكبير سوى أن يضحك دون أن يحاول إبقاءه. تناول لي دونغ باو وسونغ يون هوي وجبة فاخرة في بيت شيوي الكبير ثم عادا، ولكن لي دونغ باو لم يشبع، فحينما ركب الحافلة، كان ينظر حوله في جميع الاتجاهات باحثاً عن شيءٍ يؤكل، لكن سكان العاصمة لم يمنحوه الفرصة لتناول وجبة ساخنة. لم يكن أمامه سوى استخراج قطعة نقائق مدخنة ليأكلها بعدما دخل إلى غرفة سونغ يون هوي.

قال بينما يأكل: «حينما طلب منك شيوي الكبير الخروج منذ قليل، كان يُريد أن يسألني عن مشكلتي الشخصية. طلبت منه أن يساعدك، وأكد لي أنه سيفعل. كل ما في الأمر أنه لم يعد الآن يملك سلطات في المحافظة كالتي كان يملكها من قبل، انتظر حتى يذهب إلى العمل ويستفسر لك بوضوح عن الأمر، سيدلك على طريقٍ ما. ما يقصده هو أن مشروع دونغهاي الخاص بكم هو الأول من نوعه الذي يحصل على فرصة للعمل فيه، وهو لا يُريد أن يُمنع عن ذلك».

«ولكنه لا يعمل الآن في قسمنا، فكيف تكون له علاقة بمشروعنا؟».

«هل سأعرف أمرًا كهذا وأنت نفسك لا تعرفه؟! اسمع لكلامه على كل حال، فهو لن يخدعني، ولن يخدع صهري الصغير».

قال سونغ يون هوي ضاحكًا: «أنا متعجبٌ بشدة، كيف نشأت بينكما هذه العلاقة القوية؟! أنت، كفاك أكلاً، صرتَ بدينًا للغاية، ليس هذا جيدًا لصحتك».

وبينما يتحدث، مدَّ يده ليأخذ النقائق المدخنة التي لم يأكلها بعد، لكنه وجد رائحتها زكية، فأخذ منها قضمة هو الآخر: «ممم، طعمها لذيذ حقًا. هل كان يانغ الصغير يتملقك؟ ما أذكى هذا الفتى!».

«ذلك الفتى أمكر من الثعالب، لا أدري ما الذي يدور في عقله، لقد أنشأ سوقًا للأجهزة الكهربائية باسمي، سيحصل على

المال فيما بعد دون أدنى جهد، يبدو أنه إنسانٌ بار بوالدته، لكنك لن تلاحظ ذلك من مظهره».

«خالط هذا الفتى الكثير من الناس، شخصيته ماكرة جدًا، من الصعب السيطرة عليه قليلاً، عليك أن تأخذ حذرك عند التعامل معه».

«لا تخف، إنه لا يجرؤ».

تذكر سونغ يون هوي أسلوب لي دونغ باو الخاص؛ وهو تسديد اللكمات. أما في مثل مؤسساتهم المملوكة للدولة، ومع مثل شخصه الذي يحمل لقب المثقف، فلا يمكن أن يتم التعامل مع الأمور بذلك الأسلوب المباشر. لكنّه في بعض الأحيان يود لو يسدد لكمة إلى أنف شخصٍ ما، وبخاصة مين. من هنا يُمكن رؤية زيف المثقفين وعجزهم.

في هذه المرة، وبمجرد لقائهما، كان بإمكانهما التحدث في كثير من تطورات شياوليغيا، لكن لم يكن لدى لي دونغ باو أي مشكلة يحتاج فيها إلى مساعدة سونغ يون هوي في اتخاذ القرار، فكلما همّ سونغ يون هوي بطرح سؤال وجد الحل جاهزًا تقريبًا عند لي دونغ باو. كان أسعد ما يكون من أجل شياوليغيا التي بدأت تسير على الطريق الصحيح، ولكنّه شعر أيضًا بالخذلان مرة أخرى.

عاد لي دونغ باو إلى بيته، وكالعادة لم يجد والدته.

دلف إلى المطبخ باحثًا عن شيء يؤكل، فوجد فوق منضدة الطهي كومة من السجق المدخن، واللحم بالصلصة، والبط المجفف، والدجاج المجفف وأشياء من هذا القبيل، كانت الأطباق مغرية جدًا. بعد كل شيء، كانت شهيته لا تزال تُفضّل طعام البيت، فقد ضجّر من النقائق المدخنة التي أكل منها في الشمال الشرقي كثيرًا، أما اليوم فيسيل لعبه أمام اللحوم المقددة.

سرعان ما عادت والدته، ففي القرى، وبمجرد دخول أحدهم إلى منزلٍ ما، تطير الأخبار بسرعة البرق، إذ يجلس الرجال والنساء العجائز الذين ليس لديهم شيء يفعلونه عند النوافذ والأبواب ليراقبوا المارة في الخارج. فما بالك حينما يكون هذا الشخص هو الأمين دونغ باو وقد عاد إلى قصره؟!!

حينما رأتة أمه يحدق في كومة الأطباق ولعبه يسيل، أسرعته قائلة: «أحضرتها امرأة، ما لقبها؟ آآآ... قالت إن لها مطعمًا في المحافظة. لا أظن أنك كنت تبحث عن شريكة في السر، لذا قبلتُ منها الأشياء نيابةً عنك». قال لي دونغ باو في نفسه: وي تشون هونغ، يا لها من امرأة خطيرة! ألم أقل لها على الهاتف ألا تتراجع عن قرارها؟ لماذا أرسلت هذه الأشياء إذن؟ ولكنه لم يكن من النوع الذي يُصعّر عقله، ولم يطاوعه قلبه على إعادة هذه الأطعمة الشهية، فقال لوالدته: «اطهي لي وركي دجاج على البخار، سأتصل بأحدهم».

«هناك شيء آخر، قلتُ لتشونغ فو إنني سمعتُ أن الأسماك القادمة من الخارج شكلها في غاية الجمال، وطلبتُ منه أن يجلب لي اثنتين لأطبخهما. فحاول هذا الصغير التملص مني، وقال لي إن عليَّ الانتظار إلى حين أن تعود وتعطيه الموافقة. لا بد وأنه كان سمكة قد أُكلت في الحياة السابقة، فحينما ردمت له بركة الأسماك من قبل كان حزينًا وكأنه يتحجب».

«لا يُمكنك استغلال منصبِي من أجل غرضٍ شخصي، لستِ تفتقرين إلى المال على كل حال، أليس من الأفضل أن تنتظر حتى تبدأ القرية في بيعهم ونشتري بضعة أسماك؟».

«ألم تسرق ضفدع ثور وتأكله أنت الآخر؟ فكيف تسمح لنفسك بأن تأكل ولا تسمح لأمك؟ يقول الجميع إن تشونغ فو لا يُظهر احترامًا لك أيها الأمين». كان لي دونغ باو قد وصل بالفعل إلى حجرة المعيشة، فاستدار عائداً، وقال لوالدته: «إذا قال أحدهم هذا الكلام ثانية، فقولِي لهم إن لي دونغ باو يُريد مواجهة هؤلاء الذين لا يجروؤون على سماع كلامه. تشونغ فو من ذلك النوع الذي أثق فيه وسط جميع هؤلاء الذين اجترؤوا على مضايقتي في الماضي».

قال ذلك ثم غادر على الفور.

التقطت والدته خرقة وألقته على ظهره، وتمتمت قائلة: «أيها الرخيص، لن تنضبط إلا إذا عوملت بطريقة أخرى».

اتصل لي دونغ باو بمطعم وي تشون هونغ، إنه لم يذهب إلى ذلك المطعم منذ أن اتخذ قراره. لكنه رجلٌ، ويتحمل عواقب

فعلته، لطالما جاءت إلى باب بيته، فلن يتجنبها على الإطلاق، كيف يكون رجلاً إذا هرب من الرصاصة؟

حينما سمع صوتها على الهاتف، ألمت به حالة مفاجئة من الارتباك، وسكت قليلاً ثم قال: «هل أنتِ من أحضرتِ هذه الأشياء إلى منزلي؟ ما الخطب؟».

«ما من شيء، أردتُ أن أراك. انتظر، سأغيّر الهاتف».

انتظر لي دونغ باو قليلاً، ثم اتصلت به مرةً أخرى: «أيها الأمين لي، هل حقاً لا تُريد رؤيتي؟».

«أليس هذا كلاماً فارغاً؟ أم كنتِ تُريدني أن أنتظر إلى حين أن تطرديني متحججة بعطلة ابنك! لا تُرسلني شيئاً ثانيةً». صمتت هنيهة، وأطالت الصمت لدرجة أفقدت لي دونغ باو صبره وأراد أن يُغلق الهاتف، ثم قالت: «سمعتُ أنكم تُربون عندكم أسماكاً من الخارج، إذا كانت هناك أنواعٌ جيدة، فماذا لو أقدمها في مطعمي أولاً؟».

«حسنًا، علّقي يافطةً على مدخل بابك، قولي فيها إنك تقدمين أسماك شياولي جيا».

«شكرًا إذن. لم أكن أتوقع منك أن توافق في الأصل على مثل تلك المنفعة الكبيرة، آه، شكرًا لك».

تأثر للحظة حينما وجد وي تشون هونغ، وهي طليقة اللسان، تتحدث بشكل مقتضب وتكرر الكلام، فقال بصوت مختنق: «علام الشكر؟! اطهي السمك جيدًا ولا تُفسدي سمعة شياولي جيا».

«هذا مؤكد». صمتت للحظة، ولم تهّم بإغلاق الهاتف، بحثت عن موضوع جديد: «المصاييح المتدلّية جميلة للغاية، كل من رآها أثنى عليها، ولم يعرف أحد أنك من أرسلتها، أنت دائماً سبّاقٌ للآخرين فيما تفعل».

«آه، إذا لم يكن هناك شيء فسأغلق الخط».

سمعت وي تشون هونغ كلامه وقد نفذ صبره، فشعرت بالتوتر، واندفعت قائلة: «في الحقيقة، لقد خشيت أن أتحدث إليك في أمر الإصلاحات صيفاً لثلاث تسيء الظن بأبني أريد منك مالاً، لذا قلت لك إن ابني قادم؛ لأبعدك شهرين. أنا... كيف يمكنني أن أطردك؟ فكر في الأمر، أما زلت لا تفهمني؟».

ذهل لي دونغ باو: «لماذا إذن أجريت تغييرات على الطابق الثالث أيضاً؟». قالت بأسى: «لم تأت وتر بعد، فهل عرفت كيف أجريت تغييرات على الطابق الثالث؟ أنت شخصٌ قلبه كبير، لن تتوقف عن دخول متجري الصغير في المستقبل، أليس كذلك؟!»  
«ألم تجعليه للطاولات الفخمة؟».

«هل ستصدقني إذا ما قلتُ لك؟ ألا يكفي أن ترى الحقيقة بأم عينيك؟ سأنتظرك في المساء، وسأعد لك طاجن لحم بقري من الصدر، حسن؟».

«لن آتي». اندفع لي دونغ باو كعادته، وأغلق الخط.

كانت وي تشون هونغ تعلم في قرارة نفسها أنه ما من أمل، فلي دونغ باو من نوع الرجال الذين يتمتعون بهيبة عالية، وكم من الفتيات العذارى اللاتي كُنَّ على استعداد للتخلي عن كبريائهن

وملاحظته. لقد استطاعت أن تُغويه العام الماضي، ما كان يضعها حرقياً في موضع مميز وقريب منه، كانت على استعداد أن تقوم على خدمته وكأنه زوجها، ولم تتصور أنها كلما كانت أكثر حذراً ستتسبب في سوء فهم أكبر، ومع ذلك فعلى الأقل قد فهمت أخيراً هذه المرة ما الخطب، لا عجب في أنه أرسل مصابيحاً متدلّية، فالعدد الذي أرسله وضعها في حيرة. على أغلب الظن أنه ما زال يُسيء الفهم حتى اليوم، لا بد وأنه عثر على امرأة أخرى غيرها منذ وقتٍ طويل، وإلا لما قال بكل هذا الوضوح: «لن آتي»، كان في السابق يقدم أعذاراً، مثل أن يقول: «ليس لدي وقت».

أما لي دونغ باو فقد وضع سماعة الهاتف وأطرق قليلاً في حالة ذهول، قال في نفسه: هل أساء الظن حقاً فيها؟ إذا كان الأمر هكذا، فهي إذن امرأة ذات كرامة. شعر للحظة بأنه مشّت الذهن، لكن سرعان ما أسرت روحه رائحة الدجاج المشوي، أكل حتى شبع ثم خرج للقيام بجولة تفقدية، وبالطبع ذهب أولاً إلى مكتب القرية.

حينما رآه لي شي قن يدفع الباب بركلة قدم، وكان مُرابطاً في قلب شياولي جيا لا يُهزّه ريح، شدّه وقال له بصوت منخفض: «لدي ما أقوله لك بعد غيابك الطويل في رحلة العمل، سأخبرك بهذا الكلام ولا تلقّ له بالاً».

«ما الخطب؟ أتريد أن تخبرني بأنهم يقولون إن تشونغ فو يعارضني؟».

أزاح لي دونغ باو يد شي قن عنه، فهو ليس معتاداً على ذلك.

«نعم، سمعتُ زوجتي في ذلك اليوم شخصًا مُحَرِّضًا يتحدث أمام والدتك. لا يمكنك تصديق هذا الأمر، تشونغ فو شخص يتسم بالوضوح، واحد وواحد عنده يساوي اثنين، حينما ردمت له بركة الأسماك من قبل تشاجر معك في البداية، لكنه بدأ يطيعك لاحقًا. على كل حال، فهذا الأمر الأول الذي حدث. الأمر الأكثر خطورة هو أنني لا أعلم من الذي جاء بهذه الأفكار، يقولون إن هونغ وي وتشونغ فو وتشنغ مينغ يعملون الآن في الواقع تحت إدارتي، ويسمعون كلامي أنا لا أنت».

ضحك لي دونغ باو عاليًا: «كنتُ أقول لماذا تتحدث إليّ كالفتاة الخجولة. أنا لا أصدق، هل تجرؤ أنت؟ هل يجرؤ ثلاثتهم؟». قال شي قن وقد ارتسمت على وجهه علامات الجدبة: «لا بد وأن يكون لهذه الإشاعات أساس مؤكد. أنت لا تدير الآن شيئًا محددًا، فأنا وثلاثتهم من ندير الأمور، ثمة شخصٌ ذكي لاحظ أن لدينا نحن الأربعة سلطات كبيرة جدًا، وإذا ما اتحدنا فستنهار شياوليجيا، صاحب هذه الإشاعات لديه نوايا خبيثة».

ضحك لي دونغ باو ثانيةً بصوتٍ عالٍ، وضرب بقبضته على الطاولة بعنف، فاهترت الطاولة اهتزازًا شديدًا أوقع بجميع فناجين الشاي على الأرض.

«فليجرؤوا!» حدّق فيه بنظرة حازمة، وتحدث وعيناه يتطاير منهما الشرر: «يعلم الجميع أنه في مقدوري إيقافكم، وفي مقدوري أيضًا طردكم، بل أستطيع جعل الأمين بينغ يوان يقتلكم. كل مُروجي هذه الإشاعات ومصديقيها ما هم إلا خنازير حمقاء!».

ارتعد شي قن من ردة فعل لي دونغ باو، ودون أن يشعر مدَّ يده وأمسك به: «أردتُ أن أنبهك فحسب، أم أنك تظن أنني أختبرك؟! لماذا تعاملني بهذا الأسلوب القاسي؟». قال لي دونغ باو مندهشًا: «أين هذه القسوة؟ لماذا سأقسو عليك؟ هل أنت من روجت لتلك الإشاعات؟». ثم أزاح يد شي قن عنه ثانيةً.

حملق شي قن بتوتر في وجه لي دونغ باو، فوجده كعادته دائمًا، وعلم أنه أسرف في القلق، كما علم أن لي دونغ باو قال ما يُمكنه فعله، فهو قلبه على لسانه، وليس في ذلك ثمة تهديد. تنهد قائلاً: «سأنشر ما قلته لي، تجنبًا لأن يهيم أحدهم حقًا بفعل شيء ما، وتجنبًا أيضًا لأن يشعر أحدهم بالغيرة من مناصبنا نحن الأربعة، ويحاول عبثًا بثَّ الفتنة. تزداد المضايقات بازدياد الأموال في قريتنا، الجميع طامعون في المال».

«أنت رجلي المخلص». كان لي دونغ باو يتحدث دون أدنى تردد، «دع الحديث في هذه الأمور السخيفة، أخبرني ماذا حدث مؤخرًا؟».

قدّم شي قن له تقريرًا بالأمر المهمة كعادته، وكان ثمة بعض الأوراق التي تحتاج إلى توقيعه، أخذها، وبدأ يشرح له بينما يوقع. لم يكن لي دونغ باو أساسًا في حاجة إلى الفحص الدقيق للأمر التي استبعدتها.

بعدما وقّع لي دونغ باو جميع الأوراق، قال: «انتهيت؟ إذا كنت قد انتهيت فساغادر»، وغادر حتى قبل أن يرد عليه شي قن، لكنّه تذكر شيئًا بوصوله إلى الباب، فقال: «حقق في أمر التحريض،

واعرف من الذي روج لهذه الإشاعات. انقل كلامي، ومن يجرؤ على المساس بالقيادة الجماعية لشياوليجيا فسأهدم منزله».

سأله شي قن في هدوء: «دونغ باو، هل فعلاً تصدقنا إلى هذا الحد؟ ولا تلقني بالأل لكلام الناس؟»

قال لي دونغ باو: «لدينا نظام رقابة، ولدينا أيضاً نظام مكافآت، حادثة انتحار العم الكبير جرت أمام أعيننا، فمن سيترك الطريق المستقيم ويسلك طرُقاً ملتوية؟ إذا قرر أحدهم أن يسلكها فلا بأس، المهم ألا يجعلني أكتشفه، وإلا فسيكون له مني ما يستحق».

ابتسم شي قن ابتسامة باردة وقال: «ألا تشعر بالقلق من أنني قد أتحالف مع الثلاثة الآخرين لإقصائك دون أن تدري؟» وضحك لي دونغ باو: «أخي شي قن، كيف لم يتمكن عقلك الذكي من التفكير في هذا؟ ثلاثتهم يخشونني، وينزعجون منك، كلهم مستأؤون. هل سيتحدون معك؟ يمكن أن ينجح الأمر لثلاثة أيام، وسيبدوون في الشجار بعد ثلاثين يوماً، وسيعصون بعضهم. جرّب إذا كنت لا تصدقني».

ارتسمت علامات الراحة على وجه شي قن، وأخذ نفساً طويلاً: «حسناً، أنت عادةً تُجيد التظاهر، تشانغ فيي أيضاً يُجيد خياطة الثياب<sup>(1)</sup>. يكفي أن تكون على علم بذلك. جُل ما كنت أخشاه هو أن تكون مؤمناً بذلك في قرارة نفسك ولكنك لا تريد أن تفصح

---

(1) قصة تحكي عن رجل ضخم قوي البنيان ذي شخصية وقحة اسمه تشانغ فيي، تمزق رداء المعركة الذي كان يرتديه، فتحداه باقي الجنود بأنه لن يستطيع خياطة الرداء وأن هذا من أعمال النساء، وفي النهاية استغرق منه الأمر وقتاً قصيراً في خياطته، وكسب الرهان.

عنه علانيةً لئلا تفقد ماء وجهك، سيظل قلبك غير مرتاح فيما بعد. لقد اطمأنت، فلتذهب أنت. بالمناسبة، لقد نَحَفْتُ ضِفَادِع الثور بعد دخولها في بيّاتٍ شتوي لكل هذه الأيام، فلتطلق سراحها».

غادر لي دونغ باو وهو يضحك بصوتٍ عالٍ متجهًا إلى مصنع دنج فنج، ومع ذلك كان ما زال يفكر في كلام شي قن. بيد أنه اختار أن يصدق هؤلاء الأربعة، فهم زملاء عمل منذ سنوات طويلة، يعرف أصلهم وفصلهم، فعلى أي أساس تتزعزع ثقته بهم بسبب كلام الآخرين؟ علاوة على ذلك فقد أخبره بالأمر شي قن نفسه.

اطمأن شي قن هو الآخر حينما رأى توجه لي دونغ باو الثابت. فمنصبه يختلف عن الثلاثة الآخرين. لو صدّق لي دونغ باو تلك الشائعات المُحرّضة حقًا، فسوف يترك شياولي جيا فعلاً، وإلا فلن يكون أمامه سوى مصير الأمين القديم وشنق نفسه، من حسن الحظ أن لي دونغ باو يفهم الأمور بوضوح. إن له شخصيةً جلفّة، ولكن قلبه ليس كذلك، في الحقيقة قلبه واضح مثل المرأة، حتى أكثر الأمور تعقيدًا يتحدث عنها بوضوح، الأبيض عنده أبيض والأسود أسود، لا يدري شي قن ماهية ذلك الأسلوب الذي يسلكه لي دونغ باو والذي يُمكنه من تبسيط الأمور المعقدة هكذا بسهولة، فبرغم كل هذه الأشياء التي تحدث في شياولي جيا، ما زال هانئ البال، يزداد وزنه، ليس مثل الآخرين الذين فتك بهم القلق حتى ظهرت عليهم علامات الشيب.

تفقد لي دونغ باو أخيرًا الدفينة، لم يمر وقتٌ طويل على دخوله إليها، ولا يدري من أين وصلت الأخبار إلى تشونغ فو، إذ جاء يلهث

بشدة، وحينما رآه لي دونغ باو لم يتمالك نفسه من الضحك: «تشونغ فو، تقول أُمي إنك كنتَ سمكة في الحياة السابقة، يرق قلبك بمجرد رؤية الأسماك. أتخشى أن أسرق أسماكك ثانية لآكلها؟ هاها».

وضع كلامه تشونغ فو في موقف مُحرج، كان يخشى حقًا من أن يمس أسماكه العزيزة ويطهيها. قال ساخراً: «ما هذا الذي تقول؟ جئتُ مُسرِعاً لأقدم تقريراً إليك أيها الأمين حينما رأيتك قادمًا لفحص العمل، اسمح لي بالمزيد من تملقك».

«اللعة، النبش في فمك عن كلام تملقني به أصعب من البحث عن ضفدع في قاع خندق. هل صار بالإمكان أكل السمك البلطي؟».

«يمكن تناول بضع أسماك كبيرة منها، علاوة على ذلك فإن الدفعة الأولى من الأسماك الصغيرة لم تكبر بعد، ولكنها صارت على وشك الدخول في مرحلة التزاوج. هاضم الغاز الحيوي الخاص بنا حقًا مفيد، الأمين شوي في بكين يرى الأمور من منظور أوسع. يقول البروفيسورات في الجنوب إن هذه الأسماك جميعها تُربى في الينابيع الحارة، فلا يجروون على تربيتها في الهواء الطلق شتاءً، فإذا لم تكن الحرارة كافية لن تكبر، وإذا كانت قليلة فببساطة ستموت. انظر إلى تلك السمكة التي تسبح نحونا، هذه الأكثر شراهةً على الطعام والأسرع نموًا، لقد عضت ذبول بعض الأسماك ومزقتها، قررت الاحتفاظ بها لتكون سمكة تكاثر».

ضحك لي دونغ باو ضحكة ساخرة: «إنها كانت أختك في الحياة السابقة».

لم يجروُ تشونغ فو على معارضته، ففرك يده وابتسم مُحرجًا: «حلزون التفاح الذهبي أيضًا سريع جدًا في النمو، تعالَ إلى هنا وانظر، هل رأيت تلك البقعة الوردية؟ هذا هو البيض الذي وضعه كله، إنه مكتظ يفقس في الأسفل، ألا ترى؟! لقد قاربت على الوصول إلى حجم حلزون الأرض. يبدو أن تربية هذه الكائنات سهلة أيضًا.»

«سمعتُ أنك تربي ديدان الأرض أيضًا، كيف يؤكل هذا الشيء؟»

حاول تشونغ فو كتم ضحكاته وقال: «هذا طعام الأسماك، كيف يمكن أن يأكله الناس؟ الفضلات التي نستخرجها بانتظام من هاضم الغاز الحيوي مثالية تمامًا لتربية ديدان الأرض، حينما يشتد الحرُّ سأحتفظ ببعض روث الخنازير لتربية يرقات الذباب، سمعتُ الأساتذة يقولون إن ضفادع الثور والأسماك تحب أكلها.»

أشاد به لي دونغ باو: «لم أخطئ في إيكال الأمر إليك، أنت تستخدم عقلك. هل هناك أي شيء آخر لدينا لا نريده ويمكننا التخلص منه؟ لا يوجد، استفدنا من كل شيء. بل صرنا نقلق من ألا تخرج الخنازير فضلاتها. تشونغ فو، اصطد لي خمس أسماك كبيرة، ستصطاد لاحقًا خمس أسماك يوميًا لأرسلها إلى مطعم وتكون بمثابة دعاية، فلنجعل سكان المحافظة يتعرفون على هذه الأنواع؛ حتى يكون بيعها في الربيع أكثر سهولة.»

«هذه فكرة جيدة، كنت أفكر ماذا سنفعل في الربيع، إذا ما أخذناها لنادي عليها في سوق الخضار، هل سيجروُ الناس على

أكلها وهم لا يعرفونها؟! ومع ذلك فالبركة الكبيرة لم يتم حفرها بعد، وإنتاج الأسماك ليس كثيرًا، في المُجمل ما زلنا نخسر. أيها الأمين لي، من المؤكد أننا لن نخسر بعد نصف عام من الآن».

«هذا أمرٌ يخصك، هل ستموت الأسماك إذا ما نُقلت إلى المحافظة؟».

سعد تشونغ فو كثيرًا بتنازل لي دونغ باو عن بعض سلطاته، كان يعتقد في الأصل أنه سيتخلى عن سلطته عند جني المال، ويحاسبه على مسؤوليته بالتأكد عند الخسارة.

«يوجد أكياس مطاطية، ألا تريد أن أضع لك بعض حلزونات التفاح الذهبي أيضًا؟ لقد طلبت من زوجة شي قن الماهرة في الطهي أن تطهيه مرة من قبل، هذا الشيء لحمه طري يتفتت بسهولة، ولم يكن لذيذًا مثل حلزون الأرض، فلنرى ما إذا كان المطعم سيستطيع أن يُبدع منه أطباقًا أخرى».

«حسنًا، ضع الكثير منه، وزنه، وسنحسب معًا ثمنه لاحقًا».

أخذ لي دونغ باو في النهاية كيسًا مطاطيًا يحتوي على الأسماك والحلزون، وذهب مترددًا محرّجًا إلى مطعم وي تشون هونغ.

صار مطعم وي تشون هونغ من أبرز معالم المحافظة بعدما تم تجديده، حتى إنها قامت بتعليق أضواء نيون ملونة عند مدخل الباب، والتي لا تُرى عادةً إلا في المدن. تُظلم السماء مبكرًا في الشتاء، وتُضاء تلك المصابيح سريعًا، فتجذب أنظار المارة وكأنها تغازلهم. ذهب لي دونغ باو في اتجاه الأضواء، ودفع الباب ودخل إلى المطعم، فوجده مختلفًا كثيرًا عمّا كان من قبل. رأى

المصباحين المتدليين اللذين أرسلهما معلقين في سقف الطابق الأول، يُضيئان الطابق الأول بألوان متلاثلة مبهرة.

كانت مالكة المطعم ترتدي كنزة صوفية حمراء ذات ياقة كبيرة وتتنقل بين الزبائن الثمليين، تمزح مع هذا وترحب بهذا. رأى لي دونغ باو أحدهم يضغط على ذراعها، فتظاهرت بالغضب وسكبت له بعضاً من النيذ الأبيض، كانت الكنزة التي ترتديها ملتصقة بجسدها، فبدا وكأنه لا يبرز منها إلا ثدياها. ليس الأمر أنه لم يكن يعرف أنها تتردد على بيئة معقدة، لكنَّ المشهد اليوم أصابه بعدم الارتياح، فقرر ألا يجلس، وطلب من أحد النُذُل أن ينادي عليها.

حينما رآه النادل يرتدي ثياباً غير مهندمة، ويحمل في يده الأسماك وكأنه جاء ليُوصِّل بضاعة، لم يُعره اهتماماً في البداية، لكنَّه أُجبر تحت وطأة نظرات لي دونغ باو الشرسة، فذهب ليستدعيها على مضض.

ظنت وي تشون هونغ أن أحدهم جاء لإحضار الخضار، فلم تتعجل العودة، وتجولت في المطعم لبعض الوقت قبل أن تأتي. حينما رأت وجه لي دونغ باو المتجهم، أشرق وجهها فجأة كأن الربيع قد أقبل، ولمعت عيناها أكثر من أضواء النيون التي في الخارج.

لم يأبه لي دونغ باو بترحيب وي تشون هونغ الحار به، وخطف نظرة سريعة على المواضيع البارزة من الكنزة الحمراء، اهتز الكيس الذي كان في يده، ووضع على الأرض أمامها، وقال بطريقة رسمية بحتة: «هذه الأسماك، تُدعى أسماك البُلطي النيلية،

والحلزون يُسمى حلزون التفاح الذهبي، انظري على الكيس لتعرفي كيف تكتيبيها. وفيما يخص كيفية طهيها ففكري أنتِ في طريقة. حينما تنتهين من بيعها، أرسلني أحدًا إلى شياولي جيا لي جلب لك غيرها، ويُحاسب على ثمنها بالمناسبة».

نظرت وي تشون هونغ يَمَنَّةً وَيَسْرَةَ، وصرفت نادلاً جاء ليستفسر منها عن أمر ما، وتخلت عن أسلوبها الغنج أمامه، وقالت بطيف ابتسامة على وجهها: «بما أنك جئت، ألسنت جوعانًا؟ فلتجلس وتشرب كأسًا».

نظر إليها لي دونغ باو، ثم نظر إلى الدرج، هذا الدرج الذي يؤدي إلى الطابق الثالث، ولكنه أجبر نفسه على التماسك، وقال ببرود: «لن أذهب». ثم استدار وغادر في الحال.

بُهِتت وي تشون هونغ وأطرقت للحظة، وكان الأوان قد فات للحاق به، فحين وصلت إلى الباب، وجدته قد امتطى الدراجة النارية بالفعل. جازفت بكل شيء، ولحقت به، وأوقفت الدراجة النارية قائلةً له في نفاذ صبر: «ماذا فعلتُ لك؟ ماذا فعلتُ لك؟».

نظر لي دونغ باو إليها وقد كانت ترتدي ثيابًا خفيفة في هذا البرد القارس، وقال لها بازدراء: «انظري إلى ما ترتدينه، من الأفضل أن يكون عاري الصدر».

وبينما يتحدث، شغّل الدراجة النارية، وانعطف مغادرًا هاجرًا إياها، تاركًا خلفه عادماً كريبه الرائحة يملأ المكان ويحاصرها، ما جعلها تعطس أكثر من مرة، وحين رفعت رأسها ثانية لم تجد أثرًا له. لم تعرف هل عليها أن تضحك أم تبكي، فاحتضنت نفسها

بشدة، واندفعت متجهة إلى داخل المطعم، وبشيء من التردد، صعدت إلى الأعلى وارتدت سترة رسمية.

لم تكن فتاة شابة في مقتبل العمر، فهي أرملة مستقلة تدير مطعمًا بكامله، وهي تعلم بوضوح في قرارة نفسها على ما الذي تعتمد عليه في ذلك. ومن ثمَّ فقد كانت تتعامل بمهارة وسهولة مع كل أولئك الرجال الذين يبدون مُحترمين في البداية ثم يظهرون على حقيقتهم بعدما يشملون، ولذلك كانت تكن احترامًا كبيرًا للي دونغ باو لأنه لم يكن من النوع الذي يستغل النساء. كانت تعلم جيدًا أنه ويرحيله اليوم سيكون من الصعب إقناعه بالعدول عن قراره لاحقًا، كانت تدرك بوضوح ما الذي يدور في خلدته. شعرت في نفسها بخيبة أمل كبيرة، ليس فقط لرحيله بعدما كانت قد تملكته منه، لكن لأنه لم يكن ذلك الرجل المُباشر الصريح الذي كانت تظنه.

شعُر لي دونغ باو بخيبة أمل كبيرة هو الآخر، وأعاد التخلص من المشاعر الجميلة التي كانت قد بدأت تلوح في الأفق للتو. إن تلك المرأة التي تُدعى وي تشون هونغ، بعد كل شيء، إنسانة وضيعة. كان يتبين بوضوح أنه إذا ما جاراها في هذه الوضاعة فإنها لن ترفض، بيد أنه شعُر بالاشمئزاز، في هذه اللحظة حتى ولو رأى خنزيرة عجوزًا فسيجدها جذابة أكثر منها، كلما تذكر منظرها المتكلف في المطعم شعُر بالضيق. حقًا لا يمكن أن تقارن أيُّ من النساء التي يعرفهن بينغ بينغ، يقول شيوي الكبير له أن يبحث عن واحدة مختلفة عنها، ولكنَّه لا يجد. لم يعد يُريد وي تشون هونغ، فهي وضيعة جدًّا، وضيعة لدرجة لا يستطيع تقبلها.

بمجرد وصوله إلى البيت، وجد تشنغ مينغ قد تتبعه عن قرب. تقدم نحوه باحترام وأعطاه سيجارة وأشعلها له، كان يختلف عن شي قن وهونغ وي، فهو يصغر لي دونغ باو بجيل كامل، وحتى لو كانت أرباح مصنع دنغ فنغ هي الأفضل في القرية حالياً، فهو في عين الناس ما زال صغيراً، ولا حاجة لذكر كيف يراه لي دونغ باو. أخذ لي دونغ باو نفساً من السيجارة، ثم قال لوالدته: «أمي، لم أكل حتى الآن، لم أكن قد انتهيت من تناول تلك الدجاجة المشوية عند الظهر، اقطعي لي نصفها لأتناولها الآن».

تسللت والدته إلى المطبخ وهي تتمتم، وعلى الرغم من أنها كانت تخدم ابنها العظيم عن طيب خاطر، ولكنها كانت تأمل حقاً في أن تكون له زوجة تقتسم معها مسؤوليات المنزل. حينما رأى تشنغ مينغ هذا المشهد قال للي دونغ باو: «أيها الأمين، استعانت حَرَمِي بمربية خلال فترة النفاس منذ فترة قصيرة، وما زالت معنا حتى الآن، ارتاحت الأسرة كثيراً بوجودها. ماذا لو أعثر لك على واحدة؟ لقد كبرت الجدة في السن، ولا يصح أن تحمل وحدها مسؤولية بيت كبير كهذا».

كان تشنغ مينغ يملك الكثير من المال، وكثيراً ما طاف في البلاد لتوسيع آفاقه، ففي الوقت الذي يدعو الجميع زوجاتهم بـ «امراتي»، كان يقول «حَرَمِي»، يقولون «خادمة»، ويقول «مربية»، كان يحب هذه الاختلافات الطفيفة.

شعر لي دونغ باو أن كلامه منطقي، فأوماً برأسه قائلاً: «ابحث لي سريعاً، ثمة الكثير من الأشياء التي علينا فعلها في عيد الربيع».

هل جئت للتحدث عن أمر النحاس الإلكترونيّتي؟». تجنب تشنغ مينغ الحديث عن ذلك مؤقتًا: «لا تقلق أيها الأمين، من الأفضل إيكال الأمر إلى حَرَمِي أو حَرَم العم شي قن ليقومن بالتعامل معه». «أوكل الأمر إلى زوجة شي قن، فزوجتك ما زالت قليلة الخبرة. تحدث فيما تريد، هل تشعر أن الخُطة ليست واسعة النطاق بما يكفي، وتُرِيد مَنِّي أن أساعدك في العثور على المال؟»

ابتسم تشنغ مينغ في حَرَج: «سألتُ العم شي قن حينما لم تكن موجودًا في الأيام القليلة الماضية، قال لي إن القرية تمكنت بصعوبة من تسديد ديونها للبنك، وصارت أخيرًا متخففة من الديون، وطلب مَنِّي ألا أعقد الأمور من جديد بطلب المال. لا أعلم من أين عرف تشونغ فو هو الآخر حتى يرفض، قال لي إذا ما أردت أن أفعل شيئًا فعليّ أن أبدأ من الصفر بجدية وإخلاص، وأتوسع شيئًا فشيئًا، وأنه يجب على الجميع أن ينطلق من النقطة ذاتها. لكن، أيها الأمين، وحدك من تفهم، الصناعة تختلف عن الزراعة، في مقدور تشونغ فو أن يشتري عشرة أنواع فقط من الأسماك، ويعتمد على الأسماك الكبيرة في إنتاج الأسماك الصغيرة، وهكذا تكبُر البركة، أما أنا فلا. فإذا اشتريت مبدئيًا معداتٍ بعشرة آلاف يوان، وظلت عندي لخمس سنوات، فستظل تنتج ما يُمكن أن تنتجه معدات بقيمة عشرة آلاف يوان، وإذا ما قلتُ إن المنتجات لا يُمكن تحسينها فأنا أعني حقًا ما أقول، فمهما جرت تعديلات على معدات الأسلاك الكهربائية ستظل معداتٍ للأسلاك الكهربائية، ولا يُمكن بأي حال من الأحوال أن تكون معدات للكابلات الكهربائية. ينبغي أن أنطلق من مستوى عالٍ، لا بد من التوسع في العمل».

قال لي دونغ باو ضاحكًا: «لماذا لا تتحدث معي عن أعمدة النحاس؟».

بالطبع كان يعلم تشنغ مينغ أن لي دونغ باو يُشير إلى مشروع قضبان النحاس الخالية من الأكسجين أو منخفضة الأكسجين الذي اقترحه عليه العام الماضي بدافع بعض الطموح المفرط، لم يسعه سوى أن يقول متحرجًا: «في الحقيقة، هاها، طلبي هو إنشاء مصنع للنحاس الإلكتروليتي، وسيكون ذلك أيضًا تمهيدًا لإنتاج قضبان النحاس الخالية من الأكسجين. يحتوي النحاس الإلكتروليتي الذي تنتجه تلك المصانع الصغيرة بالجوار على الكثير من الشوائب، وهو يصلح فقط لاستخدامات الحياة اليومية من الأسلاك الكهربائية، لكنه لا يصلح للصناعات عالية الدقة. بيد أن الطلب على كابلات الاتصالات في السوق يشهد ارتفاعًا متزايدًا في الوقت الراهن، والأسعار لا تزال مرتفعة دون انخفاض، أنا طامعٌ في هذا العمل، فأرباح كابلات الاتصالات ستكون أكثر بكثير. والفرق هو أن مصنع الطوب، برغم أنه يتطلب الجهد نفسه، فإن الأرباح التي نجنيها من العمل الشاق فيه لا ترقى لحجم الأرباح التي يحققها مصنع الأسلاك والكابلات الكهربائية. ولكن كابلات الاتصالات تتطلب معايير عالية الجودة من حيث جودة النحاس وسحب الأسلاك، ومن المستحيل استخدام النحاس الإلكتروليتي وقضبان النحاس المضغوطة بشكل غير دقيق من المصادر العشوائية المجاورة».

«ولماذا لا تشتري قضبانًا نحاسية من مصنع قضبان نحاس؟ حتى البلاستيك الذي تستخدمه تشتريه من مصانع أخرى، أم تقصد أنك تريد فتح مصنع كيميائي؟».

احمرَّ وجه تشنغ مينغ في الحال. إنه لم يُطع شي قن حينما حذره من أن يستدين، ولكن حينما استجوبه لي دونغ باو لم يجد مناصًا. كان عليه أن يفكر قليلاً قبل أن يقول: «مصنع المواد البلاستيكية ينتمي إلى نظام كيميائي، يبدو... صعبًا جدًا».

ابتلع لي دونغ باو اللقمة التي كانت في فمه، ثم وضع الوعاء الخزفي الكبير على ركبتيه، ولوح بعيدان الطعام قائلاً: «ليست المسألة إذا ما كان صعبًا أم لا، ولكننا ليس في مقدورنا فتح مصنع للمواد البلاستيكية من الأساس، فهذه الأمور تختص بها المصانع المملوكة للدولة مثل المصنع الذي يعمل فيه هوي الصغير. وليست المسألة أنني لا أدمك في فتح مصنع للنحاس الإلكتروني، فقد سألت الأمين شوي وهوي الصغير حينما كنتُ في بكين، ولقد أمضيا وقتًا طويلاً في المناقشة وهما ينظران إلى الخريطة ويعقدان مكالماتٍ تليفونية هنا وهناك، وحينما حان موعد تناول الطعام أخبراني أنهما لا يشجعانني على ذلك. من المؤكد أنك لن تتوقع أسبابهم؛ يقولان إن قريننا بعيدة جدًا عن منجم النحاس المملوك للدولة، ونقل المواد الخام للنحاس من مكان بعيد إلى هنا لإجراء التحليل الكهربائي ليس مجدياً، ستكون تكلفة النقل مرتفعة جدًا، مما سيؤدي حتمًا إلى ارتفاع التكلفة النهائية. احسبها جيدًا، أليس صحيحًا؟».

شعُر تشنغ مينغ ببعض خيبة الأمل، لكن بما أن الأمين شوي وسونغ يون هوي العبقرين واللذين يعملان الآن في بكين قد رفضا الفكرة، وأمامه أيضًا لي دونغ باو يأكل بنهم ويحملق فيه، لم يكن

في وسعه سوى تهدئة نفسه والتفكير في أوجه القصور. فكّر طويلاً ثم قال: «أيها الأمين، سأقول لك شيئاً، أراع إليّ سمعك، وأخبرني هل هذا هو المقصود أم لا. على سبيل المثال، لنقل إن لدينا سيارة مليئة بالنحاس، إذا ما تم صهره بالقرب من المنجم، ونُقل إلى هنا، سيكلفنا مصاريف شحن سيارة واحدة. ولكن إذا نقلنا المواد الخام للنحاس إلى هنا، سننفق تكلفة شحن أكثر من سيارة. حينها ستلتهم تكاليف الشحن الكثيرة هذه أرباحنا بالكامل».

«ذكي، هذا هو المقصود. أنا لا أمانع فتح مصنع صغير للنحاس الإلكترونياتي، ستشبع من خردة النحاس، وإذا ما عقدنا العزم على عدم شراء منتجات مصانع النحاس الإلكترونياتي الصغيرة المحيطة بنا، فلن يستطيعوا الاستمرار. أما فتح مصنع كبير، فمن أين سنحصل على كل هذه الكميات من خردة النحاس والحديد؟ ماذا لو تشكل لي أولاً فريقاً لجمع خردة النحاس والحديد من جميع أنحاء البلاد؟ هل تعتقد أنك قادرٌ على ذلك؟»

أنصت تشنغ مينغ إلى كلام لي دونغ باو الصحيح جزئياً، فلم يجرؤ على الاعتراض مباشرةً، فكّر طويلاً ثم قال: «لكن ثمة مشكلتان علينا التفكير فيهما، الأولى هي أن إعادة تدوير خردة النحاس مُدرجة ضمن الخطة التوجيهية الوطنية، يُمكن أن يسري الأمر عند اللعب على نطاق ضيق كما تفعل المصانع المجاورة، لكن إذا ما توسعنا في الأمر، ألا يمكن أن تتدخل الدولة؟ المشكلة الثانية هي أنني كنت قد قررت في البداية أن أحصل على النحاس المنصهر من المنجم، وليس النحاس الخام مباشرةً، وهكذا فلن

تكون تكلفة الشحن كبيرة على الأغلب. ربما أساء الأمين شوي والمدير سونغ الفهم».

وضع لي دونغ باو صحن الطعام الذي كان قريبًا من فمه على ركبتيه مرةً أخرى، ونظر بزاوية جانبية إلى تشنغ مينغ مستغرقًا في التفكير، أطال النظر لدرجة أرعبت تشنغ مينغ، ثم قال: «بما أنك فكرت في الموضوع من جميع الجوانب، فلماذا لم تخبرني بذلك من قبل؟».

«لأنني ما إن أتكلم حتى تقاطعني في منتصف حديثي، ليس في مقدوري أن أجاري حنجرتك».

كان تشنغ مينغ خائفًا منه بسبب ما حدث في السابق، فحينما ترأس المصنع قبل عامين، كان مزهواً وكثيرًا ما يقاطع الآخرين، ما جعل لي دونغ باو يوخزُهُ في صدره ذات مرة بسبب تهوره. لم يجروء من بعدها على مقاطعة الآخرين، لكنه حينما رأى لي دونغ باو على وشك رفع صحن الطعام ثانيةً، لم يمنع نفسه من أن ينهه: «أيها الأمين، لقد برد الطعام، سخنه ثم تناوله، معدتك ليست على ما يُرام».

لو كان لي دونغ باو يملك ثرية في بيته، لكان تشنغ مينغ قد طلب منها بالتأكيد أن تأتي بحساء، فبعض قطع الدجاج المشوي مع الأرز الأبيض لا تُمكنه من البلع بسهولة. وضع لي دونغ باو الصحن جانبًا، وقال: «أرى ألا تفكر في المشكلة الأولى، فبلدة داتشيو تدرج تحت المؤسسات الجماعية الريفية، وإذا ما اجترؤوا على العمل في الحديد، فسنعمل نحن في النحاس. أرى أن تتجهز للأمرين: إعادة تدوير خرده النحاس، وشراء النحاس المنصهر،

وسنعمل في الأرخص سعراً. افعل ما تشاء دونما تردد، وسأتحمل المسؤولية إذا حدث شيء ما».

«حسنًا، سأشرع في الاستفسار من الغد، وسأحضر عددًا من جامعي خُرْدَة الحديد والنحاس، وأمرهم أن يبدووا في العمل».

«تشغ مينغ، لا تكن ضيق الأفق. لطالما سنعمل، فلنعمل على نطاق واسع. قُم في تلك الأيام بدعوة مصانع النحاس الإلكتروني الصغيرة، واعدد لهم اجتماعًا، أخبرهم فيه أن يستعدوا لتغيير مهامهم، وأنا من سنتج النحاس الإلكتروني فيما بعد. وإذا ما أرادوا أن يحققوا ثروة، فليتحولوا لاحقًا إلى جمع خُرْدَة النحاس».

تمتم تشغ مينغ قائلاً: «ألن يتشاجروا معنا؟»

«هل سأخاف منهم؟! نحن في شياولي جيا لا نفعل شيئًا سوى الأكل، لكمة واحدة منّا لشخصٍ منهم وسيلقى حتفه. عليهم أن يزنوا الأمور بأنفسهم».

قال تشغ مينغ مستنكرًا: «يا لك من مستبد!»، لم يكن واضحًا بالنسبة إليه كيف ستمرد عليه ورش النحاس الإلكتروني الصغيرة عندما يحين الوقت، ومع ذلك فلم يكن أمامه سوى طاعة لي دونغ باو.

لم ينتظر لي دونغ باو إلى حين أن يتسم له في حرج ويفتح فمه، فبادره بالكلام: «اذهب فورًا وافهم كم ستكلف المعدات، واكتب لي تقريرًا مفصلاً، وسوف أنتهز فرصة عيد الربيع في هذه الأيام وأقترح الأمر على قادتهم. علاوة على ذلك، فنحن صرنا حاليًا

نملك المال في شياوليجيا، ويدفع الجميع من مالهم الخاص، ستقدم القرية لهم نسبة فائدة أعلى قليلاً من النسبة التي يمنحها قرض البنك، ستكون الفائدة أعلى بكثير من فوائد الودائع، ومن حسن الحظ أن الأرباح ستذهب إلى جيوبهم مباشرة. اذهب أنت لتحل الأمر. لكن دعني أخبرك أولاً، إياك أن تجعل هونغ وي أو تشونغ فو يساعدانك على رد الأموال سواءً كانت من أهالي القرية أو من البنك، ستقع جميعها على كاهلك أنت في مصنع دنغ فنغ».

«طبعًا، أكيد». حينما تذكر تشنغ مينغ أن حلمه على وشك التحقق، امتلأ قلبه بالبهجة: «أيها الأمين، لقد سبق وسألت، بعض المعدات مثل المراجل وأحواض التحليل الكهربائي تُصنَّع حسب الطلب؛ ذلك لأنها ستكون في حاجة إلى العربة الرافعة، كما علينا أن نستدعي شخصًا يقدم لنا تصميمًا مميزًا لمبنى المصنع، لا بد من الإسراع، وإلا فمن المحتمل ألا ننجح في الانتهاء من مرحلة التركيب مع نهاية هذا العام».

«هل ستكون متطلبات البناء عالية جدًا؟ ألا يكفي سقف واحد وبضعة عمدان؟».

«يستحيل، لا بد من ضمان نقاء محلول التحليل الكهربائي، وإلا فلن يكون النحاس المُنتج نقيًا».

«حسنًا، من الجيد أنك فكرت في هذه الفكرة يا تشنغ مينغ، وما دُمت تقترح أفكارًا جيدة فسأدعمك فيها بكل تأكيد. لم تدرس تلك الستين حقًا في الجامعة هباءً، أتنبأ لك بمستقبل واعد».

حلَّق تشنغ مينغ عاليًا من فرط السعادة بهذا الإطراء: «وهذا أيضًا بفضل إتاحتك الفرصة لي أيها الأمين».

«لم يدرس تشونغ فو أيضًا هباءً، هو الآن يسبقك بخطوة، وخطواته أكثر استقرارًا منك، بل وبدأت تظهر نتائج عمله في الوقت الراهن. لا زلت شابًا، عليك اللحاق به، اعمل ليلاً ونهارًا».

تلقى تشنغ مينغ الأوامر وغادر، لم يُرد لي دونغ باو أن يبقى فارغًا ولو للحظة، فتبعه فورًا، وانعطف متجهًا إلى بيت شي قن. كان أكثر من يفهم أنه في السابق تعود أن يتقدم بخطوات جريئة وحازمة، لكنَّه يحتاج فيما بعد إلى حكمة شي قن وتخطيطه الاستراتيجي من وراء الكواليس قبل التنفيذ، وحساب كل التفاصيل بدقة ومن جميع النواحي، فشي قن هو رجله الذكي.

لم يستطع شي قن أن يتحدث بأريحية مع لي دونغ باو عند الظهيرة بسبب موضوع الشائعات، وشعر أنه متسلطٌ للغاية، فرجع إلى البيت مكرويًا. والآن التقى به لي دونغ باو وكأن شيئًا لم يحدث وأمسك به ليتحدث معه عن أكثر شؤون القرية سرية، بل وتحدث معه في كل صغيرة وكبيرة، وأخبره مباشرةً بجميع رؤاه وتصوراته، وكان كما هو الحال دائمًا لا يهتم بالتفاصيل الدقيقة، ويطلب من شي قن أن يعطيه قرارًا حاسمًا. كان شي قن في وجهة نظر الآخرين يسيطر بالكامل على شؤون شياولي جيا المالية، ما جعله يُذعن فجأة مرة أخرى.

كان يُحدِّث نفسه بأنه من المؤكد شديد الحساسية، وأن لي دونغ باو لطالما كان شخصًا نزيهاً وصریحًا، كان يعلم ذلك في

الحقيقة منذ وقتٍ باكر، فلماذا يسمح لنفسه بأن تُزعجه شائعات يُروجها الآخرون؟! وتحت وطأة شعوره بالخجل، أفضى بكل ما في جعبته للي دونغ باو. لم يواسيه أو يحاول طمأنته، فقط أخبره أنه وضعه في المكانة الأهم والأكثر موثوقية. إذا لم يستطع حتى الوثوق في شي قن، أو انقلب عليه شي قن، فليس أمامه حلٌ آخر، سيوجه له طعنة، ولنفسه أيضًا، ويتوقف الجميع عن العمل، فإذا ما كان أهم شخصين لديهما صراعات داخلية، فماذا سيفعل الباقون؟!!

فهم شي قن ما يقصده على الفور، وشعر بالخجل من نفسه بسبب شكوكه المفرطة.

عاد عيد الربيع مرة أخرى، وشرعت قرية شياولي جيا في توزيع المؤن واللوازم، على حد تعبير القرى الأخرى، كانت الأشياء كثيرة تحتاج إلى عربات يد لجرها إلى المنازل. نزلت أسماك البلطي النيلية وحلزونات التفاح الذهبي إلى السوق، وكانت الكميات قليلة جدًا، إذ طُرحت في السوق كميات رمزية كمجرد لفتة. ظن الجميع أنه سمك الشبوط، وبدافع حُب التجربة اشتروا بضعة منه وعادوا إلى منازلهم، فانتهدت الكمية بعد فترة وجيزة. أما مشترو حلزون التفاح الذهبي فكانوا قليلين على العكس، إذ تبقت منه كمية ليست بالقليلة مع وصول عيد الربيع. ونظرًا لتناقل الناس آراءهم السلبية حول مذاقه قائلين إنه ليس لذيدًا، كان تشونغ فو سعيدًا من ناحية، وقلقًا من ناحية أخرى، لا يدري ماذا يفعل بتلك الكميات سريعة النمو.

كان شيوي الكبير رجلاً ذا كلمة واحدة، وإذا ما قال إنه سيساعد، كان لزاماً عليه أن يتصل بسونغ يون هوي بعد ثلاثة أيام من رأس السنة ويستدعيه إلى مكتبه ليضع معه خطة جديدة.

كان شيوي الكبير خبيراً، والخبراء لا يتحمسون عند رؤية المشاريع التقليدية. وبناءً على ذلك، حاول استنباط نوايا القيادة العليا، وارتقى بخطة سونغ يون هوي إلى مستوى أعلى، جعلها أكثر تقدماً واستقلالية وغير قابلة للاستبدال. تباحثها معه سرّاً لأسبوع كامل، وكان يتعمق بشكل مفرط في التفاصيل الدقيقة، كان ينبغي أن يضمن كون الخطة الجديدة المطروحة ملفتة ومثيرة للإعجاب، وتعطي شعوراً بالجدية والرغبة في التنفيذ الفعلي.

عاد شيوي الكبير من دراسته بالخارج للتو، ومن حسن حظ سونغ يون هوي أنه كان مطلعاً دائماً على الكتب الأجنبية، كما أنه احتك بالفكر الأجنبي كثيراً بسبب عمله في التصدير، ما جعلهما يلتقيان في وجهات النظر ويتعاونان تعاوناً مثمراً. خلال ذلك، أدرك سونغ يون هوي بدخوله وخروجه من مكتب شيوي الكبير أن عمله في بكين بعد عودته إلى الوطن لم يكن يسير بسلاسة، ولا تتم ترقيته في الوظيفة سريعاً، إذ لم يعد إلى الوطن مكتسباً المستوى الأساسي من الخبرة العملية، وهو الهدف الرئيسي من استراتيجية إنقاذ الدولة بطرق ملتفة. ولقد قال له شيوي الكبير هو الآخر بصراحة إنه ينبغي أن يسعى بكل الطرق الممكنة لضمان بدء تنفيذ بعض المشاريع التي يدعمها بأسرع وقت. ففهم سونغ يون موي أنه يقصد السعي لتحقيق إنجازات سياسية.

كان سونغ يون هوي يعلم فحسب ما أخبره به الأمين شوي من قبل من أن شيوي الكبير من أبناء مسؤولين رفيعي المستوى، ولم يحاول أن يستفسر كثيرًا عن مدى ارتفاع مستوى عائلته، لكن يبدو من الوضع الحالي أن عائلته الكبيرة لن تساعده بشيء. وعلى العكس، فإنه الآن يتبادل معه المنافع والمصالح ويتعاونان لأجل الانطلاق معًا. علاوة على ذلك، فقد قال له شيوي الكبير مباشرة إن أمامه فرصة نادرة للتواصل مع كبار المسؤولين، وعليه أن يسعى بشتى الطرق لمحاولة التقدم والظهور من أجل كسب نقاط انطباع جيدة. ولقد ساعده أيضًا ليرز نفسه، فهو يفهم طرق ووسائل تخليص الأمور عند الجهات العليا، وكانت الفائدة التي جناها سونغ يون هوي من ذلك عظيمة.

نظرًا لذلك، حاول سونغ يون هوي إيجاد طريقة ما للالتفاف حول لاو ما. في بعض الأحيان، كان شيوي الكبير هو من يصطحبه لزيارته، وفي أحيانٍ أخرى كان يرشده إلى من يمكن التواصل معه في الوزارة لترتيب زيارة مشتركة، أما في بعض الأحيان فكان على سونغ يون هوي أن يُسلم خطاب تعريف بنفسه و ينتظر استدعائه. كان جدول شيوي الكبير مُزدحمًا ومنظمًا بدقة، وكان ذا نتائج مثمرة، وحظي الإطار العام للخطة التي تباحثها على اهتمام الجهات العليا.

وبينما يرى سونغ يون هوي عيد الربيع يقترب يومًا بعد يوم، أخذ يُؤجل عودته إلى البيت يومًا بعد يوم أيضًا، إذ كان يرى إمكانية الموافقة على المشروع تتزايد هي الأخرى يومًا بعد يوم. وبحلول اليوم التاسع والعشرين من الشهر الثاني عشر للتقويم القمري

الصيني، حزم أمتعته ليعود إلى المنزل. قرر أن يعود أولاً إلى جينتشو. حينما وصل إلى هناك، كان بالفعل في أول أيام السنة القمرية الجديدة.

أخذت تشنغ كاي يان تبكي منذ اللحظة الأولى التي رآته فيها، وظلت تبكي حتى عادا إلى المنزل. لم يتوقع أن تعرفه سونغ ين، فما إن رآته حتى صاحت بصوت عالٍ واندفعت نحوه تصرخ وتريد منه أن يحملها، تأثر سونغ يون هوي كثيرًا لدرجة أنه لم يعرف كيف يتصرف. لاحقًا، وحينما جلس لتناول الطعام لم يطق تركها، كان قلقًا دائمًا من أن تنساه ابنته، ويتحقق فيه البيت الشعري: «رآني أطفال البيت فلم يعرفني أحد... ضحكوا وسألوني من أين أتيت؟». ما جعل والدة تشنغ كاي يان تقول إن هذا الوالد وابنته بينهما قدر مشترك.

ومن فم حميه علم أن مشاكل جينتشو قد هدأت مؤقتًا على الأقل ظاهريًا. وعلى الرغم من قرب تقاعد الأمين شوي، ولكنه طلب من الجهات العليا أن يحتفظ بمنصب مستشار، ما يمنحه فرصة كافية ليظهر قدراته، ويبقى منشغلاً حتى بعد التقاعد. ومن ثم نفى فضيحة مين بنفسه خلال الاجتماعات المعنية، كما انتقد بشدة السلوكيات غير الأخلاقية للبعض ممن يختلقون الأكاذيب ويفترون على الآخرين، وتعهد بأنه إذا ثبت أن هناك من يختلق الشائعات، فستقع عليه عقوبة صارمة دون تهاون. قال حموه إنه ومع انتهاء عيد الربيع سيتخلى الأمين شوي عن منصب مدير المصنع ويتركه لمين نيابةً عنه. وهكذا تعتبر الصفقة مُنتهية إلى حدٍ كبير.

لم يتمالك سونغ يون هوي نفسه من وصف الأمين شوي بكلمة قرأها في كتاب عن فنون القتال: خبير القصر الإمبراطوري. كان يشعر أن شيوي الكبير أيضًا خبير القصر الإمبراطوري خلال تلك الفترة التي تعامل معه فيها، ومع ذلك، فقد كان من أصول راقية، لذا بدت مهاراته وأساليبه رائعة. رُغم تأكيد سونغ يون هوي من أن هذه كلها مكائيد سياسية، وأن المضمون واحدًا لا يختلف، لكنّه كان يفضل، بل ويأمل بشدة، أن يتعلم بعض أساليب القتال الحُر منه.

في وقتٍ متأخرٍ من الليل، وحينما نامت سونغ ين، كان الوقت مناسبًا لينفرد الزوجان بلحظةٍ خاصة. فتحت تشنغ كاي يان ذراعها واستدارت دورة كاملة، وكانت حريصة على أن يرى سونغ يون هوي لباسها الأرجواني الفاتح ليحكم إذا كان جميلًا أم لا. لاحظت تحت البذلة ذي الأكتاف السميكة المبطنه كنزة صوفية بيضاء ناصعة من فرو الأرنب ذات ياقة مستديرة، وفي الأسفل تنورة ضيقة وجوارب طويلة سميكة بلون البشرة، ف شعر أنه رأى هذا الزي من قبل، وحاول جاهدًا أن يتذكر؛ أليس هذا بعينه هو اللباس الرائج الذي كان يرتديه الممثلون في المسلسلات التلفزيونية بهونغ كونغ آنذاك؟ سألتها إن كانت مرتاحة أم لا، أليست تشعر بأنها ستتجمد من فرط البرد؟! فالبيت القديم لا نظام تدفئة فيه. ضحكت تشنغ كاي يان معتدة بنفسها، وأخذت السروال الرياضي الذي اشترته العام الماضي، كان مناسبًا تمامًا لارتدائه تحت الجوارب الطويلة، وانتصرت إرادتها على القدر، إذ عاد السروال الرياضي للظهور مرةً أخرى على الساحة.

في اليوم الثاني من السنة القمرية الجديدة، ذهب سونغ يون هوي لزيارة الأمين شوي، ومدير المصنع مين، وغيرهم من القادة المسؤولين عن المصنع الرئيسي في جينتشو. رحب الجميع به كثيرًا. فأدرك أن حاله مثل حال ذلك السروال الرياضي؛ إذ تغيرت الأحوال بمرور الوقت، ودار بينه وبينهم حديثًا ممتعًا وسارًا.

في اليوم الثالث، اصطحب أخيرًا زوجته وابنته وذهب إلى بيت والديه، تنقل بين مدينتين، وركب قطارًا وسيارة، قضى في ذلك يومًا كاملاً، وكان لي دونغ باو هو من استعار سيارة ليستقبلهم بها في محطة السكك الحديدية. بعدما عادوا إلى البيت كان الليل قد أسدل أستاره. وعلى الرغم من ارتداء تشنغ كاي يان للسروال الرياضي وفوقه الجوارب الطويلة، ولكنها كانت ترتعش من فرط البرد، وبمجرد أن ذهبت إلى البيت ارتدت بدلاً منه سروالاً صوفياً. لم تعتد سونغ ين على الوضع في البداية، لربما لأن جدتها لأمها هي من كانت ترعاها منذ خروجها من رحم والدتها، لكن سرعان ما تكيفت واعتادت على جديها. ومع ذلك، فلم يكن ثمة من يستطع منافسة والدها في حبها، فقد كان مقيمًا بها لا يطيق تركها من يده.

كان سونغ جي شان وزوجته فخورين أشد الفخر بابنهما، فقد جعلهما يستعيدان كرامتهما كثيرًا في القرية، ويعرف الجميع الآن أنه يرتقي ويرتفع أكثر فأكثر، وقد بدأ أقاربهما الذين اختلفوا في الماضي ولم يعلموا عنهم شيئًا في التودد إليهم مرة أخرى. كان سونغ يون هوي يحمل ابنته ولا يرغب في تركها، وقد قدّم إليه

والداه تقريرًا عن أحوال البيت، لكنه، ودون قصد، أهمل تشنغ كاي يان. ومن حسن الحظ أنها لم تأخذ الأمر على محمل الجد، وظلت مرافقةً له.

في اليوم الرابع، ركب سونغ يون هوي الدراجة الهوائية بمفرده وذهب إلى شياولي جيا. وسُرعان ما اغتنم لي دونغ باو الفرصة وأمسك به لكي يعاين مصنع النحاس الإلكتروني الذي يخططون لإنشائه حاليًا.

كان شي قن يتوقع في قرارة نفسه تقريبًا أن لي دونغ باو سيتناقش في هذا الأمر مع سونغ يون هوي، ورأى بأم عينيه سونغ يون هوي وهو يدخل منزل لي دونغ باو مرةً أخرى بعدما تنقل بين البيوت، فتبعهما هو الآخر مبتسمًا. حينما رآه سونغ يون هوي لم يتعجب، فهو معتادٌ على أن بيت لي دونغ باو لا يختلف كثيرًا عن الأماكن العامة، علاوة على ذلك فمن عادات وتقاليد سكان الريف أنهم لا يُفضلون طرق الأبواب عند الدخول والخروج.

قرأ سونغ يون هوي خطة تشنغ مينغ التي تفتقر تمامًا إلى أي معايير يُعتد بها، ومع ذلك فهم أغلبها. حينما وجده لي دونغ باو قد انتهى من القراءة، سأله على الفور: «ألا تُريد أن أرسل في طلب تشنغ مينغ لكي تستفسر منه؟». فسارع شي قن لسؤاله فجأة: «أنت تعمل في مشاريع أكبر من هذه يا سونغ الصغير، أخبرني، هل سنستطيع فعلها وحدنا؟»

ابتسم سونغ يون هوي، وقلب الصفحة، كانت تلك الصفحة تعرض قائمة بتفاصيل المعدات الرئيسية والمُساعدَة. حينما رأى

المعدات تختلف اختلافاً كبيراً عن المعدات القديمة للأسلاك والكابلات الكهربائية، وتشمل مجالات أوسع مثل: الميكانيكا والطاقة والهندسة الكيميائية وغيرها من مشروعات التشغيل، قال بتحفظ: «أنا لا أفهم في معدات التحليل الكهربائي، ومع ذلك فبالنظر إلى بعض المعدات المُساعدَة الأخرى الواردة في هذه الخطة، فإن الاستعدادات التي قام بها تشنغ مينغ ليست كافية. أخي، في حال تولي تشنغ مينغ قيادة هذا المشروع، لا بد أن يكون هناك مهندس متخصص جيداً يعمل مُساعدًا له».

«هذا غني عن القول، فمن سيُشغّل تلك المعدات إذا لم يكن هناك معلم؟!».

اطمأن قلب لي دونغ باو حينما ظل سونغ يون هوي يقرأ لفترة طويلة ولم يخرج سوى بهذا الاقتراح، وشعر أنه ما من مشكلة في فتح المصنع.

قال شي قن لسونغ يون هوي: «إن هذا هو أكثر مشروع استثمرت فيه قريننا حتى اليوم يا سونغ الصغير، ألا ترى أن علينا الحذر قليلاً؟! نجلب أولاً مهندسين وتقنيين مناسبين، ومن ثمّ نبدأ في تشغيل المشروع؟».

قال لي دونغ باو ضاحكاً: «لن يتغير طبعك يا أخي، بغض النظر عما إذا كان هذا المشروع هو أكثر مشروع استثمرنا فيه أم لا، ولكنك تعارض على مبدأ الاستثمار على كل حال، لم تمدح فيه ولو مرة واحدة. اطمئن، لقد كلفت تشنغ مينغ بالفعل بإيجاد كفاءات. بالمناسبة، قل لي يا هوي الصغير، هل هناك من طلب منك العمل بصفتك كفتاً؟».

قال سونغ يون هوي مبتسمًا: «وكيف لا؟! ولكنَّ مجالنا يحتاج إلى استثمارات كبرى، حتى ولو كان استثمارًا مشتركًا بين مؤسستين، فلن يضاھي حجمها في الوقت الحالي مؤسستنا الحكومية. أقول جملة واحدة لكل من يُريد استقطابي بصفتي كُفئًا: من خیر البحر لن يُرضيه القليل من الماء. إذا ما استمر الجميع في هدم الأسس الاشتراكية، فكيف ستبقى قائمة؟!».

بمجرد أن سمع شي قن هذا الكلام أيقن أن سونغ يون هوي يتواضع ظاهريًا، ولكنه فخورٌ بنفسه من الداخل، لكنَّه لم يقل أي شيء، فسونغ يون هوي يملك من المؤهلات ما يسمح له بأن يكون فخورًا بنفسه، وحينما كان في عمره كان لا يزال ملتحفًا في معطف قطني ممزق، قلقًا من عدم القدرة على إيجاد عروس. وبطبيعة الحال لم يفهم لي دونغ باو هذا الشعر الدارج على ألسنة الجميع، فقال غير آبه بشيء: «ماذا سنفعل إذا لم نستقطب الكفاءات من مؤسستكم الحكومية؟ هل استقطاب الكفاءات بهذه السهولة؟ لن يجروا الناس على القدوم إذا ما لم تتم تسوية السجل الأسري والحصة التموينية، ولن يُفيد الأمر حتى ولو ضاعفنا الراتب عشرة أضعاف. الوظيفة الحكومية مريحة، انظر إلى الفتات الذي يدفعونه لك، ومع ذلك فأنت مخلص لهم تمامًا. إذا ما أعطيتك عشرين ضعف المرتب الذي تأخذه، فهل ستأتي؟».

ابتسم سونغ يون هوي ابتسامة خفيفة، وقال لشي قن: «أخي ينفس عن غضبه في. حسنًا، لن أثرثر كثيرًا. أخي شي قن، عليك أن تكون مشرف جودة، لا بد وأن تنتظر حتى يتم تقديم جميع المخططات بما في ذلك مخطط تصميم المصنع قبل أن تدفع المال».

وافق شي قن على كلامه، فهذا هو الكلام الصحيح، كان واثقًا من أنه ومع وجود سونغ يون هوي، تلك الذريعة التي سيتخذها دائمًا، يُمكنه لاحقًا التعلل بكلامه اليوم لرفض إنفاق لي دونغ باو المُفْرِط، ولن يعترض لي دونغ باو ولو قليلاً على تدخل سونغ يون هوي الذي يعتبره أمرًا طبيعيًا. على أن لي دونغ باو لم يكن يرى الأمر كذلك، فقد جاءت جميع المعدات التي يملكونها بعد فقر مدقع وانعدام للموارد، أليس الحال الآن أفضل قليلاً؟ علم سونغ يون هوي في ماذا يفكر لي دونغ باو بينما ينظر إلى تعبيرات وجهه، فغمز لشي قن، وشدَّ لي دونغ باو ناهضًا: «لم أعد إلى البيت منذ بضعة سنوات، حينما جئت في المرة السابقة مكثتُ في البيت مختنقًا ولم أستطع الخروج بسبب تعذري بالالتهاب الكبدي، خذني للتجول في الجوار».

لم يعرف لي دونغ باو أنها مكيدة، فأخذ سونغ يون هوي إلى الخارج. جلس سونغ يون هوي على المقعد الخلفي للدراجة النارية وصاح عاليًا ناصحًا إياه: «أخي، أنت لم تعد تقارن بنفسك في الماضي، فقد صار المحتوى التقني للمشاريع التي تعملون عليها أعلى فأعلى، ولا يمكنك الاعتماد على العمل الجاد بشكل أعمى في حل المشكلات. عليك أن تستمع إلى آراء أخي شي قن من أن إلى آخر، استفد من حذره وحيطة، تحكم بشكل مناسب في مستوى تقدم المشاريع، وإياك والتسرع بأي حال من الأحوال. أخشى أن يكون تشنغ مينغ صغيرًا في السن، يملؤه الحماس والاندفاع، فعلى الرغم من وجوب استحسان حماسه، لكن لا ضرر من أن تستخدم حذر أخي شي قن في تحقيق التوازن، فلا

تجرح إيجابية تشنغ مينغ من ناحية، ومن ناحية أخرى يُمكنك إنجاز الأمور بطريقة أكثر أماناً».

اندهش لي دونغ باو بسماعه هذا الكلام وقال: «ما الداعي لذلك يا هوي الصغير؟ لطالما كانت شياوليجيا تتحرك بكلمة واحدة مني، فنحن لسنا في مؤسستكم الحكومية، أي توازن نحتاج إلى تحقيقه هذا الذي نتحدث عنه. أعطي الأمر إلى تشنغ مينغ لفعل كذا، فهل يجرؤ على عصياني؟ لا تقلق، ستحل الأمور نفسها حينما يحين الوقت، لا تخف».

«سبق وقلتُ لك، المحتوى التقني للمشاريع التي تعملون عليها صار أعلى فأعلى، لا يُمكنك بعد الآن التسرع بشكل أعمى. أرى أن خطة تشنغ مينغ ما زالت غير مكتملة بعد...».

«طبعاً من المؤكد أنها ليست مكتملة، فلم يتم بعد تحديد أي مصنع سنستخدم معداته، فكيف تكون مكتملة إذن؟ علينا أن نعمل بينما نفكر، لسنا مثلكم، فأنتم تنفقون من أموال الدولة، ولا مشكلة إذا ما أجلتم قليلاً. أما نحن فننفق من أموال البنك، وإذا ما أجلنا يوماً فستزداد الفائدة بمقدار يوم، فأنتى لنا بالتأجيل؟!». بُهت سونغ يون هوي قليلاً، فكلام لي دونغ باو منطقي، ولكنه ظلَّ يوصيه: «لا بد من العثور على خبراء أولاً ومن ثمَّ الانطلاق في المشروع».

وافق لي دونغ باو على كلامه، وأخذَه في جولة ليلقي نظرة على التطورات التي طرأت في محيط المدينة بأكملها، وبخاصة المحافظة التي يتواجدون فيها، كان لي دونغ باو على دراية تامة بالتغيرات الكبيرة والصغيرة وكأنه يحصي كنوز بيته. حينما حان

موعد الغداء، ذهباً إلى شارع كبير في المحافظة، رأى سونغ يون هوي أبواب المحلات الموصدة بإحكام، فأشار فجأة إلى مطعم وقال ضاحكاً: «أخي، هذا المطعم ما زال يفتح أبوابه في عيد الربيع، لنذهب ونأكل هناك».

نظر لي دونغ باو، فإذا به مطعم وي تشون هونغ، فسرت قشعريرة في رأسه للحظة. لكنه لم يرغب في أن ينمق كلامه ليخدع سونغ يون هوي ويقنعه بالرحيل، فتمتم في نفسه: من الذي عليه أن يخاف مِمَّن؟! واصطحبه إلى الداخل. وبلا أدنى ريبة، حينما رأى سونغ يون هوي اليافطة المعلقة على الباب ضحك وقال له: «أخي، يا لها من صدفة! هذا المطعم يقدم أسماككم وحلزونكم».

حينما رأى لي دونغ باو وي تشون هونغ تحملق فيهما من خلف النضد وعلى وجهها شبح ابتسامة غامضة دون أن تأتي للترحيب بهما، شعر في قرارة نفسه بالانزعاج. دخلا إلى صالة المطعم، وخلعا عنهما معظفيهما ثم جلسا. أمرت وي تشون هونغ النادل أن يذهب إليهما، وظلت تراقبهما في برود بالجوار. إنها مالكة لمطعم، وتستقبل زبائن من كل مكان، ما جعلها واسعة الخبرة، ما إن رأت مظهر سونغ يون هوي وشخصيته، ثم نظرت إلى موقف لي دونغ باو منه، جعلها هذا تفكر في شخص واحد أسطوري تعرفه، هذا هو الأخ الصغير لزوجة لي دونغ باو الراحلة. فزعت، فقد كانت تفكر سالفاً في أن زوجة لي دونغ باو الراحلة ما هي إلا امرأة ريفية، حتى إنها لا يمكن أن تضاهي امرأة مثلها تعيش في المدينة، لكن وما إن رأت سونغ يون هوي، فكرت إلى

أي مدى يمكن أن يكون الفرق بين الأخ وأخته؟! وكيف يمكن أن يُعجب بها رجلٌ مثل لي دونغ باو بعدما كانت له زوجة مثل هذه؟! على الرغم من معرفة وي تشون هونغ أنها لم تعد احتمالاً كبيراً بالنسبة إليه، لكنها وحالما رأت سونغ يون هوي، لم تستطع كبح جماح هواجسها وتفكيرها المفرط، أخذت تحديق في سونغ يون هوي بعينيها، حتى إنه شعر بأن ثمة من يثبت ناظريه عليه وأخذ يبحث عنه حتى رأى تلك المُديرة. بدأ يساوره الشك، ولاحظ أن نظراتها له ليست مثل نظرات الإعجاب المعتادة نحوه من الفتيات. نظر سونغ يون هوي إلى لي دونغ باو الذي لم يرمق مالكة المطعم بنظرة واحدة، ودفع إليه بقائمة الطعام التي أحضرها النادل، ثم نهض فجأة، وسار مُسرّعاً نحو النضد، نظر بحدة إليها وقال لها: «من فضلك، هل لديك عود ثقاب؟»

أربكتها خطواته المسرعة نحوها فجأة. وهمت لتناوله أعواد الثقاب كما طلب منها في عجلة من أمرها، لكنها اصطدمت بكوب الماء الموجود على الرف السفلي، فانسكب ماء الشاي على الطاولة بالكامل. أخذ سونغ يون هوي ينظر إلى الوضع دون أن ينبس ببنت شفة، وانتظر في صبر حتى أحضرت له أعواد الثقاب أخيراً، أخذها منها، وقال لها وكأن شيئاً لم يحدث: «شكراً» ثم غادر. تجمدت في مكانها من الدهول وهي تحديق في ظهره، هذا الشاب يملك نظرات خطيرة جدًّا، كما لو كان يُريد أن ينزع قناعها الزائف بنظراته الحادة. لم تهدأ سوى حينما أخذت نفساً عميقاً لعدة مرات، ولم تجرؤ على النظر في هذه الجهة مرة أخرى.

أدرك سونغ يون هوي الأمر بوضوح في داخله، ولكنه لم يتمكن أيضًا من الفهم، هل يمكن أن تكون هذه المرأة الخسنة إلى هذا الحد؟ لم يجد فيها شيئًا جيدًا، ومقارنةً بأخته، فقد كانت لا تضاهي حتى طرف إصبع منها! عاد وجلس إلى الطاولة، وسأل لي دونغ باو بلطفٍ وبشكل مباشر وصريح: «هل هي؟»

تيقظ لي دونغ باو بالفعل حينما رأى سونغ يون هوي يذهب ليطلب عود ثقاب على غير العادة، حتى إنه نسي أن يطلب الطعام، وشعر بتوتر كبير في داخله وكأنه انكشف أمره، لكنه وحالما وجدته يسأله، أجابه بصدق: «نعم هي، ولكننا قد قطعنا علاقتنا الآن». لم يستطع أن يُخفِض صوته، فسمعتته وي تشون هونغ بوضوح.

أوماً سونغ يون هوي برأسه: «لماذا لم تمنعني إذن؟ هيا لنغادر، من حسن الحظ أننا لم نطلب الطعام بعد». «مَمَ تخاف؟» حدّق فيه لي دونغ باو.

«لا داعي إلى...». ولم ينته من كلامه حتى مدّ لي دونغ باو يده وربت عليه بإحكام. فلم يجد أمامه سوى المكوث، وقال بينما ينظر إليه: «دعنا من هذا الموضوع... صحيح، هناك أمرٌ لطالما أردت أن أحدثك فيه، أعد النظر في آراء أخي شي قن قليلاً، توقف عن التقليل من شأنه».

«لَمْ أنت مرتبك؟ ما دمتَ تحدثت في الموضوع فدعني أوضح لك الأمور». لم يكن لي دونغ باو ينوي إخفاء شيء عنه من البداية، وأراد أن يغتنم الفرصة لتوضيح الأمر؛ تجنبًا لأن يشعر بالذنب كلما

رآه، «لم تعجبك أيضًا، أليس كذلك؟» وبينما يتحدث أشار بذقنه ناحية النضد، وكانت غادرت بالفعل وذهبت إلى المطبخ.

«ما هذا الذوق؟!» شعُر سونغ يون هوي بكم كبير من الضيق لم يستطع التعبير عنه. صمت لي دونغ باو للحظة، وقال بعد فترة وجيزة: «أعترف، لقد عُميت. انتهى الأمر عند هذا الحد. أكمل كلامك عن أخي شي قن».

ألقي سونغ يون هوي نظرة على الديكور الجديد كليًا، وقال بصوت هامس: «هذا ليس حلاً، أريد أن أطلب من أخي شي قن أن يجد لك إنسانة متعلمة ومهذبة، وإلا فسوف ترى كل امرأة تقابلك جميلة وستعرض للخداع». شعُر لي دونغ باو بالضيق عند سماعه هذا الكلام، ولم يمنع نفسه من التوضيح: «إنها لم تخدعني، هذا المطعم كله من مالها الخاص...».

لم يزد سونغ يون هوي على ذلك، كيف يشعر وكأن لي دونغ باو يُكن بعض المشاعر لهذه المرأة؟ أجبر نفسه على كبح جماح رغبته في التدخل والتعمق في شؤونه العاطفية، وأخذ يعث بعيدان الطعام في يده، لم ينتظر حتى يتحدث لي دونغ باو حتى لحقه بالكلام في موضوع جديد: «أخي، أخطط للعودة إلى بكين في اليوم السادس. يساعدنني شيوي الكبير في أموري، خطتنا العملية مضغوطة للغاية، ولا نرغب في أن تتعطل الأمور وتحدث مشاكل غير متوقعة في منتصف الطريق. لن يطمئن قلبي إذا ما ركبت كاي يان قطار العودة حاملةً القطة الصغيرة بمفردها، هل يمكن أن تُسدي إليَّ معروفًا وتوصلهما في اليوم السادس؟»

كان لي دونغ باو يهتم بالحديث هو الآخر: «سأوصلها حتى باب البيت. شيوي الكبير يقف في مكانٍ مرتفع، ونظرته بعيدة، أنصت إليه كثيرًا، فهو لن يخطئ».

نظرًا للإعجاب والتقدير شبه المتطابق تقريبًا من لي دونغ باو والأمين شوي تجاه شيوي الكبير، أضف إلى ذلك المرة الأولى التي حدث فيها تواصلٌ بينهما في الماضي، كان سونغ يون هوي في البداية يراه وكأنه شخصٌ خارق. الآن وبعدهما تعاونًا، وعلى الرغم من أنه ما زال معجبًا بدهائه، وبخاصة الجوانب العميقة من شخصيته، ولكنه لم يعد يراه بطلاً خارقًا، فقد تلمس بالفعل آماله الخائبة، وأنانيته الطبيعية الموجودة في أي إنسان. لكنه لن يكشف الحقيقة للي دونغ باو، فهو لم يكن قط شخصًا ثرثارًا، فقط أومأ برأسه وقال: «فهمت. أعتقد أن الموافقة على وشك الإصدار، وينبغي لي أن آوي إلى الساحل لكي نبدأ الأعمال التحضيرية. سأكون مشغولاً بعض الشيء في مرحلة التحضير المبدئي، ولن تكون الظروف المعيشية جيدة جدًا، عليك أن تساعدني في رعاية أبي وأمي. وحينما نبدأ في المشروع، أعتقد أن مزاياي الوظيفية لن تكون سيئة، وسأدبر أمر انتقال أبي وأمي للعيش معي».

«هذا أيضًا جيد، لا بد وأن يكون والدك ووالدتك معك. كل». كان أول ما نزل من الطعام الذي طلبه لي دونغ باو هو اللحم الحامض والحلو، «إذا لم تكن والدتك معك فمن سيرعى الطفلة؟ حتى زوجتك ما زالت طفلة».

«بل فتاة صغيرة».

«وما المشكلة في أن تكون فتاة صغيرة؟ كانت أختك في السابق تذهب إلى المقاطعة بمفردها لتطعيم الأرناب ذات الفراء الطويل، وكانت تذهب إلى كل مكان بمفردها. علّمها جيدًا فيما بعد، عليها ألا تبدو بهذا المظهر الطفولي، وإلا فسوف تعاني أنت لاحقًا».

قال سونغ يون هوي بلا حول ولا قوة: «هذه شخصيتها، على الأقل فهي لا تثير المشاكل، ودائمًا تبدو جميلة».

«هل سيُطعمك شكلها الجميل؟ تناول السمك، الجميع يقول إن السمك المشوي هنا ألذ ما يمكن».

تناول سونغ يون هوي السمك واللحم مع لي دونغ باو، ولم تظهر مالكة المطعم مرةً أخرى طوال فترة وجودهما. وحينما همًا بالمغادرة، تراجع خطوة إلى الوراء عامدًا، وتوقف عند الباب واستدار ناظرًا خلفه، فوجدها قد ظهرت أخيرًا. تبادلوا النظرات في صمت، أحسَّ أنه قرأ كل ما في قلبها من آلاف الكلمات، ثم تبع لي دونغ باو مغادرًا. حينما ركبا الدراجة النارية، أجبر نفسه على أن يقول للي دونغ باو: «مالكة المطعم هذه تحبك».

«إنها تحب الجميع، لا تثق بها، اجلس مستقرًا».

أدار سونغ يون هوي رأسه ليلقي نظرة، وبالطبع لم يجدها في الخارج. فلم يثرثر كثيرًا.

بعد اليوم السادس من العام الجديد، حزم أمتعته عائداً إلى بكين مباشرةً، فعليه القيام بأشياء لا تُعد ولا تُحصى.

عجز يانغ شيون عن العودة إلى المنزل مرةً أخرى. فقد وجب عليه البقاء في الشمال الشرقي ومراقبة العمل ليلاً ونهاراً؛ ذلك ليلحق افتتاح سوق الأجهزة الكهربائية بعد عيد الربيع. اتصل في البداية وطلب منهم جميعاً في البيت القدوم ليشهدوا شتاء الشمال الشرقي، ولكن والدته رفضت، وتعللت بأن يانغ ليان ويانغ سو سيخضعان لامتحانات القبول بالجامعة بعد نصف عام من الآن، ولا يمكن تركهما يمرحان دون ضوابط. فلم يجد يانغ شيون بدءاً من قضاء العيد وحده. كان هو مدير سوق الأجهزة الكهربائية، وينام على الأرض في المتجر أيضاً. لكنه لم يكن وحيداً، إذ كان صبية لاو لي يحبون قضاء الوقت معه لأنه كان سخياً، ودائماً ما يضيفهم باللحم والخمر الكثير. لكن كلما اقترب الوقت من عشية رأس السنة الجديدة، اضطر رفاقه للعودة إلى منازلهم وقضاء عيد الربيع مع عائلاتهم، ولم يتبقَّ في سوق الأجهزة الكهربائية سواه، وحيداً منعزلاً. حينما يحل المساء، كان ينكمش في فراشه يدرس بجد في كتاب للمرحلة الثانوية، وليس في مقدور المدفأة التي كانت بجانبه أن تدفئ كل تلك الصالة الفسيحة.

كان الهواء في الغرفة مشبعاً برائحة خشب الصنوبر العطرة، وكانت جميع الأمور الخاصة بتركيب الأسقف المعلقة وتصنيع الأنضاد وإنشاء الجدران الفاصلة تتم بانتظام ووفقاً للخطة، فقط لم يتمكن من صب الأرض الخرسانية التي كانت تعتبر الجزء الأهم في العمل، إذ كان الجو قارساً، وإذا ما تم صبها فستحول إلى قطعة

جليد، ولن يتمكن من استخدامها لاحقاً. اختبأ يانغ شيون وراء إحدى الجدران الفاصلة، وقام بتغطية جميع الجوانب باستخدام ألواح الخشب ثلاثية الطبقات، وكأنه كوخٌ صغير، لكن أنى لهواء المدفأة الضعيف أن يقاوم البرد الذي يتسرب من كل فتحة صغيرة. كان دائماً ما يكون متدثراً في فراشه تقريباً في غير أوقات العمل، يقوم ليتحرك بضع خطوات على أقصى تقدير للتبول على نشارة الخشب.

في اليوم التاسع والعشرين، كان الجو شديد البرودة، ويانغ شيون يقرأ كتاباً، ويوجب على الأسئلة، يشهق بأنفه ممتصاً ما فيها من مخاطر، ويقضم لقمة من خبز المانتو من آنٍ إلى آخر، ما جعله يتأثر لحاله. تنهى إلى سمعه فجأة صوت مفرقات نارية وكأنه قادمٌ من بعيد. فمال برأسه جانباً وفكّر: صحيح، لقد ذكروا في الإذاعة أن ساحة مدخل الفندق الذي افتتح حديثاً بتمويل مشترك ستشهد اليوم عرضاً للألعاب النارية. تحمس بمجرد التفكير في ذلك، ولم يعد قادراً على البقاء جالساً في مكانه. أخذ يتلصقاً ذهاباً وإياباً، وفي النهاية قرر أن يعطي لنفسه إجازة لمدة يوم، وامتطى الدراجة الهوائية وطار متوجّهاً إلى وسط المدينة.

وكما توقع، كان الكثير من الناس يحتشدون خارج الفندق، يشربون بأعناقهم ليشاهدوا الألعاب النارية الملونة التي لا يشاهدونها سوى في التلفاز وهي تصدر أصواتاً مدوية وتنطلق نحو السماء، فتنفجر وتكوّن كتلاً متتابعة من الأزهار الجميلة واحدة تلو الأخرى. لم يستطع أن يتزاحم ويتقدم إلى الأمام، فهو ليس طويل القامة مثل سكان الشمال الشرقي. وقف عند حافة حوض الزهور الموجود بالخارج، عندها فقط استطاع أن يرى تقريباً بضعة رجال

يرتدون زياً عسكرياً أجنبيّاً غريباً كالموجود في الأفلام، يطلقون الألعاب النارية من الداخل. فلم يمنع نفسه من النظر بإعجابٍ وحسدٍ للفندق الذي يبدو كالقصر الكريستالي من الداخل خلف الباب الزجاجي الكبير، وكان هذا تقريباً أجمل مكان رآه في حياته. ملأته اللهفة والحماس وفكّر: لا داعي للاستعجال، حينما يستقر سوق الأجهزة الكهربائية الخاص به، لا بد أن يستقطع وقتاً لقضاء ليلة بالداخل. وسيذهب لاحقاً إلى بكين وشانغهاي وقوانغتشو، ويقيم في أجمل الفنادق الموجودة فيها.

كان يانغ شيون تملؤه الثقة في نفسه حيال تلك الأفكار، كان يؤمن بأنه سيحقق ذلك يوماً ما. نظر إلى عبارة «مشروع مشترك بين الصين وهونغ كونغ» المكتوبة بأضواء النيون فوق الفندق، وفكر وقلبه مليء بالجرأة والطموح: نعم، لا بد أن أجد وقتاً لزيارة هونغ كونغ يوماً ما؛ لأرى هل هي مزدهرة كما يُعرض في التلفاز أم لا. شاهد الألعاب النارية والأضواء، وكان غارقاً في أحلام اليقظة، إلى أن توقفت عيناه عن الحركة فجأة، وثبتت نظره على خيال أحد السائرين نحو باب الفندق الكبير. كان بصره سليماً، وذاكرته جيدة، فبمجرد نظرة واحدة تعرف على خيال أحدهم، والذي انطبع بعمق في ذهنه في تلك الليلة الخريفية. انتظر حتى دخل الرجل إلى الفندق، واستدار بجسده، فإذا هو، ما من خطأ، إنه ذلك الرجل الذي اختطف داي جياو فنغ.

زمّ شفّيته بإحكام بينما ينظر ببرود إلى هذا الرجل وهو يتحدث بمرح ولباقة ويأخذ معظم السيدة متوسطة العمر التي كانت

تسير معه، وبأسلوب شديد التهذيب أمسك بذراعها بلطف بينما يواصلان السير إلى الداخل. كان منظره رائعاً، وكأنه البطل شيوي ون تشيانغ في فيلم «السد». لم يرَ داي جياو فنغ، ولم يعرف ما إذا كان هذا بسبب عودتها لقضاء عيد الربيع مع عائلتها أم ماذا، لم يستطع التخمين. أكثر ما كان يتمناه هو أن تترك ذلك الرجل. كان يتمنى أن تكون قد افتتنت بمظهره لفترة مؤقتة، أما الآن فقد أدركت ضلالها وعادت إلى بيتها القديم. ولكنه كان معترفاً في قرارة نفسه وهو يصر على أسنانه في غضب أن هذا الرجل يتمتع في الحقيقة بثقة ولباقة، ليس فقط وسيماً، ولكنه أيضاً أنيق، أنيق في كل حركة وإيماءة. علاوة على ذلك فلم يجد بدءاً من الاعتراف بأن داي جياو فنغ لشد ما تحب مشاهدة قنوات هونغ كونغ، ولطالما كانت تتعلم من هندام النساء اللاتي يظهرن فيها.

أقسم في قرارة نفسه: اللعنة، أليس كل ما في الأمر تعلم لباقة الحكم الاستعماري البريطاني؟ إنه لا يراه جديراً باهتمامه حتى، «سيقاتل حتى يصل إلى أرض المستعمر نفسه» فيما بعد، ويتعلم منهم مباشرة.

رجع مستاءً، ولم يعد يرى الألعاب النارية. واندس ثانية في فراشه يدرس بجهد واجتهاد. ظل يدرس في كتاب الفيزياء حتى منتصف الليل، عندها فقط شعر وكأنه نفَس قليلاً عن غضبه. ومع هذه العزيمة، تمكن بالفعل من التهام ثلاثة فصول كاملة في ليلة واحدة.

أخذ الحرفيون قسطاً من الراحة خلال عطلة عيد الربيع بأكملها، أما هو فقد كرّس نفسه للدراسة لدرجة أنه نسي النوم

والطعام. كان ماكراً بطبعه بعد كل شيء، فسرعان ما استعاد تفاؤله مجدداً، وضحك متسائلاً ما إذا كان أخواه اللذان يستعدان لامتحانات القبول بالجامعة يدرسان بجد مثله أم لا. اتصل بالبيت ليسأل عنهما، وكالمتوقع وجدتهما لا يدرسان بجد، فأمسك بسلك الهاتف وكأنه ممسكٌ بأذن أخيه، ولقن أخويه درساً جيداً.

في اليوم الخامس من العام القمري الجديد دعا بضعة نجارين للعمل. لم يكن في حاجة إلى دعوة متخصصين لتصميم تخطيط الأنضاد في سوق الأجهزة الكهربائية، فقد كانوا على دراية من عمل سابق في الأجهزة الكهربائية بأسهل وأكثر تخطيط واضح للبصر. وفي ظل إشرافه المباشر ونشاطه الدؤوب تقدم سير المشروع بسرعة. وكان الشيء الوحيد المزعج هو أن درجة الحرارة لم تتحسن إلى الآن.

لكنه لم ينتظر، فمسألة جني المال لا بد فيها من استغلال كل ثانية. قام بملء الأماكن المنخفضة بالرمال والحصى، ثم وضع فوقها ألواحاً خشبية مهترئة ثلاثية الطبقات، وعلّق ستاراً قطنياً على الباب، كما وضع يافطة إعلانية على سطح المبنى، وأطلق بضعة مفرقات نارية، وهكذا افتتح سوق الأجهزة الكهربائية.

جلب جميع أبناء بلده من شارع المستودعات إلى سوقه دفعةً واحدة، وكتب بالطلاء على واجهة المتاجر القديمة في شارع المستودعات عنوان سوق الأجهزة الكهربائية ليجذب الزبائن ناحية محطة السكك الحديدية، وإذا ما كتب آخرون غير اللون وأعاد الطلاء. لم يمضِ وقتٌ طويل حتى جذب الزبائن إلى منطقة

محطة السكك الحديدية حيث المواصلات العامة أكثر سهولة. فضلاً عن ذلك كانت واجهة المتجر مكتظة بالبضائع، وفي الداخل أيضاً، لم يكن الزبائن في حاجة إلى تحمل برد الرياح الشمالية الغربية عند التنقل من متجر إلى آخر، ما جعلهم راضين جداً.

اطمأن يانغ شيون أخيراً حينما رأى بأم عينيه الافتتاح ناجحاً. لكنه في النهاية لم يطق إنفاق بضع مئات من اليوانات ليقضي ليلة في ذلك الفندق، فهو لم يعد ذلك الشخص المسرف الذي كان عليه قبل عيد الربيع من العام الماضي، وصار الآن حريصاً على المال.

## 5

حينما وصل سونغ يون هوي إلى بكين، لم يكن لاو ما والآخرين قد جاءوا بعد. ونظراً لأن المشروع لم تتضح معالمه بعد، لم يكن ثمة عمل يستدعي الاستعجال. كان المكوث في المكتب كل يوم مجرد مضيعة للوقت، ما جعل الجميع يعودون إلى منازلهم باكراً قبل العيد في آنٍ واحد ودون اتفاق مسبق بينهم، ومدّوا كذلك، ودون اتفاق مسبقٍ أيضاً، إجازة زيارة أقاربهم لما بعد عطلة عيد الربيع.

لم يكن في المكتب سوى سونغ يون هوي، ما جعله أكثر ارتياحاً. حينما قابل شيوي الكبير أخبره بحماس شديد أنه تمكن من زيارة ثلاثة أشخاص في عيد الربيع. كان شيوي الكبير في الأصل من جيتنشو أيضاً، وعلى دراية بهذا النظام، وإذا ما تحدث عنه فلن يكون كلامه أقل تأثيراً من سونغ يون هوي. ومن ثمّ،

فحينما يطلب منه الذهاب للبحث عن فلان أو فلان والحصول على إجابات أكثر تفصيلاً حول استفسارات معينة، لا يساور الشك سونغ يون هوي ولو قليلاً في أنه يمهد له الطريق.

ذهب سونغ يون هوي للبحث عن أشخاص بتوجيه من شيوي الكبير، وكان يشرح مرارًا وتكرارًا بلا كلل ولا ملل. أشاد شيوي الكبير بشبابه وقوة تركيزه، وبصبره الكبير أيضًا. قال سونغ يون هوي في نفسه ليس الأمر هو قوة التركيز، وإنما السياسات التي شهدت تحسنًا خلال فترة عيد الربيع، ما جعله غير مضطر للتعامل مع المضايقات التي لا طائل منها. حينما جاء للتو، وعلى الرغم من عدم صدور أي أخبار عن المشروع بعد، فإن الشركات التي يعمل فيها المسؤولون الحكوميون بدوام جزئي لم تتوقف عن التوافد منذ وقتٍ طويل رافعة مختلف الشعارات وتريد العمل والتعاون. كانوا يجلسون في المكتب ويمارسون جميع أساليب الإقناع والضغط. بدا أنه لا يمكن الإساءة إلى أي منهم، ولا يعرف أحد خلفياتهم الحقيقية. حينما وصل سونغ يون هوي إلى بكين للمرة الأولى، بدأ يتعامل بحذر وحيطة مع هؤلاء المسؤولين الكبار الذين في مقدورهم معرفة جميع الأسرار الداخلية بمجرد الثرثرة. تناقش خمستهم سرًا قائلين إنهم لا يجروون على الإساءة إلى تلك العصابة، فهذا يعادل الإساءة إلى القادة الذين يشغلون مناصب جانبية. لذا فقد كانوا دائمًا ما يشعرون بالغضب تجاههم ولكن لا يمكنهم التعبير عن هذا الغضب. ومن حسن الحظ أنه ومع حلول عيد الربيع، صدرت وثيقة تمنع الوظائف الجانبية لكوادر الحزب والحكومة، ما جعل هذه العصابة التي كانت تقيم

في المكتب وتسيطر على الأوضاع تختفي مؤقتًا، وصار سونغ يون هوي مرتاح البال ينجز عمله بسهولة.

إذا ما سارت الأمور بسلاسة، فسيكون حقًا كل شيء على ما يرام. لم يكن سونغ يون هوي يعرف أي العقبات التي ساعده شيوي الكبير على تجاوزها، وصارت الأمور تسير بسلاسة لاحقًا لدرجة أنه تفاجأ. ولكن قادة الوزارة لاحظوا أن سونغ يون هوي كان يعمل وحده، وعلى غير المتوقع لم يباشر الآخرون أعمالهم بعد، ما ترك استياءً في قلوبهم إلى حد ما. ومن ثم، فبعدما عاد لاو ما والآخرون، أدلى أحد قادة الوزارة بتصريح، وأمرهم بالخروج فورًا من مبنى المكتب الذي كانوا يشغلونه، وأن يُرسلوا في الحال إلى شبه الجزيرة التي تقع على ساحل دونغهاي، ويدؤوا في العمل على المرحلة التحضيرية. تم الإبقاء فقط على سونغ يون هوي في بكين، يحمل الوثائق ويسعى في كل مكان باحثًا عن التوقعات والأختام.

لم يجرؤ لاو ما والآخرون على مخالفة الأوامر، فحزموا أمتعتهم فورًا ورحلوا، وبدؤوا في العمل على المرحلة التحضيرية، بما في ذلك التواصل مع الحكومة المحلية. فمشروع كبير كهذا ستعده الحكومة المحلية في أي مكان محببًا لها، ما جعل لاو ما والبقية يباشرون الأعمال اللوجستية أولاً.

بدأ لاو ما ومن معه يعيشون حياة مرفهة في المنطقة التي ذهبوا إليها ويستمتعون بالأطعمة الفاخرة والمشروبات اللذيذة، أما سونغ يون هوي فكان في بكين غارقًا في المشاكل ومثقلًا بالضغط.

فبعدها انتهى من الحصول على التوقيعات والأختام بدأ في طلب صرف التمويل. في ذلك الحين بدأ شيوي الكبير في التقاعد بعد ما حققه من نجاح، ولم يعد يتدخل في شيء، ولكنه وعد سونغ يون هوي ألا يتردد في سؤاله وقتما يريد إذا ما واجه مشكلة. وبالطبع تمسك سونغ يون هوي بهذا الوعد ولم يفرط فيه. فقد كان يقف سابقًا في بيئة صناعية معقدة مليئة بالمعدات، ولم يكن ليخطئ الطريق حتى وهو مغمض العينين، لكن في هذا النوع من الأوساط البيروقراطية، لم يكن يعرف شيئًا على الإطلاق، فعَمَّن يبحث إذا لم يبحث عن شيوي الكبير؟

كانت هذه الأوساط البيروقراطية مختلفة تمامًا عن بيئة المعدات. ففي بيئة المعدات، لطالما اتبعت مسار الإمداد فستمكن من التعرف على المعدات وفهم ترتيبها بسهولة، حتى ولو كانت ثمة فروع كثيرة في المنتصف، فستمكن في النهاية من فهمها تمامًا، فالمعدات أشياء جامدة لا حياة فيها. أما الأوساط الحكومية فمختلفة عن ذلك. الإنسان حي، ومن ثمَّ فإن الأوساط الحكومية حيَّة أيضًا. فالفروع التي تفهمها اليوم قد يتغير مسارها غدًا، وقد جعلوا من سونغ يون هوي الذي قدم للتو الجدة ليو التي دخلت حديقة الطبيعة الخلابة<sup>(1)</sup>، غير مدرك لأي شيء. يكافح بصعوبة ليستدل على الطريق، يكافح لأن يكون الأشخاص المعنيون مألوفين بالنسبة إليه، أما عن شبكة العلاقات المخبأة

---

(1) شخصية في الرواية الصينية الكلاسيكية «حلم المقصورة الحمراء»، والجملة كناية عن شخص عديم الخبرة يأتي إلى عالم غريب وجديد بالنسبة إليه.

خلف اللافتات المعلقة على كل مكتب، فقد طُبعت في النهاية واحدة تلو الأخرى بعمق في ذهنه.

أخذت أعمال مكتب التحضير لبناء المشروع في التوسع، وجلب الجميع من مقر عملهم الأساسي أشخاصًا أكفاء. في ذلك الحين، لم يعد هناك أثر لمشهد الوحدة والتضامن الذي كان بين الخمسة أفراد في البداية. تمامًا مثل جيتشوو، بدأت تتكون مجموعات صغيرة بشكل غامض. كان سونغ يون هوي قد أعد نفسه منذ وقتٍ باكر، فبما أن القوانين هكذا، فعليه أن يجاري التيار. كان عليه أن ينتهز كل فرصة ممكنة ليطير إلى جيتشوو ويقابل مدير المصنع مين من أجل استقطاب الكفاءات، مستهدفًا الفريق الأساسي لورشته الجديدة السابقة، كما استقطب فانغ بينغ، الذي حلَّ محل شيون جيان شيانغ وسكن معه في الغرفة نفسها، وأرسله إلى شبه الجزيرة ليكون عينه وأذنه هناك.

في البداية، ولأن سونغ يون هوي كان واضحًا ومباشرًا مع مدير المصنع مين، بادر بطلب المغادرة، ما جعل مين، الذي شهد اضطرابات في العمل والحياة، يتخلص من منافس قوي، عندها فقط صار في مقدوره التواصل مع المناصب الأعلى والأدنى منه للحفاظ على منصبه. وإلا، فكان من المحتمل جدًا أن يدعم الأمين شوي أحد نواب المديرين الآخرين لتولي هذا المنصب، والإتيان بسونغ يون هوي كمساعد له، وكان سيتوجب عليه أن يرشَّح مكانه في منصب المساعد، إلى أن يأتي اليوم الذي يتفوق عليه ويتجاوزه. من أجل هذا، كان مين يعرف جيدًا أنه في حاجة إلى رد الجميل لسونغ يون هوي. وافق مين على السماح برحيل

الموظفين بسلاسة، ولم يرفض اسمًا واحدًا من القائمة التي طلبها  
سونغ يون هوي بالاسم.

أقام مين مآدبة خصيصًا لاستقبال سونغ يون هوي، ودعا إليها  
الأمين شوي الذي تقاعد للتو ولكنه لا يزال موجودًا في المكتب،  
وحماه سونغ يون هوي، نائب الأمين تشنغ. وعلى الرغم من أن  
مين جعل الأمين شوي يجلس على المقعد الرئيسي، ولكن سونغ  
يون هوي استطاع أن يلاحظ بنظرة واحدة أنه حتى لو أصر الأمين  
شوي على التقاعد دون التوقف عن العمل، لكنه بدأ يفقد هيمنته،  
وصار الوضع كله في قبضة مين. تعاقب الأجيال أمرٌ حتمي، لا  
بد من مواجهته حتى ولو لم ترغب في ذلك. أكد مين بصدق  
وإخلاص في المآدبة أن جيتتسو بمثابة بيت سونغ يون هوي،  
وهي الداعم القوي له، فنجاحه في مشروع دونغهاي شرفٌ وفخر  
للمصنع الرئيسي في جيتتسو. كان الأمين تشنغ سعيدًا بطبيعة  
الحال، على الأقل فحينما يتقاعد، وبوجود صهره الشاب الكفاء  
ذي المستقبل الواعد يساند موقفه من داخل النظام، فسيفضي حياةً  
أفضل من الأمين شوي.

كانت ردة فعل تشنغ كاي يان على عدم ورود اسمها في الدفعة  
الأولى من قائمة التنقلات شديدة للغاية، وعلى الرغم من توضيح  
سونغ يون هوي الأمر لها بالفعل مسبقًا، بأن مكتب التحضير للبناء  
يسكن حاليًا في نزلٍ جماعي، وأنه ليس في مقدوره إحضار أقاربه،  
ولكنها لم توافقه في ذلك. كانت الخالات في روضة الأطفال  
يثرثرن في الخفاء حول علاقات مين العاطفية خارج إطار الزواج  
وينصحن تشنغ كاي يان بأن تراقب زوجها عن كثب، وألا تتهاون

في الأمر أبدًا، فلو لم تنتبه، لصار هذا الزوج الرائع ملكًا للإنسانة أخرى. كان سونغ يون هوي يرغب في العودة لقضاء بضعة أيام في المنزل مع عائلته مستغلًا رحلة سفره من أجل العمل واستقطاب الكفاءات، وكانت النتيجة أن طلبت تشنغ كاي يان إجازة وسببت له إزعاجًا ببكائها وإلحاحها فلم يستطع فعل شيء، ولم يكن في مقدوره سوى التحديق في حماته بجانبه وهي عاجزة عن القيام بأي شيء. اغتنم فرصة رعاية حماته لها بعض الوقت، فتسلل سرعًا إلى الخارج ليلتقط أنفاسه، وذهب إلى المدينة باحثًا عن شيون جيان شيانغ الذي فتح متجرًا هناك.

تبلغ مساحة متجر شيون جيان شيانغ من ستين إلى سبعين مترًا مربعًا، وكان واضحًا للبصر. وباقتراب سونغ يون هوي من صالة المتجر، سمع أصوات صياح قادمة من الداخل، كان الضجيج عاليًا بشدة. كان رأسه يؤلمه بالفعل بسبب الضجة التي سببتها له تشنغ كاي يان، وحينما رأى ذلك همَّ بالمغادرة. لم يتصور أن يرصده شيون جيان شيانغ بحدة نظره ويشده إلى الداخل، فوجد بضعة أشخاص تافهين يجلسون في الداخل ويتجادبون أطراف الحديث. ألقى شيون جيان شيانغ التحية على سونغ يون هوي وجامله بضع كلمات، أما هؤلاء العصبة فكانوا لا يزالون يتناقشون حول أوضاع الدولة وشؤون عائلاتهم، بنبرات صوتٍ تحمل استياءً. لم يقل شيون جيان شيانغ شيئًا، وطردهم إلى الخارج ضاحكًا، فهو يعلم أن سونغ يون هوي لا يحب الضجيج.

أشار سونغ يون هوي إلى خيال هؤلاء الأشخاص المغادرين، وسأل بصوت منخفض: «هل سيكون الدخول سهلاً على الزبائن

مع وجود هؤلاء الأشخاص؟». فضحك شيون جيان شيانغ وقال: «جميعهم أصدقاء، وقد أتوا إلى هنا للتو. بعضهم خرج قبلي قليلاً، كما خرج أذن الدب، هل تعرفه؟».

«نعم، هل وجد عملاً أم لا؟ وأين استقر؟».

تنهد شيون جيان شيانغ: «هؤلاء جميعاً عاطلون عن العمل، فقد فقدوا وظائفهم السابقة، والآن من يجروء على قبولهم؟ إذا لم تساعدني أنت، لكنك الآن أتسع مثلهم كل يوم آكل منتظراً الموت. لقد وفرت لهم هذا المكان في النهاية ليجلسوا ويتحدثوا فيه».

«واضح أنهم... لا عجب إذن.» نظر سونغ يون هوي إليهم وهم يسرون بعيداً. «لا عجب إذن من أن حديثهم كان مليئاً بالحدة والعدوانية. لطالما كنت الأكثر وفاءً وإخلاصاً لأصدقائك، لكن عليك أن تعرف، وجودهم سوف يؤثر على عملك. ألا يمكن أن تجتمع بهم في المساء؟».

«أنت دائماً تصارحني بالحقيقة. ولكنني أخجل من صدّهم إذا ما جاءوا، من الصعب تحمل رؤيتهم بهذا الشكل. نحن أصدقاء عمر، لا يصح أن أتجاهلهم لمجرد كسب بعض المال، ففي بعض الأحيان يكونون منتظرين مجيئهم إلى هنا لتناول وجبة لذيذة. لماذا جئت اليوم؟ لا تبدو في حالة جيدة».

كان سونغ يون هوي متضايقاً، وحكى له موضوع تشنغ كاي يان من الألف إلى الياء. ضحك شيون جيان شيانغ بشدة بعدما استمع إليه، ضحك بجنون وأخذ يلوح بيديه وقدميه لدرجة أفقدته وقاره. قال سونغ يون هوي غاضباً: «على ماذا تضحك؟ هل هذا أمرٌ مضحك؟».

«لا، الأمر ليس مضحكًا، أضحك عليك لأنك لا تفهم. كيف تكون متزوجًا؟ لقد استقصيت عما حدث، هذا الأمر بسيط للغاية، والجميع يعلم أن هذه هي تقاليد جينتشو. جميع الشمطاوات في جينتشو هكذا، يبحث من في المصنع بأكمله عن زوج مطيع يواعد ابنته، ولا يتم نقله من مكان عمله إلا بعد أن يدخل إلى عش الزوجية وقبل أن ينتهي حتى من المواعدة، حيث يصبح الأمر واقعًا لا رجعة فيه، وذلك حتى لا يفر هاربًا في منتصف الطريق. حينما ينضم الصهر إلى العائلة يعمل أجيرًا بعقد طويل لعدة سنوات، وتساعد العائلة بأكملها على الترقى في الوظيفة، وحينما تعلق مكانته الوظيفية، يهتم بأصهاره لاحقًا. أما أنت فلم تكن صادقًا، وهربت من جينتشو. قل لي إلى أي مدى يمكن أن يقلق أصهارك؟ أليس هذا مثل تربية فرخ صغير ليطير بعيدًا؟».

احمرَّ وجه سونغ يون هوي بالكامل عند سماعه هذا الكلام، وقال غاضبًا: «لقد فعلتُ ذلك بإرادتي، ولقد كان حمي يساعدي كثيرًا قبل الزواج!».

«بالنسبة إليك، بالطبع ينبغي إضافة المزيد من التفاصيل، فمن لا يرى مستقبلك الواعد؟!» كان شيون جيان شيانغ هادئ الأعصاب على غير عادته. «بصفتنا أصدقاء، فإنني أقول الحقيقة كما هي».

ذُهل سونغ يون هوي للحظة، وشرد ذهنه قليلاً، ثم قال في الحال: «الأمر بهذه البساطة، تشنغ كاي يان فقط ساذجة، تسيء الظن بي». فضحك شيون جيان شيانغ وقال: «هاها، من النادر أن

أراك تفقد رباطة جأشك، ولكنك غاضبٌ جدًا اليوم. بغض النظر عن أي شيء، هذه هي التقاليد، ومن المؤكد أن زوجتك تفكر على هذا النحو. إنها جيدة بما يكفي، وتطيعك إلى كل هذا الحد، كما أنها سخية. ألا تعرف كيف كانت زوجة مدير المصنع مين تعامله في الماضي؟ كانت تسيطر عليه تمامًا، ولكن هذا الوغد، هل تصدق؟».

«ولكنها لا ترى، هل أنا شخصٌ عديم الضمير؟» كان سونغ يون هوي يتحدث مغتاظًا، يفكر في مدير المصنع مين، ثم أدرك الحقيقة فجأة. «لا عجب إذن في أن مين خانها».

«هاها، الإنسان، هذا الشيء، قل لي، كم شخصًا بإمكانك الوثوق فيه؟ عندما خرجت هذه المرة من السجن باحثًا عن مخرج، تجنبتني جميع الإخوة والأخوات الذين كنت أساعدهم كثيرًا في الماضي، وحدك من عاملتني بطريقة مختلفة. وأنت أيضًا، لا تلم زوجتك لأنها لا تفكر على نحو سليم، فالجميع يفعلون ذلك، بأي حق يجب عليها أن تثق بك ثقة عمياء؟ ومع ذلك فإنني أرى أنه من السهل خداع زوجتك، أليس في مقدورك تدليلها ببعض الكلام المعسول؟ لماذا تعاملها بهذه الصلابة؟ إنه ليس عملاً».

«ليس الأمر أنني لا أحدثها بكلام معسول، ولكن هذه نقطة ضعف قاتلة، لا يمكن الاقتراب منها. لقد قالت اليوم مباشرة إنها تريد التغييب عن العمل بدون إذن والذهاب معي. هل أبدو غير أهلٍ للثقة إلى هذا الحد؟».

«النساء في بعض الأحيان من الصعب فهمهن، وأنا لا أستوعب ذلك حتى الآن. ماذا لو تبحت عن طريقة لنقلها للعمل

معك في المدينة هناك، واشترِ هناك أولاً منزلاً صغيراً للاستقرار فيه. بالمناسبة، لقد بدأت أوضاعي المالية تتحسن الآن، سأعيد لك في البداية عشرين ألف يوان. سأعطيك إياها غداً». دخل شيون جيان شيانغ السجن مرة، وتغيرت طباعه في النهاية كثيراً، تمالك نفسه بصعوبة ولم يتحدث عن الشكوك التي ساورته حينما عرف بتفاصيل زواج سونغ يون هوي. ولطالما يعيش سونغ يون هوي حياة جيدة الآن، فلم يلاحق أمور الماضي؟!!

نظر سونغ يون هوي إلى شيون جيان شيانغ، وعلم أنه يفعل ذلك من أجل حل مشاكل أسرته، ولا يعرف حقاً من أين سيدبر المال ليسدد دينه. هزَّ رأسه يميناً ويسرة قائلاً: «ما من حاجة إلى ذلك، يبعد الموقع المختار للمصنع عن المدينة مدة ساعة أو أكثر بالسيارة، علاوة على ذلك فقد بدؤوا للتو في أعمال إصلاح الطريق الرئيسي، فإذا جاءت معي لن أتمكن من العودة إلى البيت يوميًا، وسأعود على الأكثر مرة كل أسبوع. فهل سيكون هذا سهلاً عليها وهي تحمل طفلة بمفردها؟ لنتنظر حتى تكبر الطفلة وتذهب إلى الروضة ونناقش الأمر حينها. إذا كنت تملك مالاً فتوسع في تجارتك. بالإضافة إلى ذلك، عليك أن تتزوج».

ابتسم شيون جيان شيانغ ابتسامة خفيفة وقال: «عرض عليّ أحدهم مسبقاً عروسًا، مطلقة، ومعها ابن، هل تريد أن تراها؟».

ذهل سونغ يون هوي، هل من يتحدث بهذا الكلام هو شيون جيان شيانغ القديم؟ لم يكن في الماضي ليتسامح بكل هذا القدر مع ما يسمى بتقاليد جيتتشو، ولم يكن ليطلب من أي شخصٍ

عابر أن يبحث له عن عروس ليقبلها اضطرارًا. قلب الموضوع في عقله للحظة، ثم سأل بصوتٍ منخفض: «ألا تسير التجارة على ما يرام؟».

فقال شيون جيان شيانغ ضاحكًا: «إلى أين ذهب تفكيرك، هل سأفتح باب المتجر ولن أجد زبائن؟».

قال سونغ يون هوي بجدية: «لن يجروء الناس على الدخول في وجود أصدقائك كل يوم، فعادةً ما يخشى الناس من مثل تلك العصبية. ليس الأمر أنني أزدريهم، لكن عليك أن تقطع علاقتك بهم متى تضطر إلى ذلك. بالإضافة إلى هويتك، هل تزعجك إدارة السجل التجاري وما إلى ذلك بشكل متكرر أم لا؟».

«لماذا يعمل عقلك بهذه الكفاءة؟» لم يجبه شيون جيان شيانغ بشكل مباشر، نكس رأسه ولم ينطق.

ظل سونغ يون هوي ينظر إلى شيون جيان شيانغ للحظات دون أن ينبس ببنت شفة. هذا الرجل! إنه لا يزال يحتفظ بولائه المكبوت لأصدقائه في قلبه، لا يخاف حتى بعدما تعرض له من ضرر. كان على ثقة بأنه لن يقطع علاقته بأذن الدب والبقية من رفاق المعاناة الذين نشأ معهم، فهذه هي شخصيته.

بعدما عاد إلى البيت، وأثناء تناول العشاء، تناولت تشنغ كاي يان نصف طعامها وأخذت تلح على والدها مجددًا ليطلب لها إجازة، فهي تريد أن تذهب مع سونغ يون هوي إلى الساحل، فسأله والدها عن ترتيباته. علم سونغ يون هوي أخيرًا مخاوفها العميقة

التي تسكن قلبها من شيون جيان شيانغ، واتضح له أن الأمر لا علاقة له بالكامل بانعدام الثقة، لكنه أيضًا بسبب تقاليد جيتشو المزعومة التي تؤثر سلبيًا عليها، فحينما رآها تسبب ضجةً مرةً أخرى هدأت نفسه كثيرًا. لم يكن يرغب في أن يتدخل حموه كثيرًا، فأعطى سونغ بين إلى حماته، وأخذ تشنغ كاي يان إلى غرفتهما.

ركل الباب خلفه، واحتضن زوجته بشدة وقال لها بصوت هادئ: «قولي لي يا قطتي الصغيرة، ألسنا أسرة واحدة؟».

«ولكن، هل الأسرة الواحدة تكون مثلنا هكذا؟ نحن دائمًا منفصلون، حتى أنك لم تصبر لتبقى في عيد الربيع أيامًا أكثر».

«كيف لي ألا أرغب في البقاء لفترة أطول، أشتاق إليكم كل يوم في بكين، وإلى أبي وأمي أيضًا. لم أكن مثلكم في صغري، فأنا لم يكن لدي رفيقٌ منذ الصغر. حينما أخرج من البيت، لا أعرف من أين ستأتي الضربة التي تؤذي، لذا لم أكن أغادر البيت كثيرًا. كانت أختي تقول إن طبعي الهادئ نشأ بسبب انغلاقني على ذاتي. ففي ذلك الحين كنا كأسرة نتكدر في المنزل لنحيا حياةً هادئةً باستثناء الأيام التي يذهب فيها أحدنا إلى المدرسة أو العمل. فإذا ما ألقى أحدهم بالخارج حجرًا ليهشم نافذتنا، ويصيح في الخارج أن اسقطوا، لم نكن نملك سوى أن نعانق بعضنا كأسرة واحدة ونرفع من معنويات بعضنا. البيت بالنسبة إليّ هو الشيء الوحيد. كنتم تملكون في صغركم أصدقاءً، لديكم روضة، أما أنا فلم يكن لدي سوى البيت. هل تفهميني؟».

لم تفهم تشنغ كاي يان لماذا ربط الموضوع بشيء بعيد إلى هذا الحد، لكنها أخذت تومئ برأسها والعبرة في عينيها وقالت بصوت منخفض: «أعلم».

«ولكن أختي رحلت عن العالم باكراً. والبيت الذي يفقد أحد أفراده يكون به نقص، ولحسن الحظ أنك أتيت، فعادت أسرتنا مكونة من أربعة أفراد مرة أخرى. والآن صار لدينا قطة أيضاً، ما أجمل بيتنا في الوقت الحالي، سعيد جداً، مكتمل جداً. لكن ينبغي أن تعرفني أنني عمود هذا البيت، وعليّ أن أجتهد من أجل أن أوفر حياة أفضل لعائلتنا. الهدف من اجتهادي هو أنني آمل في أن تعيشوا حياةً مستقرة وسعيدة، لا أن تتبعوني في هذه الحياة المتقلبة. أنا لا أرغب في أن أرى أيًا منكم يعاني، يكفي أن أختي عانت حتى ماتت، لا يمكن ألا يكون أيكم سعيدًا. أنصتي إليّ، لن تطول أيام عيشنا منفصلين كثيرًا، عليك أن تصدقي أنني دائمًا أنجز أموري سريعًا، ولسوف أتخذ القرار بنفسي هذه المرة، بل يمكنني التحكم في سرعة سريان العمل ودفعه إلى الأمام. لن تكون أيام لم شملنا بعيدة، حينها سأحضر والدي ووالدتي أيضًا، ونواصل حياتنا معًا كعائلة واحدة متماسكة. العائلة مهمة بالنسبة إليّ، إنها الشيء الوحيد في حياتي، ولا يمكن الاستغناء عن أي فرد منها، هل فهمت؟».

هكذا إذن. لم تكن تشنغ كاي يان تعرف في الماضي إلا أنه يهتم كثيرًا بالبيت، وحينما يأتي والده ووالدته يقدم لهما أشهى الأطعمة، وينفق الأموال التي معه بالكامل في شهر واحد، ولكن راتبه في الحقيقة لم يكن منخفضًا بالنسبة لباقي الشباب في عمره.

كانت تعرف في الماضي أيضًا أن وفاة أخته أثرت فيه بشدة، لكنها لم تتصور أن يكون حزينًا بسبب المعاناة التي مرت بها عائلته في دعم بعضهم البعض. فكرت في أنها الآن تملأ الفراغ الذي تركته أخته بينهم، إذن... ألا تكون هي الأخرى الوحيدة بالنسبة إليه؟ لم تكن لتجرؤ على تصديق أنها تشغل تلك الأهمية في قلب زوجها. كانت تعتقد دائمًا أنه يعود إلى المنزل لينكب على الكتب، ذلك لأنه لم يكن ينسجم في الحديث معها، حتى إن نصف جملة يقولها كانت أكثر من اللازم. كانت خائفة من أن يبحث زوجها في الخارج عن امرأة يتوافق معها. بيد أنه بعد توضيحه لها الآن، تلاشت كل مخاوفها التي كانت في الماضي وكأنها لم تكن موجودة من الأساس. إنها فرد ثمين في تلك العائلة التي يعتز بها زوجها، فلم تقلق؟ تحولت دموعها إلى ابتسامة في الحال، وقالت له بدلال: «لماذا لم تقل هذا من قبل؟ أنا بالطبع أثق بك».

تنفس الصعداء، وسرعان ما قال لها: «سأعود لأكمل تناول الطعام، وأنتِ كفي عن الإلحاح على والدك».

«لا تعد، أريد أن أعانقك». وبلا حيلة أخذ يمسد عليها، وقال ضاحكًا: «أنتِ صعبة الإقناع، القطة الصغيرة أسهل منك». وأخيرًا تمكنت تشنغ كاي يان من مواجهة عودة سونغ يون هوي بثبات. لكن وضع شيون جيان شيانغ والكلام الذي قاله صار بمثابة عقدة تلاحق سونغ يون هوي.

مكتبة  
t.me/soramnqraa

حينما فُتِح سوق الأجهزة الكهربائية الخاص بـيانغ شيون، كان هناك الكثير من المتفرجين، وكانت ثمة بضعة أنضاد لم تؤجّر بعد. ملأ يانغ شيون تلك الأنضاد الفارغة بأشيائه، ووظّف أشخاصًا لحراستها، ما جعل سوق الأجهزة الكهربائية بأكمله يبدو ممتلئًا بالكامل، وليس فيه أي نقص.

لم يمضِ الكثير من الوقت على الافتتاح حتى بدأ شتى صنوف الناس في القدوم، وكانت الأجواء مفعمة بالحياة أكثر بكثير مما كانت عليه حينما كان يستأجر مستودعًا من قبل. كان من بين القادمين الكثيرون يحملون إيصالات دفع غير رسمية، ومختلف أشكال الرسوم والغرامات. كان يانغ شيون يضحك على بعض ما يقال بدلاً من أن يغضب، فكان هناك إيصال غرامة دفع بسبب الضوضاء العالية، لم يكن يعرف أين هذه الضوضاء، حتى الدراجة ثلاثية العجلات الموضوعية عند الباب تصدر ضجيجًا أكثر من هذا. لم تكن مبالغ الغرامة أو الرسوم كبيرة، لكنه إذا دفعها، فسيشعر بالضيق. وبغض النظر عن دفع هذه الأموال دون أن يفهم تمام الفهم لماذا يدفعها، لكن من يعلم إن كان دفعه بسهولة هذه المرة سيجعل من يجمع المال يذم على أخذه في المستقبل أم لا؟ وإذا لم يدفعها، فلا يمكن ذلك، فجميع القادمين لأخذ هذه الأموال ذوو نفوذ، ولا يستطيع مجابهة أيٍّ منهم. شعر أن التفاوض مع الزبائن على الأسعار والمساومة عليها لم تكن بهذه الصعوبة، وخلال شهر، لم يكن يعلم كم من المال تفلت من يده بشكل غير

واضح. كان يعطي بعض الإيصالات للمحاسب، فيقول له إنه لا يمكن تعويضها في الحسابات. وهكذا مرت فترة من الوقت، ينظر يانغ شيون إلى هؤلاء الذين يدخلون ويقلبون في الإيصالات بسرعة بأصابع مبللة باللعباب، فيتتابه الغضب مثل سون آر نيانغ<sup>(1)</sup>، ويتمنى لو تتحول يده إلى قرني ثور، ويمزق هؤلاء الأشخاص إربًا إربًا.

جاء لاو لي في ذلك اليوم إلى السوق لشراء مستلزمات كهربائية، وبمجرد أن دخل رأى رجلاً قوي البنيان يقرب في دفتر الإيصالات ويصيح. كان مصنع لاو لي محدود النطاق، وهذه هي المرة الأولى التي يرى فيها مثل هذا الوضع، فلم يتمالك نفسه من الضحك في ذهول، وسار خلف هذا الرجل الذي كان يحمل جرسًا في يده يقرعه ليفتح الطريق. رأى الباعة الواقفين بالجوار وهم ينظرون إليه دون استغراب وكأنه أمر طبيعي معتادون عليه، فقال في نفسه يبدو أن هذا الأمر يحدث دائمًا. لكنه حينما رأى يانغ شيون يقف بالجانب ويضحك وكأنه ما من شيء يحدث، ولم يخرج ليرد على صياح هذا الرجل وهو يقول «أين المدير؟ أين المدير؟»، تعجب لاو لي، وسار في اتجاه يانغ شيون، وألقى بورقة المشتريات إليه. لم يكن في حاجة إلى قول أي شيء، إذ أمر يانغ شيون العاملين تحت يده بالإسراع إلى المستودع لتجهيز الطلب. لم يهتم لاو لي بما إذا كان يانغ شيون مشغولاً أم لا، وأمسك بذراعه موقفاً إياه وسأله: «هل هذا الشخص يثير الفوضى؟».

(1) شخصية خيالية في الرواية الكلاسيكية «على ضفاف الماء» معروفة بالقسوة.

فحاول يانغ شيون أن يستقطع لحظاتٍ وسط انشغاله ليرد عليه:  
«لا أعلم، يأتي الكثيرون إلى هنا من أجل تحصيل الرسوم».

نظر لاو لي إلى هذا الرجل وهو لا يزال يصرخ، واتكأ على  
النضد وصاح فيه: «من تريد؟ ما الخطب؟». ما إن سمعه الرجل  
حتى علم أنه من السكان المحليين، وفوق ذلك فهو شخصٌ مهم،  
وسرعان ما بدّل تعبيرات وجهه: «أخي، لستُ أبحث عنك».  
«وكيف عرفت أنه لستُ أنا؟».

«قائدهم من الجنوب، أيُّ قائدٍ هذا، أين هو، أين اختبأ؟». فقال  
لاو لي ضاحكًا: «ما الخطب، هل هو أمر عاجل إلى هذا الحد؟  
الأمر نفسه إذا ما تحدثت معي. أقبل».

أقبل ذلك الرجل ضاحكًا: «أخي، الأمر لا يخصك. اسأل  
قائدهم عن تحصيل رسوم إدارة تنظيم الأسرة».

«ها! جميعهم رجالٌ بالغون، أي رسوم إدارية هذه التي تريد  
تحصيلها؟ اسألهم، هل يمكن أن يلدوا؟». فقال الرجل قوي البنيان  
ضاحكًا: «إنهم لا يلدون، ولكن زوجاتهم يلدن. كل واحدةٍ منهن  
تلد طفلًا في الجنوب، ثم طفلًا في الشمال، ولا يمكن السيطرة  
عليهن مهما حاولنا، وكأنه فريق حرب عصابات. ممن سنحصل  
الرسوم إذا لم نحصلها منهم؟».

ارتسمت على وجه لاو لي ابتسامة عريضة وأمسك بكتف  
الرجل القوي، ثم ضغط قليلاً ودفعه نحو الخارج وهو يقول  
ضاحكًا: «أنا قائد القائد هنا، عد أنت اليوم، ولسوف أتحدث مع  
مكتب تنظيم الأسرة الخاص بكم غدًا. إنه مجرد أمرٌ بسيط. كان  
الطريق شاقًا عليك يا أخي، انتبه في طريقك».

دفع لاو لي، وهو من السكان المحليين، ذلك الرجل قوي البنيان وطرده إلى الخارج، ولم يزد الرجل ولو كلمة واحدة على الإطلاق. ابتسم ضاحكًا، ومازحه بوضع جمل ثم غادر، وكأنه كان يقوم بجولة قصيرة، وبعدها أنهى الجولة غادر لا مباليًا. تأثر يانغ شيون كثيرًا بينما يشاهد ما يحدث بالجوار. هل يمكن أن تكون الأمور قد حُلَّت بهذه البساطة؟ حينما استدار لاو لي عائداً، سأله مذهولاً: «ألم يقل ذلك الرجل أي شيء؟».

«ماذا سيقول؟ ألم تسمعه وهو يقول تحصيل رسوم إدارة تنظيم الأسرة؟! لن يأتي ثانية، لقد تحدثت معه».

أخرج يانغ شيون بعض الإيصالات من الدرج وأعطائها للاو لي: «انظر يا أخي، هذه بعض الإيصالات التي لم يستلمها المحاسب، لا أعرف لماذا حُصِّلت هذه الرسوم. ياله من أمر جيد لو أنك موجودٌ هنا كل يوم، سيصابون بالخرس إذا ما رأوك، أما أنا فحينما يرونني يقولون كل شيء».

أخذ لاو لي الإيصالات لينظر فيها، كانت بعض الإيصالات مكتوبة بخطٍ يشبه نقش الدجاج، واستطاع أن يفهم ما فيها بشق الأنفس، وكانت بنود تحصيل الرسوم حقًا غير معقولة. تأثر بعض الشيء: «ما أصعب مجيئكم لكسب المال في الشمال الشرقي يا أهل الجنوب! ففي النهاية هذه أرضنا نحن سكان الشمال الشرقي، وعليكم دائماً أن تتقدموا ببعض الإسهامات في بناء المنطقة».

ضحك يانغ شيون وقال: «أعتبر اليوم يومًا جيدًا. ففي الأيام القليلة الأولى التي بدأت فيها، كان عدد القادمين منهم أكثر من

الزبائن، ولم أكن أجد فسحة من الوقت للرد عليهم جميعًا. لاحقًا تمكنت أخيرًا من ترتيب أفكاري، وقررت ببساطة أن أذهب بنفسني لتقديم بعض المجاملات، حتى أمنعهم من المجيء مرةً أخرى. وإلا لظن الزبائن الذين يأتون إلى هنا أنني أفتح المتجر بشكل غير قانوني، فهل سيجرؤون على القدوم للشراء فيما بعد؟ والآن فقد تمت تسوية الأمور مع بعض الأقسام الرئيسية، ومن المؤكد أن هذا الذي جاء اليوم ليس من تلك الأقسام الضرورية، لذا لم أعره انتباهًا. فإذا ما جاء أحدهم وهو يعلم أنه ليس له نفوذ، لا يملك إلا التظاهر بالأهمية والقوة لبضع لحظات، ثم يغادر إذا لم يرد عليه أحد».

ضحك لا ولي بينما ينظر إلى يانغ شيون وقال: «من هؤلاء أصلاً؟ لا تهتم بأمرهم، وقم بعملك القانوني، هل تخشى حقًا أن يغلقوا متجرًا؟».

«لا يمكن ألا أهتم. إنهم لا يعبؤون بمؤسساتكم الجماعية الحكومية، أما حينما يتعلق الأمر بنا، فإن السيطرة علينا تكون أسهل بالنسبة إليهم من سحق نملة. لذا فضلت أن أبادر بالذهاب إلى بابهم، وتقديم بعض الهدايا والمجاملات. فإذا ما انتظرت حتى يرسلوا شخصًا لتحصيل الغرامات، سأدفع أموالاً أكثر، وسأعرض للعقوبة والإهانة مما يؤثر على عملي. أخي، هذا ما يسمى التسامح مع من يعترف، والشدة مع من يقاوم».

ضحك لا ولي عاليًا لسماعه هذا الكلام، ورفع رأسه فإذا بصيبة يانغ شيون قادمين من المستودع على دراجات ثلاثية العجلات

محملة بالبضائع، فنهض قائلاً: «سأغادر، وإذا لم تستطع تسوية الأمور مع أحدهم فأرسل في طلبي، وسأساعدك في العثور على من يحل الأمر».

«آه! أخي، لا تذهب، دعهم يرسلون الأشياء، وابق معنا لنشرب بعد قليل». فسبّه لاو لي ضاحكاً: «لا تذكر الشرب أمامي! لقد جعلني أخوك الكبير أمين فرع الحزب في قربتك أتقياً على السرير في المرة الماضية، وتنتظرك زوجتي لتصفية الحساب معك».

أغلق يانغ شيون الدرج، وسار ليوصل لاو لي إلى الباب باسمًا، ولم يعد إلا حينما رآه يمتطي الدراجة. ألقى نظرة على الشمس وقد مالت نحو الغروب، وقام بفرز بعض العملات المعدنية ليجعل الأموال التي جناها اليوم تساوي رقمًا صحيحًا، ثم ذهب إلى البنك المجاور لمدخل محطة السكك الحديدية لإيداع المبلغ. وحينما عاد نادى على الجميع لإغلاق المتجر، وأغلق النوافذ والأبواب الواحدة تلو الأخرى بيده، وحل ظلام الليل على السوق الواسع في الحال.

كانت والدة يانغ شيون هي من ساعدته في الوقت الحالي على اختيار شابين من القرية في العشرينيات من عمرهما لمساعدته في العمل، وكان لقبهما أيضًا يانغ، ويمكن اعتبارهما من الأقارب البعيدين نوعًا ما. كانا يراقبان له الأنضاد صباحًا، ويحرسان المتجر ليلاً، وبالرغم من أن فارق العمر بينهما وبين يانغ شيون ليس كبيرًا، لكن أنى أن يقارن هذان الفتیان اللذان تخرجا للتو في المدرسة به؟ كانا يطيعانه ويسمعان كلامه، ولا يراوغانه ولو قليلاً.

أشعل أحدهما موقد الفحم، وغسل الآخر الخضراوات ونقى الأرز، أما يانغ شيون فتناول مكنسة وأخذ ينظف المكان بنفسه. وفي نهاية كل يوم كان هناك سلة مليئة بالقمامة. التقط بعض الأسلاك الكهربائية التالفة وأشياء أخرى، وألقاها جانبًا في انتظار إرسالها إلى محطة جمع الخردة. وسرعان ما اجتمع ثلاثتهم لتناول الطعام معًا. كان طعامًا بسيطًا، ملفوف مطهو على نار هادئة مع شرائح اللحم، وبطاطس مقلية، لم يكن ثمة طعام غير هذا في السوق.

بعدهما تناولوا الطعام، ذهب الاثنان الآخران إلى زاوية أخرى ورفعوا سلك الهوائي لمشاهدة التلفاز، وشرع يانغ شيون يدرس على النضد. كان بالفعل قد انتهى من دراسة كتب الصف الأول الثانوي، وبدأ حاليًا في دراسة كتب الصف الثاني. كان في مقدوره دراسة كل شيء بمفرده، وبخاصة الرياضيات والفيزياء والكيمياء، إذ كان مستواه الدراسي جيدًا حينما كان في المرحلة الإعدادية، باستثناء اللغة الإنجليزية، فلم يكن يستطيع النطق بها. سخر من نفسه، هذا العالم يحوي كلمات لا يمكنه النطق بها.

بيد أنه لم يستطع الهدوء اليوم، إذ تذكر زيارة ابن بلدته الذي يعمل في مدينة مجاورة له صباحًا، وأخذ يتجول في كل مكان وي طرح عليه الكثير من الأسئلة. حَمَّن يانغ شيون أنه يفكر في طريقة لفتح سوق للأجهزة الكهربائية مثله تقريبًا في المدينة المجاورة. ذاع صيت متجره في الوقت الراهن بعض الشيء، كما استؤجرت جميع الأنضاد الموجودة فيه، أما السوق الجديد المجاور، وعلى الرغم من أنه لم يُبَنَّ بعد، وقد بدأوا للتو في حفر الأساسات، فقد استغل بعض الناس علاقاتهم لحجز الأنضاد مسبقًا. وهذا يثبت

صحة القرار الذي أتخذ من البداية، فسوق المعدات الكهربائية طريق مضمون العائد في جميع الأحوال. تذكر صعوبة فتح هذا المتجر، لكن لم يكن هناك ما يضايقه بعد الافتتاح، باستثناء أولئك الأشخاص الذين يأتون دائماً لتحصيل الغرامات والرسوم. كان طموحه يتزايد بعض الشيء، هل عليه أن يسبق الآخرين ويفتح سوقاً مشابهاً في المدينة المجاورة؟

إذا ما أراد فتحه، فعليه أن يسبق الآخرين، وإلا فإن انتظرهم حتى يفتحوه، فلن يكون للأمر أي معنى بعد ذلك. لكن ماذا عن المال؟ فهو يواجه صعوبة حالياً حتى في بناء مبنى جديد.

وبينما تعصف الأفكار بذهنه، سمع فجأة دويًا هائلاً «بووم»، ففزع وقفز لا إرادياً من على المقعد الخشبي، وحدّق في زهول نحو مصدر الصوت، فرأى الباب الحديدي يهتز بشكل غير منتظم وكأنه انفصل من موضعه، ولم يعرف أين ذهب المزلاج الذي كان موضوعاً بشكل أفقي عند منتصف الباب، ولا متى سقطت صخرة كبيرة على الأرض. نظر من خلال الباب الذي فُتح بفعل الاصطدام، وكان الظلام دامساً بالخارج فلم يتمكن من رؤية أي شيء. لم يسمع سوى صراخاً حاداً قادماً من بعيد من شخص يتصرف بغموض، بدا من صوته وكأنه في حالة ثمل.

لم ينبس يانغ شيون ببنت شفة، وتحسس النضد من الأسفل، وأطفأ جميع أضواء المتجر حتى لا يكون مكشوفاً، وإذا ما كان الشخص الآخر في الظلام فسيكون في أسوأ وضع ممكن. انتظر قليلاً حتى لم تعد هناك أي حركة، فاستعان بضوء القمر وأمسك

بهاوة حديدية وشق طريقه إلى الخارج بحذر، وأخذ صبيه  
هراوتين حديديتين أيضًا وتبعاه. لكن الأشخاص الذين بالخارج  
كانوا قد فُزوا جميعًا منذ وقتٍ طويل. لم يكن أمام ثلاثتهم سوى  
العودة، وسرعان ما أصلحوا الباب بشكلٍ بسيط، وقوموا المزلاج  
المنحني بسبب الاصطدام، ثم أوصدوا الباب وأحكموا غلقه،  
وواصلوا حياتهم الليلية الهادئة.

كان الرفيقان يسبان ويلعنان، وبوجه متجههم أخذ يانغ شيون  
يستمع إليهما وهما يقولان «مرة أخرى»، «مرة أخرى»، فسأل نفسه  
كم مرة حدث ذلك؟ لقد مر على افتتاح المتجر أكثر من شهرين  
حتى الآن، فلم تزداد المشاكل يومًا بعد يوم؟ ما إن انتهى من مسألة  
الغرامات اليومية هناك، حتى بدأت المضايقات الليلية هنا، وكأن  
الجميع يتعمدون جعل القادمين من الجنوب يعانون. تذكر لاو  
لي صباحًا وهو يصرف محضّل رسوم إدارة تنظيم الأسرة بسهولة،  
فما أسهل الأمر عليه كواحدٍ من السكان المحليين. منذ أن افتتح  
هذا السوق، لم يكن يخشى المشقة أو التعب، حتى إنه تحمل عدم  
العودة إلى البيت في عيد الربيع، لكن وحدها تلك الأمور المتفرقة  
في شتى الجوانب، هذه هي التحديات الحقيقية، هي هوة المشاكل  
السحيقة التي لا نهاية لها.

لكن لم يُتح ليانغ شيون وقتًا طويلاً في التفكير، إذ دوى ثانيةً  
صوت ارتطام هائل «بوووم». لم يفتح الباب هذه المرة بسبب  
الارتطام، لكن صدى الصوت أخذ يتردد فقط دون انقطاع. لوح  
بيده ليمنع صبيه الغاضبين المندفعين إلى الخارج بالهراوات

الحديدية، فهو لا يريد إثارة المشاكل في هذا الوقت. إذ كان موقعهم قريبًا من محطة السكك الحديدية، والأخبار تنتشر بسرعة بين المارين عليهم ذهابًا وإيابًا، وكان كل ما يعرفه هو أن يقلل من الخروج مؤخرًا وإثارة المشاكل. أطفأ الأضواء ونام. وهكذا كان يفعل دائمًا، فحينما يطفىء الأضواء في الداخل، يفقد من الخارج الشغف في إثارة المشاكل، أو لربما يقلق من وجود كمينٍ بالداخل.

لكن بمجرد أن استلقى رنَّ جرس الهاتف بجانبه. ولم يكن يتوقع على الإطلاق أن تكون المكالمة قادمة من سونغ يون هوي الذي بدا له صعب الوصول إليه. أخذ سماعة الهاتف، وانزلت من فمه كلمات المجاملة والتملق بسلاسة: «يا إلهي، المدير سونغ، لم نلتق منذ وقت طويل. سمعت أنك حصلت على ترقية، وكان مدير المصنع تشنغ مينغ يتحدث معي على الهاتف وتملؤه الغبطة...».

ابتسم سونغ يون هوي وقاطعه: «لقد أخذت رقم هاتفك من زوج أختي يا يانغ الصغير. لم أتصور أنك قادر على إنشاء سوق للأجهزة الكهربائية بشكل مستقل، رائع جدًا! كيف الحال، هل كل شيء يسير على ما يرام؟».

لم يستطع يانغ شيون أن يخمّن لأي شيء طلبه سونغ يون هوي، فتوجس خيفةً في داخله، ولكنه أبقى على الحماس في كلامه: «أيُّ سوق للأجهزة الكهربائية، إنه مجرد متجر صغير ذاع صيته. لقد أجرتُ جميع الأنضاد في الوقت الحالي، ولا أعلم ما إذا كان سيرغب أحدٌ في استئجار المتجر المجاور المكون من طابقين بعد بنائه أم لا، فإذا لم يرغب به أحد فسيبقى عبثًا عليّ».

سأله سونغ يون هوي باهتمام كبير: «لطالما لم أكن أفهم لماذا تركض بعيدًا هكذا للعمل يا يانغ الصغير، هل هناك من ترافقه؟».

في هذه اللحظات ازدادت حيرة يانغ شيون بشأن معنى مكالمته، لكنه بالطبع لم يكن ليصد أخطأه من قرية شياولي جيا بأكملها: «لم أكن أعرف لماذا جئتُ إلى هنا في البداية، فقط سمعتُ أن أهالي الشمال الشرقي أغنياء، فاتبعْتُ هذا الكلام وجئتُ إلى هنا. وحينما أتيت علمتُ أن الشمال الشرقي مليءٌ بالمصانع الحكومية الكبيرة في كل مكان، وهذه المصانع ميسورة مادياً. قال لي مدير المصنع تشنغ مينغ إنهم يشحنون نصف أسلاكهم الكهربائية إلى الشمال الشرقي. كيف الحال، هل مقرر عملك الجديد...».

قال سونغ يون هوي في نفسه إنه من الواضح وجود بعض المنطق في كلامه: «إن دلتنا نهر اللؤلؤ الآن... أقصد هناك في قوانغدونغ حيث التطور السريع، والشركات الأجنبية الكثيرة الناشئة، ألم تفكر أنت ورفاقك في الذهاب إلى منطقة دلتا نهر اللؤلؤ للتجارة هناك؟»

«نعم، لقد ذهب أحدنا. سكان قوانغدونغ انفتحوا في وقتٍ مبكر، وتعلموا من سكان تايوان وهونغ كونغ الكثير من الحيل، ولقد استحوذوا بمفردهم على جميع التجارات الكبيرة والصغيرة، فكيف نجابهم إذا ما ذهبنا إلى هناك؟ علاوة على ذلك فليس من السهل دخول مدينة شنتشن، ولا بد من استخراج تأشيرة حدود، كما لا يمكن فهم لهجتهم بسهولة، ليس كما هو الحال هنا حيث

يتحدث الجميع الفصحى. ألم نهرع جميعًا إلى الشمال الشرقي لأننا لم نختر الطريق السهل؟!».

أوماً سونغ يون هوي برأسه موافقًا، واتضح له أن العمل التجاري الصغير الذي يبدو غير ملحوظ يحتوي في داخله على الكثير من المبادئ السياسية والاقتصادية العميقة. لقد أراد في الأصل أن يسأل يانغ شيون عن بعض أمور فتح المتاجر فحسب. أراد أن يأتي بشيون جيان شيانغ إلى جانبه، ويخلصه نهائيًا من دائرة الأصدقاء الحالية، ليمحو الماضي ويفتح ورقة جديدة. لكن في هذه اللحظات، وبين سؤال وجواب، صار مهتمًا بالأمر، فقرر ببساطة أن يناقشه مع يانغ شيون: «قل لي يا يانغ الصغير، هل سبق وفكرت في المناطق الساحلية من قبل؟ لقد وافقت الدولة على التنمية في منطقة دلتا نهر اللؤلؤ فحسب، كما أنشأت مناطق تنمية اقتصادية في جيانغسو وتشيجيانغ وفوجيان، وعززت التنمية الاقتصادية في المناطق الساحلية. انظر، مشروع ضخم كمشروعنا سيتم إنشاؤه على الساحل، وكان هذا غير قابل للتصور من قبل، فبسبب الاستعدادات للحرب في الماضي، نُقلت الشركات الرئيسية إلى المناطق الخلفية، وتم بناء الجبهة الثالثة الكبرى<sup>(1)</sup>. لكن الوضع اختلف الآن، فمناطق التنمية الاقتصادية والتكنولوجية الساحلية الآن قد تم التخطيط لها منذ أربع أو خمس سنوات، أليس كذلك؟ كما يجري بناء الموانئ الساحلية على قدمٍ وساق،

---

(1) حملة قامت بها الحكومة الصينية عام 1964 لتطوير المنشآت الصناعية والعسكرية، خوفًا من تعرض البنية التحتية للخطر في حالة غزو الاتحاد السوفيتي أو الغارات الجوية من قبل الولايات المتحدة.

ويتم بناء المصانع والمباني الإدارية في مناطق التنمية الساحلية على قدم وساقٍ أيضًا. هل سبق وفكرت في ذلك أم لا؟ منذ الآن، ولبضع سنوات مقبلة، من المحتمل جدًا أن يجلب تطوير المناطق الساحلية الكثير من الفرص».

كان سونغ يون هوي عادةً قليل الكلام، وحتى لو تحدث، فلم يكن يتحدث بسرعة. ومن ثمّ، فعلى الرغم من بعد كثير مما قاله عن يانغ شيون، ولكنه فهم ما قال. وكان يانغ شيون يعلم جيدًا ماذا تحتاج التنمية الواسعة، فقال بشيءٍ من الحماس: «هل تقصد أنهم سيحتاجون في المناطق الساحلية لاحقًا الكثير من الأسلاك والكابلات الكهربائية؟».

«أكثر من مجرد أسلاك وكابلات كهربائية. لكن على الأغلب فإن الأسواق الموجودة على طول الساحل ليست متطورة مثل نظيرتها في قوانغدونغ، لربما لا تزال هناك فرصة للسيطرة على المواقع العليا...».

وفجأة، أضاءت ومضة إلهام عقل يانغ شيون، وكأنه رأى سرابًا يلمع أمام عينيه، فقاطع بانفعال كلام سونغ يون هوي: «أيها المدير سونغ، أيها المدير سونغ، أين مكانك؟ أعطني العنوان، أنا لا أعرف سوى أنك عند الساحل. سأذهب للعثور عليك، سأتي لألقي نظرة على الساحل الذي تتحدث عنه. كلامك في غاية الصحة، لأسيطر أولاً قبل أن يفعلها الآخرون، وحينما يستفيقون لاحقًا سيكون الأوان قد فات، هاها».

لم يكن سونغ يون هوي قد تذكر ذلك إلا عرضًا وأشار إليه ليانغ شيون، لكنه لم يتوقع أن يكون رد فعله بهذه السرعة. يريد

أن يذهب فوراً؟ قال في نفسه إن لي دونغ باو ويانغ شيون يندفعان فور رؤيتهما لأي فرصة، وفي بعض الأحيان يندفعان ببساطة دون التفكير حتى، فيفكران بينما يعملان، ويعملان بينما يفكران. هل هذا جيد أم سيئٌ بالضبط؟ لكن بالنظر إلى النتائج الحالية، فهذه الطريقة فعالة حقاً. أعطاه العنوان ووسيلة التواصل، ومن ثمّ هاتف بيت عائلة تشنغ، وطلب من تشنغ كاي يان أن تجد طريقة لمعرفة وسيلة التواصل مع شيون جيان شيانغ، وأن تخبره بأن يذهب إليه في الحال. كان مستعداً لاستخدام كل الطرق الممكنة في إبقاء يانغ شيون. إنه يملك الآن طريقة لتقديم عروض مغرية ليانغ شيون ستجعله يفتح عينيه على الربح. أما عن شيون جيان شيانغ، فقد كان سونغ يون هوي قلقاً من شخصيته المتهوررة التي لن يناسبها في الحقيقة القيام بتجارة مستقلة، فإذا جعله يتبع يانغ شيون، هذا الفتى الماكر، ولطالما كان شيون جيان شيانغ يراقبه، فمن المتوقع أن يتمكن من جنبي الفوائد هو الآخر.

وضع سونغ يون هوي سماعة الهاتف، وكان يوي شان تشينغ بجانبه يحتاج بصوت عالٍ: «لا يمكن للمرء أن يكون غير نزيه بهذه الطريقة يا سونغ الكبير، أليس كذلك؟! إذا كنت تريد رفضي فلا داعي لأن تجلب شخصاً مثل شيون جيان شيانغ كذريعة، لماذا لا تقولها مباشرةً فحسب؟!».

ضحك سونغ يون هوي، وابتعد عن منضدة السرير حيث يوجد الهاتف، وجلس على كرسي بجانب النافذة: «هل ترى كل أولئك الناس في المكتب المؤقت لموقع البناء الخاص بنا، أنني لي أن أهاتف جميع هؤلاء مهاتفة خاصة؟ لا داعي لأن تكون بخيلاً

بهذا الشكل، هل تغير مزاجك إلى هذا الحد لأنني قمتُ ببضع مكالمات هاتفية؟ وصرتُ قادرًا على اتهامي زورًا؟».

أمسك يوي شان تشينغ الثرموس بيده، وساعد سونغ يون هوي في إعادة ملئه بالماء: «يكفي أن تقول إنه ليس رفضًا. إذن قل لي كيف ستساعدني. أليس كل شيء في الواقع تحت سيطرتك؟ وإذا ما أومأت برأسك ووقعت، وحددت معايير لا يمكن أن ينفذها غيرنا، ألن ينتهي الأمر؟».

قال سونغ يون هوي ضاحكًا: «ألسَتَ هكذا تجبرني على عمل شيءٍ مخالف لضميري؟ كيف أجرؤ على استخدام منتجات حصرية؟ ألن أتعرض للاستغلال من قبلكم إذا ما احتجت إلى شراء قطع الغيار للصيانة فيما بعد؟ من الأفضل لك حقًا ألا تبذل جهدك معي هنا، تحدث جيدًا مع رئيسكم، وجدنا طريقة لخفض السعر قليلًا. الين الياباني مستقرُّ الآن إلى حدٍ كبير، ولن نكون في حاجة إلى مواجهة مخاطر كبيرة في سعر الصرف عند شراء المعدات اليابانية. زد على ذلك أن عروض أسعار المعدات اليابانية جميلة للغاية، كما أن المواصفات التقنية التي يقدمونها لي لا بأس بها، واليابان قريبة أيضًا، يفصل بيننا مجرد ممر مائي ضيق، وعلى الأقل يمكن أن يساعدنا تقليل مدة النقل على توفير الكثير من تكاليف إنشاء المشروع. فكّر معي، ممن ينبغي أن أشتري من بين تلك الشركات المعروضة عليّ؟».

«يا إلهي، لا يمكن أن تقول هذا يا سونغ الصغير. حسنًا، دعنا من تلك الأمور الآن، فأنت على العموم لا تزال تتصف ببعض

الوفاء، على الأقل كشفت لي القليل من الحقيقة. لا يمكنك أن تتحدث معي بشكل رسمي. كنت من أقنعتني بمغادرة جينتشو من البداية، ويجب أن تتحمل مسؤولية وضعي كعاطل عن العمل حتى النهاية، وإلا سيتحطم قلبي». ضحك يوي شان تشينغ بمجرد أن انتهى من كلامه.

قال سونغ يون هوي ضاحكاً: «في أي وقتٍ تحدثت إليك بشكل رسمي؟ آه، هل استقررت في بكين أم لا؟».

«نعم، حصلت على الإقامة في بكين بعد عناء وتمكنت من شراء شقة مكونة من غرفتين، صغيرة بحجم غرفة في مبنى رؤساء الأقسام بجينتشو، لكن لا بأس، فالإقامة في العاصمة ليست سهلة، وهي في النهاية مقر الأباطرة. المشكلة فقط في مسألة تعليم الطفلة، فإقامتها مع أمها، ونقل إقامة زوجتي سيكون أصعب من الصعود إلى السماء. من المؤسف أن مشروعكم ليس في بكين، وإلا كنت طلبتُ منك أن تساعدني على التسجيل فيه بشكلٍ غير رسمي. وأنت، متى ستحضر زوجتك؟».

«لا أنوي إحضار تشنغ الصغيرة إلى مصنع دونغهاي، فأنا أشعر بالنفور من زوجات المسؤولين السابقين في جينتشو، ولا أمل أن تتغير تشنغ الصغيرة في المستقبل وتصير مبتدلة مثلهن. تستعد إدارة مشروعنا لبناء مجمعات سكنية للعائلات في المدينة وفي المنطقة المجاورة للمصنع. سأنتظر حتى يكتمل بناء المجمع السكني في المدينة، لن يستغرق وقتاً طويلاً، وبمجرد أن يفتح الطريق الرئيسي لشبه الجزيرة سأنقلها إلى هنا».

نظر يوي شان تشينغ إلى سونغ يون هوي بشيء من التأثير: «تغيرت. وخروجك من جيتشو يختلف كثيرًا عن خروجي منها. انظر إلى نفسك الآن، تتميز بذلك الأسلوب الذي يحسم الفوز من على بعد آلاف الأميال. خرجت من جيتشو ولديك نظرة مستقبلية».

ضحك سونغ يون هوي ثانيةً: «جميعنا طردنا منها، فما المختلف في ذلك؟ حسنًا إذن، سأكتب لك قائمة بأسماء بعض المعدات الرئيسية التي سنستوردها. عد وتفاوض مع مديركم جيدًا على خفض السعر، وعليّ أولاً أن أرى عروض الأسعار لهذه المعدات. قل لمديركم أنني أفعل هذا تكريماً لك، وحينما يأتي مندوبو المكاتب الأخرى سأجعلهم يشرحون بأنفسهم كل شيء بالتفصيل».

«صحيح، عليك أن تتعامل معهم بهذه الطريقة، كن معهم قويًا حازمًا، ومعني محبًا دافئًا. لقد صرت الآن ماكراً للغاية. لا داعي لأن تتعب سيادتكم نفسك، سأكتبها بدلاً منك، هل هي هذه الأشياء؟» وبينما يسخر منه يوي شان تشينغ، لم تتوقف يداه وقدماه عن الحركة ولو قليلاً، وبخفة أخرج الوثائق من الحقيبة، ثم أخرج قلم الحبر وبدأ يكتب بسرعة.

كان سونغ يون هوي سعيدًا غير مضطر إلى الحركة، ينظر بدقة إلى ما يكتبه يوي شان تشينغ، ثم أوما برأسه قائلاً: «يوي يا صغير، آه لا، يجب أن أناديك الآن بالسيد يوي، هاها...».

«دعك من هذا، ما الخطب سيادتك؟».

«أنا أتواصل مع العديد من موظفي المكاتب التجارية الأجنبية، ولم يصل بعد أي موظف من الجانب الصيني إلى وضعك من حيث المستوى التقني. أما فيما يتعلق بالتقييم الشامل للجودة في التجارة مع الصين، فأنت الأفضل.»

توقف يوي شان تشينغ للحظة، ثم قال: «لأقل لك بصراحة، كان لمجموعتنا السابق الأول في الانتقال من مرحلة الفوضى إلى الاستقرار. هل ترى، أُنَى للأجيال التي انضمت لاحقًا أن يكون لها مثل حظنا نحن الاثنين. لقد سارعنا في الاستحواذ على الكثير من الموارد، فمن يكون الأفضل إذا لم نكن نحن؟ آه، لا تزعجني، قد أخطئ في تهجئة الأسماء الإنجليزية لهذه المعدات إذا لم أنتبه جيدًا.»

ابتسم سونغ يون هوي ابتسامة تنم عن فهم مقصده، ولم يزعجه ثانية، وكان ينبهه في أي وقت إلى عدم رغبته في نوع معين، أو إلى تغيير معايير معينة. وحينما انتهى يوي شان تشينغ من الكتابة، أخذ الوثائق واقترب من المصباح الأرضي ليقرأها بدقة. لملم يوي شان تشينغ أشياءه، وبدا وكأنه يسأله دون قصد: «هل سيعترف رئيسك المباشر الوحيد بهذه المعدات؟»

ابتسم سونغ يون هوي، ورفع جفنيه ناظرًا إلى يوي شان تشينغ: «ما رأيك أنت؟ أراك تجلس طوال اليوم عاقداً ذراعيك مبتسمًا تراقب عرضنا الممتع، فهل ما زلت في حاجة إلى التلاعب بالكلام معي؟»

«أنت مخادع، أعترف بذلك. ومن المؤكد أن مدير مصنعكم ما أيضًا سيعترف بذلك. أرى يا سونغ الصغير أن قرارك صحيح

بخصوص عدم السكن في المنطقة القريبة من المصنع، ففي مجالنا هذا يكون تلوث الهواء في المناطق المحيطة بالمصانع خطيرًا للغاية. ولكنَّ السكن في منطقة عائلات الموظفين خطأ، فبالنظر إلى مكانتك الوظيفية المتوقعة مستقبلاً، ستكون دائماً تحت مراقبة الداخل والخارج، وإذا ما حدث شيءٌ خاطئ سيذهب بعضهم إلى باب بيتك للتظلم، فهل ستكون حرّاً في منطقة سكن عائلات الموظفين؟ أرى أنك جيدٌ الآن في قيادة السيارات، من الأفضل أن تبكّر في إحضار زوجتك كي يتسنى لك رؤية ابنتك حبيبتك كل يوم. ألا يتوقف الأمر على شراء شقة؟ سأساعدك على إيجاد حل، لا تنظر إليّ هكذا، سأقترضك المال فقط، هذه ليست رشوة».

«اذهب اذهب، من الأفضل أن تتفاوض مع رئيسك على خفض السعر، هذا هو التصرف الصحيح. لا تحاول خداعي، فالمبلغ الذي ستخفضه هناك يكفيني لبناء منطقة سكن عائلات الموظفين بأكملها».

قال يوي شان تشينغ ضاحكاً: «لا تكن متزمتاً بهذا الشكل، هل هناك من هو حذرٌ مثلك؟ آه، صحيح، ما زلتَ شاباً، وتحتاج إلى التطوير من نفسك. لكن عليك أن تتظنني لبعض الوقت، فمديري هرب وعاد إلى بلده، وعليّ أن أسافر للبحث عنه. نحن أصدقاء، معاً دخلنا إلى جيئتشو ومعاً خرجنا منها كصديقين مقربين. عليك أن تتظنني حتى أعود وتتخذ القرار. ليكن هذا اتفاق بيننا».

اكتفى سونغ يون هوي بالابتسام، ولم تزغ عيناه ولو قليلاً عن الوثائق. في الحقيقة فإن اختيار يوي شان تشينغ لهذا المكتب ينم

عن رؤية ثابتة، فهو في النهاية شخصٌ ذو خلفية قوية، ويعلم أي المكاتب يناسب الصين نسيئًا، وأي عملٍ تقوم به هذه المكاتب يكون أسهل في الصين. لكن سونغ يون هوي يعتبر الآن شخصًا متمرسًا في السوق الدولية، فكيف يكون مثل الفنيين العاديين الذين تلمع أعينهم بمجرد رؤية معدات تعجبهم من حيث الأداء التقني؟ أما هو فلا، ينبغي له أن يراوغ ويماطل، وألا يفعل مثل المرة الأولى التي استورد فيها معدات في جينتشو، وألا يسلك هذا التوجه البطولي الذي يضع الصداقة أولاً.

كان سونغ يون هوي يقود سيارة شيروكي جديدة تمامًا مصنوعة في بكين عائدًا إلى المصنع. وكان الطريق وعراً للغاية، وثمة فريق هندسي يعمل طوال الليل تحت الأضواء. كان الطريق مصممًا ليكون مزدوج المسار، ومزودًا بممشى إسمتي متطور، متطور حتى أكثر من الطريق الوطني الذي ليس ببعيد، وهذا التزام من المدينة بجذب مشروع دونغهاي. ووفقًا لما يقال فلقد لاقى هذا الطريق اعتراضًا كبيرًا عند بدء العمل فيه، إذ قال الكثير من الناس إنه ليس بطريق داخل المدينة، فما الحاجة إلى الممشى، وأن ثمة الكثير من الأماكن التي تحتاج إلى المال في المدينة بأكملها، فكيف تنفق الأموال كلها على ممشى غير مهم. ولقد حسم أمين لجنة الحزب بالمدينة الأمر، وقال إنه إذا ما أنشئ طريق، فلينشأ كما ينبغي أن يكون.

كان سونغ يون هوي على دراية بالعملية كاملة، هذا لأنه شارك في تحديد قدرة حمولة الجسر وارتفاع العبّارات من أسفله عند تصميم الطريق. كان جالسًا بداخل السيارة المتأرجحة، ممسكًا

بعجلة القيادة بإحكام، ينظر إلى جهة اليسار غير بعيد، وكان بها معركة ليلية في العمل تحت الأضواء أيضًا، ولكنها كانت أعمال إنشاءات للسكك الحديدية، ستستخدم مستقبلاً كسريان نقل للمنتجات.

كان كل شيء يتطور نحو حجم جيتشو، ولكن أكثر تطورًا، وأكثر كفاءة. كل شيء يجعل سونغ يون هوي متقدًا بالحماس.

كان تطوير قرية شياولي جيا يزداد يومًا بعد يوم. تمامًا كما كان في الماضي، وبغض النظر عن مدى سريان الأمور في الأماكن الأخرى، كانوا يكرسون أنفسهم للتطوير. كانوا قد طلبوا معداتهم بالفعل، وبدأت أعمال الحفر لتشييد أكبر وأفضل مصنع في تاريخ شياولي جيا.

حينما بدأت أعمال البناء، جاء العديد من أهالي القرى المجاورة مصطحبين الأطفال ومسندين كبار السن للمشاهدة. كان تشنغ مينغ يجيد التعامل مع التفاصيل، إذ كان يشير إلى الخط الأحمر الموجود بالتصميم، طالبًا منهم أن يرفعوا الأعلام الملونة على امتداده بالمصنع. كان ثمة عدة حزم كبيرة من أعمدة الخيزران الموجودة الآن في مستودع القرية لتعليق الأعلام الملونة، لكنها لم تكن تكفي، فاشترى بضع مئات أخرى منها. بهذه الطريقة، صارت مساحة مصنع النحاس الإلكتروني الشاسعة واضحة للعيان. وأُخرجت مرة أخرى الطبول والأجراس التي دُقت ذات يوم إيدانًا بانطلاق مصنع الطوب التابع للقرية نحو السوق، زُيّنت بشرائط حريرية حمراء زاهية، ووضعت على منصة مرتفعة، وتناوب على

الطرق فوقها بضعة رجال أقوياء البنيان، فامتلاً موقع البناء على الفور بالبهجة والسرور، وكانت الأجواء مفعمة بالحياة.

جاء تشن بينغ يوان، لكنه لم يكن الشخصية المهمة بعد، فما زال أمامه عضو دائم في لجنة الحزب بالمدينة، ونائب العمدة التنفيذي. دعت شياوليجيا في الأصل محطة تليفزيونية وصحيفة بالإضافة إلى محطة إذاعية، ولكنهم لم يلقوا لهم بالأ. وكانت المحطة الإذاعية هي الأكثر واقعية، إذ أخبروا بوضوح تشنغ مينغ، الذي ذهب مسبقاً لدعوتهم، بالحسابات المالية. صناعة البرنامج تتطلب تكاليف إنتاج معينة لكل دقيقة، كم من الوقت سيستغرق الافتتاح؟ نصف ساعة؟ حسناً، ستكون تكلفة الدقيقة الواحدة مضروبة في 30 دقيقة، هل توافق أم لا؟ حينما رأى تشنغ مينغ ذلك، أدرك أن التكلفة ستعادل تكلفة خلية تحليل كهربائي واحدة. لن أوافق، بالتأكيد لن أوافق، وعاد مباشرةً يجر أذيال الخيبة. ومع ذلك فقد أرسل لي دونغ باو دعوة إلى نائب العمدة التنفيذي، وفور سماع الخبر جاءت المحطات التليفزيونية والإذاعية والصحف من تلقاء نفسها دون الحاجة إلى دعوة. ما جعل لي دونغ باو يسر بذلك، وغضب تشنغ مينغ. أي زمنٍ هذا، انتهازيون للغاية!

انتهت المراسم، وتوقفت الألمان، وتفرق الناس. قفز لي دونغ باو في سيارة تشن بينغ يوان الذي كان على وشك المغادرة، ما أفزعه بعدما كان قد استقر جالساً. كان سائقه يعرف لي دونغ باو، فقال ضاحكاً في الأمام: «ما إن ركب الأمين دونغ باو حتى أصدرت النوابض تحت سيارتي صوت قرقة».

ضحك لي دونغ باو عاليًا، وكان يعلم أنه ما من مشكلة إذا ما تحدث أمام هذا السائق، فاقترب من تشن بينغ يوان وقال له: «أيها الأمين تشن، قدّم إليّ مساعدة واذهب معي إلى البنك الزراعي. أريد أن أحصل على قرض بقيمة خمسة ملايين يوان بعد شهرين، لكنهم يصرون على إعطائي القرض دفعةً واحدة الآن، ألن أضطر لدفع فائدة إضافية لمدة شهرين؟ أنت القائد، ساعدني في التحدث إليهم».

ابتسم تشن بينغ يوان بلا مبالاة: «النمر ليّ ثانية، أيها البخيل، هذه المساعدة لا أرغب في تقديمها، انزل من السيارة فورًا وإلا أخذتك معي إلى المحافظة، فأنا لذيّ اجتماع».

«لن أنزل، هذه ليست مسألة تافهة. سأحسب لك كم تبلغ الفائدة الشهرية على قرض بقيمة خمسة ملايين يوان». وأخذ يعد على أصابعه ويحسب له.

اكتفى تشن بينغ يوان بابتسامة وصاح: «قُدِ السيارة، قُدِ السيارة، لناخذ النمر ليّ معنا إلى المحافظة ونفضحه علنًا».

كان لي دونغ باو يعرف بالتأكيد أن تشن بينغ يوان لا يكثرث لمثل هذه المسائل الصغيرة، لكن كيف يمكنه تفويت ختم السلطة الذي جاء إليه بنفسه: «أيها الأمين تشن، أنت أيضًا رأيت اليوم، نفذ الآن كل هذه المشاريع في الوقت نفسه، ويسمى هذا بالانتشار السريع. لقد قمنا بمد أنابيب مياه خصيصًا من الخزانات لأجل أحواض الاستزراع، وتمر هذه الأنابيب عبر قريتين، ويجب دفع رسوم المرور. كما علينا استئجار أشخاص لحفر بركة الأسماك،

ويجب توظيف أشخاص من خارج القرية، فكم سيكلف ذلك؟! وبناء دفيئة حديدية فوق بركة الأسماك، وزراعة العنب فوق بركة صفادع الثور، وبناء تعريشة للعنب، كل هذا يحتاج إلى المال. أتمنى الآن لو أنني...».

«كفى، أيها النمر لي، لطالما كنت مباشرًا وسخيًا، فلماذا أنت متحير اليوم كالمرأة الثرثرة؟! مقارنةً باستثمارتك تلك، فهل تعد هذه الفائدة الضئيلة على القرض شيئًا يذكر؟ لقد كنت في سبات لا تتحرك لمدة عامين، والآن حان وقت الانطلاق بعد تراكم المعرفة والخبرة، حان الوقت لإحداث ضجة كبيرة. أحضر الخمسة ملايين يوان ببساطة، وأعد ترتيب خططك، واغتنم فرصة وجود المال وسارع بعمل بعض الأمور مقدمًا. قل لي، لماذا أنت غير راضٍ لأن البنك يجبرك على أخذ المال؟ إذا أغضبت البنك وامتنع عن إعطائك القرض، فستأتي لتشتكي لي مرة أخرى. في رأيي، إذا كنت ذكيًا، فخذ المال وأنفقه بسخاء، ومن ثم اقترض ثانيةً لاحقًا، وإذا لم تكن ذكيًا، فاحتفظ به في البنك لكسب الفائدة، وبهذا ستسدي خدمة جيدة للبنك. جدِّ الحل بنفسك، وفكر جيدًا، ألم تصبح القروض التي أخذتها بجرأة في الماضي منجم ذهب لشياوليجيا قريتك الآن؟».

شعر لي دونغ باو بغم شديد أفقده النطق، وبمجرد أن وصل إلى المحافظة، بادر بطلب النزول من السيارة، ولم يكثر بالذهاب إلى ساحة لجنة المحافظة للتجول، كما لم يرغب في الذهاب إلى البنك الزراعي وتضييع الوقت في الكلام، فذهب مباشرةً إلى محطة الحافلات، وتجهز لشراء تذكرة والعودة إلى المنزل.

كان بالطبع سيمر على مطعم وي تشون هونغ وهو في طريقه إلى محطة الحافلات. ألقى نظرة، واكتفى بالمرور من أمامه. لم يكن يرغب في التفكير بهذه المرأة، فهي تسبب له الكثير من المتاعب. سبق وذهب تشونغ فو إليها للتحدث معها بشأن مذاق حلزون التفاح الذهبي، تباحثا الأمر مرارًا وتكرارًا، وعاد تشونغ فو بوجه مكفهر، وألغى خطة تربية حلزون التفاح الذهبي. ومن هنا تحولت البركة التي كان من المخطط تربية حلزون التفاح الذهبي فيها إلى تربية ضفادع الثور، وتم طحن حلزون التفاح الذهبي الذي تكاثر سريعًا ونما وملأ البركة لإطعام أسماك البلطي النيلي، ولم يتصور أن تحبه الأسماك، فقد كبرت سريعًا بمجرد أن أكلته.

وقد تناهى إلى سمعه رفض وي تشون هونغ الشديد لهذا الحلزون وقولها بأن لا مستقبل له، ما أقنع تشونغ فو.

لطالما عرف لي دونغ باو أن طبع تشونغ فو صعب، ومن العسير جدًا إقناعه بشيء، وقد سبق وأخفق في إقناعه أمام جميع أهالي القرية، فكيف استطاعت وي تشون هونغ أن تجعله يغير موقفه ببضع كلمات؟! في ذلك الحين... لم يتمالك لي دونغ باو نفسه من التفكير في السترة الصوفية الحمراء التي كانت تبرز ملامح جسدها. فنخر.

لكن يبدو وكأن الأمور التافهة كانت في انتظاره، إذ سمع صوت شجار قادم من داخل المطعم. في البداية أراد ألا يكثرث، لكنه رأى بالفعل ما يحدث خلف الباب المفتوح على مصراعيه، وكانت وي تشون هونغ، ذات اللسان السليط، تضع يديها على خصرها

وتتشاجر مع رجل. يعرف لي دونغ باو أنها ليست سهلة الاستفزاز، فحينما رأى ذلك اختار المراقبة من بعيد، ودون أن يعي وجد نفسه باقياً في مكانه لم يغادر. ظل يراقب ما يحدث حتى غضب، «ماذا؟ رجل يتجرأ على مديده ودفع امرأة بعنف؟»، ودون أن يفكر حتى، اخترق الطريق، وطار متجهاً إلى باب المطعم، ورفع كفه الكبيرة وأمسك الرجل من صدره، ثم سدده له صفتين على وجهه.

لم يتقبل الرجل ما حدث بطبيعة الحال، فاستدار وبدأ في الشجار معه. كان لي دونغ باو سميناً هذه الأيام، ورغم أنه ما زال قوياً، لكنه لم يعد رشيقياً في حركته، فتلقى هو الآخر بضع ضربات، لكنه في النهاية طرح ذلك الرجل أرضاً خارج المطعم، ووقف عند الباب يسبه بألفاظ نابية، وأخبره أن يذهب إلى المسؤولين إن كانت لديه مظلمة، وإذا ما أراد أن يتقمم فليبحث عن لي دونغ باو في شياوليغيا.

وبينما ينظر لي دونغ باو إلى هذا الرجل وهو يفر مذعوراً، صفق بيديه وهم بالمغادرة. ولكن وي تشون هونغ أمسكت به من كمه لتوقفه، وقالت بنبرة باردة: «لا يصح أن يغادر أمينٌ كبيرٌ مثلك ووجهه ينزف دمًا، سأنظفه لك قبل أن تغادر. اجلس هنا».

حينما رآها لا تفرط في التودد إليه، جلس. أحضرت الكحول بعد قليل، ولما وجدته يغمض عينيه وهي تقترب منه، ودّت في قرارة نفسها لوركلت هذا السمين. وبحذر، مسحت آثار الخدوش عن وجهه، لكنها كانت تسترق النظر دائماً إلى ذراعه المكشوف خارج كمه، وتذكرت كل هذه الأمور الصغيرة والكبيرة التي

اضطرت أن تتعامل معها بمفردها منذ أن أصبحت أرملة، ولم يكن في وسعها سوى كتمان غضبها وابتلاع مراراتها وهي وحيدة، واليوم جاء لي دونغ باو في الوقت المناسب تمامًا، هو رجل في الأول والآخر، لم تحتج إلى قول أي شيء بمجرد ظهوره، فقد حمل على عاتقه كل شيء، وحلَّ جميع المشاكل.

كان البقاء في الحقيقة شاقًا على لي دونغ باو، إذ كان يحرقه ألم الكحول من جهة، ومن جهة أخرى يقترب جسدها الدافئ منه، وتتلامس أنفاسهما، وكأنهما حقًا عالمان من الجليد والنار. لم يسعه سوى أن يغلق عينيه، ويندم لأنه كان ينبغي ألا يبقى. لكن فجأة سقطت على عنقه قطرة دافئة من شيء ما، ثم قطرة أخرى، فلم يتمالك إلا أن يشعر بالدهشة، فتح عينيه، وإذا بها تبكي. كان يخشى رؤية النساء يبكين، ما أشعره بالغم حين رؤيتها على هذا الحال، فسألها بصوت مغمم: «هل تعدى عليكِ قبل أن آتي؟ من هذا الرجل؟ سأذهب للبحث عنه».

«ومن أنت بالنسبة إليّ؟ هذا أمر لا يخصك».

لم يكن ليستطيع مجابتهتها في الحديث، فتحفز لدرجة أنه لم يجد ما يقوله، وهمَّ واقفًا فجأة، لكن لم يطاوعه قلبه على المغادرة وهو يراها تبكي، فلم يسعه سوى أن يعقد يديه خلف ظهره، وقال بنفاذ صبر: «اعتبري أنني أحب الاهتمام بالأمر التافه، قولي، من هو؟».

كان يتحدث ويبدو عليه الجزع، ولكنها شعرت بالدفء وهي تستمع إليه، تذكرت القهر الذي تعرضت له للتو، وتذكرت القهر

الذي تعرضت له منذ أن أصبحت أرملة، فضربته بقبضتها على صدره وقالت وهي تجهش بالبكاء: «كم من الوقت في مقدورك أن تهتم؟ تقول اليوم إنك ستهتم وحينما يأتي الغد فلا تهتم، تركتني عرضةً للظلم...».

أوجعته هذه اللكمة بشكل لا يوصف، وقال في نفسه إن النساء لا يستطعن التحدث بكلام منطقي، فقد كانت بينغ بينغ في الماضي أيضًا تبكي عندما تريد وتضحك عندما تريد، وتلقي بجميع الأمور السيئة على عاتقه، حتى دموعها ومخاطها كانت تمسحه في ثيابه، وتستأسد عليه. لكن المشكلة في أن لكمة وي تشون هونغ كانت قوية، ولو سددت له بضع لكمات فحسب لكان الأمر مقبولاً، لكنها لكمته كثيرًا حتى لم يعد يحتمل، فلم يكن أمامه سوى أن يصد ضرباتها ويتجنبها، وشيئًا فشيئًا تحول الأمر إلى أنه من صار يحتضنها ويبكي. لو أراد أن يتجنبها لتجنبها، ولكنه حينما احتضنها حقًا لم يرغب في تركها، فسألها وهو يحتضنها بشدة: «من هذا بالضبط؟ قولي لي».

استماتت هي الأخرى في عناقه، وسرعان ما سألته: «علام تتعجل؟ هل هناك شيء وتريد أن تغادر؟».

«لا، أنتِ تحبين البكاء».

«ما دام ليس هناك شيء فلا تغادر، دعني أبكي حتى أرتاح».

«أما زلتِ تريدين أن تبكي؟...». لم يعرف ماذا يفعل، وأخذ يشاهدها وهي تبكي كما تريد، وكأنها تمطر بلا توقف. فكر بتوتر، وأنهضها، وأغلق باب المطعم، وحملها إلى الطابق الثالث...

نزلت وي تشون هونغ وفتحت باب المطعم لمباشرة العمل، واستلقى لي دونغ باو على السرير يرى ديكور الغرفة الجديدة في الطابق الثالث. ورق الحائط البارز الوردى، والستائر الوردية ذات الحواف المزينة، والأثاث الجديد بالكامل بتصميم المرايا على الأطر، والمرتبة السيمونز الناعمة من أسفله. فقط كان يشعر بالحرارة قليلاً وهو مستلقٍ في هذا اليوم الحار. يبدو حقاً أنه ظلمها، من المحتمل أن تكون قد جهزت الطابق الثالث من أجله.

فكر في الظلم الذي حكت له أنها تعرضت إليه وهي مستلقية في أحضانه، مهما كانت المرأة شديدة الطباع، فهي امرأة بعد كل شيء. كان الجميع يقولون في الماضي إن بينغ بينغ قادرة وقوية، ولكنه كان ينظر إليها ولا يراها سوى امرأة هشة، ووي تشون هونغ أيضاً كذلك. واتضح له كم هو صعب على امرأة أن تفتح مطعمًا بمفردها.

وبينما يفكر، فتحت الباب برفق، وكانت تحمل في يديها صينية، عليها زجاجة بيرة، ودجاج مخمر، وسمك مدخن، وقطع خيار. وضعت الأشياء برفق على الطاولة، وألقت نظرة على لي دونغ باو، فابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت بصوت منخفض: «تناول شيئاً أولاً، وأنا سأذهب لأقوم ببعض الأمور. لا تغادر».

«إلى أين سأغادر؟ لقد أغلقت محطة الحافلات». نهض واقفاً، وقال وهو ينظر إليها: «توقفي عن العمل هنا، جهّزي نفسك وتعالى معي إلى شياوليغيا، لنتزوج».

بمجرد أن سمعته بدت وكأنها أصيبت بصاعقة، فتوقفت في مكانها وأخذت ترتجف بشدة: «هل أنت جاد... أم... تمزح؟...».

«متى كذبت عليك من قبل؟». كان يفكر في كلام شيوي الكبير، وقد هاتفه مسبقًا وقال له إنه تزوج، ف شعر أن كلامه منطقي، ليتزوج هو الآخر. أليست أمامه واحدة؟ تمامًا مثلما قال شيوي الكبير، الفارق بينها وبين بينغ بينغ كبير جدًا، من المستحيل الخلط بينهما، لكن هذه ماهرة للغاية، يكفي هذا. علاوة على ذلك، فلا يمكنه الاستمرار في استغلالها. لكنه فقط اندهش من تحمسها إلى هذا الحد.

«أنا... أنا...». فقدت وي تشون هونغ طلاقة لسانها المعتادة، فما كانت لترى حتى في أحلامها لي دونغ باو يطلب منها الزواج، فاندفعت نحوه وقبلته، وكان هذا بمثابة ردها عليه. كان في كامل وعيه وهو يدرك فرقًا آخر واضحًا بينها وبين بينغ بينغ، فهي جامحة وجريئة جدًا. لذا فلم يكن في وسعه سوى تنبيهها بعدما نهضت بسعادة غامرة لتغادر: «لا تسمحي لأي رجل بأن يمس ولو شعرة منك».

التفتت بنظرة وقالت مبتسمة: «كيف يمكن ذلك؟ فأنت موجود».

كان يرغب بشدة في أن يهبط إلى أسفل ويراقبها، ولكنه تكاسل عن ذلك، وجلس في الأعلى بمفرده يشرب البيرة ويأكل اللحم ويشاهد التلفاز، أكل كل ما في الأطباق حتى لم يبقَ منه شيء. ثم عاد واستلقى على السرير، وشغل المروحة وأخذ يفكر، ماذا سيفعل في أمر البنك الذي يريد أن يعطيه الخمسة ملايين يوان عنوةً.

كانت وي تشون هونغ تتوق لأن يغادر الزبائن اليوم بسرعة،  
فما إن غادر الزبائن، أمرت النُدُل بأن ينظفوا المكان جيدًا، ثم  
أغلقت الباب على عجل وأنهت العمل، واندفعت نحو الطابق  
الثالث. بمجرد أن رآها تدخل قال لها: «عودي معي إلى شياوليغيا  
بعدهما تغلقين المطعم، سأنفق عليك فيما بعد. وعلى ابنك أيضًا».  
كانت قد جلست لتوها على حافة السرير، فقالت بنبرة جادة  
فور سماعها كلامه: «ما من حاجة، هذا المطعم يجني الكثير من  
المال».

«أجني مالا أكثر منك، من الأفضل لك أن تعودي إلى شياوليغيا  
وتديري لي المقصف، الأطباق التي يعدونها تقليدية جدًا. اسمعي  
إليّ، لا تجعلي الرجال يستغلونك دائمًا».

هنا ارتسمت ابتسامة على وجهها، وارتمت بدلال على صدره  
العريض: «تغار، أليس كذلك؟». وبطبيعة الحال لم يرغب لي  
دونغ باو في الاعتراف بذلك: «من هذا الذي يغار؟ إذا تزوجت  
مني، فعليك أن تذهبي معي».

نظرت له بعينيها الساحرتين كخيوط الحرير، وقالت مبتسمة:  
«سأخبر الناس غدًا أنني زوجة النمر لي، ولترى من سيجرؤ على  
التصرف معي بوقاحة بعد الآن. قل لي، من سيجرؤ على التعرض  
إلى زوجتك؟».

«بالطبع».

«فهل ما زلت قلقًا؟ ماذا أسمي ذلك إن لم أسمه غيره؟».

«من هذا الذي يغار؟ حسنًا، دعيه مفتوحًا كما تريد، لن أبه لأمرِك». انزعج لي دونغ باو كثيرًا من مراوغتها وكلامها غير المنطقي، فتركها تفعل ما تشاء.

«بالطبع يجب أن تأبه لأمرِي، وإلا فماذا سأفعل إذا ما تعرض لي الآخرون؟ ماذا لو تصرف أحدهم معي بوقاحة؟ هناك أمر آخر... سأذهب لإزالة اللولب...».

«أي لولب ستزيلينه؟».

«أريد أن أنجب لك ولدًا!».

وهنا، حان دور لي دونغ باو في الشعور بأن الأمر غير حقيقي. دفعها بيديه ليعدها عنه، وحدث فيها لبعض الوقت، ثم قال: «أين الهاتف؟ أريد أن أجري مكالمة هاتفية».

كانت وي تشون هونغ شديدة الذكاء والفتنة، وشعرت على الفور بتصرفاته المخالفة للعادة، فلم تلح عليه ليعدل عن قوله كما فعلت حينما أصرت على فتح المطعم، بل نهضت وأخرجت الهاتف من الدرج، وأقبلت لتعطيه إياه. أخذ الهاتف منها، ورمقها بنظرة، لكنه في النهاية لم يطلب منها أن تبتعد عنه، لقد بادر بالفعل بطلب الزواج منها، إذن فليكن بعلم أهله. كان يتصل بسونغ يون هوي.

«ثمة أمرٌ أريد أن أخبرك به يا هوي الصغير. إنني سأتزوج من مديرة المطعم التي قابلتها في المرة السابقة، تُدعى وي تشون هونغ».

«ينبغي لك ذلك». عجز سونغ يون هوي عن إخفاء تصلب ملامحه، لكنه كان لا يزال يحافظ على كامل اللياقة والاحترام، «مباركٌ لك. متى ستكون مأدبة الزفاف؟ سأتي لأحضرها».

«لا، لا، لا، لن أقيم وليمة زفاف». اندفع لي دونغ باو بهذا الكلام، فبدت ملامح الحزن على وجهها. صمت سونغ يون هوي هنيهة يتأمل كلامه، ثم قال: «أخي، سنظل أقارب».

«صحيح، لن أتغير. والدك ووالدتك سيظلان والدي ووالدتي. لن يتغير شيء، صدقني». لكن سرعان ما فتح راحة يده اليسرى كأنه تعرض لصدمة كهربائية، وأخذ ينظر فيها وقد هرب منها الدم، ثم قال شاعرًا بالذنب: «كلامي لا وزن له، وأنت أيضًا لا تصدقني».

«ما هذا الهراء؟ نحن جميعًا فرحون من أجلك. أقم وليمة صغيرة، لا تبخسها حقها، فهي تحبك للغاية». خطف لي دونغ باو نظرة سريعة لها وقد كانت ملامحها متجمدة بعض الشيء، ثم قال: «حسنًا. سأذهب غدًا لوالدك ووالدتك، وإذا ما حدث شيء سأخبرك».

وضع لي دونغ باو سماعة الهاتف، وقال بصراحة ومباشرة لها: «كنت أتحدث للتو إلى أخي زوجتي الأصغر، يريد مني أن أحسن معاملتك، وأن أقيم لك وليمة زفاف. تعالي معي غدًا إلى بيت أصهاري، وقابلي والد زوجتي ووالدتها، سيكونان فيما بعد أباك وأمك أيضًا».

انقبض صدرها قليلاً، ومع ذلك قالت له بلطف وخضوع: «لقد قابلتُ أخا زوجتك المرة الماضية، إنه حقًا رجلٌ أنيق ووقور».

رجلٌ عاقل جدًا كهذا، لا بد وأن والديه أيضًا طيبان وعاقلان، وأن يكون لي أب وأم مثلهما لهو من حسن حظي. أما عن مآدبة الزفاف فلنأخذ برأيك، دعنا لا نقيمها، فما من حاجة إلى ذلك، فأنت أمين ذو سمعة رفيعة، وكلانا نتزوج للمرة الثانية، لا يستحق الأمر أن نصير موضوعًا للغمز واللمز من وراء ظهرينا. سادعو ابني لاحقًا، وستكون أباه فيما بعد، سيعتمد كلانا عليك في المستقبل».

هنا بدأ لي دونغ باو يشعر بواقعية الأمر أخيرًا، واحتضنها بشدة، ثم تذكر شيئًا: «لم تأكلي حتى الآن».

بعدها وضع سونغ يون هوي سماعة الهاتف، طلب سيجارة من فانغ بينغ الذي كان يسكن معه في غرفة متواضعة بالنزل، ثم خرج إلى العراء وأخذ نفسًا عميقًا منها. جاء هذا اليوم أخيرًا. كان يرغب بشدة في استنكار أنانيته، لكنه كان يعلم بوضوح أنه لم يبارك له بصدق. ومع ذلك فماذا عساه أن يفعل؟ كان يعلم منذ وقت باكر أن هذا أمر لا مفر منه. استنشق بعمق نفسين من الهواء المنعش في العراء، وفكر، في النهاية لم تبقَ له سوى عائلته المقربة، وعليه أن يدير شأن عائلته، الأفراد الخمسة، ويحتضنهم جيدًا ويقضي معهم حياة طيبة. وبينما يفكر، ركض فانغ بينغ إلى الخارج لمناداته: «أيها المدير سونغ، جاءك اتصال من أمريكا».

سرعان ما ألقى بالسيجارة من يده، وركض نحو الغرفة. كان المتصل هو يوي شان تشينغ، قال بابتسامة متصنعة: «ما هذا أيها العفريت؟ هل صرت أمريكيًا حقًا؟».

«أوه، أريد أن أتحدث معك في أمر جاد، أمر طارئ للغاية، خشيت أن يسمعي حارس الهاتف الليلي أتحدث بالصينية فلا يكثرث بنقل ما أقول. هل سمعت ما حدث؟».

«سمعتُ ماذا؟ لا تتحدث بالألغاز».

«أوه، لن أتسبب لك في المتاعب، ولن أتحدث بالتفصيل، بشكل عام لقد تم حظر الشحن. فلتتخذ احتياطاتك، إذا رُفع الحظر لاحقًا، فستكون هذه الصفقة من نصيبي، ليكن اتفاقًا بيننا».

شعر سونغ يون هوي بدوار مفاجئ وكأن رأسه يطن. أيمن أن يواجه مشروع دونغهاي الكثير من العقبات؟ وهل عليه أن يتحمل هذه العقبات حتى تمر؟ وضع سماعة الهاتف وأخذ يحدق في فانغ بينغ مندهشًا من هول الصدمة. انجرفت أفكاره من موقع البناء إلى بكين، ثم من بكين إلى موقع البناء، شعر أنه تائه بلا سند يعتمد عليه. ودون أن يعي سار ثانيةً إلى الخارج، كان قلبه مغتمًا، يحتاج إلى استنشاق هواء نقي. كان فانغ بينغ إلى جانبه وقد استمع إلى معظم الحديث، وقد خمن تقريبًا ما قاله يوي شان تشينغ على الطرف الآخر من المكالمة، فأصيب بالذهول هو الآخر. بعد فترة طويلة أدرك سونغ يون هوي أخيرًا: هل يمكن ألا يتوقف مشروع دونغهاي على هذا النحو؟ لكن كيف يمكن أن يتوقف؟ كان لا يزال يتوق بشدة إلى تحقيق حلمه المتقد بالحماس ها هنا. علاوة على ذلك، فإلى أين سيذهب إذا ما توقف المشروع؟ هل سيعود إلى جيتشو؟ وإذا ما عاد، فهل سيظل محتفظًا بمنصبه السابق الذي حصل عليه بشق الأنفس؟

تبع فانغ بينغ هو الآخر سونغ يون هوي إلى الخارج دون أن يعي، وما إن خرج حتى لفحته نسمة باردة، وتذكر فجأة أن سونغ يون هوي من النوع الذي يحب أن ينغلق على نفسه ويفكر بهدوء حينما يواجه أمرًا جلالاً، وشعر أنه من غير الحكمة أن يذهب إليه ويزعجه في هذه اللحظات. نظر فانغ بينغ إلى المروحة التي أحضرها معه دون قصد والمصنوعة من سعف النخيل، وقال في نفسه بما أنه تبعه، فمن غير الملائم أن يعود فجأة، فتقدم ببساطة بضع خطوات، وأعطاه المروحة التي كانت في يده، ثم قال له بمتتهى الهدوء: «البعوض هنا لا يُطرد بدخان السجائر مثل أعواد البخور، من الأفضل أن تأخذ هذه المروحة».

ولكن سونغ يون هوي لم يتبه إلى فانغ بينغ الذي تبعه، ما جعله يتفاجأ، فاستدار وهدق فيه طويلاً، ثم أصدر تنهيدة: «قل لي، لِمَ حدث ذلك؟».

«مشروعنا، هل فشل؟».

لم يتصور سونغ يون هوي أن يسأله هذا السؤال، فذهل للحظات، ثم قال: «الخطة المبدئية... من المحتمل أن يتوقف تنفيذها مؤقتاً».

«لا أعرف كم ستطول مدة هذا التوقف، وكيف ستعامل الوزارة معنا في تلك المدة؟».

«لا أعرف». كان سونغ يون هوي هو الآخر في حيرة من أمره، ولم يكن في وسعه سوى اللجوء للتدخين، فأخذ نفساً طويلاً، «هذا أمر عارض، وعلى الأرجح فما من أحد لديه خطة إنقاذ جاهزة

في ذهنه والجميع ينتظر، بما في ذلك الوزارة. وما دامت ستسير الأمور على هذا النحو، فإذا أسرعنا وقدمنا أولاً خطة بديلة قابلة للتنفيذ، هل يمكن أن نحقق التأثير المسبق في الوزارة؟».

فقال فانغ بينغ متلهفًا: «نعم، نعم، يجب أن نجد ملاذًا أخيرًا لإنقاذ الموقف، يجب أن نقطع كل سبل التراجع، ونقف للقتال؛ فإما النصر وإما الموت بشرف. وإلا... فهل ستمكن من العودة؟».

أصيب سونغ يون هوي بالذهول مرة أخرى، فهي لم تخطر بباله مطلقًا مسألة العودة ثانية إلى جيتشو، وقد قطع جميع سبل التراجع حينما غادرها، ولم يدع مجالاً للمجازفة واتخاذ قرارات حاسمة أخرى، فهو لم يفكر قط في العودة إلى هناك. لطالما كان يتخذ في حياته مبدأ النجاح أو الموت بشرف. ولم يتصور أن يكون فانغ بينغ والآخرين مختلفين عنه كثيرًا، مما يثبت أن الإنسان كائن له أبعاد مختلفة ومعقدة في شخصيته. من المفترض أنه هو من حرض فانغ بينغ والآخرين في جيتشو على القدوم إلى دونغهاي، أما الآن وفي ظل الوضع الحالي فهو الجاني الرئيسي. خطر في باله أيضًا أنه إذا ما فشل المشروع، فيمكن أن فانغ بينغ ومن معه بالطبع العودة من حيث أتوا، لكن حينما يعودون إلى هناك، فهل سيجدون القلاع التي استولوا عليها في الماضي خطوة بخطوة وكأنهم يخوضون معركة ما زالت في انتظارهم؟ وكأنه ينبغي له أن يقدم اعتذارًا إلى فانغ بينغ ومن جاء معه من جيتشو، ويهدئ من روعهم، لكن حالما وصلت الكلمات إلى شفثيه، تغيرت نبرته وقال بصرامة: «تعود؟ لقد احتل شياو مي الذي جاء إلى جيتشو بعدك منصبك. فهل لديك خيارًا للتراجع؟».

«لا، لكن ما العمل في مشروع دونغهاي؟ كيف ستتصرف في ظل عدم وصول المعدات الرئيسية؟».

أراد سونغ يون هوي أن ينخر، فكيف له أن يعرف، إنه ليس بشخصٍ خارقٍ. ومع ذلك فقد تمالك نفسه، فعليه في البداية أن يتحمل مسؤولية نفسه، ولا يمكن أن ينهار أمامهم. أخذ يحدق في فانغ بينغ محاولاً الحفاظ على رباطة جأشه، وأشار بمروحة الخيزران التي كانت في يده ناحية الأضواء الخارجة من المهجع حيث تتعالى أصوات لعب الورق، وقال: «أذهب فوراً وأخبر لاو ما والآخرين، وانقل مكالمة يوي شان تشينغ إلى كل الغرف، وانتظروا لعقد اجتماع. سألحق بك بعد قليل».

غالبًا فحينما يكون الإنسان في حيرة من أمره، يمكن لتعليمات واضحة قابلة للتنفيذ أن تقطع عليه سلسلة من الأفكار الفوضوية. وكان فانغ بينغ استلهم من هدوء سونغ يون هوي، واستمد القوة منه، فأجابته بالموافقة على الفور، وأسرع ليخبر لاو ما والآخرين.

نظر سونغ يون هوي في ظهر فانغ بينغ الذي تخرج بعده بعام وتم توزيعه للعمل في جيتشو، رغم أنه في الحقيقة يكبره ببضع سنوات، ولكن حظه أقل منه بكثير، وقد صار الآن من المقربين منه في مشروع دونغهاي، فشعر بتوتر واضطراب داخلي. على الرغم من أنه أمره بأن يبلغهم باجتماع عاجل، فإنه لم يكن يملك أي خطة في ذهنه على الإطلاق، لم يكن في ذهنه الآن أي شيء غير سؤال واحد: «ما العمل؟»، لو لم يقطع عليه فانغ بينغ حبل أفكاره ويعطه المروحة، لكان من المحتمل أن يكون غارقًا الآن في الصدمة

وعاجزًا عن الخروج منها. ومع ذلك، فقد أبلغهم بالفعل عن الاجتماع، وكان على ثقة بأن لاو ما حينما يسمع هذا الخبر العظيم لأسرع في جمعهم للاجتماع أيضًا، حينها، هل يمكن أن يقف على المنصة الرئيسية ويسأل الجميع «ما العمل»؟ لا يمكن. فإذا سأل، سيدفع الجميع بنشاط إلى البحث عن طريق للانسحاب، وهكذا سيتفرق شملهم، وسيكون مشروع دونغهاي قد دخل إلى طريق اللاعودة. تمامًا مثل مكتب التحضير بعدما أصدر «الإشعار» العام الماضي، لم يتبقَّ فيه سوى خمسة أشخاص. سيعيش الجميع في حالة من اليأس على الأقل خلال فترة غير متوقعة. لكن إن لم يقل «ما العمل؟»، فهل سيكون في مقدوره أن يقول «هكذا ستصرف»؟ في حقيقة الأمر، وبغض النظر عما إذا كان في مقدوره أن يقولها أم لا، ينبغي له أن يقولها الليلة.

ما من حل آخر. شعر سونغ يون هوي بمدى ثقل المسؤولية على عاتقه. ومع ذلك فقد أثار هذا تمامًا روح القتال الشبابية الخاصة بداخله.

حالما دخل إلى حجرة الاجتماعات، تبعه الجميع واحدًا تلو الآخر إلى الداخل. أشار لاو ما في توتر إليه ليأتي، وقال له بصوت هامس: «هل هذه الأخبار حقيقية؟».

«نعم».

سعل لاو ما، وأخذ يهز رأسه مستنكرًا: «لقد تعجلت قليلًا، على الأقل كنا لنناقش الأمر على نطاق ضيق ونخرج بنوايا مبدئية نرفعها إلى الرؤساء، وحينما نحصل على الموافقة نعلنها».

«على الأغلب، لم نكن لنستطيع إخفاء الأمر».

قال لاو ما ببعض الارتباك: «عندك حق، فهؤلاء الشباب لغتهم الإنجليزية جيدة، يحمل كلُّ منهم جهاز راديو ويستمع إلى الموجات القصيرة».

أقبل أحد المشرفين على المكتب وقال: «أيها المدير ما، لقد وصل الجميع».

وعلى الفور أخفى لاو ما الحيرة التي كانت تملكه، وقال بصوت مرتفع: «اهدأوا، اهدأوا. لقد وصل مشروع دونغهاي إلى نقطة مصيرية، وقد عقدنا اجتماعًا عاجلاً من أجل التشاور والتعاون فيما بيننا، ودراسة ومناقشة خطة للخروج من هذا المأزق معًا. ليتفضل سونغ الصغير بشرح تفاصيل الأمر أولاً».

أوما سونغ يون هوي برأسه، وقال بصوت هادئ ومتوازن: «فيما يخص سبب الاجتماع، فقد نقله فانغ الصغير إلى جميع الغرف، ولن أكرره ثانيةً هنا. نحن الآن بصدد سؤال واحد، وهو: «ما العمل؟». وفقًا لما قاله المدير ما، فهذا هو وقت التشاور والتكاتف فيما بيننا، والتباحث ومناقشة الحلول. سأخذ زمام المبادرة، وأطرح أولاً ثلاث خطط بديلة لدي. ويجب أن يكون واضحًا للجميع أولاً أن جميع هذه الخطط مبنية على أساس ضرورة المضي قدمًا في تنفيذ مشروع دونغهاي بحزم. لقد استثمرت الدولة أموالاً لا حصر لها، واستثمر كل واحد فينا أيضًا جهودًا مضيئة في المرحلة الأولية للمشروع، لا يمكننا التراجع، وليس لدينا طريقٌ للعودة».

خطف سونغ يون هوي نظرة إلى لاو ما، فرأى في عينيه، كجميع الباقين، ترقبًا ملحًا، ترقبًا لأن يتحدث عن الخطط الثلاث البديلة، ورغم عدم اليقين الذي كان بداخله، ورغم تلك الخطط الثلاث التي كانت مجرد انطباعات غامضة نشأت في ذهنه قبل بضع دقائق ليس إلا، لكنه كان مضطرًا للحديث عنها بثبات وثقة. لم يملك إلا أن رأى أمامه ذلك الفتى الشاب الذي كان قبل سنواتٍ عدة، عندما صعد للمرة الأولى إلى منصة الاجتماعات العليا في جينتشو، وكانت ساقاه ترتعشان مثل غربال القمح في تلك اللحظات، لكنه في ذلك الحين كان واثقًا مما في جعبته. أما اليوم فهو غير متيقن مما معه، ومع ذلك فقد جلس مستقرًا وهادئًا، لا يحتاج حتى إلى تحريك قلمه لإخفاء القلق الذي يشعر به.

«خططي هي: أولاً، الاعتماد الكامل على المعدات المحلية. هذه الخطة لا تبدو جيدة في البداية، لكن لا يمكن ألا ندرجها الآن في جدول الأعمال، وفائدة هذه الخطة هي أنها ستضمن سير العمل، وفي الوقت نفسه انخفاض الاستثمار. ثانيًا، بذل قصارى جهدنا في رفع معدل التصنيع المحلي للمعدات الداعمة الثانوية، لكن مع الاحتفاظ بالمعايير العالية المطابقة للمواصفات في التصاميم الأصلية، وبينما نبدأ مسبقًا في الاعتماد على الأجهزة الرئيسية المحلية ودعم الإنتاج، نطلق أولاً المرحلة الأولى من المشروع، ونوفر للدولة ولأنفسنا تقريرًا مشروعًا. نتطلع مستقبلاً إلى حدوث انفراجة، ونجري تعديلات على المرحلة الأولى،

ونستورد الأجهزة الرئيسية عالية المواصفات، وفي الوقت نفسه نتوسع في المرحلة الثانية. فبالنظر إلى سابقة تجديد المعدات القديمة في مصنع جينتشو، هذه الخطة قابلة للتنفيذ، ولكن التعديلات التي سنجرها لاحقًا على المرحلة الأولى ستؤدي إلى إهدار نسبي في الموارد المالية. ثالثًا، تشبه غالبًا الخطة الثانية، نبذل قصارى جهدنا في رفع معدل التصنيع المحلي للمعدات الداعمة الثانوية، والاحتفاظ بالمعايير العالية المطابقة للمواصفات في التصميم الأصلية. لكن قبل أن نعتمد على الأجهزة الرئيسية المحلية، علينا تحسين بعض معايير التصميم من خلال تعاون تقني مع المصانع المنتجة لها، والرفع من كفاءتها. هذه الخطة تنطوي على عناصر كثيرة غير مؤكدة، وفي الوقت نفسه تتطلب مدة طويلة غير محددة. أطلب من الجميع أن يفكروا في الحل، ويمكن أن نجري مناقشة حول الخطط التي طرحتها للتو».

تحدث سونغ يون هوي بثقة وطلاقة عن خطته الثلاث مواجهًا نظرات متشككة من جميع زملائه الموجودين في غرفة الاجتماعات، وعلى الرغم من أنه لم يكن لديه الوقت لعمل مسودة ذهنية لهذه الخطط في عقله، ورتب كلماته فقط على عجل، فإنه وحينما نطق بها، شعر أكثر فأكثر وكأن هذه الخطط وحدها فقط هي القابلة للتنفيذ، وبأن تفكيره شامل بما يكفي. راقب بعناية كيف هدأت ملامح القلق الشديد لدى الجميع تدريجيًا تحت تأثير كلماته، ورآهم وقد بدا عليهم التركيز الشديد وهم يسجلون خطته الثلاث، ويشاركونه التفكير، فقرر ببساطة الخروج عن نص كلماته التي خطط لها مسبقًا، وبدأ يؤدي عرضًا منفردًا.

«بالحديث عن التعاون مع المصانع المنتجة، وعدم التأكد بشأن تحسين الكفاءة التقنية للمعدات بشكل مستقل، قررنا ببساطة طرح الحالات غير المؤكدة الأخرى التي قد تحدث. ماذا لو حدثت انفراجة سريعة في الأمور؟ ماذا لو كان هناك بلد صديق مجاور يعرض علينا معدات داعمة مستعملة للبيع؟ كلما ازدادت الاحتمالات، ازدادت معها الفرص التي بين أيدينا. فكيف علينا أن نتصرف؟ أرى أن نشكل فوراً ثلاث فرق بحثية، وسنقوم بشكل عام بتحليل إمكانية تنفيذ الخطط الثلاث، والخروج سريعاً باستنتاج نهائي، ورفعنا إلى الجهات العليا للحصول على الموافقة. ما رأيك أيها المدير ما؟ ينبغي لنا الإسراع قبل أن تخطر على بال الجهات العليا فكرة رفض مشروع دونغهاي، فالانطباعات الأولى هي الأقوى، علينا أن نغير تفكيرهم ونخبرهم بأن مشروع دونغهاي الخاص بنا لا يمكن أن يتوقف».

تركت ثقة سونغ يون هوي وطلاقة في الحديث انطباعاً قوياً لدى لاو ما. وقد كان رأسه فارغاً للتو من فرط قلق فانغ بينغ وصياحه عند إخبارهم بالأمر، فلم يسعه الوقت لتكوين رأيه الخاص، إلى أن طُرحت أمامه بوضوح وجهة نظر سونغ يون هوي المنطقية والمعقولة في آن، فلم يسعه إلا أن يقول: «ينبغي اغتنام الفرصة، لا وقت للمماطلة، الليلة سننظم أنفسنا ونوزع المهام».

«نعم. إذن لنبدأ بالتحرك أولاً، وإن كانت ثمة أي ثغرات، فماذا لو نصلحها ونحن نعمل؟» حينما وجده سونغ يون هوي يومئ برأسه موافقاً، طرق على الطاولة، وطلب من الجميع الهدوء، وبعد الاستماع بإيجاز إلى بعض الآراء، بدأ في تنسيق المهام. يتولى

الخمسة أفراد التاليين تحت قيادة فلان مسؤولية الخطة الأولى، وخلال بضعة أيام ينبغي أن يكونوا قد توصلوا إلى بحث مفصل بالبند، والخروج باستنتاجات مرقمة. وهكذا سيكون الأمر مع الخطة الثانية والثالثة، نفذ كل شيء بدقة وشمولية، ورتب الأمور بطريقة موجهة ومستهدفة. وعلى الرغم من أنها كانت مجرد أفكار مؤقتة وغير ناضجة، لكنه كان واثقًا، بناء على تجاربه السابقة، أن الاتجاه العام لن يكون خاطئًا. لم يرغب في هذا التوقيت الحرج واللحظات الحاسمة أن يؤدي التوزيع غير الدقيق للمسؤوليات إلى تكرار مشهد الاجتماعات المستمرة والمماطلات الذي حدث سابقًا في جينتشو. تحدد المسؤولون عن الخطط الثلاث، ومن ثم أخذ على عاتقه المهام الأكبر، وحدد ونظم تنسيق سير العمل بين أكبر قسمين: اللوجستيات والمكتب الإداري، بل حدد حتى متى يتم حجز تذكرة ولمن وإلى أين. انتهى من توزيع مهام العمل، وطلب من السكرتير أن يعد محضر الاجتماع فورًا، ووقع الجميع بأسمائهم وختموا بجانب مسؤولياتهم المحددة بوضوح.

انتهى الاجتماع في وقت متأخر. عادوا إلى غرفة النوم، وتلاشت ملامح الإحباط عن وجه فانغ بينغ، كان قد تم توزيعه ضمن المسؤولين عن الخطة الثانية، وكان يشعر في قرارة نفسه أن سونغ يون هوي يميل إلى الخطة الثانية، ما جعله يشعر بسعادة خفية لأنه تم تكليفه بمسؤوليتها. لكنه، وبمنتهى الشعور بالمسؤولية، كان لا يزال ينبه سونغ يون هوي الذي تبعه إلى الغرفة: «لم تكن تعبيرات وجه لاو ما في الجزء الأخير من الاجتماع على ما يرام، والاثنتان الآخران أيضًا».

هزّ سونغ يون هوي رأسه منهكًا: «لاحظت ذلك، إنهم غير راضين عن تجاوزي الحدود وتولي التوجيه. لكن هذا غريب، لم يذكر خمستهم ذلك في الاجتماع القصير الذي كنا فيه للتو».

«هل من الممكن أن يضمروا الاستياء ويتحينون الفرصة المناسبة للرد؟ لكن على الأغلب فإنهم لن يجرؤوا مؤقتًا على التصرف بتهور، فالجميع الآن يعلقون الآمال على استمرار المشروع، وإذا ما قام أحد بعرقلته، فسيغرق في الانتقادات».

فكر سونغ يون هوي قليلاً، ثم تنهد وقال: «ساعدني والباقيين على مراقبة ما يحدث». وقال محدثًا نفسه، ما الجدوى من الانتقادات؟ فهي لن تؤثر فيهم. إذا ما صادفت إنسانًا جلفًا، فلن تؤثر فيه الانتقادات مهما كانت قاسية.

أطفأ المصباح وخلد إلى الفراش، لكنه لم يستطع النوم لفترة طويلة. لم يكن في الحقيقة قبل قليل كما ظن فانغ بينغ، فنظرًا لقلقه على المشروع، وفي ظل الاستعجال الذي كان فيه، تعدى على صلاحيات لاو ما والثلاثة الباقيين في العمل. في الواقع وبعدها رأى موافقة لاو ما على ترتيباته فورًا مرارًا وتكرارًا في الاجتماع، تولدت لديه فكرة راديكالية بشكل أو بآخر، وبإعادة التفكير في ذلك، لم يستطع الوصول إلى تعريف دقيق لهذه الفكرة، ومع ذلك، فقد خطر على باله أمر مثير للاهتمام. بالنظر إلى اجتماع اليوم، فقد اكتشف أنه حينما يصادف الناس أمرًا جلالًا، في الحقيقة، يفقد غالبيتهم الوجهة الصحيحة للتصرف السليم، بما في ذلك هو نفسه. لكن إذا ما خرج أحدهم في هذه اللحظات وطرح موضوعًا

ملفناً للأنظار، فسيقبل الجميع الموضوع بشكل طبيعي ومنطقي، وبغض النظر عن كم الثغرات والعيوب التي فيه، سيتمسكون به ويعتبرونه بمثابة قشة النجاة. مربط الفرس يكمن فيمن سيجرؤ على تحمل المسؤولية وطرح الموضوع.

كان يحدث نفسه بأنه أصاب الهدف اليوم على غير قصد، فبدافع من حسه العميق بالمسؤولية، اختلق موضوعاً بشكل غير متوقع، وأخرج الجميع من حالة الحيرة والقلق التي كانوا فيها. في الوقت نفسه صار دون أن يشعر قائد القطيع، فلم يتوان في قبول المهمة بلا تردد. لكن، وبعد كل شيء، إلى أين سيقود الجميع؟! هنا جاء دوره في الحيرة. كان البحر أمامه والعدو من خلفه، ولا يملك رفاهية الحيرة. تذكر الفكرة الراديكالية التي تولدت في ذهنه بشكل غامض أثناء الاجتماع، والتي لا يجرؤ إلى الآن على التفكير فيها بعمق، فقال في نفسه إنه هو من ألقى بنفسه هذه المرة وسط العاصفة، هو من وضع نفسه على حافة الهاوية، ينتظره مصير واحد من اثنين، إما النصر كملك، وإما الهزيمة كمجرم.

أسهب في التأمل، وقرر في النهاية أن يتشبت بتنفيذ أعمال اجتماع الليلة، والاستمرار فيها دون استسلام أو تراجع. لقد سئم أسلوب البيروقراطية البطيء، حيث يطرح مقترحه في كل مرة، ويجتمع خمستهم لمناقشته مراراً وتكراراً، ثم ينتهي الأمر باعتماد خطته، كما سئم مماثلة موظفي مكتب الخدمات اللوجستية وشؤون الموظفين، الذين من المفترض أنهم يتمون إلى قسم الخدمات، سئم من تعطيلهم لسير تقدم التكنولوجيا الهندسية. كان يعلم أن فكره متأثر بفكر الإدارة في الشركات الغربية، لكنه غير

مستعد لقبول المساومة، فلماذا غادر جيتشو طالبًا للانضمام إلى شركة ناشئة؟ بالطبع من أجل الاعتماد على النفس وتقوية الذات، والتخلص من النظام البيروقراطي الراكد. لعل هذه الأزمة تنطوي على فرصة نادرة، وهذا من الصعب الفصل فيه.

حَمَّن العديد من ردود الأفعال السلبية التي قد تكون لدى لاو ما والآخرين، فصاغ بجرأة وحزم خطة العمل اللاحقة والتي سيكون له فيها القيادة المطلقة. كما كان لا يزال يجهز طريقة ما لجذب لاو ليو، المسؤول المالي وأحد الموظفين الخمسة الكبار، إلى دائرته. لقد فكر كثيرًا كثيرًا هذه الليلة!

ومنذ تلك الليلة، بدأ يعاني من الأرق بشكل مستمر بسبب كثرة التفكير.

أعاد استخدام أسلوبه القديم في التحكم بسير العمل بمفرده، الذي كان يستخدمه أثناء إعادة تأهيل الورشة الأولى، ولم يدع للمحيطين مجالاً للتدخل؛ كان يتقدم تدريجيًا ويرسخ لنفسه في كل خطوة، ويجعل جميع مرؤوسيه ينظرون إليه وحده قائدًا وينفذون تعليماته. استغل علاقاته بكبار القادة الذين عرفه عليهم لاو شيوي في البداية، وذهب لزيارتهم كما كان معتادًا، وسعى من أجل استمرار مشروع دونغهاي. ونظرًا لأن تمويل المشروع الذي سعى للحصول عليه انتهى في يد القسم المالي، بدأ لاو ليو من القسم المالي ينحاز تدريجيًا إلى صفه. أما عن خطة مشروع دونغهاي، فتماشيًا مع تقدم دراسات الجدوى الثلاث وتوجيهات الجهات العليا، وعلى الرغم من أنها تغيرت تمام التغيير، ولم تعد

الأكثر تقدمًا وكفاءةً كما كان معدًا لها في الماضي، فإنها استمرت بعد كل شيء.

وخلال تلك الفترة، كان سونغ يون هوي يبادر بطرح موضوعات شيقة واحدًا تلو الآخر، ويزيل في طريقه مخاوف الجميع من العودة إلى جهات عملهم الأصلية، ويحفزهم على اتباعه من كتب ليمضوا قدمًا إلى الأمام. بدا للغرباء اجتهاد هذا العدد الكبير من الأشخاص وكأنه يصل إلى حد الجنون. حينما عاد من الإدارة العليا في المرة الأخيرة، أخبر الجميع بحماس وانفعال شديد بأن مشروع دونغهاي، ومن خلال الجهود الدؤوبة التي «بذلناها» جميعًا في معركة لا مجال فيها للتراجع، عاد أخيرًا إلى «أيدينا» مرة أخرى، ووسط هتافات الجميع، كان من الطبيعي أن يتم تهميش جميع الأشخاص الذين عجزوا عن المشاركة في أعمال تعديل دراسات الجدوى للمشروع، وتم استبعادهم تلقائيًا من «بيننا». ضم هؤلاء لاو ما والثلاثة الآخرين. أما من جاءوا بهم، فقد انجرف بعضهم مع سونغ يون هوي دون إرادة منهم، بينما وقف البعض مترددًا ثم انحاز للجهة الأقوى، ومنهم من كان مخلصًا حتى النهاية.

كان سونغ يون هوي بطبيعة الحال سعيدًا لأنه صار يسيطر فعليًا على الوضع في دونغهاي. وملأته العزيمة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

على الرغم من أن لي دونغ باو قال إنه سيصطحب وي تشون هونغ «غداً» لزيارة عائلة سونغ، لكنه في النهاية لم يتهور، فبعدما أعاد التفكير في الأمر، أجّل هذا «الغد» مرة بعد مرة، ووفقاً للترتيب المنطقي، أخذها أولاً لمقابلة والدته.

أما ما لم يتوقعه فهو أنه كان يعتقد أن خطوة والدته ستسير بسلاسة، وأنه بمجرد إحضارها أمامها وشرح الأمر ستُحل المسألة فوراً. لكنه لم يتصور أن ترتفع متطلباتها، فقد كانت لتقبل بأي فتاة زوجة لابنها حتى لو كانت معاقبة، أما الآن فهي تصر على أن تكون زوجة ابنها فتاة عذراء لم يسبق لها الزواج، وشعرت بعدم الارتياح وهي تنظر إلى قبعة «أرملة» التي ترتديها وي تشون هونغ. فكيف لابنها، الأمين المرموق الذي كثيراً ما يذكره حاكم المقاطعة، أن يختار، في نظرها، أبعاد المستحيلات، أرملة كبيرة في السن ونحيلة؟ تجاهلت والدته تقديمه لوي تشون هونغ، وتعاملت معها بمنتهى القسوة حينما تلفظت بكلمة «أمي» أمامها. لم تكن على استعداد قط لخفض جناحها أمام تلك المرأة التي من المستحيل أن تصير زوجة ابنها، فسألته مباشرة: «لم تكن تعد في الآونة الأخيرة كثيراً لتنام في البيت، هل كنت تنام عندها؟».

فأجابها: «نعم، صار الأمر واقعاً ولا يمكن تغييره». كان مذهولاً بشدة من موقف والدته الغريب.

قالت والدته بازدراء: «منذ أن مات والدك قبل ستة وعشرين عاماً، كرس والدتك حياتها للبقاء أرملة، ولم تكن تنظر إلى أي

رجل آخر، حتى لو كان رجلاً خارقاً، كرسست جهدها لتربيتك حتى صرت ناجحاً هكذا. الآن وقد انفتح الفكر، لم يعد زواج الأرملة أمراً مشيناً، كما أنني لا أستطيع الرفض باعتباري من عائلة أحد الكوادر، لكن من يمكن أن يوافق على أن تشعر أرملة بالوحدة في منتصف الليل فتأتي برجل غريب ليقضيه معها؟ إذا كان لديكما الجرأة كعشيقين على السير معاً في وضح النهار بلا خجل ولا حياء، فإنني لا أستطيع فعل شيء؛ لقد عشت طوال حياتي أرملة في هدوء، ولا يمكنني السماح لعديمي الحياء بالدخول من باب بيتي. انصرفا من هنا، لن أوافق على زواجكما ما حييت».

رغم طلاقة لسان وي تشون هونغ، فقد أدركت أن الوقت ليس مناسباً للدفاع عن نفسها، وبالأحرى ليس في مقدورها أن تتفرض للرد بقوة، بل ثبتت ناظرها على لي دونغ باو. أما عنه، فقد أصابت والدته نقطة ضعفه، فعلى الرغم من وعده لها بالزواج، لكنه كان لا يزال في قرارة نفسه متمسكاً بالأفكار القديمة، وشعر بأن تقربها منه لم يكن أمراً لائقاً، وقد أصابت والدته كبد الحقيقة. لكنه مع ذلك دافع عنها: «اللوم يقع عليّ في هذا، لا علاقة لها بالأمر. تعرفين أنه ما من أحد يستطيع منعي من شيء أريده. وي تشون هونغ الآن لي، وزواجنا طبيعي ومبرر تماماً. لا تشغلي بالك بأي شيء يا أمي، فقط انتظري لتحلمي حفيدك بعد عام».

تأثرت وي تشون هونغ حينما وجدته يحمل نفسه المسؤولية كاملة، وشعرت أن الشخص الذي اختارته متحمل للمسؤولية، لكنها سمعت والدته تقول ثانية: «حينما تعرف الجميع على يون بينغ في الماضي، كانوا يقولون إنها جيدة، يقولون إنها ثواب عمل عائلة لي

الصالح في الحياة السابقة. أما هذه؟ فإنها حتى لا تليق بحمل حذاء يون بينغ. دونغ باو، لقد تكبدتُ عناء تربيته حتى كبرت، وليس لديّ طلب آخر، فقط لا أريد هذه الأرملة سيئة الخلق، عليّ أن أنوب عن والدك المتوفى في تقرير هذا الأمر. إذا ما تجرأت على الزواج منها دون علمي، فسأقفز في النهر لأموت أمام ناظريك».

لكنها في النهاية كانت تخشى ولدها، فبعدما انتهت من كلامها نفضت الغبار عن سروالها، وشدت قامتها وغادرت. تركت خلفها ابنها ينظر إلى ظهرها وهي تتبعد في حيرة، وقال مذهولاً: «منذ متى صرتِ تتحدثين بالحكم والمواعظ في كل جملة؟».

وهنا نطقت وي تشون هونغ أخيراً بحذر: «لا يمكن الاستعجال في أمر كهذا، علينا أن نجعلها تفهمنا وتوافق على أمرنا، هذا أفضل. ماذا لو تشرح لها ثانية، أو تطلب من إحدى صديقاتها المقربات أن تنصحها؟».

فكر لي دونغ باو قليلاً، ثم قال: «يبدو أن أمي لا تعترف إلا بكلام والدة شي قن، تقول إن مستواهما متكافئ. سأوصلك لتعودي، وإذا لم ينجح الأمر، فسأحصل بنفسني على الختم من القرية وأسجل زواجنا، وبما أنك لن توافقي على إغلاق المطعم فيما بعد، فلن تلتقيا. لا تأخذي كلام أمي اليوم على محمل الجد».

كانت موافقة لي دونغ باو هي كل ما تريده وي تشون هونغ، فعلى الرغم من حسرة والدته، لكن وفقاً لما يقول، فإنهما لن يسكنا معاً مستقبلاً، وإذا ما أنهى إجراءات الزواج حقاً، واعترفت الدولة بزواجهما، فماذا عسى والدته أن تقول بعد؟! أي قفز في النهر هذا

الذي تقوله؟ الكلب الذي ينبج لا يعض أبدًا، لذا فإنها لم تكن قلقة من أن تقفز حقًا. أما بالنسبة لانتقاص والدته من شأنها، فعلى الرغم من غضبها، لكنها استطاعت أن تتمالك نفسها، فهي ليست فتاة بسيطة لم تختلط بالعالم كثيرًا. قالت بنعومة ورقة: «كيف لي أن آخذ كلامها الذي تقوله وهي غاضبة على محمل الجد؟ آه، أنا الملامة في ذلك، أنا من استفزتها وجعلتها لا ترضى بي. إياك وأن تفعل عليها، لم يكن من السهل عليها تربيتك بمفردها حتى كبرت، ولقد ذقتُ تلك المعاناة، لو لم تكن الحياة مريرة حينها والأيام تمر بصعوبة، لما اضطررت إلى مواجهة المجتمع وفتح المطعم. عليك أن تعذر والدتك. هيا، رافقني إلى مدخل القرية لأستقل الحافلة، واذهب أنت لتتسغل بأمورك. سأعد لك وجبة لذيذة في المساء، ولتأتِ...».

فعل لي دونغ باو ما طلبته، ورافقها فعلاً إلى مدخل القرية. صعدت إلى الحافلة الذاهبة إلى المحافظة، وكانت تشعر في داخلها بقليل من الأسف، هذا الأسف لأن لي دونغ باو لا يفهم في الرومانسية، كان المطعم يقع في مكان ليس يبعد في المحافظة، ومع ذلك فهو لم يوصلها حقًا.

لم يكن لي دونغ باو في الأصل رومانسيًا، ولكنه كان ينجز الأمور بمهارة، فبعدما أوصلها عاد متجهًا إلى بيت شي قن، وكان حينها في وقت الظهيرة، حالما رأته والدة شي قن قادمًا تجنبتة ومشت. نظر شي قن إليه وقد ارتسمت على وجهه علامات الحيرة والتردد، وقال له بحس إدراك عالٍ: «لا تحاول مع والدتي لتقع والدتك، لقد مرت بنا والدتك للتو».

«اللعنة! وهل تصدقها حقًا؟!» على الرغم من قوله هذا الكلام، فإنه كان قلقًا في داخله. لقد شعر أن والدته ستنتحر أمامه وبحق، فلو لم تكن تملك ذلك الأسلوب الجريء الذي لا يهاب الموت في الماضي، ألم يكن الآخرون ليتنمروا على شخص عديم الفائدة مثلها منذ وقت باكر؟!!

قال شي قن: «وأنت إياك ألا تصدق، غالبًا فإن والدتك العجوز قد ذهبت الآن إلى بيت هونغ وي، يبدو أنها جادة فيما تقول».

كاد لي دونغ باو أن يفقد النطق، وسأل شي قن في ضيق: «ألن تعطيني حقًا قسيمة الزواج؟». فقال شي قن بقلّة حيلة: «لا تصعب الأمور عليّ. علاوة على ذلك، فوالدتك هي والدتك، يجب أن تستمع إلى كلامها بعض الشيء». حملق لي دونغ باو في شي قن وقال: «في الحقيقة أنت أيضًا تريد أن تحشر أنفك وتتدخل في شؤون بيتي، هل تمنع زواجي من تشون هونغ؟».

سرعان ما قال شي قن: «هذه شؤون بيتك، فكيف لي أن أتدخل؟! لكن اسمع يا دونغ باو، أرى أن تعود إلى البيت وتحل الأمر مع والدتك، ولا تجعلها تبث شكواها في كل مكان وتفضحك أمام الجميع؛ فذلك سيؤثر كثيرًا في هيبتك».

بذل لي دونغ باو قصارى جهده ولكن دون جدوى، لم يستطع أخذ الختم من شي قن، فاضطر أن يغادر. كان على يقين أن شي قن يعارض زواجه من وي تشون هونغ، ولكن هذا العفريت لم يكن ليعترف بذلك، كما أن لي دونغ باو لا يستطيع توييخه من دون دليل، فلم يكن أمامه سوى التفكير في حل آخر.

كانت وي تشون هونغ تظن في البداية أن أصعب ما في أمر زواجها من لي دونغ باو هو موقفه، أما بقية المشاكل بالنسبة لرجل قادر مثله فهي تافهة. لكنها لم تتصور أنه وبعد مرور شهر من ذهابها إلى شياوليجيا، لم ينته لي دونغ باو بعد من التصرف مع والدته. وعرفت أخيرًا بعدما تحرت بشكل ما أنه قابل رفضًا قاطعًا من أمه، ورفضًا غير مباشر من عمدة القرية شي قن. لم تتوقع أن يواجه لي دونغ باو، وهو رجل حقيقي بكل ما في الكلمة من معنى، لحظات يعجز فيها عن التصرف حينما يتعلق الأمر بمشكلاته الشخصية.

تبين لوي تشون هونغ أنها تملك قوة لا تستطيع استخدامها، فأصبحت بالاكئاب لدرجة أن ظهرت في وجهها بثور لم ترها منذ أن كانت شابة.

في البداية أثار لي دونغ باو ضجيجًا لبضعة أيام، لكنه كان في الأصل غير مرحب كثيرًا بفكرة الزواج، فإذا حدث كان بها، وإن لم يحدث فلا بأس، لاحقًا انشغل في أمور تشنغ مينغ، وبعدما انغمس تمامًا في العمل، لم يقل ذهابه إليها فقط، بل لم تعد لديه الطاقة للتفكير كثيرًا في إجراءات الزواج، وهكذا تأجلت الأمور. ومع ذلك فقد انتشر خبر وجود عقبات في زواج النمر لي من زوجة الأخ آتشينغ الصغيرة، وعلى الرغم من عجزهما مؤقتًا عن الزواج، ولكن الجميع كانوا يعاملونهما على أنهما شريكان، وأن الزواج سيتم عاجلاً أم آجلاً، وعلى الرغم من انتقاد الجميع لها وأنها لا تليق به، لكنهم اعتبروا دخول وخروج لي دونغ باو من مطعمها أمرًا طبيعيًا.

وهكذا بقيت الأمور معلقة وغير محسومة على غير المتوقع، لم يكثر لي دونغ باو كثيرًا، وكانت وي تشون هونغ وحدها هي القلقة. ومع ذلك فلا فائدة من قلقها، فقد صادفت هذه المرة شخصًا صعب المراس، ففي الأمور الصغيرة كان لسانها الفصيح ليكون له تأثير، أما حينما يتعلق الأمر بشيء لا يعجب لي دونغ باو، فبمجرد أن تلمح وجهه المتجهم، لا تجرؤ على استخدام الحيل لإجباره. كانت هي في النهاية من تحبه أكثر، وجل ما تخشاه أن ينزعج منها ويختفي أثره ببساطة كما فعل في المرة الأولى.

لكن الأمور التي كانت تزعج لي دونغ باو مؤخرًا كثيرة. إذ جاءه فجأة اتصال من كبير المهندسين الذي تعرف عليه بواسطة يانغ شيون يقول له إنه لا يجرؤ على المجيء. وعلى الرغم من أن تشنغ مينغ أقسم له بكل ثقة أن هذا التغيير لن يؤثر كثيرًا على تركيب وضبط المعدات، لأن مصنع المعدات الكهربائية الذي يبيع معدات النحاس الإلكترونياتي وافق على المساعدة في التركيب والضبط والتوجيه في الإنتاج، وحتى دخول مرحلة الإنتاج رسميًا. ولكن لي دونغ باو لم يكن مطمئنًا حينما ينظر إلى وجه تشنغ مينغ الشاب المليء بالبثور، فمعدات باهظة الثمن مثل هذه، هل يمكن الاعتماد على مجموعة من الفلاحين في التعامل معها؟

حمل لي دونغ باو أمتعته، وسارع بالذهاب إلى منزل كبير المهندسين ليظهر له حسن نواياه. لم يتوقع كبير المهندسين أن يأتي إلى باب بيته قائد يحمل لقب العامل المثالي على مستوى المقاطعة ونائب مجلس الشعب في المدينة شخصيًا، ما جعله يتنهد. ومع ذلك فلم يوافق أيضًا على الذهاب إلى شياوليجيا،

وقال إنه يخشى من أن تكون ثمة تغييرات في التوجهات السياسية مؤخرًا، وقد اختفت تقريبًا من الصحف التصريحات المتعلقة بالإصلاح في الآونة الأخيرة، فباعباره رب الأسرة، ومصدر الدخل الرئيسي لها، لا يجرؤ على المخاطرة بالتخلي عن الوظيفة الثابتة في توقيت كهذا، والسعي خلف مستقبل غير معلوم. ورغم أن لي دونغ باو شرح له أن جميع مؤسسات شياولي جيا تدرج ضمن نظام المؤسسات البلدية، وتنتمي إلى المؤسسات الجماعية وليس الفردية، فإن كبير المهندسين كان لا يزال تبدو على وجهه ملامح الحيرة والتردد. رغم عدم رغبة لي دونغ باو في رؤية ذلك، فإنه كان ليتفهمه. فبجانبه مثال حي وجاهز على ذلك، أليس سونغ يون هوي مثله؟! شخص شديد الموهبة، شديد الإقدام، حتى لو كان مقيدًا بالنظام القديم في مؤسسة حكومية لدرجة تجعله يبصق دمًا، فهو لا يزال يأبى أن يترك الظلام ويخرج إلى النور، وبغض النظر عن المناصب الشاغرة التي يعرضها عليه لي دونغ باو كل عام، فهو لا يزال غير مستعد للقبول. عبر لي دونغ باو لكبير المهندسين بخيبة أمل عن تفهمه، وطلب منه بصدق أن يعيد التفكير في الأمر، وينضم فورًا إلى شياولي جيا بمجرد تغيير موقفه. وعلى الرغم من أن كبير المهندسين قد وعده بذلك، فإنه وعند افتراقهما، لم يكن كل منهما متأكدًا في قرارة نفسه، لا يعرفان ما إذا كان هناك فرصة للتعاون حقًا فيما بعد أم لا.

لم يجد لي دونغ باو أمامه سوى الذهاب إلى يانغ شيون، وطلب منه أن يستمر في البحث عن أشخاص محترفين. فوافق يانغ شيون بالطبع على المساعدة، ولكنه كان عاجزًا عن مساعدته، فهو

ليس سون وو كونغ المتحول<sup>(1)</sup>، وهو مشغول في الآونة الأخيرة لدرجة تجعله عاجزاً عن تقسيم وقته، يسافر بين الشمال والجنوب كل يومين أو ثلاثة. وبمجرد أن سمع تحفيز سونغ يون هوي له، ذهب إلى المدينة الساحلية حيث يتواجد ليراها، فلم يلاحظ طاقة التنمية الخفية الموجودة هناك فحسب، بل لاحظ أيضاً تطور نفوذ سونغ يون هوي.

كان يعرف أهمية كليهما. فالأولى ما من ضرورة للحديث عنها، أما الثانية، فقد استخلص من تجاربه المضطربة في الإدارة بالشمال الشرقي أهمية وجود أشخاص يعرفهم في مناصب عليا. فقد أفادته كثيراً العلاقات بموظفي المستوى الأساسي الذين كان في مقدور لاولي أن يُعرِّفَهُ عليهم فحسب، فكيف ستكون المساعدة التي سيقدمها له شخصٌ مثل سونغ يون هوي يقود سيارة ويدخل حكومة ولجنة الحزب في المدينة مباشرةً ويخرج منها؟

بعدما تفقد للمرة الأولى بيئة الاستثمار مع سونغ يون هوي، جمع كل المستندات، وسارع بالذهاب إلى الجنوب في غضون بضعة أيام، وبعد استئجار منزل ذهب إلى مكتب السجل التجاري المحلي لتسجيل مؤسسة، وكان لا يزال يستخدم العلامة التجارية لقرية شياوليغيا.

حشر معه سونغ يون هوي شخصاً. لاحظ يانغ شيون أنه على الرغم من إخلاص ووفاء شيون جيان شيانغ، كما أنه يد عاملة

---

(1) شخصية أسطورية صينية والشخصية الرئيسية لرواية رحلة إلى الغرب من القرن السادس عشر. تحكي الرواية عن قرد ولد من الصخور وله قدرات خارقة للطبيعة ويمارس طقوساً طاوية.

جيدة يمكن أن تساعد في حراسة المكان وحمايته، ولكن الشركة ستحتاج في المرحلة الأولى إلى الخضوع المُفرط للتعامل مع مختلف العلاقات، وهو لا يبدو عليه أنه ماهرٌ في التكيف والمرونة.

لكن بما أنَّ سونغ يون هوي هو من حشره معه، فلا يمكنه الاستغناء عنه، ولقد حاول بخبثٍ ودهاءٍ إسناد بعض الأعمال الخاصة بالركض في الدوائر الحكومية له، وتعلل بأن لديه أعمالاً في الشمال وعليه أن يغادر. وكما هو المتوقع، فعلى الرغم من انشغال سونغ يون هوي الشديد، لكنه مدَّ يد العون لشيون جيان شيانغ، وكان في بعض الأحيان يقود السيارة شخصياً ويصطحبه لزيارة الجهات المختصة وإنجاز بعض الأمور المزعجة. علاوة على ذلك، فما لم يتوقعه أن يفهم شيون جيان شيانغ الذي يبدو عليه الصراحة والوضوح نفسية البيروقراطيين، وعلى الرغم من عدم رغبته في الخضوع والتذلل، لكنَّه كان يفكر في إجراءات أخرى لحل العقبات، ما جعل يانغ شيون يعتقد بأن هذه الصفقة لم تكن سيئة.

كشف جس النبض الذي أجراه يانغ شيون الخطوط الحمراء عند سونغ يون هوي، وأدرك مدى أهمية شيون جيان شيانغ هذا عنده. لم يكن واضحاً له طبيعة العلاقة الوثيقة بينهما، لكنه توصل إلى استنتاجين مؤكدين: أولاً، أنه لا يمكنه الإساءة إلى شيون جيان شيانغ، بل وعليه أن يعطيه نسبة من أرباح الصادرات. ثانياً، فالتمسك به يعني التمسك بسونغ يون هوي، وسيكون ذلك أكثر فاعلية من محارلته بكل الطرق كسب وده.

كانت لدى يانغ شيون المقدرة على تصنع اللطف جيدًا أمامه، وسرعان ما اعترف شيون جيان شيانغ بقدره يانغ شيون على المراوغة وإنجاز المصالح، كما شَعَرَ بأن دهائه يناسب ذوقه جدًا، وصار مستعدًا لتنفيذ أوامره.

لم يُطَق شيون جيان شيانغ في الحقيقة التخلي عن متجر السيراميك الذي فتحه بنفسه، فحاول سونغ يون هوي التأثير عليه برفق وإلحاح مستخدمًا صداقتهما القديمة كورقة ضغط، ووصل به الكلام إلى قوله إنه إذا لم يأت فهو يتعمد التخلي عن الصداقة التي تربطهما، ما جعله لا يجد بُدًا من الموافقة.

كان يُقدِّر تلك الصداقة بشدة. قال سونغ يون هوي إنَّ مؤسسة يانغ شيون قامت بدعم من زوج أخته، كما أنَّ يانغ شيون صديق قديم له، وطلب منه أن يساعده كثيرًا، ويعتبر أنه بذلك يسدي مساعدة له. صدَّقه شيون جيان شيانغ، وعلى الرغم من أنه اكتشف لاحقًا أن الأمر لم يكن كذلك تمامًا، لكن في ذلك الحين كان أصدقاءه الذين اعتادوا التجمع في متجر السيراميك لشرب النبيذ والتذمر قد اعتقلوا واحدًا تلو الآخر بسبب إثارة الشغب وُزجَّ بهم في السجن، وهنا أدرك نوايا سونغ يون هوي الحقيقية.

سأله: «لماذا لم تتحدث بصراحة؟»، فقال له: «هل في مقدوره أن يتحدث بصراحة؟». بعض الناس حينما يتوقف الأمر على الإخلاص والوفاء فهم مستعدون حتى للتخلي عن ثروتهم الشخصية التي جمعوها للتو، فهل سيفيد معهم التحدث بالمنطق؟ لا يمكن مقاومة السم إلا بالسم، واستحضار صداقة أعمق منها.

لم يسعَ شيون جيان شيانغ سوى الضحك بمجرد سماعه هذا الكلام، وأخذ عيدان الطعام وأشار بها تجاه سونغ يون هوي وهو يصفه بكلمة واحدة: «وغد». وأمام صديقه المقرب، اعترف سونغ يون هوي وهو مُطرقٍ باكتشافه أنه صار الآن «وغدًا» بعض الشيء.

لم يحل مجيء شيون جيان شيانغ مشكلة القلق الذي كان يُساور سونغ يون هوي منذ فترة طويلة تجاه صديقه المقرب فحسب، ولكنَّه منحه أيضًا دعمًا نفسيًا هائلًا. لم تتغير شخصية شيون جيان شيانغ الذي يضع الصداقة فوق المنطق كثيرًا، فعلى الرغم من أنه دخل السجن مرة وأصبح أكثر حذرًا، لكنَّه كان على استعداد أن يلقي بنفسه في البحر من أجل أصدقائه المقربين. فحينما كان سونغ يون هوي يذهب إليه، كان يشعر بأنه وصل إلى ميناء آمن، حيث يمكنه الرسو بأمان.

كان يُدرك مدى خطورة سيره على حافة الهاوية في الوقت الحالي، وعلى الرغم من أنه يعطي للآخرين في بيئة العمل انطباعًا بالثبات والاتزان عبر كلماته التي لها وزنٌ كبير، لكنَّه كان متوترًا من الداخل، ولم يكن في النهاية واثقًا من شيء. كان بإمكانه الآن أن يبوح بذلك كله لشيون جيان شيانغ.

على الرغم من أن شيون جيان شيانغ كان مُهملاً ولا مُباليًا في جيتشو، لكنَّه لم يكن غيبًا، وعلاوة على ذلك، فإن تواجده الدائم في القاع جعله يرى الصورة كاملة من بعيد، وصار واسع المعرفة بنظام المصانع الكبرى. تختلف عنه تشنغ كاي يان، كانت دائمًا من أصحاب المصالح الثابتة، ومن المستحيل عليها الفهم العميق لتعيد النظام البيروقراطي في المصانع الكبرى.

كان شيون جيان شيانغ يفهم جيدًا كل ما يقوله سونغ يون هوي، وكان هذا بالفعل كافيًا بالنسبة إليه، والأجمل أنه كان لا يزال في مقدوره تقديم الآراء والاقتراحات له من منظوره.

اغتمَّ سونغ يون هوي، وذهب إلى المدينة باحثًا عنه ليُفْضِي إليه ببعض الهُراء، ثم عاد إلى طبيعته في اليوم التالي.

على الرغم من فهم شيون جيان شيانغ للنظم البيروقراطية، لكنه خضع حقًا أمام موظفي المصالح الحكومية من أجل تخليص الإجراءات، ما جعله يستشيط غضبًا، وشعر بالحاجة إلى البحث عن سونغ يون هوي ليُنْفَس عن غضبه. لكنه غالبًا لم يرتح بعدما شَرِبَ، وجعلت رائحة الكحول سونغ يون هوي يفقد توازنه بالفعل. حينما نظر شيون جيان شيانغ إلى سونغ يون هوي ذي القدرة الضعيفة على الشرب، رَقَّ قلبه على الفور، وفكَّر في ذلك الفتى العنيد الصامت الذي كان عليه سونغ يون هوي قديمًا، على الرغم من أنه يبدو ناجحًا ومهندمًا، فإنه لا يعلم كم من المرات تعرض للظلم وحمل همومًا وهو صامت دون أن يجد مكانًا يبوح فيه، إنه من النوع الذي يكتب مشاعره إلى أن يصاب بالسرطان.

عقد شيون جيان شيانغ العزم على تحمل مسؤولية توجيهه وإرشاده، وكانت طريقته في التوجيه والإرشاد علمية جدًا، فلقد مرَّ في حياته بالعديد من التجارب، واستطاع أن يحدد مقدار الشراب الذي يحتاجه سونغ يون هوي لينطلق في السُّباب. استطاع أن يتحكم بدقة في ذلك المقدار، وعلى أي حال فقد كانت قدرته على الشرب أكثر من كافية أمام سونغ يون هوي.

في الحقيقة، كان سونغ يون هوي هو الآخر يعلم أنه سيفقد السيطرة على كلامه بمجرد أن يشرب، ومع ذلك فقد كان يثق في شيون جيان شيانغ، فعادةً ما كان يتحكم جيدًا في شُرب الكحوليات أمام كبار السن، أما أمام شيون جيان شيانغ فكان يفلت اللجام من بين يديه. وعلى الرغم من قلة لقاءهما، فإنهما بمجرد أن يلتقيا، كانا يُغلقان الباب ويشربان النبيذ ويأكلان اللحم، ويتصرفان بهمجية ووحشية، تصرفات لا تختلف كثيرًا عن تصرفات قطاع الطرق.

بعدما استكمل يانغ شيون إجراءات التسجيل كاملة بشق الأنفس، دخلت خطته رسميًا مرحلة التنفيذ. كان يريد أن يؤسس سوقًا للوازم اليومية بالجُملة، إذ شَعَرَ أن نطاق التجارة في الأجهزة والمواد الكهربائية ضيق للغاية، ولا يمكن التوسع فيه، أما تجارة المواد الغذائية واللوازم اليومية للطعام والشراب فهي سوق كبيرة إلى الأبد. لكنه لم يكن واثقًا تمامًا في قرارة نفسه، فاستغل علاقته بشيون جيان شيانغ وأمسك بسونغ يون هوي شديد الانشغال الحكيم البارِع وحدثه عن أفكاره. طلب منه سونغ يون هوي أن يتحرى عن حجم تداول المنتجات المماثلة في المدينة، ويتأكد من نطاق السوق أولاً ثم يقرر.

أظلمت الدُّنيا في عينيه بمجرد أن سمعه، ولم يفهم بوضوح من أين عليه أن يبدأ ليجري ذلك البحث الذي يتحدث عنه.

نظرًا لأن شيون جيان شيانغ قد عمل مُسبقًا في مصنع رسمي كبير، كما أدار بنفسه متجرًا صغيرًا، فقد كان يراقبهما بالجوار ويرى الأمور بوضوح، وأدرك أنهما لن يلتقيا في الحديث. قال متدخلًا:

«هذه المسألة لا تحتاج إلى تحرر، يبلغ عدد المُقيمين إقامة دائمة في هذه المدينة مليون نسمة، فكم عدد المتاجر الصغيرة المطلوبة لتلبية احتياجاتهم؟! ما علينا سوى رفع لافتة بأسعار الجملة، وسوف تُقبل أولئك النسوة حتى ولو كُنَّ على بُعد أميال. بشرط أن يجد يانغ الصغير طريقةً لبيع جميع الأشياء بسعر الجملة».

أحسَّ سونغ يون هوي أن كلامه منطقي، وقال مبتسمًا: «هذا الحل ممكن. ألم ترَ حينما انتشرت شائعات قبل عامين عن ارتفاع الأسعار، على الرغم من ارتفاعها ارتفاعًا طفيفًا، فإن الجميع كانوا ينقلون الأطعمة والمستلزمات إلى منازلهم في سيارات بأحجام مختلفة. المهم هو نقطة بيع جميع المنتجات بسعر الجملة، هل ستستطيع أن تفعل ذلك يا يانغ الصغير؟».

«هذه ليست مشكلة كبيرة، أفهم جيدًا تفاصيل هذا الأمر، فنحن نفعل الشيء نفسه في سوق الأجهزة الكهربائية. لكن يُمكنني فقط البيع بسعر الجملة للعملاء الكبار الذين يشترون بالجملة، أما بالنسبة لشخصٍ يشتري نصف كيلوغرام من صلصة الصويا أو نصف كيلوغرام من الملح، فلا يُمكننا فعل شيء». هنا استعاد يانغ شيون توازنه أخيرًا، وصار يتحدث بطلاقة وثقة: «أقصد إنشاء سوق كهذا، ربما لم تسعفني الكلمات منذ قليل، ولم أوضح ما أقول...».

«ألم تسعفك الكلمات، أم أن المشكلة في فهمي؟». تحدث وعلى شفثيه ابتسامة خفيفة.

قهقه يانغ شيون وقال: «في المرة السابقة حينما ساعدني مدير المصنع سونغ من خلال مكتب التجارة في العثور على مكان،

كنتُ جاحدًا وشَعَرْتُ أن الموقع محدود، وأن التوسع سيكون صعبًا فيما بعد. هذه هي المشكلة الكبرى التي يواجهها حاليًا سوق الأجهزة الكهربائية الذي أملكه في الشمال، فالمساحة محدودة جدًا، وحتى لو كنتُ أكثر مهارة وكفاءة فلا يُمكنني إيجاد المزيد من المتاجر من العدم، وليس أمامي سوى مشاهدة فرص الربح تتلاشى أمام عيني وأنا أقف عاجزًا عن فعل شيء. قررتُ أن أبحث عن أرض أكبر قليلًا، ويُمكن أن يكون الموقع في الضواحي إلى حدٍ ما، فقط يكفي أن تتوفر إليه مواصلات مُريحة. وهذه الأماكن يكون سعرها أرخص».

نظر سونغ يون هوي إلى يانغ شيون، وسدد له في وجهه كلامًا صريحًا: «قطعة أرض كبيرة... هل لديك كل هذا القدر من الأموال؟». فقال يانغ شيون بجدية واحترام: «سأحتاج إلى مساعدتك أيها المدير سونغ، هل يمكن دفع ثمنها بالتقسيط؟».

«كم تملك من المال؟ أعطني رقمًا محددًا». مُباشرة ودون تفكير أعطاه يانغ شيون رقمًا مضاعفًا عدة مرات: «مليون وخمسمائة ألف». ذُهل سونغ يون هوي، وقال في نفسه: يا له من فتى ذكي! يبدو عليه ظاهريًا أنه عادي، لكنَّه على غير المتوقع يخفي مليونًا وخمسمائة ألف في يده، لكنه أجرى حساباتٍ تقريبية، وهزَّ رأسه يمنة ويسرة وهو يقول: «يكفي فقط لتطوير بناء علوي».

«تطوير مبنى السوق أيضًا سيتم على مراحل، تمامًا مثل سوق الأجهزة الكهربائية الذي أملكه، أبيع المتاجر المُطورة أولاً ثم أنشئ متاجرَ جديدة».

أطال سونغ يون هوي الصمت متأملًا: «حسنًا إذن، سيتم التطوير على مراحل متتالية. وأنت أيضًا يا شيون جيان شيانغ، استثمر بتلك الأموال التي معك، واستحوذ على جزء من الأسهم، هل يكفيك عشرة بالمائة منها؟».

لم يكن شيون جيان شيانغ يفهم بعد، أما يانغ شيون فكان يفهم كل شيء، فقال له فورًا: «يكفي عشرة بالمائة. يمكن لشيون الكبير أن يساهم بأي مبلغ يستطيع تقديمه، وسنوقع اتفاقًا حينها، وسأحاسبه وفقًا لنسبة عشرة بالمائة».

لم ينتظر سونغ يون هوي هو الآخر حتى يعبر شيون جيان شيانغ عن موقفه، وقال: «اتفقنا. أستهدف موقعًا معينًا، يقع في محيط منطقة مهجع الموظفين الذي يخطط المصنع لإنشائه، سأتواصل معهم غدًا، ولتجهز يا يانغ الصغير خلال هذه الأيام لزيارته معي».

بمجرد أن سمع يانغ شيون عن موقع هذه الأرض، أدرك بالفعل أن هذه المسألة قد حُلَّت بشكل كبير، لأن سونغ يون هوي سوف يلعب دورًا بالغ الأهمية فيها. وعلى الرغم من أن قرار استحواذ شيون جيان شيانغ على عشرة بالمائة من الأسهم كان يقطع من لحمه، لكن الأمر يستحق.

في النهاية أغلق شيون جيان شيانغ فمه ولم ينطق، كان ينظر فقط إلى سونغ يون هوي الذي يبدو وكأنه مستغرق في التفكير. ودّعهم سونغ يون هوي، فذهب بمفرده ليوصله، وهنا سأله: «ألن يكون ذلك غير مناسبًا؟».

فقال سونغ يون هوي: «غالبًا فلن يكون راتبك عند يانغ الصغير مرتفعًا، وسيكون من الصعب عليه التوزيع العادل للرواتب داخل جهة العمل، أو أن يُزيد راتبك على غير المتوقع. عليك مستقبلاً تغطية نفقات تكوين أسرة وتأسيس مسيرة مهنية من خلال تلك العشرة بالمائة. أتعامل كثيرًا بيانغ الصغير، وهذه العشرة بالمائة ليست فيها مُبالغة كبيرة، سيكون لديه فيما بعد أصول ملموسة مثل المتاجر والمباني. ما من شيء غير مناسب، لو شَعَرَ يانغ الصغير بأن هذا غير منطقي لعارض على الفور».

أخذ شيون جيان شيانغ ينظر إليه، وأحسنَ فجأةً ببعض الغرابة. ذلك رغم أنه يعلم بوضوح في قرارة نفسه أن سونغ يون هوي يساعده بإخلاص تام.

لاحقًا أمضى الليل بطوله يفكر في الأمر، وحينما عاد إلى المنزل أخرج جميع مقتنياته الثمينة، وباع كل ما يُمكن بيعه منها، ثم طلب من صديق له اقتراض بعض المال، ووضع في يد يانغ شيون كل الأموال التي تمكن من جمعها.

وعلى العكس، اندهش يانغ شيون، فهو في الأصل لم يقرر أخذ مليم واحد منه، صار لديه الآن انطباعًا مختلفًا عنه، وأصبح يراه مستقلاً عن مظلة سونغ يون هوي.

لم يتفاجأ سونغ يون هوي عندما علم بذلك، فهو يعرف أن هذه هي شخصية شيون جيان شيانغ. ومع ذلك، فمهما اجتهد شيون جيان شيانغ، كانت أمواله لا تزال بمثابة نقطة في بحر بالنسبة لما تحتاجه أعمال يانغ شيون.

أتى ليانغ شيون أن يملك مليونًا وخمسمائة ألف؟ كان هذا رقمًا مُبالغًا فيه ضاعفه بلا تردد من أجل الحصول على مساعدة سونغ يون هوي. وتزامنًا مع وفاء سونغ يون هوي بوعده له ومساعدته على الوصول إلى قطعة الأرض، توصل إلى اتفاق دفع بالتقسيط مع أصحاب الأرض بوساطة من سونغ يون هوي، وأصبحت حاجته إلى المال تزداد إلحاحًا يومًا بعد يوم.

باع يانغ شيون سوق الأجهزة الكهربائية، الذي كان يعامله ككَنْزٍ ثمين، على مضض، هذا لأنه يرى الآن مستقبل سوق السلع الاستهلاكية اليومية بالجملة، ما جعله يأخذ قرارًا حاسمًا ومؤلمًا من أجل مستقبل أفضل. كما طلب من أصدقائه في كل مكان مرةً أخرى اقتراض المال، وعرض عليهم ضعف معدل الفائدة وفقًا لمعدل الفائدة الحالية في البنوك، كما ساعدته والدته على اقتراض المال من كل مكان.

كانت والدة يانغ شيون تتمتع بسمعة طيبة طيلة حياتها، صارمة في مبادئها، لا تشوبها شائبة. ومن ثمَّ فقد كانوا يراعون ماء وجهها، ووافقوا على إقراضها المال. كانت تأخذ الأمور على محمل الجد، وسجلت كل مبلغ بدقة متناهية، كما كتبت على إيصال الدين بوضوح مقدار الفائدة المستحقة عند موعد سدادها.

لم يكن يانغ شيون يُريد في الأصل أن تتدخل والدته، وكان يخشى عليها من التعب، لكن والدته لم توافق، فلطالما علمت ما يحتاجه ابنها الأكبر، وهي نادرًا ما تتاح لها الفرصة لتقديم المساعدة له، فليس في وسعها سوى مساعدته. وعلى الرغم من قلقها حول

أخذ ابنها كل هذا المال وعدم قدرته على سداده لاحقاً، أو تعرضه لعثرة هائلة كما حدث معه العام الماضي، ولكنها كانت تُطمئن جميع الدائنين بأقوى نبرة ثقة ممكنة.

كان ثمة العديد من الناس في المنطقة خرجوا للعمل في التجارة، وعدد الذين يملكون بعض المال ليس بالقليل، اقترضت بضع مئات من هنا، وبضعة آلاف من هناك، ووضعت القرش فوق القرش، وكانت تطلب من يانغ شيون في كل مرة أن يأتي لأخذ المال.

في ذلك الحين، التحق يانغ سو الذي صار ناضجاً بمدرسة ثانوية مهنية، كما التحق يانغ ليان الذي نضج قليلاً هو الآخر بجامعة مرموقة، وسافر كلاهما إلى أماكن بعيدة للسكن في النزل الطلابي ومتابعة دراستهما الأكاديمية، ولم يتبقَ معها سوى يانغ لي الأقل نضجاً فيما بينهم. كانت والدتها تُدللها دائماً بوصفها الابنة الصغرى، ولم تكن تسمح لها بمعرفة معاناة الحياة، ففي اعتقادها أن الفتيات يواجهن ما يكفي من المعاناة طيلة حياتهن، وإذا ما كانت لا تزال تعيش في بيت أهلها، فليمنحوها ما استطاعوا من الأيام السعيدة، حتى حينما كانوا يمرون بضائقة مالية في الماضي، حينما كانت في حاجة لخروج ولديها لبيع المانتو، لم تطلب من ابنتها الخروج. ومن ثمَّ، فحتى لو كانت تشعر والدتها بضغطات كبيرة، وبخاصة ومع رؤية الديون تزداد أكثر فأكثر، والضغطات تكبر هي الأخرى أكثر فأكثر، لم تكن تتحدث بكلمة واحدة عن هذا الأمر مع يانغ لي.

كانت تعيش في قمة التقشف فتقتصد في طعامها ونفقاتها قدر الإمكان، وكانت تحمل محاصيل الأرض وتبيعها في السوق، لكن حينما تعود يانغ لي إلى البيت يوم الأحد كانت تتصرف وكأن شيئاً لم يحدث، وتملاً طاولة الطعام بشتى الصنوف من الخضراوات واللحم.

أسدت والدة يانغ شيون له مساعدة كبيرة باقتراض المال له اعتماداً على سُمعتها الطيبة، ما مكنه من التخلص من أكثر مشاكله المالية تعقيداً. كان مُدركاً تماماً لحجم الضغوط التي يفرضها عليه سداد الديون بمعدل فائدة مضاعف عن معدل الفوائد البنكية، وبما أنه تخلى عن سوق الأجهزة الكهربائية في الشمال، وكُرِّس كامل جهده للمشروع الجديد، فقد كان يعد كل يوم ينتهي فيه من العمل باكراً مكسباً له.

كان سونغ يون هوي يمر ليلتي نظرة حينما يذهب إلى المدينة في عمل، وعادةً ما كان يرى يانغ شيون وشيون جيان شيانغ يرفعان أكمامهما ويعملان كعمالٍ صغار، يخلطون الأسمنت، وينقلون الرمل والجير، ولا ينسون الصياح بصوت عالٍ لحث العمال على الإسراع من وتيرة البناء. تأثر سونغ يون هوي بعمق مما شاهد، فلو طبقت هذه الروح في موقع مشروع دونغهاي الذي يُشرف عليه الآن، لثم إنجازَه بسرعة الصاروخ.

في الواقع، لقد جذبت سرعة إنجاز مشروع دونغهاي انتباه القيادة العليا وأصبحت نموذجاً يُحتذى به. لكنها ما زالت لا تُقارَن بروح موقع عمل يانغ شيون.

لم ينسَ يانغ شيون ولو قليلاً استغلال اسم سونغ يون هوي كراية يلوح بها باستمرار، فحينما يحتاج إلى شيء من مواد البناء، ولطالما استطاع ركوب السفينة الكبيرة لمشروع دونغهاي، كان يتسلقها بكل ما أوتي من قوة، ويوفر ما يمكن توفيره. وفي بعض الأحيان لم يكن يحتاج إلى تدخل سونغ يون هوي على مفضل للتنسيق، فقد كان قادرًا على استغلال هذه الراية بنفسه لخداع جميع الأطراف، وكان يستخدم أساليب الحيل والمراوغة للحصول من الآخرين على أدنى سعر لا يُمكن تخيله.

كان شيون جيان شيانغ معجبًا بهذه النقطة كثيرًا لدرجة تجعله ينحني له احترامًا. وعلى الرغم من أن العمل مع يانغ شيون مُتعب، لكنّه يعطي أملاً في المستقبل، كما أنّ المشروع يُحرز تقدمًا يوميًا بعد يوم، ما جعله مبتهجًا برؤية تقدمه الشخصي يوميًا، ويعمل بجهد عن طيب خاطر.

كان أفضل مشرف في موقع البناء، أكثر كفاءةً حتى من يانغ شيون المراوغ. وكان جسده الأسمر يقف شامخًا في موقع البناء، يُلقي بقوة الكلمات الصارمة التي تدرّب عليها خلال بضع سنوات قضاهها في السجن، ويلمع جسده الذي صُقل عبر سنوات من الشجار، فيخشاه الجميع. تحتاج مواقع البناء، تلك المناطق التي يهيمن عليها الرجال، إلى الحد الأدنى من القوة الجسدية والمهارة الأساسية، وكان شيون جيان شيانغ نموذجًا مثاليًا لذلك.

بدأ يانغ شيون تدريجيًا يحترمه بصدق لأنه يعمل معه بجهد وإخلاص، وجعله في دائرته المقربة والموثوقة. تأمل شخصيته

وخبرته بعناية، وخمّن السبب وراء إخلاص سونغ يون هوي الشديد له، فصار يقدره أكثر فأكثر.

بالنسبة لافتتاح متجر، وعلى الرغم من أنه سوق للسلع اليومية بالجُملة يختلف تمامًا عن سوق الأجهزة الكهربائية، فإن يانغ شيون كان يعتقد أن النهج لا يزال واحدًا.

حينما انتهوا من تشييد المبنى المكون من طابقين، اطمأن لترك موقع البناء بين يدي شيون جيان شيانغ الذي فهم عقليته تمامًا، وركض بين مختلف الدوائر الحكومية لتخليص شتى أنواع الإجراءات. كان لديه خبرة في كل ذلك من خلال تواجده سابقًا في الشمال الشرقي، حتّى إنه تعلم الدرس من المعاملات السيئة التي تلقاها في الماضي، وكان عليه أن يبدأ هذه المرة من جديد، وبطبيعة الحال أنجز الأمور مقدمًا بأفضل صورة ممكنة. ومع وجود سونغ يون هوي الذي ساعده على تمهيد الطريق داخل الدوائر الحكومية، أنجزت الأمور بسلاسة أكثر بكثير مما كانت عليه في الشمال الشرقي. صارت لديه العديد من الصور التذكارية مع القادة، وحينما يُخرجها من آِن إلى آخر ليستعرضها، يُمكنه تحقيق ضعف النتائج بنصف الجهد.

كان أكثر ما يُقلق شيون جيان شيانغ هو مسألة لمن ستُباع الأكشاك. تحرّى سرًا عن بعض المتاجر الصغيرة التي يُديرها أفراد بنجاح، وشرح لهم أنه يملك سوقًا بحجم معين، وسأل أصحاب المتاجر الصغيرة ما إذا كانوا يريدون الدخول إلى هذه السوق وفتح أكشاك فيها. كان مُعظمهم يقول إن التجارة تسير على ما يُرام في

متاجرهم، وذلك بفضل موقعها الممتاز، فلماذا يتقلون إلى سوق ويتنافسون مع الباعة الآخرين على الزبائن؟

شَعَرَ شيون جيان شيانغ أن كلامهم منطقي، فلو كان سوقًا للسيراميك بدلاً منه، لم يكن ليوافق على الدخول إليه حينما كان يفتح متجرًا للسيراميك العام الماضي، أما تلك المتاجر الحكومية التي تباع بالجملة والمصممة في الأصل لتكون أبوابها مواجهة للجنوب وظهرها للشمال<sup>(1)</sup>، فتزيدهم إصرارًا على عدم الانضمام إلى السوق. ماذا سيفعل حينها لكي يستمر؟ هل سيقفون على الهواء؟ كان قلقًا جدًا من أن تقل أعداد الناس، ولا يتبق لهم حقًا سوى الهواء.

كان سونغ يون هوي دائمًا ما يهتم بتشغيل السوق من أجل شيون جيان شيانغ، وإذا ما كان لديه وقت فإنه يتصل بهم ليسألهم عنه. لكنه حينما اتصل اليوم لم يكن يسأل عن درجة تقدم العمل، ولكن عن مسألة شخصية تخصه، فقال: «قل لي يا شيون الكبير، هل تعرف ما هو وشم الحواجب والعيون عند النساء؟».

لم يكن شيون جيان شيانغ متحفظًا تجاه هذا السؤال، ففكر قليلاً ثم قال: «نعم، سمعتُ أنه رائجٌ كثيرًا هذا العام، إنه يجعل عيون النساء محاطة بالسواد». ضرب سونغ يون هوي رأسه بكفه على الطرف الآخر من المكالمة: «أوه، هل هو هذا الشيء؟ هل هو هذا الشيء؟ يا إلهي...». قال له شيون جيان شيانغ في فضول: «ماذا هناك؟ هل وشم والددة طفلتك أيضًا؟».

(1) تخطيط تقليدي للبناء في الصين للاستفادة من ضوء الشمس.

«يا إلهي، لماذا أصبح ذوق نساء جيتشو مبتدلاً إلى هذا الحد؟!».

كاد سونغ يون هوي يلفظ أنفاسه، فلقد هاتفته تشنغ كاي يان للتو وقدمت له تقريرًا وهي في غاية السعادة، قالت إنها وشمّت جفنيها وحاجبيها، ولسوف تجهز له مفاجأة في عيد الربيع، كما أخبرته أنها ذهبت لعمل الوشم مع الخالات في الروضة، مما خفّض السعر كثيرًا. حينما تذكر سونغ يون هوي آخر مرة رأى فيها تلك العيون التي تشبه عيون دُب الباندا، فقد القدرة على النطق. وجد شيون جيان شيانغ الأمر مُضحكًا، وقال: «أولئك العصابة من النسوة في جيتشو متفرغات ليس لديهن ما يفعله...».

نظر سونغ يون هوي في قلم رصاص أخضر داكن ماركة تشيونغهاوا كان في يده، وكأنه رأى وجه تشنغ كاي يان بحاجبين سميكين منحنيين باللون الأزرق الداكن وعيني الباندا، فهزّ رأسه يمنة ويسرة بلا حيلة، وألقى القلم من يده. كان يقلق بعض الشيء من أن تفرح تشنغ كاي يان لدرجة أن توشم وجه ابنته هي الأخرى. شعّر شيون جيان شيانغ برغبة في الضحك بعض الشيء حينما فكّر في أن زوجة سونغ يون هوي هادئ الأعصاب قد أغاظته لدرجة جعلته يتنهد غضبًا، كما كان لا يفهم لماذا يأخذ سونغ يون هوي مسألة وشم الحاجبين بهذه الجدية، فالجميع يفعل ذلك الآن، وليس بالأمر الجلل، ستظل المرأة هي نفسها بعد الوشم.

جرّ مكتبه بعيدًا، وفرش لوحين من الفوم على الأرض، ثم أخرج الفراش المبطن واللحاف. على الرغم من حرارة تلك الأيام

التي يعمل فيها مُديرًا نهارًا ويفترش الأرض بالليل، لكنّه أحب ذلك كثيرًا.

لم يتوقع أنه بمجرد تهيئة فراشه سيعود يانغ شيون متعثرًا ومتخبطًا. دخل يانغ شيون، وعلى الفور التقط الماء البارد من على الطاولة وشرب منه عدة جرعات كبيرة، ثم قال بطريقة غامضة وغير مفهومة: «إن السجل التجاري... لقد وُوفِق على السجل التجاري لنا اليوم، يُمكن لجميع الباعة الذين سينضمون إلى السوق أن يسجلوا أكشاكهم بشكل موحد. كما هناك تطورات واضحة بشأن الضرائب، وسيتم إصدار جميع الفواتير من قسم المالية الخاص بسوقنا. (تغرب الشمس خلف الجبال، ويتوهج الأفق باللون الأحمر، يعود الجنود إلى المعسكر، بعدما أصابوا الهدف، يعود الجنود إلى المعسكر...)»<sup>(1)</sup>.

«ها؟ هل صدرت الموافقة بهذه السرعة؟ لم أتوقع ذلك، بل ظننت أنهم سيماطلون في الإجراءات ويؤجلونها إلى ما قبل عيد الربيع. هل ستكون الخطوة التالية هي البدء في بيع الأكشاك؟».

«تأجيرها... بالطبع تأجيرها، وإلا ستفقد الأموال كلها، فالمُقاوِل يطالبني بالدفع كل يوم». وبينما يتحدث كان يحاول بوقاحة الاستيلاء على الفراش الذي أعده شيون جيان شيانغ للتو، فأمسكه شيون جيان شيانغ وسحبه بعيدًا. حتى لو كان يانغ شيون في قمة الثمل، فمن المستحيل أن يخلط بين كلمتي «بيع» و«تأجير».

(1) هذه الجملة مأخوذة من أغنية صينية عسكرية قديمة.

حينما رآه شيون جيان شيانغ يُجهّز فراشه بشكل عشوائي، مد له يد المساعدة بينما يسأله: «كيف ستؤجرها؟ لقد سألت في عدة متاجر صغيرة خلال هذه الأيام، وأبى أصحابها الانضمام إلى السوق».

فتمتم يانغ شيون: «كيف سأؤجرها؟ هكذا سأؤجرها، بالطبع لن توافق المتاجر الصغيرة، عليك أن تستقطب الموردين الذين يتعاملون مع هذه المتاجر الصغيرة. سأنتهز الفرصة غدًا وأذهب إلى هيئة السجل التجاري لأحصل على الأوراق، ثم أبدأ بعد غد في تأجير الأكشاك، وسوف ترى، أضمن لك أنني سأؤجر ثلاثة أكشاك في يوم واحد».

«ما الطريقة؟! أخبرني، إذا فعلناها معًا فسوف نؤجر ستة أكشاك في اليوم الواحد».

«لن أخبرك، سأتركك بفضولك». أخذ يتقلب في السرير وهو يتأوه ثم غط في النوم، حتى إنه لم يخلع حذاءه، فساعده شيون جيان شيانغ على خلعه ولم يستطع غض الطرف عنه.

تذكر شيون جيان شيانغ أن سونغ يون هوي دائمًا ما كان يقول له إن يانغ شيون لديه أسلوب خاص، يبدو فعلاً أن لديه أسلوبًا خاصًا، فبهذه السرعة، وقبل حلول رأس السنة، استطاع أن يحل أهم أمرين؛ وهما الضرائب والسجل التجاري، يبدو أن تأجير الأكشاك على الأغلب لن يشكل أزمة، لكنّه لا يعرف كيف سيحل الأمر.

لم يتوقعا أن تهب رياح باردة في منتصف الليل، وتكاسل الرجلان عن النهوض لإغلاق النافذة، فتجمد يانغ شيون من البرد.

استيقظ والدموع والمخاط يسيلان منه، وعينه حمران كعيني أرنب، اقترح عليه شيون جيان شيانغ أن يرتاح يوماً، وأن يذهب غداً إلى السجل التجاري. ظل يانغ شيون بشعره الأشعث وجسده المتراخي شاردَ الذهن لبعض الوقت، لكنّه بدأ يترنح ويتمايل، ثم استنشق مُخاطه وقال: «لا يمكن، غالباً فإنهم لن يتعرفوا عليّ غداً». حينما وجده شيون جيان شيانغ لا يقوى حتى على فتح عينيه، لم يسعه إلا أن يقول: «سأوصلك».

لم يأكل يانغ شيون من الفطائر وأصابع العجين المقلية التي اشتروها من كشكٍ صغير في طريقيهما، فقط شرب حساء التوفو وغادر. كان رأسه متدلياً ويبدو بائساً طوال الطريق، حينما وصل إلى باب هيئة السجل التجاري، سمع شيون جيان شيانغ يخبره أنهما وصلا، وكأنه تناول حبة سحرية، شعَرَ فوراً أنه بصدد أمرٍ مهم للغاية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يسمح لنفسه بأن يستسلم لعلّة بسيطة، قفز باديّاً عليه الخفة والرشاقة، والتفت إلى الخلف ليبتسم لشيون جيان شيانغ، لكنه لم يكد يسير بضع خطوات حتى ترنح، وكاد يتعثّر في درجة سلم لا يتعدى ارتفاعها عشرة ستيمترات.

نظر إليه شيون جيان شيانغ فوجده في حالٍ يُرثى لها، صعّد وأمسكه بقوة، ولكنَّ يانغ شيون حدّق فيه بنظرات ثابتة وقال بإصرار: «لا بُدَّ وأن أنجز الأمر اليوم، ليس أمامي سوى إنجازَه». «أرجو ألا تُخطئى وأنت على هذه الحال، هل ستستطيع إكمال عقلك؟».

«لا شيء يعمل الآن في جسدي سوى عقلي. آه، لا تُمسكني بقوة، يا له من إحراج...». لكنّه لم يكد يكمل كلامه حتى التقطت عيناه الثاقبتان وجهًا مألوفًا بالنسبة إليه، وشرعان ما رفع صوته الأجش ونادى: «أيها المدير قوه، رأيت حماسك الشديد بالأمس؟ كدت ألا أستطيع النهوض هذا الصباح».

لم تكن حالة المدير قوه على ما يُرام، وبدا أن آثار الثمل من الليلة الماضية لم تُزل بعد، لكنه ضحك بعدما رأى حالة يانغ شيون البائسة أكثر منه: «ما الخطب؟ هل تكبذت خسارة فادحة؟ هل هُزمت بهذه السهولة؟ من أخذ يصيح متفاخرًا الليلة الماضية بأنه لا يثمل إلا بعد ألف كأس؟».

«يعتمد الأمر على يد من سأنهزم، إذا ما كان على يدك أيها المدير، فأنا موافق. لم أتمل إلى هذا الحد طوال تلك السنوات التي قضيتها في الشمال الشرقي. لنذهب إلى مكتبك أيها المدير وأشرب كوبًا من الماء الساخن». لم يحاول يانغ شيون أن يتظاهر بالقوة، وليعتبره في حالة سُكر، فالبعض يحب رؤيته على هذه الحال.

ومع ذلك فقد تخلص من قبضة شيون جيان شيانغ، ورافق المدير قوه مبتسمًا وهو يترنح إلى مكتبه. فتبعهم شيون جيان شيانغ دون أن ينبس ببنت شفة، لم يتوقع أن يجاري يانغ شيون الرجل ويدعي أنه ثمل، ما جعل الرجل المهيب، المدير قوه، ترتسم على وجهه ملامح البهجة، يبدو وبحق أن الشيء الوحيد الذي يعمل في جسده الآن هو عقله.

تحدث المدير قوه مع يانغ شيون بسعادة، وبمجرد مكالمة هاتفية جلب مرؤوسيه، فأخذوا المستندات التي مع يانغ شيون، وساعده على إنجاز الإجراءات. أُصيب شيون جيان شيانغ الذي لم يكن يلقي عند تخليص الإجراءات سوى العبوس والمعاملات الباردة بالذهول الشديد. ولم يمضِ الكثير من الوقت حتى كانت الإجراءات قد انتهت بسرعة كبيرة وكأنها لم تكن شيئًا.

أخذ المدير قوه مستند الموافقة، وطلب من يانغ شيون أن ينتظر، ثم سلّمه بنفسه إلى مدير الهيئة لتوقيعه، وعاد بعد مدة قصيرة يسخر من يانغ شيون، ويقول له إن مدير الهيئة يُريد أن يرى نفسه حالته المزرية.

وبلا حول ولا قوة، لم يرغب يانغ شيون في الحقيقة أن يسير تلك البضعة خطوات، وبخاصة وأنه سيصعد السلم، لكنه نهض بوهن وقال ضاحكًا: «أخبت تصرف هو ألا أجعله يراني، فهذا يعني أنه هناك ما لا يُحتمل أن يراه أحد، هاها».

أسنده شيون جيان شيانغ أثناء الصعود، وبطبيعة الحال تبع ذلك جولة ثانية من السخرية. وبعدهما خرجوا إلى الساحة المفتوحة، تنهد يانغ شيون أخيرًا وقال بصوتٍ منخفض: «حسنًا، لنذهب إلى المستشفى».

كان تخليص تلك الإجراءات بمثابة حل مشكلة كبيرة جوهرية ومبدئية، فلن يُعتبر المنضمون إلى السوق لاحقًا مجرد بائعين صغار على طراز الأسواق التجارية الزراعية، وإنما سيصبحون تجارًا رسميين. وهذا إغراء كبير بالنسبة لبعض الأشخاص الذين

يمارسون تجارة صغيرة غير منتظمة، ولا يمكنهم الحصول على تراخيص للبيع بالجملة، ولا يجرؤون على العمل بالجملة إلا سراً. كان يانغ شيون هو أكثر من يُدرك أن أكبر حُلم للعاملين في التجارة الصغيرة هو إصدار الفواتير وتكبير تجارتهم. أما دفتر الفواتير هذا، فلا يُمكن امتلاكه إلا بعد الحصول على موافقات صارمة من السجل التجاري والضرائب لمن هو مؤهل لذلك، وكشخصٍ عمل طويلاً في التجارة العائلية، لم يكن شيون جيان شيانغ ليُدرك ذلك.

حينما وصل يانغ شيون إلى المستشفى طلب تعليق محاليل لكي تنخفض الحمى مبكراً، ولكنَّ الطبيب لم يوافق، ولم يكتب له سوى حُقنة عضلية. فاختلق له يانغ شيون بأسلوب درامي مؤثر قصةً مليئة بالمبالغات عن مهمة طارئة تحتاج إلى المُخاطرة بحياته وأشياء من هذا القبيل، ما أثار في الطبيب وجعله يشعر بالحرَج، فكتب له محاليل.

عُلِّقت له المحاليل، وأمر شيون جيان شيانغ بالعودة إلى موقع البناء للإشراف عليه، وقال له إنه سيكون بخير بمفرده. لم يطمئن شيون لذلك، ووقف جانباً يحدق فيه قليلاً، ولمَّا وجد المحاليل قد عُلِّقت، ووجه يانغ شيون بدأ يعود إلى حالته الطبيعية، كما عادت عيناه للحركة بمرونة، اطمأن وغادر.

اكتشف أنه لا يُمكن الاستغناء عنهما حقاً في موقع البناء، فعلى الرغم من توظيف بضعة أشخاص آخرين بالفعل في الوقت الحالي، لكن أتى لهم أن يملكوا روح يانغ وشيون في العمل.

لم يكن في مقدور يانغ شيون الجلوس بأي حال من الأحوال. لا يُمكنه الانهيار الآن مهما حدث، فلديه الكثير من الأشياء التي تنتظر أن ينجزها على أحر من الجمر. عند الخروج لاحقًا سيذهب فورًا إلى مصلحة الضرائب، وينتهز الفرصة لاستكمال الأمور الضريبية بالمناسبة.

ينبغي له أن يُسرِع الخطى، ليس لشيء إلا تلك الديون المتراكمة التي تلاحقه، فمجرد الفوائد تُزيد الضغط عليه حتى لَكَادَ يَخْتَنِقُ، إنه في حاجة إلى أموال تأجير الأكشاك لكي يسدّد بها هذه الفوائد. لو كان بإمكانه اقتراض المال من بنكٍ وطني كما يفعلون في شياوليجيا، لم يكن ليقلق إلى هذا الحد؛ إذ كانت الفوائد لتصير أقل بكثير. ولكن هل تفتح تلك البنوك الوطنية أبوابها لأصحاب الأعمال الخاصة؟

ووالدته أيضًا، تلك المرأة التي تأخذ الأمور على محمل الجد، لو لم يُعْطِها المال قبل موعد السداد بعشرة أيام فسوف تجن من فرط القلق. ولقد سبق وحسبها، جميع الأموال المُقتَرَضَة لمدة سنة واحدة، وينبغي له أن يُسرِع ويتنشط في فتح السوق قبل عيد الربيع، وأن يترك بصمة تجعله قادرًا على تأجير جميع الأكشاك الحالية، فيحصل على المال ويبدأ في تنفيذ المرحلة الثانية، ولا بُدَّ من الإسراع في مُدة تنفيذ المرحلة الثانية، عندها فقط يُمكنه اللحاق وتنفيذ المشروع وافتتاحه قبل موعد سداد الدين، وإذا ما سارت الأمور بسلاسة، سيكون في مقدوره الحصول على أموال تأجير الأكشاك وسداد الديون في مسقط رأسه. ولو سارت الأمور

وفق ما يتمنى، سيكون لديه فائض كبير من المال بحلول شهر أغسطس من العام القادم ليبدأ في المرحلة الثالثة.

فهل يُمكنه ألا يستعجل؟ إن العبء الواقع على عاتقه أكبر من الجبال الثلاثة الضخمة<sup>(1)</sup> التي كانت تثقل كاهل الفقراء البائسين في الماضي. علاوة على ذلك، فهو لا يزال يحمل على عاتقه أعباء معيشة أسرته. فبعدما التحق أخواه الصغار أحدهما بمدرسة فنية والآخر بالجامعة، ازدادت نفقات المعيشة. وبدون مجهود كبير في التفكير، فمن الواضح للعيان كيف تدخر والدته المال من أقل القليل للحفاظ على كيان الأسرة.

لا يمكن أن تكون هناك أدنى زلة في خطته، فلو انهارت الأسرة، من المرجح أن تكون صحة والدته هي أول ما سينهار. وما أهمية صحته أمام صحتها؟

ومع ذلك فقد كان يخطط بانفعال، إذا سارت الأمور وفق ما يتمنى في النهاية، يمكن أن تضمن أرباحه عيش أسرته بلا عمل مدى الحياة. حينها يُمكنه أن ينفش ريشه مثل الطاووس في أي مكان يذهب إليه، بما في ذلك فنادق الثلاث نجوم المملوكة للاستثمار الأجنبي.

ابتسم يانغ شيون ودبَّت الحيوية إلى وجهه حينما فكَّر في الثروة الهائلة التي في طريقها إليه. عندما يحين الوقت، يريد أن يشتري

---

(1) تشير «الجبال الثلاثة الضخمة» إلى الإمبريالية، والإقطاع، والرأسمالية البيروقراطية. وكانت بمثابة جبال ضخمة أثقلت كاهل الشعب الصيني في الماضي.

بيتًا في هذه المدينة، ويدعو أسرته كاملة للمجيء، يعيش حياته مثل أهل المدينة: يذهب إلى الحدائق صباحًا ليريض، ويتناول طعامه ليلاً ثم يذهب للتجول.

أزالت الممرضة المحاليل، وكان متحمسًا كفهدي صغير يندفع نحو الأدغال الكثيفة.

عاد مساءً إلى موقع البناء ليلقي نظرة، فوجد المشروع يسير وفق الخطة، ما زالوا يعملون لساعات إضافية في الظلام، ما جعله يشعر بالرضا الداخلي. ساعدهم على دفع بضع عربات، فركله شيون جيان شيانغ وطرده بعيدًا.

لم يصر على العمل اليوم، بل ذهب إلى متجر صغير بالقرب منه ليشتري بضع علب سجائر، ثم عاد إلى موقع البناء ووزعها على الجميع قبل أن يجلس أخيرًا على مقعد خشبي في المتجر الصغير ويستلقي ممددًا عضلاته. استفاد هذا المتجر الصغير من أعمال موقع البناء بكم ليس بقليل، لذا كان صاحب المتجر كثيرًا ما يتودد إلى يانغ شيون، ولقد حصل يانغ شيون اليوم أخيرًا على الموافقة من السجل التجاري، وكان لديه متسع من الوقت ليتقضى عن الأمر.

أشار إلى علبة صابون ماركة AO موضوعة بداخل النضد وسأل: «هل هذا منتج أصلي؟ من أين اشتريته بالجُملة؟». فضحك صاحب المتجر وقال: «وهل يمكن أن يكون مزيفًا؟ هل يبيع متجر تشونغ باي للجُملة بضائع مزيفة؟».

«من تحاول أن تخدع؟! إنهم يعرضون إعلانات بجنون على التلفاز، ويصطف التجار أمام بوابتهم لشراء منتجاتهم بالجُملة لعام

قادم، فكيف أتى عليك الدور؟ لا بُدُّ أنه مزيف. إياك أن تكون السجائر التي تباعها هي الأخرى مزيفة». كان يانغ شيون يسمع يوميًا على التلفاز أغنية «AO، AO، أنا لستُ آكيو»<sup>(1)</sup>، وبناءً على خبرته فقد توقع أن هذا المنتج رائجٌ للغاية، كان يخلتق الكلام فقط ليُضيقَ على صاحب المتجر، فإذا لم ينجح الأمر تكون مجرد مزحة، وإذا نجح سيتمكن من معرفة الحقيقة. فمثل هذه الحيل التي تمزج بين الحقيقة والكذب سيرة عليه.

وكالمتوقع لم يستطع صاحب المتجر أن يجاربه، فقال متوترًا: «كيف يمكن أن يكون مزيفًا. لا أخفيك سرًا، هذا الصابون ليس من متجر تشونغ باي للجُملة، ثمة من يحصلون على بضائع من المصنع عبر علاقاتهم، وبكمية أكبر من تلك التي يوفرها متجر تشونغ باي، وتكون طازجة أكثر».

انفجر يانغ شيون في الضحك بسماعه هذا الكلام، ضحك كثيرًا حتى كاد يشرق، والتقط أنفاسه أخيرًا بصعوبة بالغة، وقال: «كدت تقتلني، إنه صابون في النهاية وليس سكاكر حليب، أي طزاجة تتحدث عنها؟ من أين حصلت عليه بالجُملة؟ أعطني رقم الهاتف، أريد أن أمنحهم حوافز. لا تتحمس، هذه الصفقة لن تكون من نصيبك».

---

(1) شخصية مشهورة في الأدب الصيني، بطل «قصة آكيو الحقيقية» للأديب لوشون، وهو شخص يعاني الفقر والاضطهاد لكنه يتبنى نوعًا من الانتصار النفسي الوهمي، حيث يقنع نفسه بأنه لم يخسر قط حتى لو تعرض للضرب أو الإهانة. وتعني الجُملة ضمنيًا: «لستُ شخصًا يخدع نفسه بالوهم، أنا واقعي!».

تردد صاحب المتجر بعض الشيء، ومأطله قليلاً، وفي النهاية لم يستطع أن يجابهه، فقلّب حتى استخرج دفترًا صغيرًا صنعه من دفاتر الواجبات المنزلية المهترئة لأبنائه، وبحث عن عنوان المُورد، ثم نسخه، وقطع الورقة وأعطها ليانغ شيون. وبمجرد أن نظر ليانغ شيون في العنوان ووجده ليس بعيدًا عنه، نهض فورًا وامتنى دراجته الهوائية وذهب مُسرّعًا. لم يجرؤ بعد كل شيء على ركوب الدراجة النارية خشيةً أن يتشتت ذهنه وتقلب به.

وكما هو المتوقع، وجد واحدًا، فانفرط العقد وعثر على البقية. تمامًا كما كان يفعل مُسبقًا حينما كان يعمل في الأجهزة الكهربائية، فتجار الجُملة المستقلون هؤلاء كانت بينهم حلقة وصل. لم يكن حديثه مع شيون جيان شيانغ كلام سُكّر أو مبالغة، فهو واثق مما يقول، وبالرغم من أن السلع اليومية والأجهزة الكهربائية يبدوان غير مرتبطين في الظاهر، ولكنهما يتبعان القواعد نفسها.

لا تكمن الصعوبة في البحث، وإنما في كيفية جذب هؤلاء التجار للانضمام إلى السوق بأفضل سعرٍ ممكن. كانت الموافقة التي حصل عليها للتو من السجل التجاري هي أفضل راية في يده، فإذا ما لَوَّحَ بها، تطلع الكثير من التجار المستقلين المجهولين إلى الاعتراف الرسمي بهم. كان بالطبع يتفاوض على السعر بهدوء، فعليه قبل كل شيء أن يستعيد القرابين التي قدمها للحصول على هذه الراية.

حينما ذهب سونغ يون هوي إلى العمل ورأى زميلاته يتألقن بمظهر أنيق ومنعش، وتسري الحيوية في وجوههن، ازداد انزعاجًا. وخلال الاستراحة بين المدرسين، اتصل بروضة الأطفال التابعة للمصنع الرئيسي في جينتشو.

فور سماعها باتصال قادم من زوجها، سُرت تشنغ كاي يان كثيرًا، وضحكت حينما سألها عن وشم حاجبيها حديثًا: «نعم! إنه هو، ليس أسود بالكامل، فالأسود بالكامل ليس منظره جميلًا. لقد اخترنا جميعًا اللون الأزرق الداكن، ذلك اللون الذي يُشبه لون الحبر الأسود المُزْرَق. تعرف أن حاجبي خفيفان، والآن لم أعد في حاجة إلى تحديدهما صباح كل يوم، يا لي من كسولة!».

لم يسعَ سونغ يون هوي سوى أن يتنهد، وهذا هو المتوقع. «هل يمكن إزالته؟ أوجدي طريقة لإزالته، إنه قبيح».

أكثر ما تكرهه المرأة أن يُقال لها إنها قبيحة، ولم تكن تشنغ كاي يان مستثناة من ذلك: «لن أزيله، كما أنه ليست هناك طريقة لإزالته. أنت متأخر ولا تفهم في الموضة، عليك أن تطلع على مجلات الأفلام المصورة، كُل الممثلات الأجانب يوشمن أعينهن وحواجبهن، كلما كان كثيفًا كان أفضل، وجميعهن متألقات. لقد وُشمت الغالبية العظمى من الخالات في الروضة، وجميعهن جميلات».

«كيف سيكون جميلات؟ هل يمكن أن تبدو العيون جميلة وهي تشبه عيون الباندا؟ هل تذكرين السروال الرياضي في العام

الماضي؟ كنَّ جميعًا يرتدينه في الروضة عندكم، فهل ما زالت هناك من ترتديه الآن؟ ليس بالضرورة أن تكون الموضة جميلة، ربما تكون الموضة مبتذلة، أزييه».

انفعلت تشنغ كاي يان، وامتلات بالاستياء بعد أن وبخها زوجها قائلاً إنها «قبيحة» و«مبتذلة»، وتبدلت تعابير وجهها، وقالت بغضب: «نحن لا نرى ذلك كل يوم، ثم تتصل لتلقي الأوامر وتعطي التوجيهات. أسرع في نقلنا عندك، وسأتركك تتحكم فينا كل يوم».

«ألم أخبرك من قبل؟ يمر مشروع دونغهاي ببعض التقلبات، ولقد نجح حاليًا بالكاد في الخروج من مأزق، لدي هنا صعوبات حقيقية...».

«لا تكرر الحديث عن صعوباتك، فأنا أيضًا لدي صعوبات. أتحمل مسؤولية بين الصغيرة وحدي، أنا أعاني أكثر منك». غضبت تشنغ كاي يان حتى لكادت تلقي بسماعة الهاتف، كل ما يقوله لها مبررات، أليست لديها مبررات أيضًا؟ لكنها لم تكتفِ بعد، فواصلت الصُراخ في سماعة الهاتف: «كُف عن الأمر والنهي دائمًا، فطريقة كلامك مزعجة للغاية، لم يصدر والدي لي أوامر مطلقًا طوال تلك السنوات الطويلة التي عمل فيها كمسؤول حكومي، من تظن نفسك!».

أنهت كلامها بغضب وألقت الهاتف بعنف. ومع ذلك فلم تدم جراتها طويلاً، إذ اجتاحت قلبها فجأة شعورٌ بالخوف. سبق وقال والدها، لقد تمكن سونغ يون هوي بطريقة ما من السيطرة سرًا على

السُّلطة العُليا في مشروع دونغهاي، يأمر قِطاع، وصارت هيئته لا تقل عن هيئة الأمين شوي في أوج مجده آنذاك. وأما عن الأمين شوي، فهي ما زالت تنظر إليه باحترام، ولا تجرؤ على مخالفته، لكن ماذا عن سونغ يون هوي؟ ألا يمكن أن يتخلى وهو في قمة نجاحه عن زوجته التي بلا شهادة ولا جمال؟ كيف يمكن أن تثور عليه وبينهما كل تلك المسافات؟ ألا يمكن أن تتغير العلاقة بينهما إذا اشتد غضبها عليه؟

كلما فكرت ازدادت خوفاً، وانهمرت الدموع من عينيها بلا توقف. جاءت جميع المُعلمات اللاتي كن بالجوار لُنصحها، وكثرت الأقاويل فيما بينهن وتعددت الآراء. فكرت حقاً في أن تعاود الاتصال به لتبرر له ما حدث، لكنها هنا في الروضة، وليس في مقدورها الاتصال بمسافة بعيدة كما يحلو لها. لم تتمكن من حضور الدرس والدموع في عينيها، فنابت عنها معلمة أخرى، وظلت تبكي باختناق لمدة الدرس كاملة.

بصعوبة عادت إلى البيت، هرعت والدتها إلى الخارج لتخبرها أن سونغ يون هوي قد اتصل، وقال إن لديه شيئاً في المساء ولن يُمكنه الاتصال، وطلب منها ألا تغضب، وإن لم تُرد أن تزيله فلا تزيله، سيعتاد عليه مع الوقت. فقالت دون تفكير: «مُذنب ويشتكى أولاً».

كان لدى سونغ يون هوي شيءٌ في المساء، فذهب إلى المدينة للقاء أحدهم، لكنه لم يستطع التوقف عن التفكير في وجه تشنغ كاي يان الذي كان جميلاً ورقيقاً في الأصل وقد صار مبتذلاً بسبب

الحواجب الموشومة، لم يكن في حاجة إلى أن يراه، فقد كان يعرف أنه مبتذل. ورغم أنه اتصل بحماته واعتذر لإنهاء الخلاف وتهذئة الأمور، لكنه كان يشعر بالغضب الداخلي، وغير الحبر الأسود المُزرق الموجود على مكتبه إلى حبر كربوني، فهو لا يُريد أن يرى اللون الأسود المُزرق مطلقًا فيما بعد.

لكنه بعد عدة أيام وفي الصباح الباكر، تلقى اتصالاً هاتفيًا من ليانغ سي شن التي لم تتصل به منذ فترة طويلة. في هذه المرة خالفت العادة، فلم تناده بحيوية كما كانت تفعل «مستر سونغ»، لكنها نادته بجدية «أستاذ سونغ».

فكّر سونغ يون هوي فورًا بأنها واقعة في مشكلة اقتصادية في غاية الواقعية، وسألها بقلق: «ألم تعودي إلى الوطن في العطلة الصيفية هذا العام؟ لم يعد يمكنك العمل في تجارة الاستيراد والتصدير مع جيتشو، أليس كذلك؟».

«بلى، لم يدعني والذي أعود في العطلة الصيفية. أريد العودة إلى المنزل في عيد الميلاد، ولكن... لقد توقفت عن تجارة الاستيراد والتصدير مع جيتشو، ما من حل».

«هل أصبح ثمن تذكرة العودة يمثل مشكلة بالنسبة لك؟».

«لا، لا، التذكرة ليست مشكلة. فبعدما توقفت عن تجارة الاستيراد والتصدير، بدأت في تداول الأسهم، والأمور تسير على ما يرام، أنا قادرة على التحليل، لدي موهبة في هذا المجال، كما أن هناك شركة بالفعل قد دعنتني للانضمام إليها بعد التخرج. هناك مسألة واحدة تؤرقني الآن، وهي أنني اكتشفت أنني لست موهوبة

في مجال الرياضيات، وفي تخصصنا هذا إن لم تكن موهوبًا فمن الصعب عليك تحقيق أي إنجاز. أخبرت والديّ بما يدور في ذهني، فقالا لي إنه من الأفضل أن أعود إلى الوطن، ولسوف يساعداني على توفير أفضل عمل ممكن، فقد اشتاقا لي بشدة. لكن كيف أعود إلى الوطن بيدين فارغتين؟ لقد بذل والداي جهودًا مضنية في استخراج جواز السفر لي لكي آتي إلى أمريكا للدراسة، كما أنني تشاجرت مع عائلة جدّي لأمي ورفعت عليهم دعوة قضائية وانتهى الأمر بعدم رغبتنا في اللقاء ببعضنا وكأننا غرباء، إذا ما عدت بخفي حنين، فلسوف يسخر مني أبناء وبنات عمومتي الذين تخرجوا بالفعل وبدأوا حياة مهنية مزدهرة لأنني لم أحقق شيئًا، أما أنا فقد وقعت في لعنة أخوالي، فكيف أعود إذن؟ أريد أن أدرس الماجستير في تخصص آخر، ولكنّ أبويّ يرفضان رفضًا قاطعًا، يقولان ما دمّت اخترت المجال الذي أحبه، فعليّ أن أثابر فيه حتى النهاية، وإلا فمن الأفضل أن أعود. صحة أمي ليست على ما يرام في الآونة الأخيرة، كما تقول إن تخصص إدارة الأعمال هو أكثر تخصص يبدو رائعًا ولكنه بلا فائدة حقيقية، ولا تقترح عليّ دراسته. أرجو أن تُسدي إليّ نصيحتك بوصفك طرفًا ثالثًا يا أستاذ سونغ، فأنت كثيرًا ما سافرت إلى الخارج، ولديك معرفة بالكثير من الأمور داخل الوطن وخارجه، ستكون نصيحتك بالطبع مختلفة عن نصيحة والدي، فلتساعدني».

حينما سمع سونغ يون هوي كلامها شعر أن هذه ببساطة ليست مشكلة، فقال لها ضاحكًا: «تعبيرك بالصينية صار سلسًا للغاية».

«شكرًا لك، الطلاب الصينيون المغتربون في الخارج يزدادون شيئًا فشيئًا، ما وفر لي فرصة للتعامل معهم. لو كنت مكاني يا أستاذ سونغ، ماذا كنت لتختار؟».

«فلتوازني الأمور بنفسك، هل الأهم في النهاية بالنسبة إليك هو مشاعر والديك، أم هوايتك، أم ماء وجهك؟! هل ثمة حاجة لمنح كل هذا الاهتمام لنظرة الآخرين؟!».

«أستاذ سونغ، نعم هناك حاجة ضرورية، لا يُمكننا التظاهر بالقدرة على رفض الاعتراف المجتمعي بنا في الحياة. أنا في الأصل شديدة الفخر بنفسي، ويُمكنني ترتيب حياتي بعيدًا عن رعاية عائلة ليانغ المزعومة، وأتمنى أن أظل بهذا الفخر، ولكنني... أدركت أن اختياري كان فوضويًا للغاية».

فكر سونغ يون هوي مرارًا، وكان لا يزال يرى أنها ليست مشكلة كبيرة، فقط عليها أن تختار ببساطة، ابتسم وهو يحاول استدراجها ليعرف منها الحقيقة: «غالبًا فإن لديك أسبابًا أخرى مهمة تخفيها عني».

فقدت ليانغ سي شن القدرة على النطق للحظات، وبعد فترة طويلة قالت متلعثمة: «إنه موهوب، بعدما تعرفت عليه آمنت بأن هناك من هو أكثر موهبةً مني في مجال الرياضيات. لكنه سيعود إلى الوطن في الصيف، ويتمنى أن أعود أنا الأخرى، أفكر فيه، ويصعب عليّ الاختيار».

لم يسعَ سونغ يون هوي سوى التفكير في زوجته التي يزداد مظهرها ابتداءً يومًا بعد يوم منذ أن صارت ربّة منزل، فنصحها

بإخلاص: «أي إنسان إذا لم تكن لديه أحلامٌ ومساعٍ مستقلة فلسوف يُصبح مثيّرًا للاشمئزاز يومًا ما، أليس أكثر ما تهتمّين به هو اعتراف المجتمع بك؟».

صُدمت ليانغ سي شن، لم تكن هذه هي الإجابة التي تتصورها، ومع ذلك فقد كانت أكثر إجابة مثالية يُمكنها الحصول عليها. «لا، أنا مغرورة». خرج منها الكلام على عواهنه.

لم يتمالك سونغ يون هوي نفسه من الضحك، هذه البنت صارت تُشبه الأجنبي في صراحتها، لا تدخر جهدًا في انتقادها لنفسها. «لا تقلقي، ما زال هناك نصف عام على التخرج، ولديكِ متسع من الوقت لتفكري».

«نعم، شكرًا لك أيها الأستاذ سونغ، سأوازن الأمور وأختار الأنسب». كانت تشعر ببعض الحيرة في داخلها، هل فخرها بنفسها هو الأهم أم هوايتها؟ «هل حققت حلمك الآن يا أستاذ سونغ؟». فابتسم وقال: «أنا فخور جدًا بنفسي».

قالت ليانغ سي شن بإعجاب: «أتمنى أن يأتي اليوم الذي أقول فيه هذه الجملة بفخر».

تذكر سونغ يون هوي فجأة أن هذه هي المرة الأولى التي يُظهر فيها أمام شخصٍ آخر فخره الذي يدفنه في أعماق قلبه، بل ويتحدث هكذا مباشرة، هل ليانغ سي شن هي من دفعته لفعل ذلك؟ لا، غالبًا فإن السبب هو أنها على بعد آلاف الأميال، وليس بينهما لقاء حقيقي في عالمه. إنه يستعرض فخره بغطرسة لأنه ما من عواقب وخيمة ستحدث. كان ناضجًا، متزنًا، لكن في قلبه بركان.

خمن سونغ يون هوي أنه من غير المحتمل كثيرًا أن تعود ليانغ سي شن إلى الوطن بعد التخرج في الجامعة، على الأقل في هذه الفترة. تمامًا مثل يوي شان تشينغ، فهو ما زال إلى الآن وافدًا في أمريكا، ومشغولاً في الدراسة، يدرس أيضًا ماجستير إدارة الأعمال، يُعرف اختصارًا بـ MBA.

الجميع مشغولون، ولديهم الكثير من الأحلام. فكّر سونغ يون هوي، أنهم جميعًا لديهم خيارات، ونطاق الخيارات أمامهم واسعٌ للغاية، أما هو فلا، لم يكن لديه خيار قط، فقراراته كثيرًا ما اعتمدت على الظروف والعلاقات الإنسانية، ليس لديه ما يحبه أو يكرهه. وطالما أن الوضع هكذا، فمن الأفضل أن يكون واقعيًا.

مكتبة

[t.me/soramnqraa](http://t.me/soramnqraa)

# نهر يتسع لأكثر من مصير

## 《大江大河》

ترصد هذه الرواية تفاصيل الحياة اليومية للشعب الصيني في فترة الإصلاح والانفتاح من خلال عرض حياة عائلة صينية صغيرة ومسيرة بطل الرواية "سونغ يون هوي"، وهو نموذج للشخصية الصينية التي تسعى للتكيف والتطور في ظل التحديات والتحويلات الاجتماعية الكبرى. وبفعل التعبير الأدبي الدقيق للكاتبة "آناي" عن تفاصيل حياة البطل اليومية؛ يشعر القارئ وكأنه صديقه الذي يشاركه المواقف التي يتعرض لها يوميًا، ويرى أدق تفاصيل حياة الصينيين في تلك المرحلة، كما أن قارئ هذه الرواية سيشعر بالارتباط العميق مع شخصياتها وكأنه يعرفهم. فالرواية لا تقدم عرضًا تاريخيًا لفترة ما في الصين، بل تعرض لنا تلك الفترة بعيون شخصيات بسيطة من لحم ودم تتفاعل مع مجتمع يتغير بشكل كبير. رواية "نهر يتسع لأكثر من مصير" من الأعمال الأدبية المهمة في الأدب الصيني المعاصر، وترجمت إلى العديد من اللغات، وحقق نجاحًا كبيرًا في الصين وخارجها، وتحولت إلى مسلسل تلفزيوني شهير، حتى إنها تُدرّس في بعض المدارس والجامعات، وتعد مرجعًا مهمًا لفهم التاريخ والثقافة الصينية في تلك الفترة.

مكتبة  
t.me/soramnqraa

بيت الحكمة للثقافة  
174 شارع التحرير - ميدان التحرير - القاهرة  
ت: +20223936038 +201030328888  
info@baytelhekma.com  
www.baytelhekma.com

